[illegible] سعاد

قلة القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجز من الكلام جمال
الادب من جميع الانام بسبب كذلك قلة الطعام من الشهوات
ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام
السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ
الى الغايات وليس على العبد شي اشد من تحمل
الجفا والصبر على الاذى عن من ارضا الجوارح بالشهوات
فقد غرس [illegible] شجرة الندامات

تفسير للامام القرطبي

من سورة نون الى آخر القرآن

لا اله الا الله محمد رسول الله الحمد لله امانة عند الله

یا کبیکج

22

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

سورة ن والقلم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة من اولها
الى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم مكية ومن بعد ذلك الى قوله تعالى اكبر
لو كانوا يعلمون مدني ومن بعد ذلك الى قوله يكتبون مكي ومن بعد ذلك الى
قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها مكي قاله الماوردي وهي ثنتان وخمسون اية
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون ادغم النون الثانية
من هجائها في الواو ابو بكر والمفضل وهبيرة وورش وابن محيصن وابن
عامر والكسائي ويعقوب والباقون بالاظهار وقرا عيسى بن عمر بفتحها كانه
اضمر فعلا وقرا ابن عباس ونصر وابن ابي اسحق بكسرها على اضمار حرف القسم
وقرا هارون ومحمد بن السميفع بضمها على البناء واختلف في تاويله
فروى معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
نون لوح من نور وروى ثابت البناني ان نون الدواة قاله الحسن وقتادة
وروى الوليد بن مسلم حدثنا مالك عن انس عن سمي مولى ابي بكر عن ابي صالح
السمان عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم
ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله ن والقلم ثم قال له اكتب قال
وما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة من عمل او اجل
او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيمة قال ثم ختم فم القلم
فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت
خلقا اعجب منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك
فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا

اطوعهم لله واعلمهم بطاعته وعن مجاهد قال نون الحوت الذي تحت
الارض السابعة ن قال والقلم الذي كتب به الذكر وكذا قال مقاتل
ومرة الهمداني وعطاء الخراساني والسدي والكلبي ان النون هو الحوت الذي
عليه الارضون وروى ابو ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم
فجرى بما هو كائن ثم رفع بخار الماء فخلق منه السماء ثم خلق النون فبسط
الارض على ظهره فمادت الارض فاثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على
الارض ثم قرا ابن عباس ن والقلم الاية وقال الكلبي ومقاتل
اسمه البهموت قال الراجز

مالي اراكم كلكم سكوتا ... والله ربي خلق البهموتا

وقال ابو اليقظان والواقدي ليوثا وقال كعب لوثوتا وقال بلهوتا
قال كعب ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارضون والسموات
فوسوس في قلبه وقال اتدري ما على ظهرك يا لوثوتا من الدواب
والشجر والارضين وغيرها لو لفظتهم القيتهم عن ظهرك اجمع فهم لوثوتا ان
يفعل ذلك فبعث الله اليه دابة من الارض دخلت في منخره ووصلت الى
دماغه فضج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله فخرجت قال كعب فوالله
انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وقال
الضحاك عن ابن عباس ان نون اخر حرف من حروف الرحمن قال الر وحم ون حروف اسم
الرحمن تعالى مقطعة وقال ابن زيد هو قسم اقسم الله تعالى به وقال
ابن كيسان هو فاتحة السورة وقيل اسم السورة وذكر عطاء وابو
العالية هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب
اقسم الله تعالى بنصره للمؤمنين وهو حق بيانه قوله تعالى وكان حقا علينا
نصر المؤمنين وقال جعفر الصادق هو نهر من انهار الجنة يقال له ن وقيل هو

المعروف من حروف المعجم لانه لو كان غير ذلك لكان معربا وهذا اختيار
القشيري ابو نصر عبد الرحمن في تفسيره وقال لان ن حرف لم يعرب فكان كلمة
تامة اعرب كما اعرب القلم فهو اذا حرف هجا كما في سائر مفاتيح السور
وعلى هذا قيل هو اسم للسورة اي هذه سورة ن ثم قال والقلم اقسم بالقلم
لما فيه من البيان كاللسان وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من في السماء
ومن في الارض ومنه قول ابي الفتح البستي

اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

وللشاعر في تفضيل القلم على السيف ابيات كثيرة ما ذكرناه اعلاها
وقال ابن عباس هذا قسم بالقلم الذي خلقه الله فامره فجرى
بكتابة جميع ما هو كائن الى يوم القيمة قال وهو قلم من نور
طوله كما بين السماء والارض ويقال خلق الله القلم ثم نظر اليه فانشق
نصفين فقال اجر فقال يا رب بما اجري فقال بما هو كائن الى يوم
القيمة فجرى على اللوح المحفوظ وقال الوليد بن عبادة بن الصامت اوصاني
ابي عند موته فقال يا بني اتق الله واعلم انك لن تتقي ولن تبلغ العلم
حتى تؤمن بالله وحده والقدر خيره وشره سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال يا رب وما اكتب
قال اكتب القدر فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وبما هو كائن
الى الابد وقال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب
ما هو كائن فكتب فيما كتب تبت يدا ابي لهب وقال
قتادة القلم نعمة من الله تعالى على عباده قال غيره فخلق الله القلم الاول
فكتب فيما كتب تبت يدا ابي لهب وقال قتادة القلم نعمة
من الله تعالى على عباده قال غيره فخلق الله القلم الاول

فكتب ما هو كائن في الذكر ووضعه عنده فوق عرشه ثم خلق القلم الثاني
ليكتب به في الارض على ما يأتي بيانه في سورة اقرأ باسم ربك قوله تعالى
وما يسطرون اي وما يكتبون يريد الملائكة يكتبون اعمال بني ادم قال ابن عباس
وقيل ما يكتبون الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس معنى وما يسطرون وما
يعلمون وما موصولة او مصدرية اي ومسطوراتهم اي وسطرهم ويراد به
كل من يسطر او الحفظة على الخلاف ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب
القسم وهو نفي وكان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم انه مجنون به
شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون به شيطان وهو قولهم
يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا
لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون اي برحمة ربك اي برحمة ربك والنعمة
ههنا الرحمة ويحتمل ثانيا ان النعمة ههنا قسم وتقديره ما انت ونعمة ربك
بمجنون لان الواو والباء من حروف القسم وقيل هو كما تقول ما انت بمجنون
والحمد لله وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك
ومنه قول لبيد

وافردت في الدنيا بفقد عشيرتي وفارقني جار باربد نافع

اي هو اربد وقال النابغة

لم يحرموا حسن الغذاء وامهم طفحت عليك بناتق مذكار

اي هو ناتق والباء في بنعمة ربك متعلقة بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل
مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت
بمجنون منعما عليك بذلك وان لك لاجرا اي ثوابا على ما تحملت من اثقال النبوة
غير ممنون اي غير مقطوع ولا منقوص يقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل
منين اذا كان غير متين قال الشاعر

غبسا كواسب لا يمن طعامها

اي لا يقطع وقال مجاهد

غير ممنون غير محسوب الحسن غير مكدر بالمن قال الضحاك اجراً بغير
عمل وقيل غير مقدر وهو التفضل لان الجزاء مقدر والتفضل غير مقدر
ذكره الماوردي وهو معنى قول مجاهد **قوله تعالى** وانك لعلى خلق عظيم فيه
مسئلتان الاولى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس
ومجاهد على خلق على دين عظيم من الاديان ليس دين احب الى الله ولا ارضى عنده
منه وفي صحيح مسلم عن عائشة ان خلقه كان القرآن وكان علي رضي الله عنه
وعطية يقولان هو ادب القرآن وقيل هو رفقه بامته واكرامه اياهم
وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من امر الله وينتهي عنه مما نهى الله عنه وقيل انك على طبع كريم قال الماوردي
وهو الظاهر وحقيقة الخلق في اللغة ما هو يأخذ به الانسان نفسه من الادب
يسمى خلقاً لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب فهو الخيم فيكون
الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي وقد اوضح الاعشى ذلك في شعره فقال
وما ذو الفضول ضنٌ على المولى وعادته تجمعها الاخلاق
الى رجعة الاخلاق الى طبايعها قلت ما ذكرته عائشة في صحيح مسلم اصح
الاقوال وسئلت ايضاً عن خلقه عليه السلام فقالت قد افلح المؤمنون الى عشر آيات
وقالت ما كان احد احسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من
الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
ولم يذكر خلق محمود الا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر
وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل
سمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الاخلاق يدل عليه قوله عليه السلام بعثني
الله لاتمم مكارم الاخلاق وقيل لانه امتثل تاديب الله تعالى اياه بقوله خذ
العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقد روي عنه عليه السلام انه
قال ادبني ربي تأديباً حسناً اذ قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

فما قبلت ذلك منه قال انك لعلى خلق عظيم الثانية روى الترمذي
عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال حديث حسن صحيح وعن ابي الدرداء
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة
من خلق حسن فان الله تعالى يبغض الفاحش البذيء قال حديث حسن صحيح
وعنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء يوضع في الميزان
اثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة
والصوم قال حديث غريب من هذا الوجه وعن ابي هريرة قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى
الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج
قال هذا حديث حسن صحيح وعن عبد الله بن المبارك انه وصف حسن الخلق فقال
هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من احبكم الي واقربكم مني مجلساً يوم القيامة احسنكم اخلاقاً وان ابغضكم
الي وابعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون قالوا يا رسول الله
قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون قال وفي
الباب عن ابي هريرة قال وهذا حديث حسن صحيح **قوله تعالى** فستبصر
ويبصرون قال ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة وقيل
فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل بايكم المفتون الباء
زائدة اي فستبصر ويبصرون ايكم المفتون الذي فتن بالجنون كقوله
تنبت بالدهن ويشرب بها عباد الله وهذا قول قتادة وابي عبيدة والاخفش
قال الراجز

نحن بنو جعدة واصحاب الفلج ... نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وقيل الباء ليست بزائدة والمعنى بايكم المفتون اي الفتنة وهو

مصدر على وزن المفعول ويكون معناه الفتون كما قالوا ما لفلان مجلود
ولا معقول اي عقل ولا جلادة وقاله الحسن والضحاك وابن عباس وقال الراعي

حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا

اي عقلا وقيل في الكلام تقدير حذف مضاف والمعنى بايكم فتنة المفتون
وقال الفراء الباء بمعنى في اي فستبصر ويبصرون في اي الفريقين
المجنون ابا الفرقة التي انت فيها من المؤمنين ام بالفرقة الاخرى والمفتون
المجنون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب من قول العرب
فتنت الذهب بالنار اذا حميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار
يفتنون اي يعذبون ومعظم السورة نزلت في الوليد بن المغيرة وابي
جهل وقيل المفتون هو الشيطان لانه مفتون في دينه وكانوا يقولون
انه به شيطانا وعنوا بالمجنون هذا فقال الله سيعلمون غدا بايهم الشيطان
الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل ٥ ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله اي ان الله هو العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين
اي الذين هم على الهدى فيجازي كلا غدا بعمله قوله تعالى فلا تطع المكذبين
نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه الى ان يكف عنهم ليكفوا عنه فبين
الله تعالى ان ممايلتهم كفر وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقيل اي فلا تطع المكذبين
فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث نزلت في مشركي قريش حين دعوه الى دين
ابائه قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس وعطية
والضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيما دون على كفرهم وعن ابن عباس ايضا
ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال الفراء والكلبي لو تلين فيلينون
لك والادهان التليين لمن لا ينبغي له التليين قاله الفراء وقال مجاهد المعنى
ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمالئونك وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب

فيكذبون وقال قتادة ودوا لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك
الحسن ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعوك في دينهم وعنه ايضا ودوا
لو ترفض بعض امرك فيرفضون بعض امرهم زيد بن اسلم لو تنافق وترائي
فينافقون ويراؤون وقيل ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر
وقيل ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في اديانهم قاله القتبي وعنه
طلبوا منه ان يعبد الهتهم مدة ويعبدوا الهه مدة فهذه اثنا عشر قولا
ابن العربي ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة
والمعنى امثلها قوله ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون
قلت كلها ان شاء الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى فان الادهان
اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته وقيل المقاربة في الكلام
والتليين في القول قال الشاعر

لبعض الغشم احزم في امور تنوبك من مداهنة العدو

وقال المفضل النفاق وترك المناصحة فهي على هذا الوجه مذمومة
وعلى الوجه الاول غير مذمومة وكل شيء منها لم يكن قال المبرد
يقال ادهن في دينه وداهن في امره واظهر خلاف ما يضمر وقال قوم داهنت
بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قاله الجوهري وقال فيدهنون
ساقه على العطف ولو جاء به جوابا للنهي لقال فيدهنوا وانما اراد ان تمنوا
لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء عليه ولا مكافاة وانما هو
تمثيل وتنظير قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين يعني الاخنس بن
شريق في قول الشعبي والسدي وابن اسحق وقيل الاسود بن عبد
يغوث او عبد الرحمن بن الاسود قاله مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة

عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالاً وحلف انه يعطيه ان رجع عن دينه
قاله مقاتل وقال ابن عباس هو ابو جهل ابن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين
الضعيف القلب عن مجاهد قال ابن عباس الكذاب والكذاب مهين وقيل
المكثار في الشر قاله الحسن وقتاده وقال الكلبي المهين العاجز وقيل معناه
الحقير عند الله وقال ابن شجره انه الذليل قال الرماني المهين الوضيع
لاكثاره من القبيح وهو فعيل من المهانه بمعنى القلة وهي هنا القلة في الشر
او التمييز او هو فعيل بمعنى مفعل والمعنى مهان همّاز قال ابن زيد الهماز الذي
يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقال الحسن هو الذي يهمز ناحيه
في المجلس كقوله تعالى همزه وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم
واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم قاله ابو العاليه وعطا بن ابي رباح والحسن ايضا
وقال مقاتل ضد هذا الكلام ان الهمزه تغتاب بالغيبه واللمزه الذي
يغتاب في الوجه وقال مره هما سوا وهو القتات الطعان
للمرء اذا غاب ونحوه عن ابن عباس وقتاده قال الشاعر

تدلي بودٍ اذا لاقيتني كذبا وان اغيب فانت الهامز اللمزه

مشاء بنميم اي يمشي بالنميمه بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم نما ونميما ونميمه
اي يمشي ويسعى بالفساد وفي صحيح مسلم عن حذيفه انه بلغه ان رجلا ينم الحديث
فقال حذيفه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنه نمام قال
الشاعر

ومولى كبيت النمل لا خير عنده لمولاه الا سعيه بنميم

قال الفرا هم القتات ويقال النميم جمع نميمه ○ مناع للخير اي للمال
ان ينفق في وجوهه وقال ابن عباس يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته
وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا انفعه بشي ابدا ○ معتد
اي على الناس في الظلم متجاوز للحد صاحب باطل ○ اثيم اي ذي اثم

ومعناه ما هو فعيل بمعنى فعول عتل بعد ذلك زنيم العتل الجافي الشديد في
كفره وقال الكلبي والفرا هو الشديد الخصومه بالباطل وقيل انه الذي
يعتل الناس فيجرهم الى حبس او عذاب ماخوذ من العتل وهو الجر ومنه
قوله تعالى خذوه فاعتلوه وفي الصحاح وعتلت الرجل اعتله واعتُله
اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر وقال يصف فرسا
نفرعه فرعا ولسنا نعتله وقال ابن السكيت عتله وعتنه
باللام والنون جميعا والعتل الغليظ الجافي والعتل ايضا الرمح الغليظ
ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر ويقال لا اعتتل معك
اي لا ابرح مكاني وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد
يوضع في الميزان فلا يزن شعيره يدفع الملك من اولئك في جهنم بالدفعه
الواحده سبعين الفا وقال علي بن ابي طالب والحسن العتل الفاحش السيء الخلق
وقال معمر هو الفاحش اللئيم قال الشاعر

بعتل من الرجال زنيم غير ذي نجده وغير كريم

وفي صحيح مسلم عن حارثه بن وهب سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
باهل الجنه قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره
الا اخبركم باهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر وفي روايه
عنه كل جواظ زنيم متكبر الجواظ قيل هو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم
المختال وذكر الماوردي عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ورواه ابن
مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنه جواظ ولا جعظري
ولا العتل الزنيم فقال رجل ما الجواظ وما الجعظري وما العتل الزنيم
فقال صلى الله عليه وسلم الجواظ الذي جمع ومنع والجعظري الغليظ والعتل

الزنيم الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام الظلوم
للناس وذكر الثعلبي عن شداد بن اوس لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري
ولا عتل زنيم سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وما الجواظ
قال كل جماع مناع قلت وما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت وما
العتل الزنيم قال الرحيب الجوف الوثير الخلق الاكول الشروب الغشوم
الظلوم قلت فهذا التفسير من النبي صلى الله عليه وسلم في العتل قد
اربى على اقوال المفسرين ووقع في كتاب ابي داود في تفسير الجواظ انه
الفظ الغليظ ذكره من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري قال والجواظ الفظ
الغليظ ففيه تفسيران مرفوعان حسب ما ذكرناه اولا وقد قيل انه الجافي
القلب وعن زيد بن اسلم في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تبكي السما من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه
من الدنيا بعضا فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وتبكي السما من الشيخ
الزاني ما تكاد الارض تقله والزنيم الملصق بالقوم الداعي عن ابن عباس وغيره
قال الشاعر

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم اكارعه

وعن ابن عباس ايضا انه رجل من قريش كانت له زنمة كزنمة الشاة
وروي عنه ابن جبير انه الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها
وقيل انه الذي يعرف بلاسه وهو مروي عن ابن عباس ايضا
وعنه انه الظلوم فهذه سته اقوال وقال مجاهد زنيم كانت له
سته اصابع في يده في كل ابهم له اصبع وقال ذلك ابيه وعنه
ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمه هو ولد الزنا الملحق في النسب

بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد
ثماني عشرة سنه من مولده قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم

وقال حسان

وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

قلت وهذا هو القول الاول بعينه وعن علي رضي الله عنه
انه الذي لا اصل له والمعنى واحد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده وقال عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيمه في صورة القرده
والخنازير وقالت ميمونه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا
تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا اوشك
ان يعمهم الله بعقاب وقال عكرمه اذا كثر ولد الزنا قحط المطر
قلت اما الحديث الاول والثاني فما اظن لهما سند يصح واما
حديث ميمونه وما قاله عكرمه ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش
زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب
فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق بابهامه والتي تليها
قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر
الخبث خرجه البخاري وكثرة الخبث ظهور الزنا واولاد الزنا كذا فسره
العلما وقول عكرمه قحط المطر تبيين لما يكون به الهلاك
وهذا يحتاج الى توقيف وهو اعلم من اين قاله ومعظم المفسرين على
ان هذا نزل في الوليد بن المغيره وكان يطعم اهل منى حيسا ثلثه ايام

وينادي الا لا يوقدن احدا تحت برمه الا الا بدخان احد بكراع الادم من
اراد الخبيث فلبان الوليد بن المغيره وكان ينفق في الحج الواحد عشرين الفا
واكثر ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين
الذين لا يوتون الزكوه وقال محمد بن اسحق نزلت في الاخنس بن شريق
لانه حليف ملحق في بني زهره ولذلك سمي زنيما وقال ابن عباس ان هذه
الايه نعت فلم يعرف حتى قتل فعرف وكان له زنمه في عنقه معلقه يعرف بها
وقال مره الهمداني انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشره سنه
قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين قرا ابو جعفر وابن عامر وابو حيوه
والمغيره والاعرج ءان كان بهمزه واحده ممدوده على الاستفهام وقرا
المفضل وابو بكر وحمزه ءءان كان بهمزتين مخففتين وقرا الباقون بهمزه
واحده على الخبر فمن قرا بهمزه مطوله او بهمزتين مخففتين فهو استفهام
والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان على معنى
الان كان ذا مال وبنين يقول اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ويجوز
ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم
من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرا ان كان بغير استفهام
فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان
ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
ولا يعمل في ان تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف
الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب
الجزا ولا يعمل ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما موخرا في حال ويجوز ان يكون
المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد وقال
ابن الانباري ومن قرا بلا استفهام لم يجز ان يقف على زنيم لان المعنى

لان كان وبان كان فان متعلقه بما قبلها قال غيره يجوز ان يتعلق بقوله
مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان يتعلق
بعتل والاساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم وخرافاتهم وقد تقدم قوله تعالى
سنسمه على الخرطوم فيه مسلتان الاولى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم قال
ابن عباس معنى سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم
بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات وقال قتاده سنسمه يوم القيمه
على انفه سمه يعرف بها يقال وسمه وسما وسمه اذا اثرت فيه بسمه وكي
وقد قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهذه علامه ظاهره
وقال تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامه اخرى ظاهره فافادت
هذه الايه علامه ثالثه وهي الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره وقال ابو العاليه ومجاهد
سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه في الاخره فيعرف بسواد وجهه
والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع الشفه وخراطيم القوم
ساداتهم قال الفرا وان كان الخرطوم قد خص بالسمه فانه في معنى الوجه
لان بعض الشي يعبر به عن الكل وقال الطبري نبين امره تبيانا
واضحا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمه على الخراطيم وقيل معنى
سنلحق به عارا وسبه حتى يكون كمن وسم على انفه قال القتبي تقول
العرب للرجل يسب سبه سو قبيحه باقيه قد وسم ميسم سو اي الصق به عار لا
يفارقه كما ان السمه لا يمحى اثرها قال جرير
لما وضعت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث جدعت انف الاخطل
اراد به الهجا قال وهذا كله نزل في الوليد بن المغيره ولا نعلم ان الله تعالى بلغ
من ذكر عيوب احد ما بلغه منه فالحقه به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخره

كالوسم على الخرطوم وقيل هو ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه واهله وماله
من سوء وذل وصغار قاله ابن بحر واستشهد بقول الاعشى

فدعها وما يغنيك واعمد لغيرها بشعرك واعلب انف من انت واسم

وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم
قال الشاعر تظل يومك في لهو وفي طرب وانت بالليل شراب الخراطيم
وقال اخر صهبا خرطوما عقارا قرقفا وقال اخر

ابا حاضر من يزن يعرف زناوه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

الثانية قال ابن العربي كان الوسم في الوجه لذي المعصية قديما عند الناس
حتى انه روي كما تقدم ان اليهود اهملوا رجم الزاني اعتاضوا منه بالضرب
وتحميم الوجه وهذا وضع باطل ومن الوسم الصحيح في الوجه ما راى العلما
من تسويد وجه شاهد الزور علامة على قبح المعصية وتشديدا لمن يتعاطاها
لغيره ممن يرجى تجنبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته فقد كان
عزيزا بقول الحق وقد صار مهينا بالمعصية واعظم الاهانة اهانة الوجه وكذلك كانت
الاستهانة به في طاعة الله سببا لخيرة الابد والتحريم له على النار ان تاكل
من ابن ادم اثر السجود حسب ما ثبت في الصحيح قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا
اصحاب الجنة فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى انا بلوناهم يريد اهل
مكه والابتلا الاختبار والمعنى اعطيناهم الاموال ليشكروا لا ليبطروا
فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا اهل
الجنة المعروف خبرها عندهم وذلك انها كانت بارض اليمن بالقرب منهم على
فراسخ من صنعا ويقال انها كانت لرجل يودي حق الله منها فلما مات صارت
الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فاهلكها الله تعالى من حيث

يمكنهم دفع ما حل بها قال الكلبي كان بينهم وبين صنعا فرسخان ابتلاهم
الله تعالى بان احرق جنتهم وقيل هي جنة بضوران وضوران على فراسخ من
صنعا وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلا
فكانوا يجذون النخل ليلا من اجل المساكين وكانوا ارادوا حصاد زرعها
وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فغدوا عليها فاذا هي قد اقتلعت
من اصلها فاصبحت كالصريم اي كالليل ويقال ايضا للنهار صريم فان كان
اراد الليل فلاسوداد موضعها وكانهم وجدوا موضعها حماة وان كان اراد
بالصريم النهار فلذهاب الشجر والزرع ونقا الارض منه وكان الطايف الذي
طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها فيقال انه طاف بها حول البيت
ثم وضعها حيث مدينة الطايف اليوم ولذلك سميت الطايف وليس في ارض
الحجاز بلدة فيها الما والشجر والاعناب غيرها وقال البكري في المعجم
سميت الطايف لان رجلا من الصدف يقال له الدمون بنا حايطا وقال
قد بنيت لكم طايفا حول بلدكم فسميت الطايف والله اعلم الثانية
قال بعض العلما على من حصد زرعا او جد ثمرة ان يواسي منها من حضره
وذلك انه معنى قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده وانه غير الزكاة على ما
تقدم في الانعام بيانه وقال بعض وقال عليه ترك ما اخطاه الحصادون
وكان بعض العباد يتحرون اقواتهم من هنا وروي انه نهى عن الحصاد
بالليل فقيل انه لما ينقطع عن المساكين في ذلك من الرفق وتاول من
قال هذه الاية التي في سورة القلم وقيل انما نهى عن ذلك خشية الحيات
وهوام الارض قلت الاول اصح والثاني حسن وانما قلنا ان
الاول اصح لان العقوبة كانت بسبب ما ارادوه من منع المساكين كما ذكر

الله تعالى روي اسباط عن السدي قال كان قوم باليمن وكان ابوهم
رجلا صالحا وكان اذا بلغ ثماره اتاه المساكين فلم يمنعهم من دخولها وان
ياكلوا منها ويتزودوا فلما مات قال بنوه بعضهم لبعض علي ما نعطي
اموالنا هولاء المساكين تعالوا فلنبكر فنصرمها قبل ان يعلم المساكين
ولم يستثنوا فانطلقوا وبعضهم يقول لبعض خفيا لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين فذلك قوله تعالى اذ اقسموا ايمين حلفوا فيما بينهم
ليصرمنها مصبحين يعني لنجذنها وقت الصبح قبل ان تخرج المساكين
ولا يستثنون يعني لم يقولوا ان شا الله وقال ابن عباس كانت تلك
الجنة دون صنعا بفرسخين غرسها رجل من اهل الصلاح وكان
له ثلاث بنون وكان للمساكين كل ما تعداه المنجل فلم يجزه من الكرم
فاذا طرح علي البساط فكل شي سقط عن البساط فهو ايضا للمساكين فاذا حصدوا
زرعهم فكل شي تعداه المنجل فهو للمساكين وكان يعيش في ذلك في حياة ابيهم
اليتامي والارامل والمساكين فلما مات ابوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم فقالوا قل
المال وكثر العيال فتحالفوا بينهم ليغدون غدوة قبل خروج الناس ثم
ليصرمنها ولا يعرف المساكين وهو قوله تعالى اذ اقسموا اي حلفوا ليصرمنها ليقطعن
ثمر نخيلهم اذا اصبحوا بسدفة من الليل لئلا ينتبه المساكين لهم والصرم القطع
يقال صرم العذق عن النخلة واصرم النخل اذا حان وقت صرامه مثل
اركب المهر واحصد الزرع اي حان ركوبه وحصاده ولا يستثنون اي ولم
يقولوا ان شا الله قتادة فتنادوا مصبحين نادي بعضهم بعضا ان اغدوا علي حرثكم
ان كنتم صارمين عازمين علي الصرام والجداد قال قتادة حاصدين
زرعكم وقال الكلبي ما كان في جنتهم من زرع ولا نخل قال مجاهد كان حرثهم
عنبا ولم يقولوا ان شا الله وقال ابو صالح كان استثناوهم قولهم
سبحان ربنا وقيل معنى ولا يستثنون اي لا يستثنون حق المساكين

قال عكرمة فجاؤها بالليل فراوا الجنة مسودة فتطاف عليها طايف من
ربك وهم نايمون قبل الطايف جبريل عليه السلام علي ما تقدم ذكره وقال
ابن عباس امر ربك وقال قتادة عذاب من ربك وقال ابن جريج عنق من
نار خرج من وادي جهنم والطايف لا يكون الا بالليل قاله الفرا الثالثة
قلت في هذه الايه دليل علي ان العزم مما يواخذ به الانسان لانهم عزموا ان يفعلوا
ذلك فعوقبوا قبل فعلهم ونظير هذه الايه قوله تعالي ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من
عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا التقي المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه
كان حريصا علي قتل صاحبه وقد مضي مبينا في سورة ال عمران عند قوله تعالى
ولم يصروا علي ما فعلوا قوله تعالى فاصبحت كالصريم اي كالليل المظلم وعن
ابن عباس والفرا وغيرهما قال الشاعر

تطاول ليلك الجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم

اي احترقت فصارت كالليل الاسود وعن ابن عباس ايضا كالرماد الاسود
قال والصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة الثوري كالزرع المحصود فالصريم
بمعنى المصروم اي المقطوع ما فيه وقال الحسن صرم منها الخير اي قطع فالصريم
مفعول ايضا وقال المورج اي كالرملة انصرمت من معظم الرمل يقال صريمة
وصرايم فالرملة لا تنبت شيا ينتفع به وقال الاخفش اي كالصبح انصرم
من الليل وقال المبرد اي كالنهار فلا شي فيها قال شمر الصريم الليل
والصريم النهار اي ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا وقيل سمي الليل صريما
لانه يقطع بظلمته عن التصرف ولهذا يكون فعيلا بمعني فاعل قال القشيري وفي هذا
نظر لان النهار يسمي صريما ولا يقطع عن التصرف قوله تعالى فانطلقوا وهم يتخافتون
اي يتسارون اي يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم احد

قال عطا وقتاده وهو من خفت تخفت اذا سكن ولم يبين كما قال دريد بن الصمه
واني لم اهلك سلالا ولم امت خفاتا وكلا ظنه بي عوّدي
وقيل يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم وكان ابوهم يخبر الفقرا والمساكين
ليحضروا وقت الحصاد والصرام وغدوا على حرد قادرين اي على قصد وقدره
في انفسهم ويظنون انهم يمكنوا من مرادهم قال معناه ابن عباس وغيره والحرد
القصد حرد يحرد بالكسر حردا قصد تقول حردت حردك اي قصدت قصدك
ومنه قول الراجز اقبل سيل جاء من عند الله يحرد حرد الجنة المغله
وقال قتاده والحسن على حرد اي على جد الحسن على حاجه وفاقه
وقال ابو عبيده والقتيبي على حرد على منع من قولهم حاردت الابل
حرادا اي قلت البانها والحرود من النوق القليله الدر وحاردت السنه قل
مطرها وخيرها وقال السدي وسفيان على حرد على غضب والحرد الغضب
قال ابو نصر احمد بن حاتم صاحب الاصمعي وهو مخفف وانشد
اذا جياد الخيل جاءت تردي مملوه من غضب وحرد
وقال ابن السكيت وقد يحرك تقول منه حرد بالكسر حردا فهو حارد وحردان
ومنه قيل اسد حارد وليوث حوارد وقيل على حرد على انفراد يقال حرد
يحرد حرودا اي تنحى عن قومه ونزل منفردا ولم يخالطهم وقال ابو
زيد رجل حريد من قوم حردا وقد حرد يحرد حرودا اذا ترك قومه وتحول عنهم
وكوكب حريد اي معتزل عن الكواكب قال الاصمعي رجل حريد اي فريد
وحيد قال والمنحرد المنفرد في لغة هذيل وانشد لابي ذويب
كانه كوكب في الجو منحرد ورواه ابو عمرو بالجيم وفسره منفرد
قال وهو سهيل وقال الازهري حرد اسم قريتهم وقال السدي اسم

جنتهم وفيه لغتان حرْد وحرَد وقراه العامه بالاسكان وقرا ابو
العاليه وابن السميفع بالفتح وهما لغتان ومعنى قادرين قد قدروا امرهم
وبنوا عليه قاله الفرا وقال قتاده قادرين على جنتهم عند انفسهم وقال
الشعبي قادرين يعني على المساكين وقيل معناه من الوجود اي منعوا وهم
واجدون **قوله تعالى** فلما راوها قالوا انا لضالون اي لما راوها محترقه لا شي
فيها قد صارت كالليل الاسود ينظرون اليها كالرماد انكروها
وشكوا فيها وقال بعضهم انا ضللنا الطريق اي ضللنا الطريق الى
[لبعضهم]
جنتنا قاله قتاده وقيل اي انا لضالون عن الصواب في غدونا على
نية منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون اي حرمنا جنتنا بما صنعنا
وروى اسباط عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياكم والمعاصي ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا كان هيي له ثم تلا فطاف
عليها طايف من ربك الايتين **قوله تعالى** قال اوسطهم اي امثلهم واعدلهم
واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون وكان استثناوهم تسبيحا
قاله مجاهد وغيره وهذا يدل على ان هذا الاوسط كان امرهم بالاستثنا فلم
يطيعوه قال ابو صالح كان استثناوهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون
الله اي تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما اعطاكم قال النحاس
اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع
ان شا الله لان المعنى تنزيه الله ان يكون شي الا بمشيته وقيل هلا تستغفرونه
من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا
على ذلك وذكرهم انتقامه من المجرمين قالوا سبحان الله ربنا اعترفوا بالمعصيه
ونزهوا الله ان يكون ظالما فيما فعل وقال ابن عباس في قولهم سبحان ربنا

اعترفوا بالمعصية اي نستغفر الله من ذنبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا المساكين
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم هذا هذا في القسم ومنع المساكين
ويقول بل انت اشرت علينا بهذا قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اي عاصين
بمنع حق الفقرا وترك الاستثنا وقال ابن كيسان طغينا نعم الله
فلم نشكرها كما شكرها اباونا من قبل عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها تعاقدوا وقالوا
ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنعت اباونا فدعوا الله وتضرعوا فابدلهم
الله من ليلتهم ما هو خير منها وامر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر
من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود
ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها
عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا وقال اليماني ابو خالد دخلت
تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل القايم الاسود وقال الحسن قول
اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من
المشركين اذا اصابتهم الشدة فيوقف في كونهم مومنين وسيل قتادة عن
اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا والمعظم
يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري وقراءة العامة يبدلنا بالتخفيف
وقرا اهل المدينة وابو عمرو بالتشديد وهما لغتان وقيل التبديل تغيير الشي
او تغيير حاله وعين الشي قايم والابدال رفع الشي ووضع اخر مكانه وقد مضى
في سورة النسا القول في هذا قوله تعالى كذلك العذاب اي عذاب الدنيا
وهلاك الاموال عن ابن زيد وقيل ان هذا وعظ لاهل مكة بالرجوع الى الله لما
ابتلاهم بالجدب لدعا النبي صلى الله عليه وسلم اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا
في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقال ابن عباس

هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلن محمدا واصحابه وليرجعوا
الى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر وتضرب القينات على روسهم فاخلفهم
الله ظنهم فقتلوا واسروا وانهزموا كاهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام
فخابوا ثم قيل ان الحق الذي منعه اهل الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم
ويحتمل انه كان تطوعا والاول اظهر والله اعلم وقيل السورة مكية فبعد
حمل الاية على ما اصاب اهل مكة من القحط وعلى قتال بدر قوله تعالى
ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم تقدم القول فيه اي ان للمتقين في الاخرة
جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات
الدنيا وكان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ
المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المومنين قالوا ان صح انا
نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا
لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرنا ان نساويهم فقيل افنجعل المسلمين
كالمجرمين اي كالكفار وقال ابن عباس وغيره قالت كفار مكة انا نعطى في
الاخرة خيرا مما تعطون فنزلت افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم فقال ما لكم كيف
تحكمون ان لكم من الخير ما للمسلمين ام لكم كتاب فيه تدرسون اي الكم
كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصي ان لكم فيه لما تخيرون تختارون وتشتهون
والمعنى ان لكم بالفتح ولكنه كسر لدخول اللام تقول علمت انك عاقل بالفتح
وعلمت انك لعاقل بكسرها فالعامل في ان لكم لما تخيرون تدرسون
في المعنى ومنعت اللام من فتح ان لكم فيه لما تخيرون اي ان لكم
في هذا الكتاب اذا ما تخيرون اي ليس لكم ذلك والكناية
في فيه الاولى والثانية راجعة الى الكتاب ثم زاد في التوبيخ
فقال ام لكم ايمان اي عهود ومواثيق علينا بالغة موكدة والبالغة

المؤكدة بالله تعالى اي ام لكم عهود على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة
ان لكم لما تحكمون كسرت ان لدخول اللام في الخبر وهي من صلة ايمان والموضع
النصب ولكن كسرت لاجل اللام تقول حلفت ان لك لكذا وقيل تم
الكلام عند قوله الى يوم القيمة ثم قيل ان لكم لما تحكمون اذا اي ليس الامر كذلك
وقرا ابن هرمز اين لكم فيه لما تخيرون اين لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما
جميعا وقرا الحسن البصري بالغة بالنصب على الحال اما من الضمير في لكم لانه
خبر عن ايمان ففيه ضمير منه واما من الضمير في علينا ان قدرت علينا وصفا
للايمان لا متعلقا بنفس الايمان لان فيه ضميرا منه كما يكون اذا خبرا عنه
ويجوز ان يكون حالا من ايمان وان كانت نكرة كما اجازوا نصب حقا على الحال
من متاع في قوله متاعا بالمعروف حقا على المتقين والعامة بالغة بالرفع
نعت للايمان قوله تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم اي سل يا محمد هؤلاء المتقولين
على ايهم كفيل بما تقدم ذكره ما للمسلمين والزعيم الكفيل والضمين قاله
ابن عباس وقتادة وقال ابن كيسان الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى
وقال الحسن الزعيم الرسول ٥ ام لهم شركاء اي الهة والميم صلة
شركاء اي شهداء فلياتوا بشركائهم يشهدون على ما زعموا ان كانوا صادقين
في دعواهم وقيل اي فلياتوا بشركائهم ان امكنهم فهو امر معناه التعجيز
قوله تعالى يوم يكشف عن ساق يجوز ان يكون العامل في يوم فلياتوا
اي فلياتوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق لتشفع الشركاء لهم ويجوز ان
ينتصب باضمار فعل اي اذكر يوم يكشف عن ساق فيوقف على صادقين
ولا يوقف عليه على التقدير الاول وقرئ يوم نكشف عن ساق بتاء مسمى
الفاعل اي تكشف الشدة او القيامة عن ساقها كقولهم شمرت الحرب
عن ساقها قال الشاعر

فتى الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال اخر

قد كشفت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال اخر

عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طرادي الطير عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها حمراء تبري اللحم عن عراقها

وقال اخر

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

وعن ابن عباس ايضا والحسن وابي العالية تكشف بتاء غير مسمى الفاعل وهذه
القراءة راجعة الى معنى يكشف وكانه قال يوم تكشف القيامة عن شدة وقرئ يوم
تكشف بالتاء مضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه
اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وذكر ابن المبارك
قال اخبرنا اسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى
يوم يكشف عن ساق قال كرب وشدة اخبرنا ابن جريج
عن مجاهد قال شدة الامر وجده وقال مجاهد قال ابن عباس هي اشد
ساعة في القيامة وقال ابو عبيدة اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر
عن ساقه والاصل فيه ان من وقع في شيء يحتاج فيه الجد شمر عن ساقه
فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقيل ساق الشيء
اصله الذي به قوامه كساق الشجرة وساق الانسان اي يوم
يكشف عن اصل الامر فيظهر حقائق الامور واصلها وقيل يكشف عن
ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يريد وقت اقتراب الاجل
وضعف البدن اي يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ويدعوه

المؤذنون الى الصلاة فلا يمكنهم ان يقوموا ويخرجوا فاما ما روي ان الله يكشف
عن ساقه فانه عز وجل يتعالى عن الاعضاء والتبعيض وان ينكشف
ويتغطى ومعناه ان يكشف عن العظيم من امره وقيل يكشف عن نوره
عز وجل وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدًا وقال ابو الليث السمرقندي
في تفسيره حدثنا الخليل بن احمد قال حدثنا ابن منيع قال حدثنا هدبه
قال حدثنا حماد بن سلمه عن علي بن زيد عن عماره القرشي عن ابي برده
ابن ابي موسى قال حدثني ابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا كان يوم القيامه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب
كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون
وقد ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره
قال وتعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال وكيف تعرفونه ولم تروه
قالوا انه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون
له سجدا ويبقى اقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فينظرون الى الله تعالى
فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن
ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي
ارفعوا رؤسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى
في النار قال ابو برده فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز
فقال الله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف له ثلثه
ايمان فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو احب الي من هذا
وقال قبيصة بن السكن حدث عبد الله بن مسعود عن عمر بن
الخطاب فقال اذا كان يوم القيامه قام الناس لرب العالمين

اربعين عاما شاخصه ابصارهم الى السماء حفاه عراه يلجمهم العرق فلا يكلمهم الله
تعالى
ولا ينظر اليهم اربعين عاما ثم ينادي مناد يا ايها الناس اليس عدلا من ربكم
الذي خلقكم وصوركم واماتكم واحياكم ثم عبدتم غيره ان يولي كل قوم
ما تولوا قالوا نعم فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونه
حتى تقذفهم في النار فيبقى المسلمون والمنافقون فيقال لهم الا تذهبون
قد ذهب الناس فيقولون حتى يأتينا ربنا فيقال لهم او تعرفونه فيقولون ان
اعترف لنا عرفناه فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلى لهم فيخر من كان يعبده
مخلصا ساجدا ويبقى المنافقون فلا يسجدون ولا يستطيعون كان في
ظهورهم السفافيد فيذهب بهم الى النار ويذهب بهولاء الى الجنه فذلك
قوله تعالى ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعه ابصارهم اي ذليله
متواضعه ونصبها على الحال ترهقهم ذله وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم
ووجوههم اشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين
حتى ترجع اشد سوادا من القار قلت معنى حديث ابي موسى وابن مسعود
ثابت في صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري وغيره قوله تعالى وقد
كانوا يدعون الى السجود اي في الدنيا وهم سالمون معافون اصحاء قال
ابرهيم التيمي اي يدعون بالاذان والاقامه فيابونه وقال سعيد بن جبير
كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت
هذه الايه الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقيل اي بالتكليف الموجه عليهم
في الشرع والمعنى متقارب وقد مضى في سورة البقره وجوب صلاه الجماعه
وكان الربيع بن خثيم قد فلج فكان يهادى بين الرجلين الى المسجد فقيل يا ابا يزيد
لو صليت في بيتك لكانت لك رخصه فقال من سمع حي على الفلاح فليجب
ولو حبوا وقيل لسعيد بن المسيب ان طارقا يريد قتلك فتغيب

نقال الحبيب لا ينقذه الله علي فقال له اجلس في بيتك فقال اسمع حي على الفلاح
فلا اجيب قوله تعالى فذرني اي دعني ومن يكذب مفعول معه او معطوف
على ضمير المتكلم بهذا الحديث يعني القران قاله السدي وقيل يوم القيمة وهذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانا اجازيهم وانتقم منهم ثم قال سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون معناه سناخذهم على غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر
وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال
الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثنا عليه
وكم مغرور بالستر عليه وقال ابو روق اي كلما احدثوا خطية جددنا
لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال ابن عباس سنمكر بهم وقيل
هو ان ناخذهم قليلا ولا نباغتهم وفي حديث ان رجلا من بني اسرائيل قال يا
رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني قال فاوحى الله تعالى الى نبي زمانهم ان قل له كم
من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج
مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة واصله النقل من
حال الى حال كالتدرج ومنه قيل درجة وهي منزلة بعد منزلة واستدرج
فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا ويقال درجه الى كذا واستدرجه
بمعنى ادناه منه على التدريج فتدرج هو واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة
والملاوة المدة من الدهر واملى الله له اي اطال له الملوان الليل والنهار وقيل واملي لهم اي لا
اعاجلهم بالموت والمعنى واحد وقد مضى في الاعراف بيان هذا ان كيدي متين
اي ان عذابي لقوي شديد فلا يفوتني احد قوله تعالى ام تسالهم اجرا عاد
الكلام الى ما تقدم من قوله تعالى ام لهم شركا اي ام تلتمس منهم ثوابا على ما
تدعوهم اليه من الايمان بالله فهم من غرامة ذلك مثقلون لما يشق عليهم من
بذل المال اي ليس عليهم كلفة بل يستولون بمتابعتك على خزائن الارض ويصلون
الى جنات النعيم قوله تعالى ام عندهم الغيب اي علم ما غاب عنهم

فهم يكتبون وقيل اينزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون وعن ابن عباس
الغيب هنا اللوح المحفوظ فهم يكتبون مما فيه يخاصمونك به ويكتبون
انهم افضل منكم وانهم لا يعاقبون وقيل يكتبون يحكمون لانفسهم بما يريدون
قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لقضا ربك والحكم هنا القضا وقيل اصبر لما
حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك
قال قتادة اي لا تعجل ولا تغاضب فلا بد من نصرك وقيل انه منسوخ
باية السيف ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اي لا تكن
مثله في الغضب والضجر والعجلة قال قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه
صلى الله عليه وسلم ويامره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت وقد مضى خبره
في سورة يونس سورة يونس والانبيا والصافات والفرق بين اضافة
ذي وصاحب في سورة يونس فلا معنى للاعادة اذ نادى اي حين دعا من بطن
الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو مكظوم
اي مملو غما وقيل كربا الاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني قول
عطا وابي مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب
والكرب في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم
فلان كظم غيظه اي حبس غيظه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ
بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقد مضى هذا وغيره في يونس
قوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه قراة العامة تداركه وقرا ابن هرمز
والحسن تداركه بتشديد الدال وهو مضارع ادغمت التا منه في الدال
وهو على تقدير حكاية الحال كانه قال لولا ان كان يقال فيه تتداركه
نعمة قال ابن عباس وابن مسعود تداركه وهو خلاف

المرسوم وتداركه فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمه لان تانيث النعمه غير حقيقي
وتداركته على لفظها واختلف في معنى النعمه هنا فقيل النبوه قاله الضحاك
وقيل عبادته التي سلفت قاله ابن جبير وقيل نداوه لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين قاله ابن زيد وقيل نعمه الله عليه اخراجه من بطن
الحوت قاله ابن بحر وقيل اي رحمه من ربه فرحمه وتاب عليه لنبذ بالعرا
وهو مذموم اي لنبذ مذموما ولكنه نبذ سقيما غير مذموم ومعنى مذموم
في قول ابن عباس مليم وقال بكر بن عبد الله مذنب وقيل مذنب
وقيل مذموم مبعد من كل خير والعرا الارض الواسعه الفضا التي ليس فيها
جبل ولا شجر يستر وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيمه
ثم نبذ بعرا القيمه مذموما يدل عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون فاجتباه ربه اي اصطفاه واختاره فجعله
من الصالحين قال ابن عباس رد الله الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه
وقبل توبته وجعله من الصالحين بان ارسله الى مايه الف او يزيدون
قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ان هي المخففه من الثقيله ليزلقونك
اي يعتابونك بابصارهم اخبر بشده عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وارادوا
ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله ولا مثل
حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان البقره السمينه او الناقه
السمينه تمر بالحدهم فيعاينها ثم يقولون يا جاريه خذي المكيل والدرهم
واتينا بلحم هذه الناقه فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر وقال الكلبي
كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيا يومين او ثلاثه ثم يرفع جانب الخبا
فتمر به الابل او الغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب
الا قليلا حتى يسقط منها طايفه هالكه فسال الكفار هذا الرجل ان يصيبهم النبي

صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم انشد
قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون
فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزلت وان يكاد الذين كفروا وذكر
نحوه الماوردي وان العرب كانت اذا اراد احدهم ان يصيب احدا بعين في نفسه
وماله يجوع ثلثه ايام ثم يتعرض لماله ونفسه فيقول تالله ما راينا اقوى
منه ولا اشجع ولا اكثر منه ولا احسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله
فانزل الله تعالى هذه الايه قال القشيري وفي هذا نظر لان الاصابه بالعين
انما تكون مع الاستحسان والاعجاب لا مع الكراهيه والبغض ولهذا قال
ويقولون انه لمجنون اي ينسبونك الى الجنون اذا راوك تقرا القران
قلت اقوال المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرنا وان مرادهم
بالنظر اليه قتله ولا يمنع كراهه الشي من ان يصاب بالعين عداوه حتى
يهلك وقرا ابن عباس وابن مسعود والاعمش وابو وايل ومجاهد
ليزهقونك اي ليهلكونك وهذه قراه على التفسير من زهقت نفسه وازهقها
وقرا اهل المدينه ليزلقونك بفتح اليا وضمها الباقون وهما لغتان بمعنى يقال
زلقه يزلقه وازلقه يزلقه ازلاقا اذا نحاه وابعده وزلق راسه يزلقه زلقا اذا حلقه
وزلقه تزليقا ورجل زلق وزملق مثال هدبد وزمالق وزملوق
بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع حكاه الجوهري وغيره
فمعنى الكلمه اذا التنحيه والازاله وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله عليه
وسلم الا بهلاكه وموته قال الهروي اراد ليعتانونك
بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذي اقامك الله فيه عداوه لك
وقال ابن عباس ينفذونك بابصارهم يقال زلق السهم وزهق اذا
نفذ وهو قول مجاهد اي ينفذونك بابصارهم من شده
نظرهم وقال الكلبي يصرعونك وعنه ايضا والسدي

وسعيد بن المسيب جبير يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرساله
وقال العوفي يرمونك وقال المورج يزيلونك وقال النضر بن
شميل والاخفش يفتنونك وقال عبد العزيز بن يحيى ينظرون
اليك نظرا شزرا بتحديق شديد وقال ابن زيد ليمسونك وقال جعفر
الصادق لياكلونك وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك وهذا
كما قال صرعني بطرفه وقتلني بعينه قال الشاعر

يترميك من لغته العيون بطرفها وتكل عنك نصال نبل الرامي

وقال اخر

يتقارصون اذا التقوا في مجلس نظرا يزيل مواطي الاقدام

وقيل المعنى انهم ينظرون اليك بالعداوه حتى كادوا يسقطونك
فهذا كله راجع الي ما ذكرنا وان المعنى الجامع يصيبونك بالعين
والله اعلم وما هو الا ذكر للعالمين اي وما القران الا ذكر للعالمين
وقيل اي وما محمد الا ذكر للعالمين يتذكرون به وقيل
معناه شرف اي القران كما قال تعالي وانه لذكر لك ولقومك والنبي
صلى الله عليه وسلم شرف للعالمين ايضا شرفوا باتباعه والايمان به
صلى الله عليه وسلم تمت سوره ن

سوره الحاقه مكيه

في قول الجميع وهي احدى وخمسون ايه وروي ابو الراهويه عن ابي هريره
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا احدى عشره ايه من سوره الحاقه
اجير من فتنه الدجال ومن قراها كانت له يوم القيمه نورا من فوق
راسه الي قدمه بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الحاقه ما الحاقه يريد القيامه سميت بذلك لان الامور

تحق فيها قاله الطبري كانه جعلها من باب ليل نايم وقيل سميت
حاقه لانها تكون من غير شك وقيل سميت بذلك لانها احقت
لاقوام الجنه واحقت لاقوام النار وقيل سميت بذلك لان
فيها يصير كل انسان حقيقا بجزا عمله وقال الازهري
يقال حاققته فحققته احقه اي غالبته فغلبته فالقيامه
حاقه لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي كل مخاصم
وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق فاذا
غلبه قيل حقه ويقال للرجل اذا خاصم في صغار الاشيا انه لنزق الحقاق ويقال
ماله فيه حق ولا حقاق اي خصومه والتحاق التخاصم والاحتقاق الاختصام
والحاقه والحقه والحق ثلاث لغات بمعنى وقال الكسايي والمورج
الحاقه يوم الحق وتقول العرب لما عرف الحقه مني هرب والحقه الاولي
رفع بالابتدا والخبر المبتدا الثاني وخبره وهو ما الحاقه لان معناها ما
هي واللفظ استفهام ومعناه التعظيم والتفخيم لشانها كما تقول زيد ما
زيد على التعظيم لشانه وما ادراك ما الحاقه استفهام ايضا اي اي شي
اعلمك ما ذلك اليوم والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامه
ولكن بالصفه فقيل تفخيما لشانها وما ادراك ما هي كانك
لست تعلمها اذا لم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شي في القران
وما ادراك فقد ادراه اياه وعلمه وكل شي قال وما يدريك فهو مما لم
يعلمه وقال سفين ابن عيينه كل شي قال فيه وما ادراك فانه اخبر
به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به قوله تعالى كذبت ثمود
وعاد بالقارعه ذكر من كذب بالقيامه والقارعه القيامه سميت

بتلك لانها تقرع الناس باهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله
وشدايده ونعوذ بالله من قوارع الدهر وفوارضه وقوارض لسانه جمع
قارضه وهي الكلمه الموذيه وقوارع القرآن الايات التي يقروها الانسان
اذا فزع من الجن والانس نحو ايه الكرسي كانها تقرع الشيطان وقيل
القارعه ماخوذه من القرعه في رفع قوم وحط اخرين قاله المبرد وقيل
عنا بالقارعه العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك
فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز
قال محمد بن اسحق وهو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد
فقوم هود وكانت منازلهم الاحقاف والاحقاف الرمل بين عمان
الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي خلق وبسطه ذكره محمد
ابن اسحق وقد تقدم قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغيه فيه
اضمار اي بالفعله الطاغيه وقال قتاده اي بالصيحه الطاغيه اي
المجاوزه الحد اي لحد الصيحات من الهول كما قال انا ارسلنا عليهم صيحه واحده
فكانوا كهشيم المحتظر والطغيان مجاوزه الحد ومنه انا لما طغى الما اي جاوز
الحد وقال الكلبي بالطاغيه بالصاعقه وقال مجاهد بالذنوب
وقال الحسن بالطغيان فهي مصدر كالكاذبه والعاقبه اي اهلكوا
بطغيانهم وكفرهم وقيل ان الطاغيه عاقر الناقه قاله ابن زيد
اي اهلكوا بما اقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقه وكان واحدا وانما
هلك الجميع لانهم رضوا بفعله ومالوه وقيل له طاغيه
كما يقال فلان راويه الشعر وداهيه وعلامه ونسابه
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي بارده تحرق بردها كاحراق
النار ماخوذ من الصر وهو البرد قاله الضحاك وقيل انها
الشديده الصوت وقال مجاهد الشديده السموم
عاتيه اي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يطيقوها من شده هبوبها

غضبت لغضب الله وقيل عتت على عاد فقهرتهم روى سفين
الثوري عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله من نسمه من ريح الا بمكيال ولا قطره
من ما الا بمكيال الا يوم عاد ويوم قوم نوح طغى على الخزان فلم يكن
لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الما الايه والريح لما كان يوم عاد
عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتيه
سخرها عليهم اي ارسلها وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشي بالاقتدار
سبع ليال وثمانيه ايام حسوما اي متتابعه لا تفتر ولا تنقطع
عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما قال الفرا الحسوم التباع
من حسم الدوا وهو الكي لان صاحبه يكوى بالمكواه ثم يتابع
ذلك عليه وقال عبد العزيز بن داوود الكلابي

ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم

وقال المبرد هو من قولك حسمت الشي اذا قطعته وفصلته
عن غيره وقيل الحسم الاستيصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم
العدو عما يريده من بلوغ عداوته قال الشاعر

حسام اذا قمت معتضدا به كفى العود منه البدي ليس بمعضد

والمعني انها حسمتهم حتى قطعتهم واذهبتهم فهي القاطعه بعذاب
الاستيصال قال ابن زيد حسمتهم فلم يبق منهم احدا وعنه انها حسمت
الايام حتى استوفتها لانها بدات طلوع الشمس من اول يوم وانقطعت
غروب الشمس من اخر يوم وقال الليث الحسوم الشوم يقال هذه
ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها وقاله في الصحاح وقال عكرمه
والربيع بن انس مشايم دليله قوله تعالى في ايام نحسات

قال عطية العوفي حسومًا اي حسمت الخير عن اهلها واختلف في اولها
فقيل غداة يوم الاحد قاله السدي وقيل غداة يوم الجمعة قاله الربيع بن
انس وقيل غداة يوم الاربعا قاله يحيى بن سلام ووهب بن منبه قال وهب
وهذه الايام هي التي تسميها العرب ايام العجوز كانت برد وريح شديدة
وكانت اولها يوم الاربعا واخرها يوم الاربعا ونسبت الى العجوز لان عجوزا
من عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن وقيل
سميت ايام العجوز لانها وقعت في عجز الشتا وهي في اذار من اشهر السريانيين
ولها اسامي مشهورة وفيها يقول الشاعر وهو ابن احمر

كسع الشتا بسبعة غبر ... ايام شهلتنا من الشهر
فاذا انقضت ايامها ومضت ... صن وصنبر مع الوبر
وبامر واخيه مؤتمر ... ومعلل وبمطفي الجمر
ذهب الشتا موليا عجلا ... واتت واقدة من البحر

وحسومًا نصب على الحال وقيل على المصدر قال الزجاج اي تحسمهم حسومًا
اي تفنيهم وهو مصدر موكد ويجوز ان يكون مفعولا له اي سخرها عليهم
هذه المدة للاستيصال اي لقطعهم واستيصالهم ويجوز ان يكون جمع
حاسم وقرا السدي حسومًا بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم
مستاصلة قوله تعالى فترى القوم فيها اي في تلك الليالي والايام
صرعى جمع صريع يعني موتى وقيل فيها اي في الريح كانهم اعجاز نخل منقعر
فيحتمل انهم شبهوا بالنخل التي صرعت من اصلها وهو اخبار عن عظم اجسامهم
ويحتمل ان يكون المراد به الاصول دون الجذوع اي ان الريح قد قطعتهم
حتى صاروا كاصول النخل خاوية اي الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم
كالنخلة الخاوية وقال ابن شجرة كانت الريح تدخل في افواههم
فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية

وقال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم خوت من ارواحهم مثل النخل
الخاوية ويحتمل ان يكون المعنى كانهم اعجاز نخل خاوية عن اصولها من البقاع
قال الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية اي خربة لا سكان فيها ويحتمل الخاوية بمعنى
البالية كما ذكرنا لانها اذا بليت خلت اجوافها فشبهوا بعدما هلكوا بالنخل
الخالية قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية اي من فرقة باقية او نفس باقية
وقيل من بقية وقيل من بقا فاعلة بمعنى المصدر نحو العاقبة والعافية ويجوز ان يكون
اسما اي هل ترى لهم احدا باقيا وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احيا في عذاب
الله من الريح فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر
فذلك قوله عز وجل فهل ترى لهم من باقية وقوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا
مساكنهم قوله تعالى وجا فرعون ومن قبله قرا ابو عمرو والكسائي
ومن قبله بكسر القاف وفتح البا اي ومن معه وتبعه من جنوده واختاره ابو
عبيد وابو حاتم اعتبارا بقراة عبد الله وابي ومن معه وقرا ابو موسى الاشعري
ومن تلقاه الباقون قبله بفتح القاف وسكون البا اي ومن تقدمه من القرون
الخالية والامم الماضية والمؤتفكات اي اهل قرى لوط وقراة العامة بالالف
وقرا الحسن والجحدري والمؤتفكة على التوحيد قال قتادة انما سميت قرى
قوم لوط مؤتفكات لانها ائتفكت بها اي انقلبت وذكر الطبري عن محمد بن كعب
القرظي قال خمس قريات صبعة وصعدة وعمرة ودوما وسدوم وهي
القرية العظمى بالخاطية اي بالفعلة الخاطية وهي المعصية والكفر وقال مجاهد
بالخطايا التي كانوا يفعلونها وقال الجرجاني اي بالخطا العظيم والخاطية مصدر
قوله تعالى فعصوا رسول ربهم قال الكلبي هو موسى وقيل هو لوط لانه
اقرب وقيل عنى موسى ولوطا عليهما السلام كما قال فقولا انا رسول
رب العالمين وقيل رسول بمعنى رسالة وقد يعبر عن الرسالة بالرسول قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول

فاخذهم اخذه رابيه اي عاليه زايده على الاخذات وعلى عذاب الامم ومنه الربا
اذا اخذ في الذهب والفضه اكثر مما اعطي يقال ربا الشي يربوا اي زاد وتضاعف
وقال مجاهد شديده كانه اراد انها في الشده قوله تعالى انا لما طغى الما اي
ارتفع وعلا وقال علي رضي الله عنه طغى على خزانه من الملايكه غضبا لربه فلم يقدروا
على حبسه قال قتاده زاد على كل شي خمسه عشر ذراعا وقال ابن عباس طغا
الما زمن نوح على خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الما قطره تنزل قبله
ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم وقد مضى هذا مرفوعا اول السوره والمقصود
من قصص هذه الامه ذكر ما حل بهم في معصيه الرسول ثم من عليهم بان جعلهم
ذريه من نجا من الغرق بقوله حملناكم اي حملنا اباكم وانتم في اصلابهم في الجاريه
اي في السفن الجاريه والمحمول في الجاريه نوح واولاده وكل من على وجه الارض من
نسل اوليك لنجعلها لكم تذكره يعني سفينه نوح عليه السلام جعلها الله تذكره
وعظه لهذه الامه حتى ادركها اوايلهم في قول قتاده قال ابن جريج كانت الواحها
على الجودي والمعنى ابقيت لكم تلك الخشبات حتى تذكروا ما حل بقوم نوح وانجا
الله اباكم وكم من سفينه هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها شي وقيل لنجعل تلك
الفعله من اغراق قوم نوح وانجا من امن بموعظه لكم ولهذا قال تعالى
وتعيها اذن واعيه اي تحفظها وتسمعها اذن حافظه لما جا من عند الله
والسفينه لا توصف بهذا قال الزجاج ويقال وعيت كذا اي حفظته
في نفسي اعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلت كله بمعنى واوعيت
المتاع في الوعا قال الزجاج يقال لكل ما حفظته في غير نفسك اوعيته
بالالف ولما حفظته في نفسك وعيته بغير الف وقرا طلحه وحميد والاعرج

وتعيها باسكان العين تشبيها بقوله ارنا واختلف فيها عن عاصم وابن كثير والباقون
بكسر العين ونظيره قوله تعالى وتعيها اذن واعيه ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
وقال قتاده الاذن الواعيه اذن عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت
من كتاب الله عز وجل وروى مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال عند نزول هذه الايه سالت ربي ان يجعلها اذن علي قال مكحول فكان
علي رضي الله عنه يقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا
قط فنسيته الا وحفظته ذكره الماوردي وعن الحسن نحوه ذكره الثعلبي
قال لما نزلت وتعيها اذن واعيه قال النبي صلى الله عليه وسلم سالت
ربي ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فوالله ما نسيت شيا بعد وما كان لي
ان انسا وقال ابو برده الاسلمي قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي ان الله تعالى
امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وان تعي وحق على الله ان تعي
قوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخه واحده قال ابن عباس هي النفخه
الاولى لقيام الساعه فلا يبقى احد الا مات وجاز تذكير نفخ لان تانيث
النفخه غير حقيقي وقيل ان هذه النفخه هي الاخيره وقال نفخه واحده
اي لا تثنى قال الاخفش ووقع الفعل على النفخه اذ لم يكن
قبلها اسم مرفوع فقيل نفخه ويجوز نفخه نصبا على المصدر وبها قرا ابن
السميقع او يقول اقتصر على الاخبار عن الفعل كما يقال ضرب ضربا وقال
الزجاج في الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله قوله تعالى وحملت
الارض والجبال قرات العامه بتخفيف الميم اي رفعت من اماكنها
فدكتا اي فتتا وكسرتا دكه واحده ويجوز في دكه الا النصب لارتفاع
الضمير في دكتا وقال الفرا لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها

كالجملة الواحدة والأرض كالجملة الواحدة ومثله أن السموات والأرض كانتا
رتقا ولم يقل كن هنا الدك كالزلزلة كما قال تعالى إذا زلزلت الأرض
زلزالها وقيل دكتا أي بسطتا بسطة واحدة ومنه اندك سنام
البعير إذا انفرش في ظهره وقد مضى في سورة الأعراف القول فيه
وقرأ عبد الحميد عن ابن عامر وحملت الأرض والجبال بالتشديد على
إسناد الفعل إلى المفعول الثاني كأنه في الأصل وحملت قدرتنا أو
ملكا من ملائكتنا الأرض والجبال ثم أسند الفعل إلى المفعول الثاني
فبني له ولو جيء بالمفعول الأول لأسند الفعل إليه فكأنه وحملت قدرتنا
الأرض وقد يجوز بناؤه للثاني على وجه القلب فيقال حملت الأرض الملك
كقولك ألبس زيد الجبة وألبست الجبة زيدا **قوله تعالى** فيومئذ وقعت
الواقعة أي قامت القيامة وانشقت السماء أي انصدعت وتفطرت وقيل
تنشق لنزول ما فيها من الملائكة دليله قوله تعالى ويوم تشقق السماء
بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقد تقدم فهي يومئذ واهية أي ضعيفة
يقال وهى البناء يهي وهيا فهو واه إذا ضعف جدا ويقال كلام واه أي
ضعيف فقيل إنها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي ويكون
ذلك لنزول الملائكة كما ذكرنا وقيل لهول يوم القيامة وقيل واهية أي متخرقة
قاله ابن شجرة مأخوذ من قولهم وهى السقاء إذا انخرق ومن أمثالهم

خل سبيل من وهى سقاؤه ... ومن هريق بالفلاة ماؤه

أي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك يعني الملائكة
اسم للجنس على أرجائها أي أطرافها حين تنشق لأن السماء مكانهم
عن ابن عباس قال الماوردي ولعله قول مجاهد وقتادة وحكاه

الثعلبي عن الضحاك قال على أطرافها مما لم ينشق منها يريد أن السماء
مكان الملائكة فإذا انشقت صاروا في أطرافها وقال سعيد بن
جبير المعنى والملك على حافات الدنيا أي ينزلون إلى الأرض ويحرسون
أطرافها وقيل إذا صارت السماء قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التي
ليست متشققة في أنفسها وقيل إن الناس إذا رأوا جهنم هالتهم
فيندوا كما تند الإبل فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة
فيرجعون من حيث جاءوا وقيل على أرجائها ينتظرون ما يؤمرون به
في أهل النار من السوق إليها وفي أهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله
راجع إلى معنى قول ابن جبير ويدل عليه ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى يا
معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض على
ما بيناه هناك والأرجاء النواحي والأقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور
وتثنيته رجوان مثل عصا وعصوان قال الشاعر

فلا يرمى بي الرجوان إني ... أقل القوم من يغني مكاني

ويقال ذلك لحرف البئر والقبر **قوله تعالى** ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا
الله وقال ابن زيد هم ثمانية أملاك وعن الحسن الله أعلم كم هم
ثمانية أم ثمانية آلاف وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن حملة العرش
اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية
ذكره الثعلبي وخرجه الماوردي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحمله اليوم أربعة وهم يوم القيامة ثمانية وقال العباس بن
عبد المطلب هم ثمانية أملاك على صورة الأوعال ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم

وفي الحديث ان لكل ملك منهم اربعة اوجه وجه رجل ووجه اسد ووجه
ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس ولما
انشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قول امية بن ابي الصلت

رجلٌ وثورٌ تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليثٌ مرصدُ
والشمس تصبح كل اخر ليلةٍ حمراء يصبح لونها يتوردُ
ليست بطالعةٍ لهم في رسلها الا معذبةً والا تجلدُ

قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق وفي الخبر ان فوق السماء السابعة
ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين السماء الى السماء وفوق
ظهورهن العرش ذكره القشيري وخرجه الترمذي من حديث العباس بن
عبد المطلب وقد مضى في سورة البقرة بكماله وذكر نحوه الثعلبي ولفظه وفي
حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين
اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وفي تفسير الكلبي
ثمانية اجزاء من تسعة اجزاء من الملائكة وعنه ثمانية اجزاء من تسعة اجزاء
من الملائكة وعنه ثمانية اجزاء من عشرة اجزاء من الملائكة ثم ذكر عدد
الملائكة بما يطول ذكره حكى الاول عنه الثعلبي والثاني القشيري وقال
الماوردي عن ابن عباس ثمانية اجزاء من تسعة وهم الكروبيون والمعنى
ينزل بالعرش ثم اضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت وليس البيت
للسكنى وكذلك العرش ومعنى فوقهم اي فوق رؤوسهم قال السدي
العرش تحمله الملائكة الحملة فوقهم ولا يحمل حملة العرش الا الله وقيل فوقهم
اي فوق اهل القيامة قوله تعالى يومئذ تعرضون اي على الله ودليله
وعرضوا على ربك صفاً وليس ذلك عرضاً يعلم به ما لم يكن عالماً به

بل معناه الحساب وتقرير الاعمال عليهم للمجازاة وروى الحسن عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث
عرضاتٍ فاما عرضتان فجدالٌ ومعاذيرُ واما الثالثة فعند ذلك
تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه واخذ بشماله خرجه الترمذي قال
ولا يصح من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة لا تخفى منكم خافية اي هو عالم
بكل شيء من اعمالكم فخافية على هذا بمعنى خفية كانوا يخفونها من اعمالهم قاله
ابن شجرة وقيل لا يخفى عليه انسان اي لا يبقى انسان لا يحاسب وقال
عبد الله بن عمرو بن العاص لا يخفى المؤمن من الكافر ولا البر من الفاجر
وقيل لا تستتر منكم عورة كما قال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس حفاة عراة وقرا
الكوفيون الا عاصماً لا يخفى بالياء لان تانيث الخافية غير حقيقي نحو قوله تعالى
واخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه قد حال بين الفعل وبين
الاسم المؤنث الجار والمجرور الباقون بالتاء واختاره ابو حاتم لتانيث الخافية
قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه اعطاء الكتاب باليمين دليل
على النجاة وقال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه
الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر فقال
هيهات هيهات زفته الملائكة الى الجنة ذكره الثعلبي وقد ذكرناه مرفوعا
من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب التذكرة والحمد لله
فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه اي يقول ذلك ثقةً بالاسلام وسرورا
بنجاته لان اليمين عند العرب من دلائل الفرح والشمال من دلائل
الغم قال الشاعر

ابيني افي يمنى يديكِ جعلتني فافرح ام صيرتني في شمالك

ومعنى هاؤم تعالوا قاله ابن زيد وقال مقاتل هلم وقيل خذوا ومنه
الخبر في الربا الا ها وها اي يقول كل واحد لصاحبه خذ قال
ابن السكيت والكسائي العرب تقول ها يا رجل اقرأ وللاثنين هاؤما يا رجلان
وهاؤم يا رجال وللمرأة هاء بكسر الهمزة وهاؤما وهاؤن والاصل هاكم فابدلت
الهمزة من الكاف قاله القتبي وقيل ان هاؤم كلمة وضعت لاجابة الداعي عند
النشاط والفرح روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ناداه اعرابي بصوت عال
فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاؤم بطولة صوته وكتابيه منصوب
بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين
والاصل كتابي فادخلت الهاء لتبيين فتحة الياء وكان الهاء للوقف
وكذلك في اخواته حسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه
وقراءة العامة بالهاء فيهن في الوقف والوصل معا لانهن وقعن في المصحف
بالهاء فلا تترك واختار ابو عبيد ان يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة
في الحاق الهاء في السكت ويوافق الخط وقرأ ابن محيصن وحميد
ومجاهد ويعقوب بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف فيهن جميعا ووافقهم
حمزة في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة وجملة هذه الحروف سبعة
واختار ابو حاتم قراءة يعقوب ومن معه اتباعا للغة ومن قرأهن في الوصل
بالهاء فهو على نية الوقف اني ظننت اي ايقنت وعلمت عن ابن عباس وغيره
وقيل اي ظننت ان يؤاخذني الله بسيئاتي عذبني فقد تفضل علي
بعفوه ولم يؤاخذني بها قال الضحاك كل ظن في القرآن من المؤمن
فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الآخرة يقين
وظن الدنيا شك وقال الحسن في هذه الآية ان المؤمن احسن الظن
بربه فاحسن العمل وان المنافق اساء الظن بربه فاساء العمل اني ملاق

حسابيه اي في الآخرة ولم انكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم
الحساب لانه تيقن ان الله يحاسبه فعمل للآخرة فهو في عيشة راضية اي في
عيش برضاه لا مكروه فيه وقال ابو عبيدة والفراء
راضية اي مرضية كقولك ماء دافق بمعنى مدفوق وقيل ذات رضا اي
يرضى بها صاحبها مثل لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر وفي الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا
يمرضون ابدا وينعمون فلا يبأسون ابدا في جنة عالية اي عظيمة في
النفوس قطوفها دانية اي قريبة التناول يتناولها القائم والقاعد والمضطجع
على ما يأتي بيانه في سورة الانسان والقطوف جمع قطف بكسر القاف وهو
ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر
وقت القطف كلوا واشربوا اي يقال لهم ذلك هنيئا لا تكدير
فيه ولا تنغيص بما اسلفتم قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية
اي في الدنيا وقال كلوا بعد قوله فهو في عيشة راضية لقوله فاما من اوتي كتابه
ومن يتضمن معنى الجمع وذكر الضحاك ان هذه الآية نزلت في ابي سلمة
عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وقاله مقاتل والآية التي تليها في اخيه
الاسود بن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك ايضا قاله الكلبي
والثعلبي ويكون هذا الرجل واخوه سبب نزول هذه الآيات ويعم المعنى
جميع اهل الشقاوة والسعادة يدل عليه قوله تعالى كلوا واشربوا
وقد قيل ان المراد بذلك كل من كان متبوعا في الخير والشر فاذا
كان الرجل رأسا في الخير يدعو اليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه دعي
باسمه واسم ابيه فيتقدم حتى اذا دنا اخرج له كتاب ابيض بخط
ابيض في باطنه السيئات وفي ظاهره الحسنات فيبدأ بالسيئات

فيقرأها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه فاذا بلغ اخر الكتاب
وجد فيه هذه سياتك وقد غفرت لك فيفرح عند ذلك فرحا شديدا
ثم يقلب كتابه فيقرا حسناته فلا يزداد الا فرحا حتى اذا بلغ اخر الكتاب
وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك فيبيض وجهه ويوتى بتاج
فيوضع على راسه ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل منه ويطول ستين
ذراعا وهي قامة ادم عليه السلام ويقال له انطلق الى اصحابك
فبشرهم واخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فاذا ادبر قال هاوم
اقرؤا كتابيه انى ظننت اي ايقنت اني ملاق حسابيه قال الله تعالى فهو
في عيشة راضية اي مرضية قد رضيها في جنة عالية في السما قطوفها
ثمارها وعناقيدها دانية ادنيت منهم فيقول لاصحابه
هل تعرفوني فيقولون قد غمرتك كرامة الله من انت فيقول انا فلان
ابن فلان ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم
في الايام الخالية اي قدمتم في ايام الدنيا واذا كان الرجل راسا
راسا في الشر يدعو اليه ويامر به فيكثر تبعه عليه ينادى
باسمه واسم ابيه فيتقدم الى حسابه فيخرج له كتاب اسود
بخط اسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيات فيبدا
بالحسنات فيقرؤها ويظن انه سينجو فاذا بلغ اخر الكتاب وجد
فيه هذه حسناتك وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن
ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرا سياته فلا يزداد الا حزنا
ولا يزداد وجهه الا سوادا فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه
سياتك وقد ضوعفت عليك اي يضاعف عليه العذاب ليس المعنى
انه يزاد عليه ما لم يعمل قال فيعظم للنار وتزرق عيناه ويسود وجهه

ويكسى سرابيل القطران ويقال له انطلق الى اصحابك واخبرهم ان لكل
انسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول يا ليتني لم اوت كتابيه
ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية تمنى الموت هلك عني سلطانيه
تفسير ابن عباس هلكت عني حجتي وهو قول مجاهد وعكرمة والسدي
والضحاك وقال ابن زيد يعني سلطانه الذي في الدنيا الذي هو
الملك وكان هذا الرجل مطاعا في اصحابه قال الله تعالى خذوه فغلوه
قيل يبتدره مائة الف ملك ثم تجمع يده الى عنقه وهو قوله عز وجل
فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي اجعلوه يصلى الجحيم ثم
في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الله اعلم باي ذراع قاله الحسن وقال
ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك وقال نوف كل ذراع سبعون
باعا وكل باع ابعد ما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال
مقاتل لو ان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص
وقال كعب لو ان حلقة من السلسلة التي قال الله تعالى ذرعها سبعون
ذراعا اذ حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا فاسلكوه قال
سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه وقاله مقاتل والمعنى
ثم اسلكوا فيه سلسلة وقيل تدخل عنقه فيها ثم يجر بها وجا في الخبر
انها تدخل من دبره وتخرج من منخريه وفي خبر اخر تدخل من فيه
وتخرج من دبره فينادي اصحابه هل تعرفوني فيقولون لا ولكن
قد نرى ما بك من الخزي فمن انت فينادي اصحابه فلان لكل انسان
منكم مثل هذا قلت وهذا التفسير اصح ما قيل في هذه الاية يدل
عليه قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم وفي الباب حديث
ابي هريرة بمعناه خرجه الترمذي وقد ذكرناه في سورة سبحان

فتامله فهناك انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين
اي على الاطعام كما يوضع العطا موضع الاعطا قال الشاعر

اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا

اراد بعد اعطائك فبين انه عذب على ترك الاطعام وعلى الامر بالبخل
كما عذب بسبب الكفر والحض التحريض والحث واصل طعام ان يكون
منصوبا بالمصدر المقدر والطعام عبارة عن العين واضيف للمسكين
للملابسة التي بينهما ومن اعمل الطعام كما يعمل الاطعام فموضع
المسكين نصب والتقدير على اطعام المطعم المسكين فحذف الفاعل
واضيف المصدر الى المفعول **قوله تعالى** فليس له اليوم ههنا حميم خبر ليس قوله
له ولا يكون الخبر قوله ههنا لان المعنى يصير ليس ههنا طعام الا من غسلين
ولا يصح ذلك لان ثم طعام غيره وههنا متعلق بما في له من معنى الفعل
والحميم ههنا القريب اي ليس له قريب يرق له فيدفع عنه وهو ماخوذ من الحميم
وهو الما الحار كانه الصديق الذي يرق ويحترق قلبه له والغسلين
فعلين من الغسل فكانه ينغسل من ابدانهم وهو صديد اهل النار السايل
من جروحهم وفروجهم عن ابن عباس وقال الضحاك والربيع بن انس
هو شجر ياكله اهل النار وقال قتادة هو شر الطعام وابشعه ابن زيد
لا يعلم ما هو ولا الزقوم وقال في موضع اخر ليس لهم طعام الا من ضريع
يجوز ان يكون الضريع من الغسلين وقيل في الكلام تقديم وتاخير
والمعنى فليس له اليوم ههنا حميم الا من غسلين ويكون الما الحار ولا طعام
اي وليس لهم طعام ينتفعون به لا ياكله الا الخاطئون اي المذنبون
وقال ابن عباس يعني المشركين وقرئ الخاطيون
بابدال الهمزة يا والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون
كلنا يخطو وروى عنه ابو الاسود الدولي ويجوز ان

يراد به الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله عز وجل
قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون المعنى اقسم
بالاشياء كلها ما ترونها وما لا ترون ولا صلة وقيل هو رد
لكلام سبق اي ليس الامر كما يقوله المشركون وقال مقاتل
وسبب ذلك ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر
وقال عقبة كاهن فقال الله عز وجل فلا اقسم اي اقسم
وقيل لا ههنا نفي للقسم اي لا يحتاج في هذا الى قسم لوضوح الحق في
ذلك وعلى هذا فجوابه كجواب القسم انه يعني القران لقول رسول
كريم يريد جبريل عليه السلام قاله الحسن والكلبي ومقاتل
دليله وانه لقول رسول كريم ذي قوة وقال الكلبي ايضا والقتبي
الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله وما هو بقول شاعر وليس القران
من قول محمد صلى الله عليه وسلم انما هو من قول الله عز وجل
ونسب القول الى الرسول لانه تاليه ومبلغه والعامل به كقولنا هذا
قول مالك **قوله تعالى** وما هو بقول شاعر لانه مباين لصنوف
الشعر كلها ولا بقول كاهن لانه ورد بسب الشياطين وشتمهم
فلا ينزلون شيئا على من يسبهم وما زايده في قوله قليلا ما تؤمنون
وقليلا ما تذكرون والمعنى قليلا يؤمنون وقليلا يتذكرون وذلك
القليل من ايمانهم هو انهم اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله ولا يجوز ان يكون
ما مع الفعل مصدرا وتنصب قليلا بما بعد ما لما فيه من تقديم
الصلة على الموصول لان ما عمل فيه المصدر من في صلة المصدر وقرا ابن
محيصن وابن كثير وابن عامر ويعقوب ما يؤمنون ويذكرون بالياء الباقون
بالتا لان الخطاب قبله وبعده اما قبله فقوله تبصرون واما بعده فما

منكم الآية قوله تعالى تنزيل من رب العالمين وهو عطف على قوله انه لقول
رسول كريم اي انه لقول رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين قوله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل تقول اي تكلف واتى بقول من قبل نفسه
وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول لاخذنا منه باليمين اي بالقوة والقدرة
اي لاخذناه بالقوة ومن صلة زايدة وعبر عن القوة والقدرة باليمين لان
قوة كل شي في ميامنه قاله القتيبي وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد
ومنه قول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

اي بالقوة وقال آخر

ولما رأيت الشمس اشرق نورها تناولت منها حاجتي بيمين

وقال السدي والحكم باليمين بالحق قال تلقاها عرابة باليمين اي
بالاستحقاق وقال الحسن لقطعنا يده اليمين وقيل المعنى لقبضنا بيمينه
عن التصرف قاله نفطويه وقال ابو جعفر الطبري ان هذا الكلام
خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب كما يقول
السلطان لمن يريد هوانه خذوا بيده اي لامرنا بالاخذ بيده وبالغنا
في عقابه ثم لقطعنا منه الوتين يعني نياط القلب اي هلكناه
وهو عرق يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه قاله ابن عباس
واكثر الناس قال

اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع
فاذا انقطعت بطلت القوى ومات صاحبه والموتون الذي قطع وتينه
وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما يليه وقال الكلبي

انه عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان
بينهما ينبت العرقا وقال عكرمة ان الوتين اذا قطع لا ان
جاع عرف ولا ان مات عرف قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين
مانعين واحد في معنى الجمع فلذلك نعته بالجمع اي فما منكم من قوم يحجزون
عنه كقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله هذا جمع لان بين لا يقع
الا على شيئين فما زاد قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد سود الرؤس
قبلكم لفظه واحد ومعناه الجمع والهاء عايدة والحجز المنع وحاجزين يجوز
ان تكون صفة لاحد على المعنى كما ذكرنا فيكون في موضع جر والخبر منكم ويجوز
ان يكون منصوبا على انه خبر ومنكم ملغى ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع
الفصل به من انتصاب الخبر في هذا كما لا يمتنع الفصل به في ان فيك زيدا
راغب قوله تعالى وانه لتذكرة للمتقين اي القرآن لتذكرة للمتقين اي الخائفين الذين
يخشون الله ونظيره فيه هدى للمتقين على ما بيناه اول سورة البقرة
وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم اي هو تذكرة ورحمة ونجاة قوله تعالى
وانا لنعلم ان منكم مكذبين قال الربيع بالقرآن وانه لحسرة يعني التكذيب
والحسرة الندامة وقيل اي وان القرآن لحسرة على الكافرين يوم القيامة
اذا رأوا ثواب من آمن به وقيل هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على
معارضته عند تحديهم ان يأتوا بسورة مثله وانه لحق اليقين يعني ان
القرآن العظيم تنزيل ذلك حسرة عليهم يوم القيامة فعلى هذا انه لحسرة اي
وانه لتحسير وحسد يعني التحسر فيجوز تذكيره وقال ابن عباس انما
هو كقولك لعين اليقين ومحض اليقين ولو كان اليقين نعتا لم يجز

انيضا فاليه كما لا يقول هذا رجل الظريف وقيل اضافه الي نفسه لاختلاف
اللفظين فسبح باسم ربك العظيم اي فصل لربك قاله ابن عباس وقيل اي نزه
لله عن السو والنقايص
تم تفسير السوره

تفسير سورة المعارج

وهي مكيه باتفاق وهي اربع واربعون ايه ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى سال سايل قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز
الباقون بالهمز فمن همز جعله من السوال والسايل يجوز ان تكون ذا ايه ويجوز
ان تكون بمعنى عن السوال بمعنى الدعا اي دعا داع بالعذاب عن ابن عباس
وغيره يقال دعا علي فلان بالويل ودعا عليه بالعذاب ويقال دعوت زيدا
اي التمست احضاره اي التمس ملتمس عذابا للكافرين وهو واقع بهم
لا محاله يوم القيمه وعلي هذا فالبا زايده كقوله تعالي تنبت بالدهن
وقوله وهزي اليك بجذع النخله فهي تاكيد اي سال سايل عذابا
واقعا للكافرين علي الكافرين وهو النضر بن الحرث حين قال
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجاره من السما او
ايتنا بعذاب اليم فنزل سواله وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبه بن ابي
معيط لم يقتل صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد وقيل ان
السايل هنا هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى الله
عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته
حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله فقبلناه منك وان نزكي اموالنا فقبلناه منك وان نصوم
شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك
ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا فهذا شي منك ام من

الله فقال صلى الله عليه وسلم والله الذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى
الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجاره من السما
وايتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الي ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع علي دماغه
فخرج من دبره فقتله فنزلت سال سايل بعذاب واقع الايه وقيل
ان السايل هنا ابو جهل وهو القايل لذلك قاله الربيع وقيل انه
قول جماعه من كفار قريش وقيل نوح عليه السلام سال العذاب
علي الكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دعا عليه السلم
بالعقاب وطلب ان يوقعه الله بالكفار وهو واقع بهم لا محاله وامتد
الكلام الي قوله تعالي فاصبر صبرا جميلا اي لا تستعجل فانه قريب واذا
كانت البا بمعنى عن وهو قول قتاده فكان سايلا سال عن العذاب
بمن يقع او متى يقع اذ بمن يقع قال الله تعالي فاسال به خبيرا اي
اسال عنه وقال علقمه

فان تسالوني بالنسا فانني بصير بادوا النسا طبيب

اي عن النسا ويقال خرجنا نسال عن فلان وفلان فالمعنى سالوا بمن
يقع العذاب ولمن يكون فقال الله للكافرين قال ابو علي وغيره واذا كان
من السوال فاصله ان يتعدى الي مفعولين ويجوز الاقتصار علي احدهما واذا
اقتصر علي احدهما جاز ان يتعدى اليه بحرف جر فيكون التقدير سال سايل
النبي صلى الله عليه السلام او المسلمين بعذاب او عن عذاب وهي لغه
قريش يقول العرب سال يسال مثل نال ينال او خاف يخاف
والثاني ان يكون من السيلان ويويده قراه ابن عباس سال سيل
قال عبد الرحمن بن زيد سال وادي من اوديه جهنم يقال له سايل
وهو قول زيد بن ثابت قال الثعلبي والاول احسن لقول الاعشي

يل

في تخفيف الهمزة سالتاني الطلاق اذ راتاني قل مالي قد جيتماني بنكر
وفي الصحاح قال الاخفش يقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان وقد تخفف
همزته فيقال سال يسال وقال

ومرهق سال امتاعا باصدته لم يستعن وحوامي الموت تغشاه

قال المهدوي من قرا سال جاز ان يكون خفف الهمزة بابدالها الفا
وهو البدل على غير قياس وجاز ان تكون الالف منقلبة عن واو على لغة
من قال سلت اسال كخفت اخاف قال النحاس حكى سيبويه سلت اسال
مثل خفت اخاف بمعنى سالت وانشد

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

ويقال هما يتساولان قال المهدوي وجاز ان تكون مبدلة من يا من سال
يسيل ويكون سال واديا في جهنم فهمزة سايل على القول الاول اصلية وعلى
الثاني بدل من واو وعلى الثالث بدل من يا قال القشيري وسايل مهموز
لانه ان كان من سال بالهمز فهو مهموز وان كان من غير الهمز كان مهموزا ايضا نحو
قايل وخايف لان العين اعتل في الفعل واعتل في اسم الفاعل ايضا ولم يكن
الاعتلال بالحذف لخوف الالتباس فكان بالقلب الى الهمزة ولك تخفيف
الهمزة حتى تكون بين بين واقع اي يقع بالكفار بين انه من الله ذي المعارج وقال
الحسن انزل الله تعالى سال سايل بعذاب واقع فقال لمن هو فقال للكافرين فاللام
في الكافرين متعلقة بواقع وقال الفرا التقدير بعذاب للكافرين واقع فالواقع
من نعت العذاب فاللام دخلت للعذاب لا للواقع اي هذا العذاب للكافرين
في الاخرة لا يدفعه عنهم احد وقيل ان اللام بمعنى على والمعنى واقع على الكافرين
وروي انها في قراءة ابي كذلك وقيل بمعنى عن اي ليس له دافع عن الكافرين
من الله اي ذلك العذاب من الله ذي المعارج اي ذي العلو والدرجات الفواضل

والنعم قاله ابن عباس وقتادة فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل ذي
العظمة والعلاء وقال مجاهد هي معارج السما وقيل هي معارج
الملايكة لان الملايكة تعرج الى السما فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج الغرف
اي انه ذو الغرف اي جعل لاوليايه في الجنة غرفا وقرا عبد الله ذي المعاريج
بالياء يقال معرج ومعراج ومعارج ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح والمعارج الدرجات
ومنه ومعارج عليها يظهرون تعرج الملايكة والروح اليه اي تصعد في
المعارج التي جعلها الله لهم وقرا ابن مسعود واصحابه والسلمي والكسائي
يعرج بالياء على ارادة الجمع ولقوله ذكروا الملايكة ولا تونثوهم وقرا الباقون
بالتا على ارادة الجماعة والروح جبريل عليه السلام قاله ابن عباس دليله قوله
تعالى نزل به الروح الامين وقيل هو ملك اخر عظيم الخلقة وقال ابو
صالح انه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذويب
انه روح الميت حين يقبض اليه اي الى المكان الذي هو محلهم وهو في السما لانها محل
بره وكرامته وقيل هو كقول ابرهيم اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي امرني به
وقيل اليه اي الى عرشه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال وهب
والكلبي ومحمد بن اسحق اي عروج الملايكة الى المكان الذي هو محلهم في وقت كان
مقداره على غيرهم لو صعد خمسين الف سنة وقال وهب ايضا ما بين اسفل
الارض الى العرش مسيرة خمسين الف سنة وهو قول مجاهد جمع بين هذه
الاية وقوله في يوم كان مقداره الف سنة في سورة السجدة فقال في
يوم كان مقداره خمسين الف سنة من منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى
امره من فوق السموات خمسون الف سنة وقوله تعالى في الم تنزيل
في يوم كان مقداره الف سنة يعني بذلك نزول الامر من سما الدنيا الى الارض
ومن الارض الى السما في يوم واحد فذلك مقدار الف سنة لان ما بين السما الى الارض

مسيرة خمسين مائة عام وعن مجاهد ايضا والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من اول
ما خلقت الى اخر ما بقي خمسون الف سنة لا يدري احدكم كم مضى ولا كم بقي الا الله وقيل
المراد يوم القيمة اي مقدار الحكم فيه لو تولاه مخلوق خمسون الف سنة قاله عكرمة
ايضا والكلبي ومحمد بن كعب يقول وانا افرغ منه في ساعة وقال الحسن هو يوم القيامة
لا انفاذ له فالمراد ذكر موقفهم للحساب فهو في خمسين الف سنة من سني الدنيا
ثم حينئذ يستقر اهل الدارين وقال يمان هو يوم القيمة فيه خمسون موطنا
كل موطن الف سنة وقال ابن عباس هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين
مقدار خمسين الف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار قلت وهذا القول
احسن ما قيل في الاية ان شاء الله تعالى بدليل ما رواه قاسم بن اصبغ من
حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول هذا فقال صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة المكتوبة
يصليها في الدنيا واستدل النحاس على صحة هذا القول بما رواه سهيل عن ابيه عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لم يؤد زكاة ماله الا جعل
شجاعا من نار تكوى به جبهته وظهره وجنباه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة حتى يقضي الله بين الناس قال فهذا يدل على انه يوم القيمة وقال ابراهيم
التيمي ما قدر ذلك على المؤمن الا قدر ما بين الظهر والعصر وروي هذا المعنى مرفوعا
من حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين
الصلاتين ولذلك سمى نفسه سريع الحساب واسرع الحاسبين ذكره الماوردي
وقيل بل يكون الفراغ لنصفه كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا وهذا على قدر فهم الخلائق والا فلا يشغله شان عن شان
وكما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم في لحظة قال الله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة

لليوم

وعن ابن عباس ايضا انه سئل عن هذه الاية وعن قوله تعالى في يوم كان مقداره
الف سنة فقال ايام سماها الله عز وجل هو اعلم بها كيف تكون واكره ان
اقول فيها ما لا اعلم وقيل معنى ذكر الخمسين الف سنة تمثيل وهو تعريف طول
مدة القيامة في الموقف وما يلقى الناس فيه من الشدائد والعرب تصف
ايام الشدة بالطول وايام الفرح بالقصر قال الشاعر

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى سال سائل بعذاب واقع للكافرين
ليس له من الله دافع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة تعرج الملائكة
والروح اليه وهذا القول هو معنى ما اخترناه والموفق الاله قوله تعالى
فاصبر صبرا جميلا اي على اذى قومك والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه
ولا شكوى لغير الله وقيل هو ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى
من هو والمعنى متقارب وقال ابن زيد هي منسوخة باية السيف
انهم يرونه بعيدا يريد اهل مكة يرون العذاب بالنار بعيدا اي غير
كائن ونراه قريبا لان ما هو ات قريب وقال الاعمش يرون
البعث بعيدا لانهم لا يؤمنون به كانهم يستبعدونه على جهة الاحالة كما
تقول لمن تناظره هذا بعيد لا يكون وقيل اي يرون هذا اليوم بعيدا
ونراه اي نعلمه لان الرؤية انما تتعلق بالموجود وهو كقولك الشافعي يرى
هذه المسالة كذا وكذا قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل العامل
في يوم الواقع تقديره يقع بهم العذاب يوم وقيل يراه او يبصرونهم
او تكون بدلا من قريب والمهل دردي الزيت وعكره في قول ابن عباس
وغيره وقال ابن مسعود ما اذيب من الرصاص والنحاس والفضة
وقال مجاهد كالمهل كقيح من دم وصديد وقد مضى في سورة
الدخان والكهف القول فيه وتكون الجبال كالعهن

اي كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف عهن الا ان يكون مصبوغا
وقال الحسن تكون الجبال كالعهن وهو الصوف الاحمر وهو اضعف
الصوف ومنه قول زهير

كان فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

الفتات القطع والعهن الصوف الاحمر واحده عهنة وقيل العهن
الصوف ذو الالوان فشبه الجبال به في تلونها الوانا والمعنى انها تلين
بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع وقيل اول ما تتغير الجبال تصير
رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم هبا منبثا ۝ ولا يسال حميم حميما
اي عن شانه لشغل كل انسان بنفسه قاله قتادة كما قال لكل
امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وقيل لا يسال حميم عن حميم
فحذف الجار ووصل الفعل وقراءة العامة يسال بفتح اليا وقرا
شيبة والبزي عن عاصم ولا يسال بالضم على ما لم يسم فاعله اي لا يسال
حميم عن حميمه ولا ذو قرابة عن قرابته بل كل انسان يسال
عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت رهينة قوله تعالى يبصرونهم
اي يرونهم وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن
والانس فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته ولا يساله
ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم وقال ابن عباس يتعارفون
ساعة ثم لا يتعارفون بعد ذلك الساعة وفي بعض الاخبار
ان اهل القيمة يفرون من المعارف مخافة المظالم وقال ابن
عباس ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض
فالضمير في يبصرونهم على هذا للكفار والها والميم للاقربا
وقال مجاهد المعنى يبصر الله المومنين الكافرين في يوم
القيمة فالضمير في يبصرونهم للمومنين والها والميم للكفار

قال ابن زيد المعنى يبصر الله الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا
والضمير في يبصرونهم للتابعين والها والميم للمتبوعين وقيل انه يبصر
المظلوم ظالمه والمقتول قاتله وقيل يبصرونهم يرجع الى الملايكة اي
يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم وتم الكلام
عند قوله يبصرونهم ثم قال يود المجرم اي يتمنى الكافر لو يفتدي
من عذاب يومئذ يعني من عذاب يومه باعز من كان عليه في الدنيا
من اقاربه فلا يقدر ثم ذكرهم فقال ببنيه وصاحبته واخيه
وفصيلته اي عشيرته التي تنصره قاله مجاهد وابن زيد
وقال مالك امه التي تربيه حكاه الماوردي ورواه عنه اشهب
وقال ابو عبيدة الفصيلة دون القبيلة وقال ثعلب
هم اباوه الادنون وقال المبرد الفصيلة القطعة من اعضا الجسد
وهي دون القبيلة وسميت عترة الرجل فصيلة تشبيها بالبعض منه
وقد مضى في سورة الحجرات القول في القبيلة وغيرها وهنا مسلة وهي
اذا حبس على فصيلته او اوصى لها فمن ادعى العموم حمله على العشيرة
ومن ادعى الخصوص حمله على الابا الادنى فالادنى والاول اكثر في النطق
والله اعلم ومعنى تؤويه تضمه وتؤمنه من خوف ان كان به ومن في الارض
جميعا اي ويود لو فدي بهم لافتدى ثم ينجيه اي يخلصه ذلك الفدا
فلا بد من هذا الاضمار كقوله وانه لفسق وقيل يود المجرم
يقتضي جوابا بالفا كقوله ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب في
هذه الاية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اي يود المجرم لو يفتدي
فينجيه الافتدا قوله تعالى كلا تقدم القول في كلا وانها تكون بمعنى حقا
وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا كان تمام

للكلام تنجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اي لا ينجيه
من عذاب الله شيئا ثم قال انها لظى اي هي جهنم اي تتلظى يعني تلتهب
كقوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى واشتقاق لظى من التلظي
والتلظي التلهب وتلظيها تلهبها وقيل كان اصلها لظظ اي
دامت لدوام عذابها فقلبت احدى الظائين الفا فبقيت لظى وقيل
هي الدركة الثانية من طبقات جهنم وهي اسم مونثة معرفة فلا
تنصرف نزاعة للشوى قرا ابو جعفر وشيبة ونافع وعاصم في رواية
ابي بكر عنه والاعمش وابو عمرو وحمزة والكسائي نزاعة
بالرفع وروى ابو عمرو عن عاصم نزاعة بالنصب فمن رفع فله خمسة اوجه
احدها ان تجعل لظى خبر ان وترفع نزاعة باضمار هي فمن هذا الوجه
حسن الوقف على لظى والوجه الثاني ان تكون لظى ونزاعة خبران لان
كما تقول انه حلو حامض والوجه الثالث ان تكون نزاعة بدلا من لظى
ولظى خبر ان والوجه الرابع ان تكون لظى بدلا من اسم ان ونزاعة
خبر ان والوجه الخامس ان يكون الضمير في انها للقصة ولظى مبتدا ونزاعة
خبر الابتدا والجملة خبر ان المعنى ان القصة والخبر لظى نزاعة
للشوى ومن نصب نزاعة حسن له ان يقف على لظى وينصب نزاعة
على القطع من لظى اذ كانت نكرة متصلة بمعرفة ويجوز نصبها
على الحال المؤكدة كما قال وهو الحق مصدقا ويجوز ان تنصب على معنى انها
تتلظى نزاعة اي في حال نزعها للشوى والعامل فيها ما دل عليه
الكلام من معنى التلظي ويجوز ان يكون حالا على انه حال للمكذبين
بخبرها ويجوز نصبها على المدح كما تقول مررت بزيد العاقل الفاضل فهذه
بخبرها ويجوز نصبها على المدح كما تقول مررت بزيد العاقل الفاضل فهذه

خمسة اوجه ايضا والشوى جمع شواة وهي جلدة الراس قال الاعشى
قالت قتيلة ما له قد جللت شيبا شواته
وقال اخر اصبحت هدتك الحوادث هدة لها فشواة الراس باد قتيرها
والقتير الشيب وفي الصحاح والشوى جمع شواة وهي جلدة الراس والشوى
اليدان والرجلان والراس من الادميين وكل ما ليس مقتلا يقال
رماه فاشواه اذا لم يصب المقتل قال الهذلي
فان من القول التي لا شوى لها اذا زل عن ظهر اللسان انفلاتها
يقول ان من القول كلمة لا شوى لها لكن تقتل قال الاعشى
قالت قتيلة ما له قد جللت شيبا شواته
وقال ابو عبيدة انشدها ابو الخطاب الاخفش ابا عمرو بن العلا فقال
له صحفت انما هو سراته فسكت ابو الخطاب ثم قال لنا بل هو صحف انما
هي شواته وشوى الفرس قوائمه لانه يقال عبل الشوى ولا يكون
هذا للراس لانهم وصفوا الراس بانها له الحذف وعتق الوجه وهو
دقته والشوى رذال المال والشوى هو الشي الهين اليسير وقال
ثابت البناني والحسن نزاعة للشوى اي لمكارم وجهه قال ابو العالية
لمحاسن وجهه وقال قتادة لمكارم خلقته واطرافه وقال الضحاك
تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيا وقال الكسائي هي
المفاصل وقال بعض الائمة هي القوائم والجلود قال امرؤ القيس
سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال
وقال ابو صالح اطراف اليدين والرجلين قال الشاعر
اذا نظرت عرفت الفخر منها وعينيها ولم تعرف شواها
يعني اطرافها وقال الحسن ايضا الشوى الهام ۝ تدعو من ادبر

وتولى اي تدعو لظا من ادبر في الدنيا عن طاعة الله وتولى عن الايمان
ودعاوها ان تقول يا مشرك الي يا كافر وقال ابن عباس تدعو
الكافرين والمنافقين باسمائهم بلسان فصيح الي يا كافر الي يا منافق ثم تلتقطهم
كما يلتقط الطير الحب وقال ثعلب تدعو اي تهلك تقول العرب دعاك الله
اي اهلكك الله وقال الخليل انه ليس كالدعا تعالوا
ولكن دعوتها اياهم تمكنها من تعذيبهم وقيل الداعي خزنة
جهنم اضيف دعاوهم اليها وقيل هو ضرب مثل اي ان مصير من
ادبر وتولى اليها فكانها الداعية لهم ومثله قول الشاعر

ولقد هبطنا الواديين فواديا يدعو الانيس به العضيض الابكم

العضيض الابكم الذباب وهو لا يدعو ولكن طنينه نبه عليه فدعا
اليه قلت القول الاول هو الحقيقة حسب ما تقدم بيانه
باي القرآن والاخبار الصحيحة قال القشيري ودعا لظا لكل واحد
فيها حتى تدعو وخارق العادة غدا كثير ٭ وجمع فاوعى اي جمع المال
فجعله في وعايه ومنع منه حق الله تعالى فكان جموعا منوعا قال
الحكم كان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت عبد الله يقول
فجمع فاوعى قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا يعني الكافر عن الضحاك
والهلع في اللغة اشد الحرص واسوا الجزع والخفة وكذلك قال
قتادة ومجاهد وغيرهما وقد هلع بالكسر فهو هلع وهلوع على
التكثير والمعنى انه لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي قال
عكرمة هو الضجور قال الضحاك هو الذي لا يشبع والمنوع
هو الذي اذا اصاب المال منع منه حق الله تعالى وقال ابن كيسان
خلق الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ويسخطه ثم تعبده

الله بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره وقال ابو عبيدة الهلوع الذي
اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الضر لم يصبر وقال ثعلب ايضا قد
فسر الله الهلوع هو الذي اذا ناله الشر اظهر شدة الجزع واذا ناله الخير اظهر
البخل ومنعه الناس وقال صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي العبد شح هالع ٭
وجبن خالع والعرب تقول ناقة هلواعة وهلواع اذا كانت
سريعة السير خفيفة وقال الشاعر

شكا دعلبة اذا استدبرتها حرج اذا استقبلتها هلواع

جزوعا ومنوعا نعتان لهلوع على انه ينوي بهما التقديم قبل
اذا وقيل هو خبر كان مضمرة قوله تعالى الا المصلين دل على ان ما قبله في
الكفار فالانسان اسم جنس بدليل الاستثناء الذي يعقبه كقوله تعالى ان الانسان
لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال النخعي المراد بالمصلين
الذين يؤدون الصلاة المكتوبة قال ابن مسعود هم الذين يصلونها
لوقتها فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة وقيل هم المومنون عامة
فانهم يغلبون فرط الجزع بثقتهم بربهم ويقينهم الذين هم على صلاتهم
دائمون اي على مواقيتها وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا
لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم الساكن ومنه نهي عن البول في الماء الدائم
اي الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع منها
والذين في اموالهم حق معلوم يريد الزكاة المفروضة قاله قتادة وابن
سيرين وقال مجاهد سوى الزكاة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس
صلة رحم وحمل كل صح والاول اصح لانه وصف الحق بانه معلوم وسوى
الزكاة ليس بمعلوم انما هو على قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر
للسايل والمحروم تقدم في والذاريات والذين يصدقون بيوم الدين

أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة وقد مضى في سورة الفاتحة القول فيه والذين هم من
عذاب ربهم مشفقون أي خائفون إن عذاب ربهم غير مأمون قال ابن عباس
لمن أشرك وكذب أنبياءه وقيل لا يأمنه أحد بل الواجب على كل أحد أن يخافه
ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم
فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون تقدم القول فيه
في سورة قد أفلح المؤمنون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون تقدم أيضا والذين
هم بشهاداتهم قائمون على من كانت من قريب أو بعيد يقومون بها عند
الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وقد مضى القول في الشهادة وأحكامها في
سورة البقرة وقال ابن عباس بشهاداتهم أن الله وحده لا شريك له وأن
محمدا عبده ورسوله وقرئ لأماناتهم على التوحيد وهي قراءة ابن كثير
وابن محيصن فالأمانة اسم جنس فيدخل فيها أمانات الدين فإن الشرائع
أمانات ائتمن الله عليها عباده ويدخل فيها أمانات الناس من الودائع
وقد مضى هذا كله مستوفى في سورة النساء وقرأ عباس الدوري عن أبي
عمرو ويعقوب بشهاداتهم جمعا الباقون بشهادتهم على التوحيد لأنها تؤدي
عن الجمع والمصدر قد يفرد وإن أضيف إلى جمع كقوله تعالى إن أنكر
الأصوات لصوت الحمير وقال الفراء ويدل على أنها بشهادتهم توحيدا
قوله تعالى وأقيموا الشهادة لله والذين هم على صلاتهم يحافظون
قال قتادة هو وضوءها وركوعها وسجودها وقال ابن
جريج التطوع وقد مضى في سورة المؤمنين فالدوام خلاف المحافظة فدوامهم
عليها أن يحافظوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل
ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها
ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط فالاقتراف المآثم
فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها أولئك

في جنات مكرمون أي أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات
فمال الذين كفروا قبلك مهطعين قال الأخفش مسرعين قال

بمكة أهلها ولقد أراهم إليه مهطعين إلى السماع

والمعنى ما بالهم مسرعين إليك ويجلسون حواليك ولا يعملون بما تأمرهم
وقيل أي ما لهم مسرعين في التكذيب لك وقيل أي ما بال
الذين كفروا يسرعون إلى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك وقال
عطية مهطعين معرضين الكلبي ناظرين إليك تعجبا وقال قتادة
عامدين والمعنى متقارب أي ما بالهم مسرعين عليك مادين أعناقهم مدمني
النظر إليك وذلك من نظر العدو وهو منصوب على الحال نزلت في جمع
من المنافقين المستهزئين كانوا يحضرون مجلس النبي عليه السلام ولا يؤمنون
به وقبلك أي نحوك عن اليمين وعن الشمال عزين أي عن يمين النبي
صلى الله عليه وسلم وشماله حلقا حلقا وجماعات والعزين جماعات
في تفرقة قاله أبو عبيدة ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم
أنه خرج على أصحابه فرآهم حلقا فقال ما لي أراكم عزين ألا تصفون كما تصف
الملائكة عند ربها قالوا وكيف تصف الملائكة عند ربها قال يتمون الصفوف
الأول ويتراصون في الصف خرجه مسلم وغيره وقال الشاعر

ترانا عنده والليل داج على أبوابه حلقا عزينا

وقال الراعي

أخليفة الرحمن إن عشيرتي أمسى سراتهم إليك عزينا

أي متفرقين وقال الآخر

كأن الجماجم من وقعها خناطيل يهوين شتى عزينا

وقال الآخر

فلما أن أتين على أضاخ ضرحن حصاه أشتاتا عزينا

وقال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا

وقال عنترة

وقرن قد تركت لدى ولي عليه الطير كالعصب العزين

واحدها عزة جمع بالواو والنون ليكون ذلك عوضا مما
حذف منها واصلها عزهة فاعتلت كما اعتلت سنة فيمن جعل
اصلها سنهة وقيل اصلها عزوة من عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره
فكل واحد من الجماعات مضافة الى الاخرى والمحذوف منها الواو وفي
الصحاح والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض من الياء والجمع عزى على
فعل وعزون ايضا بالضم ولم يقولوا عزات كما قالوا ثبات قال
الاصمعي يقال في الدار عزون اي اصناف من الناس وعن اليمين وعن الشمال
متعلق بمهطعين ويجوز ان يتعلق بعزين على حد قولك اخذته عن زيد
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قال المفسرون كان
المشركون يحتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه
فيكذبونه ويكذبون عليه ويستهزئون باصحابه ويقولون لئن دخل
هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم ولئن اعطوا منها شيئا لنعطين اكثر
منه فنزلت ايطمع الاية وقيل كان المستهزئون خمسة ارهط
وقرا الحسن وطلحة بن مصرف والاعرج ان يدخل بفتح الياء
وضم الخاء مسمى الفاعل ورواه المفضل عن عاصم والباقون ان يدخل على
الفعل المجهول كلا لا يدخلونها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون انهم
يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق سائر جنسهم فليس لهم
فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا
يستهزئون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال انا خلقناهم مما يعلمون من القذر فلا يليق

بهم هذا التكبر وقال قتادة في هذه الاية انما خلقت يا ابن ادم من قذر
فاتق الله وروي ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابي صفرة
يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية
التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذرة
واخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما تحمل العذرة فمضى المهلب وترك
مشيته ونظم هذا الكلام محمود الوراق فقال

عجبت من معجب بصورته وكان في الاصل نطفة مذره

وهو غدا بعد حسن صورته يصير في اللحد جيفة قذره

وهو على تيهه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذره

وقال اخر

هل في ابن ادم غير الراس مكرمة وهو بخمس من الاوساخ مضروب

انف يسيل واذن ريحها سهك والعين مرمصة والثغر ملعوب

يا ابن التراب وماكول التراب غدا اقصر فانك ماكول ومشروب

وقيل معناه من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب
كقول الشاعر وهو الاعشى

أأزمعت من ال ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى ان تزارا

اي من اجل ليلى قوله تعالى فلا اقسم اي فاقسم ولا صلة برب المشارق
والمغارب هي مشارق الشمس ومغاربها وقد مضى الكلام فيها وقرا ابو حيوة وابن
محيصن وحميد برب المشرق والمغرب على التوحيد انا لقادرون على ان نبدل
خيرا منهم يقول نقدر على اهلاككم والذهاب بهم والمجيء بخير منهم في الفضل والطوع
والمال وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا امر نريده قوله تعالى
فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم

على جهة الوعيد واشتغل انت بما امرت به ولا يعظمن عليك شركهم فان لهم يوما
يلقون فيه ما وعدوا وقرا ابن محيصن ومجاهد وحميد حتى يلقوا يومهم وهذه
الآية منسوخة بآية السيف قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا
يوم بدل من يومهم الذي قبله وقراءة العامة يخرجون بفتح اليا وضم الرا على
انه مسمى الفاعل وقرا السلمي والمغيرة والاعشى عن عاصم يخرجون بضم اليا
وفتح الرا على الفعل المجهول والاجداث القبور واحدها جدث وقد مضى في
سورة يس سراعا حين يسمعون الصيحة الآخرة الى اجابة الداعي وهو نصب على
الحال كانهم الى نصب يوفضون قراءة العامة بفتح النون وجزم الصاد وقرا
ابن عامر وحفص بضم النون وقرا عمرو بن ميمون وابو رجا وغيرهما
بضم النون واسكان الصاد والنصب لغتان مثل الضعف والضعف
الجوهري والنصب ما نصب فعبد من دون الله وكذلك النصب بالضم
وقد يحرك قال الاعشى

وذو النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبده والله ربك فاعبدا

توقف بالالف كما تقول رايت زيدا والجمع الانصاب وقوله وذا النصب
والنصب الشر والبلاء ومنه قوله تعالى مسني الشيطان بنصب
وعذاب وقال الاخفش قال الفرا النصب مثل رهن ورهن والانصاب
جمع النصب فهو جمع الجمع وقيل النصب والانصاب واحد وقيل النصب جمع
نصاب وهو حجر او صنم يذبح عليه ومنه قوله تعالى وما ذبح على النصب
وقد قيل نصب ونصب بمعنى واحد كما قيل عمر وعمر وعمر ذكره
النحاس قال ابن عباس الى نصب الى غاية وهي التي تنصب اليها بصرك
وقال الكلبي الى شي منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا يبتدرون
اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي
اولهم على آخرهم يوفضون يسرعون والايفاض الاسراع قال الشاعر

فوارس ذبيان تحت الحديد كالجن يوفضن من عبقر

موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد

كهول وشبان كجنة عبقر

وقال الليث وفضت الابل
تفض وفضا واوفضها صاحبها قال الايفاض متعد والذي في الآية
لازم يقال وفض واوفض بمعنى اسرع قوله تعالى خاشعة ابصارهم
اي ذليلة خاضعة لا يرفعونها من عذاب الله ترهقهم ذلة اي يغشاهم
الهوان قال قتادة هو سواد الوجوه والرهق الغشيان ومنه غلام
مراهق اذا غشي الاحتلام رهقه بالكسر يرهقه رهقا اي غشيه
ومنه قوله تعالى لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ذلك اليوم الذي
كانوا يوعدون في الدنيا ان لهم فيه العذاب واخرج الخبر بلفظ
الماضي لان ما وعد الله يكون لا محالة

سورة نوح عليه السلام مكية

وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا ارسلنا
نوحا الى قومه قد مضى القول في ان نوحا عليه السلام اول رسول ارسل
في سورة الاعراف ورواه قتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض فلذلك لما كفروا اغرق الله
اهل الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس
عليه السلام بن يرد بن مهلائيل بن انوش بن قينان بن شيث بن آدم
عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل الى قومه وهو ابن خمسين
سنة وقال ابن عباس رضي الله عنه ابن اربعين سنة وقال عبد الله بن
شداد بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة وقد مضى القول في سورة العنكبوت
والحمد لله قوله تعالى ان انذر قومك اي بان انذر قومك فالموضع ان نصب

باسقاط الخافض وقيل موضعها جر لقوة حذفها مع ان ويجوز ان تكون المعنى
المفسرة فلا يكون لها موضع من الاعراب لان في الارسال معنى الامر فلا حاجة
الى اضمار الباء قراءة عبد الله انذر قومك بغير ان لمعنى فقلنا له انذر قومك
وقد مضى معنى الانذار في اول سورة البقرة من قبل ان ياتيهم عذاب اليم
قال ابن عباس يعني عذاب النار في الاخرة وقال الكلبي هو ما
نزل عليهم من الطوفان وقيل اي انذرهم العذاب على الجملة لانهم ان لم يومنوا
وكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى فيهم مجيبا وكانوا يضربونه
حتى يغشى عليه فيقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وقد مضى هذا مستوفى
في سورة العنكبوت والحمد لله قوله تعالى قال يا قوم اني لكم نذير مبين
اي مخوف مبين اي مظهر لكم بلسانكم الذي تعرفونه ان اعبدوا الله واتقوه
ان المفسرة على ما تقدم في ان انذر اعبدوا اي وحدوا واتقوا وخافوه
واطيعون اي فيما امركم به فاني رسول الله اليكم يغفر لكم من ذنوبكم
جزم يغفر بجواب الامر ومن صلة زايدة ومعنى الكلام يغفر لكم ذنوبكم
قاله السدي وقيل لا يصح كونها زايدة لان من لا تزاد في الجواب وانما هي هنا
للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين
وقيل هي لبيان الجنس وفيه بعد اذ لم يتقدم جنس يليق به وقال زيد بن اسلم
المعنى يخرجكم من ذنوبكم قال ابن شجرة المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتم
منها ويؤخركم الى اجل مسمى قال ابن عباس اي ينسي في اعماركم ومعناه ان الله
تعالى كان قضى قبل خلقهم انهم ان امنوا بارك في اعمارهم وان لم يومنوا عوجلوا
بالعذاب وقال مقاتل يؤخركم الى منتهى اجالكم في عافية فلا
يعاقبكم بالقحط وغيره فالمعنى على هذا يؤخركم من العقوبات والشدايد
الى اجالكم وقال الزجاج اي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير ميتة
المستاصلين بالعذاب وعلى هذا قيل اجل مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم
غرقا ولا حرقا ولا قتلا ذكره الفرا وعلى القول الاول اجل مسمى عند الله ان اجل
الله اذا جا لا يوخر اي اذا جا الموت لا يوخر بعذاب كان او بغير عذاب واضاف
الاجل اليه سبحانه لانه الذي اثبته وقد يضاف الى القوم لقوله تعالى اذا جا
اجلهم لانه مضروب لهم ولو بمعنى ان اي ان كنتم تعلمون وقال الحسن
معناه لو كنتم تعلمون لعلمتم ان اجل الله اذا جا لا يوخر قوله تعالى قال رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا اي سرا وجهرا وقيل اي واصلت الدعا فلم يزدهم
دعاي الا فرارا اي تباعدا من الايمان وقراءة العامة بفتح اليا
من دعاي واسكنها الكوفيون ويعقوب والدوري عن ابي عمرو قوله تعالى
واني كلما دعوتهم اي الى سبب المغفرة وهي الايمان بك والطاعة لك جعلوا اصابعهم في
اذانهم لئلا يسمعوا دعاي واستغشوا ثيابهم اي غطوا بها وجوههم
لئلا يروني قال ابن عباس جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا يسمعوا
كلامي فاستغشا الثياب اذا زيادة في سد الاذان حتى لا يسمعوا او
لتنكيرهم انفسهم حتى يسكت او ليعرفوه اعراضهم عنه وقيل هو كناية
عن العداوة يقال لبس فلان ثياب العداوة واصروا اي على
الكفر فلم يتوبوا واستكبروا عن الحق لانهم قالوا انومن لك واتبعك
الارذلون واستكبارا تجبرا قوله تعالى ثم اني دعوتهم جهارا اي مظهرا
لهم الدعوة وهو منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعا احد نوعيه
الجهار فنصب به نصب القرفصا بقعد لانها احد انواع القعود او لانه
اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا اي دعاء
جهارا اي مجاهرا به او يكون مصدرا في موضع الحال اي دعوتهم مجاهرا
لهم بالدعوة ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا لم ابق مجهودا وقال

مجاهد معناه اعلنت صحت واسررت لهم اسرارا بالدعا عن بعضهم من بعض
وقيل اسررت لهم اتيتهم في منازلهم وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة
في الدعا وتلطف في الاستدعا وفتح اليا من اني اعلنت الحرميون وابو عمرو
واسكن الباقون قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم اي سلوه المغفرة
من ذنوبكم السالفة باخلاص الايمان انه كان غفارا وهذا منه ترغيب
في التوبة وقد روى حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الاستغفار ممحاة للذنوب وقال الفضيل يقول العبد استغفر الله
وتفسيرها اقلني الثانية قوله تعالى يرسل السما عليكم مدرارا اي
يرسل ما السما ففيه اضمار وقيل السما المطر اي يرسل المطر
قال الشاعر اذا نزل السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا
ومدرارا ذا غيث كثير وجزم يرسل جوابا للامر وقال
مقاتل لما كذبوا نوحا زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم
اربعين سنة فهلكت مواشيهم وزروعهم فصاروا الى نوح عليه السلام
واستغاثوا به فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا اي لم يزل كذلك
لمن اناب اليه ثم قال ترغيبا في الايمان يرسل السما عليكم
مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا
قال قتادة علم نبي الله صلى الله عليه وسلم انهم اهل حرص على
الدنيا فقال هلموا الى طاعة الله فان في طاعة الله درك الدنيا والاخرة
الثالثة في هذه الاية والتي في هود دليل على ان الاستغفار
يستنزل به الرزق والامطار قال الشعبي خرج عمر رضي الله عنه
يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فامطروا فقالوا ما رايناك
استسقيت فقال لقد طلبت المطر بمجاديح السما التي يستنزل

بها المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا
وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل
وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا
واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقال ابن صبيح شكا رجل
الى الحسن الجدوبة فقال له استغفر الله وشكا اخر اليه الفقر فقال له
استغفر الله وقال له اخر ادع الله ان يرزقني ولدا فقال له استغفر الله
وشكا اليه اخر جفاف بساتينه فقال له استغفر الله فقلنا له في ذلك فقال
ما قلت من عندي شيا ان الله تعالى يقول في سورة نوح عليه السلام استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقد مضى في سورة ال عمران كيفية الاستغفار
وان ذلك يكون عن اخلاص واقلاع من الذنوب وهو الاصل في الاجابة
قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا قيل الرجا هنا بمعنى الخوف
اي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرته على اخذكم بالعقوبة اي اي عذر لكم
في ترك الخوف من الله وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطا بن
ابي رباح ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون له عقابا وقال
سعيد بن جبير وابو العالية وعطا بن ابي رباح ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا
تخافون له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم
لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا وقال الوالبي والعوفي
عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وقال ابن عباس ايضا ومجاهد
ما لكم لا ترون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله
عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون

لم لا ترجون لله وقارا أي العظمة والتوقير التعظيم وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله
عاقبة كأن المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الإيمان وقال ابن كيسان ما لكم
لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد
ما لكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا
ولا تشكرون له نعمة وقيل ما لكم لا توحدون الله لأن من عظمه فقد وحده وقيل
أن الوقار الثبات لله عز وجل ومنه قوله عز وجل وقرن في بيوتكن أي اثبتن ومعناه
ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وأنه إلهكم لا إله لكم سواه قاله ابن
بحر ثم دلهم على ذلك فقال وقد خلقكم أطوارا أي جعل لكم في أنفسكم آية تدل على
توحيده قال ابن عباس أطوارا يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة
أي طورا بعد طور إلى تمام الخلق كما ذكرنا في سورة المؤمنين والطور في
اللغة المرة أي من فعل هذا وقدر عليه فهو أحق أن تعظموه وقيل
أطوارا صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وضعفاء ثم أقوياء وقيل أطوارا أي أنواعا
صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل إن الأطوار
اختلافهم في الأخلاق والأفعال قوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله
سبع سماوات طباقا ذكر لهم دليلا آخر أي ألم تعلموا أن الذي قدر على هذا
فهو الذي يجب أن تعبدوه ومعنى طباقا بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة
على الأخرى كالقباب قاله ابن عباس والسدي وقال الحسن خلق الله سبع
سماوات طباقا على سبع أرضين بين كل أرض وأرض وسماء وسماء خلق
وأمر وقوله ألم تروا على جهة الإخبار لا المعاينة كما تقول ألم تر كيف فعلت
بفلان كذا وطباقا نصب على أنه مصدر مطابقة طباقا أو حال بمعنى ذات
طباق فحذف ذات وأقام طباقا مقامه وجعل القمر فيهن نورا أي في السماء
الدنيا كما يقال أتاني بنو تميم والمراد بعضهم قاله الأخفش وقال ابن كيسان

إذا كان في إحداهن فهو فيهن وقال قطرب فيهن بمعنى معهن وقاله
الكلبي أي خلق الشمس والقمر مع خلق السماوات والأرض وقال جلة أهل اللغة
في قول امرئ القيس

وهل ينعمن من كان آخر عهده ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال

في بمعنى مع قاله النحاس وسألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية فقال
جواب النحويين أنه إذا جعله في إحداهن فقد جعله فيهن كما تقول أعطني الثياب
المعلمة وإن كنت إنما أعلمت أحدها وجواب آخر أنه يروى أن وجه
القمر إلى داخل السماء وإذا كان إلى داخلها فهو متصل بالسماوات ومعنى نورا أي
لأهل الأرض قاله السدي وقال عطاء نورا لأهل السماء والأرض وقال ابن عباس
وابن عمر وجهه يضيء لأهل الأرض وظهره يضيء لأهل السماء وجعل الشمس سراجا
يعني مصباحا لأهل الأرض ليتوصلوا إلى التصرف لمعايشهم وفي إضاءتها
لأهل السماء القولان الأولان حكاه الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس
أن الشمس وجهه في السماوات وقفاه في الأرض وقيل على العكس وقيل
لعبد الله بن عمر ما بال الشمس تقلينا أحيانا وتبرد علينا أحيانا فقال إنها في
الصيف في السماء الرابعة وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن ولو كانت
في السماء الدنيا لما قام لها شيء قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا يعني
آدم عليه السلام خلقه الله تعالى من أديم الأرض كلها قاله ابن جريج وقد مضى في
سورة البقرة والأنعام ذلك وقال خالد بن معدان خلق الإنسان من طين وإنما
تلين القلوب في الشتاء ونباتا مصدر على غير المصدر وقد مضى بيانه في
سورة آل عمران وغيرها وقيل هو مصدر محمول على المعنى لأن المعنى أنبتكم
جعلكم نباتا قاله الخليل والزجاج وقيل أي أنبت لكم من الأرض النبات
فنباتا على هذا نصب على المصدر الصريح والأول أظهر وقال ابن بحر أنبتكم في الأرض
بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها أي عند موتكم بالدفن ويخرجكم

الإنسان صح

اخراجا بالنشور للبعث يوم القيامة قوله تعالى ومكروا مكرا كبارا اي كبيرا
عظيما يقال كبير وكبار وعجيب وعجاب بمعنى ومثله طويل وطوال ويقال رجل
حسن وحسان وجميل وجمال وقرا للقران ووضا للوضي وانشد ابن السكيت
بيضا تصطاد القلوب وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء
اخر: والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضاء
وقال المبرد كبارا بالتشديد للمبالغة وقرا ابن محيصن ومجاهد
كبارا بالتخفيف واختلف في مكرهم ما هو فقيل تحريشهم سفلتهم على
قتل نوح عليه السلام وقيل هو تغريرهم الناس بما اوتوا من الدنيا والولد
حتى قالت الضعفة لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال
الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد وقيل مكرهم كفرهم وقال
مقاتل هو قول كبرائهم لاتباعهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم الاية وقال
ابن عباس وغيره هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها
العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت
اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر في قوله تعالى ولا تذرن
آلهتكم قالت الاعراب لاولادهم وقومهم لا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث
ويعوق ونسرا ثم عاد بالذكر بعد ذلك الى قوم نوح عليه السلام وعلى
القول الاول الكلام مسوق كله في قوم نوح عليه السلام وقال عروة بن
الزبير وغيره اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود وسواع ويغوث
ويعوق ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب
كان لآدم عليه السلام خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر
وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان انا اصور
لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره

في المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم
وتنقصت الاشياء كما تنتقص اليوم الى ان تركوا عبادة الله تعالى بعد حين
فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة
آبائكم الا ترون انها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحا فقالوا
لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية وقال محمد بن كعب
ايضا ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم تبع
يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها
وليأنسوا بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون قالوا ليت شعري
هذه الصور ما كان آباؤنا يصنعون بها فجاءهم الشيطان فقال كان آباؤكم
يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدأ عبادة الاوثان من
ذلك اليوم قلت وبهذا المعنى فسر ما جاء في صحيح مسلم من
حديث عائشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رايتاها بالحبشة
تسمى مارية فيها تصاوير فذكرتا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا
على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله تعالى
يوم القيامة وذكر الثعلبي عن ابن عباس قال هذه الاصنام اسماء رجال صالحين
من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا في مجالسهم التي
كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم تذكروهم بها ففعلوا ولم تعبد
حتى اذا هلك اولئك ونسخ العلم عبدت من دون الله ○ وذكر ايضا عن
ابن عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد آدم على جبل بالهند
فيمنع الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هؤلاء يفخرون
عليكم ويزعمون انهم بنو آدم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون

به فصور لهم هذه الاصنام الخمسه وحملهم علي عبادتها فلما كان ايام الطوفان
دفنها الطين والتراب والما فلم تزل مدفونه حتي اخرجها الشيطان لمشركي
العرب قال الماوردي فاما ود فهو اول صنم معبود سمي ودا
لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومه الجندل في قول ابن عباس
وعطا ومقاتل وفيه يقول الشاعر

حياك ود فانا لا يحل لنا لهو النسا وان الدين قد عزما

واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم واما يغوث فكان
لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتاده وقال المهدوي
لمراد ثم لغطفان قال الثعلبي واخذت اعلا وانعم وهما من طي
واهل جرش من مذحج يغوث فذهبوا به الي مراد فعبدوه زمانا ثم ان
بني ناجيه ارادوا نزعه من انعم ففروا به الي الحصين اخي بني الحرث
ابن كعب من خزاعه وقال ابو عثمان النهدي رايت يغوث وكان
من رصاص وكانوا يحملونه علي جمل اجرد ويسيرون معه لا يهيجونه حتي
يكون هو الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فيضربون
عليه بنا وينزلون حوله واما يعوق فكان لهمدان ببلخع في قول
عكرمه وقتاده وعطا ذكره الماوردي وقال الثعلبي واما
يعوق فكان لكهلان من سبا توارثوه بنوه الاكبر حتي صار في همدان
وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش

واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتاده ونحوه عن مقاتل
وقال الواقدي كان ود علي صوره رجل وسواع علي صوره
امراه ويعوق علي صوره اسد ويغوث علي صوره فرس ونسر

علي صوره نسر من الطير والله اعلم وقرا نافع ولا تذرن ودا بضم الواو
وفتحها الباقون قال الليث ودا بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وودا
بالضم لقريش وبه سمي عمرو بن عبد ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد
في لغه اهل نجد كانهم سكنوا التا وادغموها في الدال والود في قول امري القيس

تظهر الود اذا ما اشجذت وتواريه اذا ما تعتكر

قال ابن دريد هو اسم جبل وود صنم كان لقوم نوح عليه السلم
ثم صار لكلب وكان بدومه الجندل ومنه سموا عبد ود وقالوا لا تذرن
الهتكم ثم قال ولا تذرن ودا ولا سواعا الايه خصها بالذكر كقوله
تعالي واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقد اضلوا
كثيرا هذا من قول نوح اي اضل كبراوهم كثيرا من اتباعهم وهو عطف
علي قوله ومكروا مكرا كبارا وقيل ان الاصنام اضلوا كثيرا نظيره قول
ابرهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاجري عليهم وصف ما
يعقل لاعتقاد الكفار فيهم ذلك ولا تزد الظالمين الا ضلالا اي عذابا
قاله ابن بحر واستشهد بقوله تعالي ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسارا
الا فتنه بالمال والولد وهو محتمل قوله تعالي مما خطاياهم اغرقوا ما صله
موكده والمعني من خطاياهم وقال الفرا المعني من اجل خطاياهم
فادت ما هذا المعني قال وما تدل علي المجازاه وقرا ابو عمرو خطاياهم
علي جمع التكسير الواحد خطيه وكان الاصل في الجمع خطايي علي فعايل
فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانيه يا لان قبلها كسره ثم استثقلت
والجمع ثقيل وهو معتل مع ذلك فقلبت اليا الفا ثم قلبت الهمزه
الاولي يا لخفايها بين الالفين الباقون خطيا تهم علي جمع السلامه

قال ابو عمرو قوم كفروا الفسنه فلم يكن لهم الخطيات يريد ان الخطايا اكثر من
الخطيات وقال قوم خطايا وخطيات واحد جمعان مستعملان في القله والكثره
واستدلوا بقوله تعالي ما نفدت كلمات الله قال الشاعر

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحي واسيافنا يقطرن من نجده دما

وقري خطيا تهم وخطاياهم بقلب الهمزه يا وادغامها وعن الجحدري وعن عمرو
ابن عبيد والاعمش وابو حيوه واشهب العقيلي خطيئتهم علي التوحيد والمراد الشرك
فادخلوا نارا اي بعد اغراقهم قال القشيري وهذا يدل علي عذاب القبر
ومنكروه يقولون صاروا مستحقين دخول النار وعرض عليهم اماكنهم
من النار كما قال تعالي النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقيل اشار والي ما
في الخبر من قوله البحر نار من نار وروي ابو روق عن الضحاك في قوله تعالي اغرقوا
فادخلوا نارا قال يعني عذبوا بالنار في الدنيا مع الغرق في الدنيا في حاله
واحده كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في جانب ذكره الثعلبي انشدنا
ابو سعيد احمد بن محمد بن مبيح قال انشدني ابو بكر بن الانباري

الخلق مجتمع طورا ومفترق والحادثات فنون ذات اطوار
لا تعجبن لاضداد مجتمعه فالله يجمع بين الما والنار

فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي من يدفع عنهم العذاب قوله تعالي وقال
نوح رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا فيه اربع مسايل الاولي
قوله تعالي وقال نوح رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا دعا عليهم
حين يئس من اتباعهم اياه وقال قتاده دعا عليهم بعد ان اوحي الله اليه
انه لن يومن من قومك الا من قد امن فاجاب الله دعوته واغرق امته
وهذا كقول النبي صلي الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب

اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعايه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا
علي كتفه فمر بنوح فقال يا بني احذر هذا فانه يضلك فقال يا ابه انزلني
فانزله فرماه بحجر فشجه فحينيذ غضب ودعا عليهم وقال محمد بن كعب
ومقاتل والربيع وعطيه وابن زيد انما قال هذا حين اخرج الله كل مومن من اصلابهم
وارحام نسايهم واعقم ارحام النسا واصلاب الرجال قبل العذاب بسبعين
سنه وقيل باربعين قال قتاده ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب وقال
الحسن وابو العاليه لو اهلك الله اطفالهم معهم وذرياتهم بغير عذابهم ثم اهلكهم
بالعذاب بدليل قوله تعالي وقوم نوح لما كذبوا الرسل الثانيه
قال ابن العربي دعا نوح علي الكافرين اجمعين ودعا النبي صلي الله عليه وسلم
علي من تحزب علي المومنين والب عليهم وكان هذا اصلا في الدعا علي الكافرين
في الجمله فاما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعا عليه لان ماله عندنا مجهول
وربما كان عند الله معلوم الخاتمه بالسعاده وانما خص النبي صلي الله عليه
وسلم بالدعا عتبه وشيبه واصحابه لعلمه بمالهم وما كشف له
من الغطا عن حالهم والله اعلم قلت قد مضت هذه المساله مجرده
في سوره البقره والحمد لله الثالثه قال ابن العربي ان قيل لم جعل نوح
دعوته علي قومه سببا لتوقفه علي طلب الشفاعه للخلق من الله في الاخره
قلنا قال الناس في ذلك وجهين احدهما ان تلك الدعوه نشات عن
غضب وقسوه والشفاعه تكون عن رضي ورقه فخاف ان يعاتب بها
ويقال دعوت علي الكفار بالامس وتشفع لهم اليوم والثاني انه دعا
غضبا بغير نص ولا اذن صريح في ذلك فخاف الدرك فيه الي يوم القيمه
كما قال موسي عليه السلام اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها وبهذا اقول

من بعد ان اسلم [illegible] ... منهم

قلت وان كان لم يومر بالدعا نصًا فقد قيل له انه لن يومن من قومك
الا من قد امن فاعلم عواقبهم فدعا بالهلاك كما دعا نبينا عليه السلام على
شيبه وعتبه ونظرايهم فقال اللهم عليك بهم لما اعلم عواقبهم وعلى هذا
يكون فيه معنى الامر بالدعا والله اعلم الرابعه قوله تعالى ديارا اي
من يسكن الديار قاله السدي واصله ديوار على فيعال من دار يدور
فقلبت الواو يا وادغمت احداها في الاخرى مثل القيام اصله قيوام ولو
كان فعالا لكان دوارا وقال القتبي اصله من الدار نازل بالدار
يقال ما بالدار ديار وقيل الديار صاحب الدار قوله تعالى رب اغفر
لي ولوالدي دعا لنفسه ولوالديه وكانا مومنين وهو لامك بن متوشلخ وامه
شمخا بنت انوش ذكره القشيري والثعلبي وحكى الماوردي في اسم امه
منجل وقال سعيد بن جبير اراد بوالديه اباه وجده وقرا سعيد
ابن جبير ولوالدي بكسر الدال على الواحد قال الكلبي كان بينه وبين ادم عشرة ابا
كلهم مومن وقال ابن عباس لم يكفر لنوح والد فيما بينه وبين
ادم عليهما السلام ۞ ولمن دخل بيتي مومنا اي مسجدي ومصلاي
مصليا مصدقا بالله وكان انما يدخل بيوت الانبيا من امن منهم فجعل
المسجد سببا للدعا بالمغفره وقد قال صلى الله عليه وسلم الملايكه تصلي
على احدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه ما لم يحدث فيه تقول اللهم
اغفر له اللهم ارحمه الحديث وقد تقدم وهذا قول ابن عباس بيتي مسجدي
حكاه الثعلبي وقاله الضحاك ايضا ولمن دخل ديني قال بيتي يعني
الدين حكاه القشيري وقاله جويبر وعن ابن عباس ايضا يعني
صديقي الداخل الي منزلي حكاه الماوردي وقيل اراد داري وقيل
اراد سفينتي وللمومنين والمومنات عامه الى يوم القيمه قاله الضحاك

وقال الكلبي من امه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول اظهر
ولا تزد الظالمين الا الكافرين فهي عامه في كل كافر ومشرك وقيل اراد
مشركي قومه والتبار الهلاك وقيل الخسران حكاهما السدي ومنه
قوله تعالى ان هولا متبر ما هم فيه وقيل التبار الدمار والمعنى واحد

سوره الجن مكيه

في قول الجميع وهي ثمان وعشرون ايه ۞ بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فيه خمس مسايل الاولى قوله
تعالى قل اوحي الي اي قل يا محمد لامتك اوحى الله الي على لسان جبريل انه استمع
الي نفر من الجن وما كان عليه السلام عالما به قبل ان اوحي اليه هكذا
قال ابن عباس وغيره على ما ياتي وقرا ابن ابي عبله وحي على الاصل يقال اوحي
اليه ووحي فقلبت الواو همزه ومنه قوله تعالى واذا الرسل اقتت وهو من
القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومه وقد اطلقه المازني في المكسوره
ايضا كاشاح واساده واعا اخيه الثانيه واختلف هل راهم
النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فظاهر القران يدل على انه لم يرهم لقوله تعالى
استمع وقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وفي
صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال ما قرا رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم على الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم في طايفه من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين
الشياطين وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى
قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا
الشهب قالوا ما ذاك الا من شي حدث فاضربوا مشارق الارض
ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فانطلقوا

[بالنبي عليه السلام]
يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو
بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا
القرآن استمعوا له فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم
فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا
احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن
زاد الترمذي عن ابن عباس قال قول الجن لقومهم لما قام عبد الله يدعوه
كادوا يكونون عليه لبدا قال لما راوه يصلي وراوا اصحابه يصلون بصلاته
ويسجدون معه تعجبوا من طواعية اصحابه له قالوا لقومهم لما قام عبد الله
يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا هذا حديث حسن صحيح ففي هذا الحديث دليل
على انه عليه السلام لم ير الجن ولكن حضروه وسمعوا قراته وفيه
دليل على ان الجن كانوا مع الشياطين حين تجسسوا الخبر بسبب الشياطين لما
رموا بالشهب وكان المومنون بالشهب من الجن ايضا وقيل لهم شياطين
كما قال شياطين الانس والجن فان الشياطين كل متمرد خارج من طاعة الله
وفي الترمذي عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السما يستمعون الوحي
فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما
ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا
مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك قال
لهم ابليس ما يكون هذا الامر الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده
فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما يصلي بين جبلين اراه قال
بمكة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض
هذا حديث حسن صحيح وفي هذا الحديث على ان الجن رموا كما رميت الشياطين

[حديث م]

وفي رواية السدي انهم لما رموا اتوا ابليس فاخبروه بما كان من امرهم فقال
ايتوني من كل ارض بقبضة من تراب اشمها فاتوه فشم فقال
صاحبكم بمكة فبعث نفرا من الجن قيل كانوا سبعة وقيل تسعة منهم
زوبعة وروى عاصم عن زر قال قدم رهط زوبعة واصحابه على النبي صلى الله
عليه وسلم وقال الثمالي بلغني انهم من بني الشيصبان وهم اكثر
الجن عددا واقواهم شوكة وهم عامة جنود ابليس وروى ايضا عاصم عن
زر انهم كانوا سبعة ثلثة من اهل حران واربعة من اهل نصيبين وحكى
جويبر عن الضحاك انهم كانوا تسعة من اهل نصيبين قرية باليمن غير التي
بالعراق وقيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه
بنخلة جن نينوى وقد مضى بيان هذا في سورة الاحقاف قال عكرمة
والسورة التي كان يقراوها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك وقد
مضى في سورة الاحقاف التعريف باسم النفر من الجن فلا معنى لاعادة
ذلك وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم راى الجن ليلة الجن وهو اثبت
روى عامر الشعبي قال سالت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع [اراد الجن]
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال علقمة انا سالت ابن مسعود
فقلت هل شهد احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال لا ولكنا
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في
الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات
بها قوم فلما اصبح اذا هو جاء من قبل حرا فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك
فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت
معه فقرات عليهم القران فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم
وسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه

ينبغي في ايديكم اوفر ما يكون لحمًا وكل بعرة علف لدوابكم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم قال
ابن العربي وابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس
سمعه وليس الخبر كالمعاينة وقد قيل ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
دفعتين احدهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة
وهي التي ذكرها ابن عباس قال البيهقي الذي حكاه عبد الله بن عباس
انما هو في اول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله وفي
ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما حكاه ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب
معه وقرا عليهم القرآن كما حكاه ابن مسعود قال البيهقي والاحاديث
الصحاح تدل على ان ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
وانما سار معه حين انطلق به وبغيره يريه اثار الجن واثار نيرانهم
قال وقد روي من غير وجه انه كان معه وقد مضى هذا المعنى في سورة
الاحقاف والحمد لله روي عن ابن عباس مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال
الثانية ثم قال الثالثة فقال عبد الله بن مسعود انا اذهب معك
يا رسول الله فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب ابي دب خط علي خطا
فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدر عليه امثال الحجل يحدرون الحجارة
باقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه
فلا اراه فقمت فاوما الي بيده ان اجلس فتلا القرآن فلم يزل صوته
يرتفع ولصقوا بالارض حتى ما اراهم فلما انفتل الي قال اردت ان تاتيني
قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك هؤلاء الجن اتوا يستمعون القرآن

ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا
يستطيبن احدكم بعظم ولا بعر قال عكرمة وكانوا اثني عشر الفا
من جزيرة الموصل وفي رواية انطلق بي عليه السلام حتى اذا جينا عند المسجد
الذي عند حائط عوف خط لي خطا فاتاه نفر منهم فقال اصحابنا كانهم رجال
الزط وكان وجوههم المكاكي فقالوا ما انت قال انا نبي الله قالوا فمن يشهد
لك على ذلك قال هذه الشجرة فقال لها تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها
قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال لها بماذا تشهدين قالت اشهد انك رسول الله
ورجعت كما جاءت تجر بعروقها الحجارة لها قعاقع حتى عادت كما كانت ثم
روي انه عليه السلام لما فرغ وضع راسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم
استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الا ان معي اداوة فيها نبيذ فقال
هل هو الا تمر وماء فتوضا به الثالثة قد مضى الكلام في الماء في سورة
الحج وما يستنجى به في سورة براءة فلا معنى للاعادة الرابعة واختلف
اهل العلم في اصل الجن فروى اسماعيل عن الحسن البصري ان الجن
ولد ابليس والانس ولد ادم ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون
وهم شركاء في الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله
ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان وروى الضحاك
عن ابن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين وهم مؤمنون
ومنهم المؤمن ومنهم الكافر والشياطين هم ولد ابليس لا يموتون الا مع
ابليس واختلفوا في دخول مؤمني الجن الجنة على حسب الاختلاف في اصلهم
فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة باعمالهم

ومن قال انهم من ذرية ابليس فلهم فيه قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها
الثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها ويصيرون الى النار حكاه
الماوردي وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان بيان انهم يدخلونها الخامسة قال البيهقي في روايته
وسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لكم كل عظم دليل على انهم
ياكلون ويطعمون وقد انكر جماعة من كفرة الاطبا والفلاسفة
الجن وقالوا انها بسائط ولا يصح طعامهم اجترا على الله وافترا والقران والسنة
ترد عليهم وليس في المخلوقات بسيط مركب مزدوج انما الواحد الواحد
سبحانه وغيره مركب ليس بواحد كيفما تصرف حاله وليس يمتنع ان يراهم
النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم كما يرى الملائكة واكثر ما يتصورون
لنا في صور الحيات ففي الموطا ان رجلا حديث عهد بعرس استاذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار ان يرجع الى اهله الحديث
وفيه فاذا حية عظيمة منطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها وذكر
الحديث وفي الصحيح انه عليه السلام قال ان لهذه البيوت عوامر فاذا
رايتم منها شيا فحرجوا عليها ثلثا فان ذهب والا فاقتلوه وقد مضى في
البقرة بيان التحريج عليهن وقد ذهب قوم الى ان ذلك مخصوص بالمدينة
لقوله في الصحيح ان بالمدينة جنا قد اسلموا وهذا لفظ مختص بها مختص
بحكمها قلنا هذا يدل على ان غيرها من البيوت مثلها لانه لم يعلل
بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مختصا بها وانما علل بالاسلام
وذلك عام في غيرها الا ترى قوله في الحديث مخبرا عن الجن الذي لقي وكانوا من
جن الجزيرة وهذا بين يعضده قوله ونهى عن عوامر البيوت وهذا عام
وقد مضى في سورة البقرة القول في هذا فلا معنى للاعادة **قوله تعالى**
فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا اي في فصاحة كلامه قيل عجبا في

عظم بركته وقيل قرانا عزيزا لا يوجد مثله وقيل يعنون عظيما
يهدي الى الرشد اي الى مراشد الامور وقيل الى معرفة الله تعالى
ويهدي في موضع الصفة اي هاديا فامنا به اي فاهتدينا به وصدقنا
انه من عند الله ولن نشرك بربنا احدا اي لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه
لانه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر ثم رمي الجن بالشهب وقيل لا نتخذ مع
الله الها اخر لانه المتفرد بالربوبية وفي هذا تعجيب المؤمنين بذهاب
مشركي قريش عما ادركته الجن بتدبرها القران وقوله تعالى
استمع نفر من الجن اي استمعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فعلموا انما
يقروه كتاب الله ولم يذكر المستمع اليه لدلالة الحال عليه والنفر الرهط
قال الخليل ما بين ثلثة الى عشرة وقرا عيسى الثقفي يهدي
الى الرشد بفتح الرا والشين **قوله تعالى** وانه تعالى جد ربنا قرا
علقمة ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف وحفص
والسلمي ينصبون ان في جميع السورة في اثنى عشر موضعا وهو وانه تعالى
جد ربنا وانه كان يقول وانا ظننا وانه كان رجال وانهم ظنوا وانا
لمسنا وانا كنا نقعد وانا لا ندري وانا منا الصالحون وانا ظننا ان لن
نعجز الله في الارض وانا لما سمعنا الهدى وانا منا المسلمون عطفا على
قوله تعالى انه استمع نفر وانه استمع لا يجوز فيه الا الفتح لانها في
موضع اسم فاعل اوحي فما بعده معطوف عليه وقيل هو محمول على الهاء
في امنا به اي وبانه تعالى جد ربنا وجاز ذلك وهو مضمر مجرور لكثرة
حذف الجار مع ان وقيل المعنى اي وصدقنا انه جد ربنا وقرا الباقون
كلها بالكسر وهو الصواب واختاره ابو عبيد وابو حاتم عطفا
على قوله فقالوا انا سمعنا لانه كله من كلام الجن واما ابو جعفر

وشبيه فاهما فتحا ثلثه مواضع وهي في قوله تعالى جد ربنا وانه كان
يقول وانه كان رجال قالا لانه من الوحي وكسرا ما بقي لانه من كلام
الجن واما قوله تعالى وانه لما قام عبد الله فكلهم فتحوا الا نافعا
وشبيه وزر ابن حبيش وابو بكر والمفضل عن عاصم فانهم كسروا ولا خلاف
ولا خلاف في همزة انه استمع نفر وان لو استقاموا وان المساجد لله
وان فتحا بالعطف وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد القول نحو قوله فقالوا انا
سمعنا وقال انما ادعو ربي وقل ان ادري وقل اني لا املك وكذلك لا خلاف
في كسر ما كان بعد فا الجزا نحو قوله تعالى فان له نار جهنم وفانه يسلك من
بين يديه لانه موضع ابتدا قوله تعالى جد ربنا الجد في اللغة العظمة
والجلال ومنه قول انس كان الرجل اذا حفظ البقرة وال عمران جد في
عيوننا اي عظم وجل لمعنى جد ربنا اي عظمته وجلاله قاله عكرمه
ومجاهد وقتاده وعن مجاهد ايضا ذكره وقال انس بن مالك والحسن
وعكرمه ايضا غناه ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود اي محظوظ وفي
الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد والخليل اي ذي
الغني منك غناه انما ينفعه الطاعه وقال ابن عباس قدرته قال
الضحاك فعله وقال القرظي والضحاك ايضا الاوه ونعمه على خلقه وقال
ابو عبيده والاخفش ملكه وسلطانه وقال السدي امره وقال سعيد
ابن جبير وانه تعالى جد ربنا اي تعالى ربنا وقيل انهم عنوا بذلك الجد الذي
هو اب الاب ويكون هذا من قول الجن وقال محمد بن علي بن الحسين
وابنه جعفر الصادق والربيع ليس لله تعالى جد وانما قالته الجن للجهالة
فلم يواخذوا به وقال القشيري ويجوز لفظ الجد في حق الله تعالى
اذ لو لم يجز لما ذكر في القران غير انه لفظ مبهم فتجنبه اولى وقرا
عكرمه جد بكسر الجيم على ضد الهزل وكذلك قرا

ابو حيوة ومحمد بن السميفع ويروى عن ابن السميفع ايضا وابي الاشهب
جدًّا بالتنوين ربنا بالرفع على انه مرفوع بتعالى وجدا منصوب على التمييز
وعن عكرمه ايضا جد بالتنوين والرفع ربُّنا بالرفع على تقدير تعالى
جد ربنا فجد الثاني بدل من الاول وحذف واقيم المضاف اليه مقامه
ومعنى الايه وانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ ولدا او صاحبه للاستيناس
بهما او الحاجه اليهما والرب يتعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد
والنظرا قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا الهاء في
انه للامر او الحديث وفي كان اسمها وما بعدها الخبر ويجوز ان تكون كان
زايده والسفيه هنا ابليس في قول مجاهد وابن جريج وقتاده ورواه
ابو برده بن ابي موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المشركون
من الجن قال قتاده عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الانس والشطط
والاشتطاط الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي
هو الكذب واصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده من العدل وعن
الكذب لبعده عن الصدق وقال الشاعر

بايه حال حكموا فيك فاشتطوا وما ذاك الا حيث يممك الوخط

قوله تعالى وانا ظننا اي حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
فلذلك صدقناهم في ان لله صاحبه وولدا حتى سمعنا القران وتبينا به
الحق وقرا يعقوب والجحدري وابن ابي اسحق ان لن تقول وقيل
انقطع الاخبار عن الجن ههنا فقال الله وانه كان رجال من الانس
فمن فتح وجعله من قول الجن ردها الى قوله انه استمع نفر ومن كسر
جعلها مبتدا من قول الله عز وجل والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول
الرجل اذا نزل بواد اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفها قومه

فبيت في جواره حتى يصبح قاله الحسن وابن زيد وغيرهما قال مقاتل كان اول
من تعوذ بالجن قوما من اهل اليمن ثم من بني حنيفه ثم فشا ذلك في العرب
فلما جا الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وقال كردم بن ابي السايب خرجت مع ابي
الى المدينه اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف
الليل جا ذيب فحمل حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك فنادى
مناد يا سرحان ارسله فيشتد وانزل الله تعالى على رسوله بمكه وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم اي زاد الجن الانس
رهقا اي خطيه واثما قال ابن عباس ومجاهد الرهق الاثم في كلام العرب
وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى
وترهقهم ذله قال الاعشى

لا شي ينفعني من دون رويتها هل يشتفي عاشق ما لم يصب رهقا

يعني اثما واضيف الزياده الى الجن اذ كانوا سببا لها وقال مجاهد ايضا
زادوهم اي ان الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الانس سدنا
الانس والجن وقال قتاده ايضا وابو العاليه والربيع بن زيد ازداد الانس
بهذا فرقا وخوفا من الجن وقال سعيد بن جبير كفرا ولا خفا ان
الاستعاذه بالجن دون الاستعاذه بالله كفر وشرك وقيل لا ينطلق لفظ
الرجال على الجن والمعنى انه كان رجال من الانس يعوذون من شر الجن
برجال من الانس وكان الرجل من الانس يقول مثلا اعوذ بحذيفه بن بدر
من جن هذا الوادي قال القشيري وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق
لفظ الرجال على الجن قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا هذا
من قول الله تعالى للانس اي وان الجن ظنوا ان لن يبعث الله الخلق
كما ظننتم قال الكلبي المعنى ظنت الجن كما ظنت الانس

ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجه عليهم وكل هذا توكيد
للحجه على قريش اي اذا امن هولاي الجن بمحمد فانتم احق بذلك قوله تعالى
وانا لمسنا السما من قول الجن اي طلبنا خبرها كما جرت عادتنا فوجدناها
قد ملیت حرسا شديدا اي حفظه يعني الملايكه والحرس جمع حارس
وشهبا جمع شهاب وهو انقضاض الكواكب المحرقه لهم على استراق
السمع وقد مضى القول فيه في سوره الحجر والصافات ووجدنا يكون تقدير
متعديا الى مفعولين فالاول الها والالف وملیت في موضع المفعول الثاني
ويجوز ان يتعدى الى مفعول واحد ويكون ملیت في موضع الحال
على اضمار قد وحرسا نصب على المفعول الثاني لملیت وشديدا من
نعت الحرس اي ملیت ملايكه شدادا ووحد الشديد على لفظ الحرس وهو
كما يقال السلف الصالح بمعنى الصالحين وجمع السلف اسلاف وجمع الحرس
احراس وقال تجاوزت احراسا واهوال معشر
ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسه شديده قوله تعالى
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا منها اي
السما ومقاعد مواضع يقعد في مثلها لاستماع الاخبار من السما يعني ان
مرده الجن كانوا يفعلون ذلك يستمعون من الملايكه اخبار السما حتى
يلقوها الى الكهنه على ما تقدم بيانه فحرسها الله تعالى حين بعث
رسوله صلى الله عليه وسلم بالشهب المحرقه فقالت الجن حينيذ فمن
يستمع الان يجد له شهابا رصدا يعني بالشهاب الكوكب المحرق
وقد تقدم بيان ذلك ويقال لم يكن انقضاض الكواكب الا بعد مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ايه من اياته واختلف السلف هل كانت

الشياطين تقذف قبل المبعث او كان ذلك امرا حدث لمبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال الكلبي وقال قوم لم تكن تحرس السما في الفتره بين عيسى ومحمد
صلى الله عليهما وسلم خمسمايه عام وانما كان ذلك من اجل بعثه النبي
صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات
كلها وحرست بالملايكه والشهب قلت ورواه عطيه العوفي
عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي نبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب وقال
عبد الملك بن سابور لم تكن السما تحرس في الفتره بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما
وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السما ورميت الشياطين
بالشهب ومنعت عن الدنو من السما وقال نافع بن جبير كانت الشياطين في
الفتره تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب
ونحوه عن ابي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى صلى الله عليه وسلم حتى
نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها وقيل كان ذلك قبل المبعث
وانما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انذارا بحاله وهو معنى
قوله تعالى ملئت اي زيد في حرسها وقال اوس بن حجر
وهو جاهلي

فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا

وهذا قول الاكثرين وقد انكر الجاحظ هذا البيت
وقال كل شعر روي فيه فهو مصنوع وان الرمي لم يكن قبل
المبعث وانما زادت بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم والقول بالرمي
اصح لقوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وهذا
اخبار عن الجن انه زيد في حرس السما حتى امتلات منها ومنهم ولما روي

ابن عباس قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من اصحابه
اذ رمي بنجم فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهليه فقالوا كنا
نقول يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت احد
ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السما سبح
حملة العرش ثم سبح اهل كل سما حتى ينتهي ثم ينتهي التسبيح الى هذه السما
ويستخبر اهل السما حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سما حتى
ينتهي الخبر الى هذه السما ويخطفه الجن فيرمون فما جاوا به فهو حق ولكنهم
يزيدون فيه وهذا يدل على ان الرجم كان قبل المبعث وروى الزهري
نحوه عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب عن ابن عباس وفي اخره قال
الزهري اكان يرمى في الجاهليه قال نعم قلت افرايت قوله سبحانه وانا
كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا قال
غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قال
القتبي قال ابن قتيبه كان ولكن اشتدت الحراسه بعد المبعث وكانوا
من قبل يسترقون ويرمون في بعض الاحوال فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
منعت من ذلك اصلا وقد تقدم في سوره الصافات عند قوله تعالى
ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب قال الحافظ
فلو قال قايل كيف يتعرض الجن لاحراق نفسها بسبب سماع خبر بعد
ان صار ذلك معلوما لهم فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم
المحنه كما ينسى ابليس في كل وقت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك
اللعنه الى يوم الدين ولولا هذا لما تحقق التكليف والرصد قيل من الملايكه
اي ورصدا من الملايكه والرصد الحافظ للشي والجمع ارصاد
وفي غير هذا الموضع يجوز ان يكون جمعا كالحرس والواحد

راصدا وقيل الرصد هو الشهاب اي شهابا قد ارصد له ليرجم به وهو فعل
بمعنى مفعول كالخبط والنفض قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في
الارض ام بهذا الحرس الذي حرست بهم السما ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا قال ابن
زيد قال ابليس لا ندري هل اراد الله بهذا المنع ان ينزل على اهل
الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان يستمعوا
قراة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد
اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم ام اراد
ان يومنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان
عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراته علموا انهم منعوا
من السما حراسة للوحي وقيل لا بل هذا قول قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا
اليهم منذرين اي لما امنوا اشفقوا ان لا يومن كثير من اهل الارض فقالوا
انا لا ندري ايكفر اهل الارض بما امنا به او يومنون قوله تعالى وانا
منا الصالحون ومنا دون ذلك هذا من قول الجن اي قال بعضهم لبعض لما
دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وانا كنا قبل استماع
القران منا الصالحون ومنا الكافرون وقيل ومنا دون ذلك اي ومن
دون الصالحين في الصلاح وهو اشبه من حمله على الايمان والشرك كنا طرايق
قددا اي فرقا شتى قاله السدي قال الضحاك اديانا مختلفة وقال قتاده
اهوا متباينه ومنه قول الشاعر

القابض الباسط الهادي بطاعته في فتنة الناس اذ اهواهم قددُ

والمعنى اي لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين منهم كفار
ومنهم مومنين صلحا ومنهم مومنين غير صلحا وقال المسيب كنا
مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وقال السدي في قوله تعالى

طرايق قددا قال في الجن مثلكم قدرية ومرجية وخوارج ورافضة وشيعة
وقال قوم اي وانا بعد استماع القران مختلفون منا المومنون ومنا الكافرون
ومنا الصالحون اي ومنا المومنون لم يتناهوا في الصلاح والاول احسن
لانه كان في الجن من امن بموسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم وقد اخبر الله عنهم انهم
قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على
ايمان قوم منهم بالتوراة وكان هذا مبالغة منهم في دعا من دعاهم الى الايمان
وايضا لا فايده في قولهم نحن الان منقسمين الى مومنين والى كافرين والطرايق جمع
طريقه وهي مذهب الرجل اي كنا فرقا مختلفة ويقال القوم طرايق
اي على مذاهب شتى والقدد نحو من الطرايق وهو تاكيد لها واحدها قده
يقال لكل طريق قده واصلها من قد السيور وهو قطعها قال
لبيد يرثي اخاه

لم تبلغ العين كل نهمتها يوم تمشي الجياد بالقدد

وقال الاخر

ولقد قلت وزيد حاسر يوم ولت خيل عمرو قددا

والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ماله قد ولا قحف فالقد
انا من جلد والقحف من خشب قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض
الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله تعالى انا ظننا
ان لن تقول الانس وانهم ظنوا اي علمنا بالاستدلال والتفكر في ايات
الله انا في قبضته وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره وهربا مصدر
في موضع الحال اي هاربين قوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى يعني القران
امنا به وبالله وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته وكان
صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس والجن قال الحسن بعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله قط رسولا من الجن ولا من اهل

بلغ
بالمعنى

البادية ولا من الجن وذلك قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي
اليهم من اهل القرى وقد تقدم هذا المعنى في الصحيح وبعثت الى الاحمر
والاسود اي الانس والجن ٥ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته
لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم قال الاعشى

لا شي ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا

الوامق المحب وقد ومقه يمقه بالكسر اي احبه فهو وامق قوله حكاه
لله تعالى عن الجن لقوة ايمانهم وصحة اسلامهم وقراءة العامة فلا يخاف
رفعا على تقدير فانه لا يخاف وقرا الاعمش ويحيى وابراهيم فلا يخف جزما
على جواب الشرط والغاء الفا قوله تعالى وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون اي وانا بعد استماع القرآن مختلفون فمنا من اسلم ومنا من
كفر والقاسط الجائر لانه عادل عن الحق وقسط اذا جار واقسط اذا عدل
قال الشاعر

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمرا وهم قسطوا على النعمان

فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه ومنه
تحري القبلة ٥ واما القاسطون اي الجائرون عن الحق والايمان
فكانوا لجهنم حطبا اي وقودا وقوله فكانوا اي في علم الله تعالى
قوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة هذا من قول الله تعالى اي لو
امن هولاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وهذا
محمول على الوحي اي اوحي الي ان لو استقاموا ذكر ابن بحر كل ما في هذه السورة
من ان المكسورة المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين سمعوا القرآن
ورجعوا الى قومهم منذرين وكل ما فيها من ان المفتوحة المخففة

فهي وحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن الانباري ومن كسر
الحروف وفتح وان لو استقاموا اضمر يمينا تاما تاويلها والله ان لو استقاموا
على الطريقة كما يقال في الكلام والله ان قمت لقمت والله لو قمت قمت
قال الشاعر

اما والله ان لو كنت حرا وما بالحر انت ولا العتيق

ومن فتح ما قبل المخففة نسقها اعني الخفيفة على اوحي الي انه وان لو
استقاموا او على آمنا به وبان لو استقاموا ويجوز لمن كسر الحروف كلها
الا ان المخففة ان تعطف المخففة على اوحي الي او على آمنا به ويستغني
عن اضمار اليمين وقراءة العامة بكسر الواو من لو لالتقاء الساكنين
وقرا ابن وثاب والاعمش بضم الواو وماء غدقا اي واسعا كثيرا وكانوا
قد حبس عنهم المطر سبع سنين يقال غدقت العين تغدق فهي غدقة
اذا كثر ماؤها وقيل المراد الخلق كلهم اي لو استقاموا على
الطريقة طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين
لاسقيناهم ماء غدقا اي كثيرا لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم
فيه على تلك النعم وقال عمر في هذه الآية اينما كان الماء كان
المال واينما كان المال كانت الفتنة فمعنى لاسقيناهم لوسعنا
عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلا لان الخير والرزق
كله بالمطر يكون فاقيم مقامه كقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقوله تعالى ولو
انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من
فوقهم ومن تحت ارجلهم اي بالمطر والله اعلم وقال
سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل وعطية

وعبيد بن عمير والحسن كان والله اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سامعين
مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي فقتنوا بها فوثبوا
بامامهم فقتلوه يعني عثمان وقال الكلبي وغيره ولن لو استقاموا على
الطريقة التي هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لاوسعنا عليهم ارزاقهم
مكرا بهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا فيعذبهم بها في الدنيا والاخرة وهذا
قول قاله الربيع بن انس وزيد بن اسلم وابنه والكلبي والثمالي ويمان
ابن رباب وابن كيسان وابو مجلز واستدلوا بقوله تعالى فلما نسوا ما
ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية وقوله تعالى ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية
والاول اشبه لان الطريقة معرفة بالالف واللام فالاوجب ان تكون
طريقة الهدى وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم
من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا قال بركات الارض وذكر
الحديث وقال عليه السلام فوالله ما الفقر اخشى عليكم ان تبسط
عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها الذين قبلكم فتهلككم كما
اهلكتهم **قوله تعالى** ومن يعرض عن ذكر ربه يعني القران قاله
ابن زيد وفي اعراضه عنه وجهان احدهما عن القبول ان قيل
انها في اهل الكفر الثاني عن العمل ان قيل انها في المومنين وقيل ومن
يعرض عن ذكر ربه اي لم يشكره نسلكه عذابا صعدا قرا الكوفيون وابن
عباس عن الجحدري يسلكه بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم
ان ذكر اسم الله اولا فقال ومن يعرض عن ذكر ربه
الباقون نسلكه بالنون وروي عن مسلم بن جندب بضم

النون وكسر اللام وكذلك قرا طلحة والاعرج وهما لغتان نسلكه
واسلكه بمعنى اي ندخله عذابا صعدا اي شاقا شديدا قال
ابن عباس هو جبل في جهنم كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن ابن
عباس ان المعنى مشقة من العذاب وذلك معلوم في اللغة ان الصعد
المشقة تقول تصعدني الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر ما تصعدني
شيء ما تصعدتني خطبة النكاح اي ما شق علي وعذاب صعد اي
شديد والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به
العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه وقال ابو
عبيدة الصعد مصدر اي عذابا ذا صعد والمشي في الصعود يشق
والصعود العقبة الكؤود وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم
يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم وقال
الكلبي يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء
يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ اعلاها
ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف
ايضا صعودها وذلك دابه ابدا وهو قوله تعالى سارهقه
صعودا **قوله تعالى** وان المساجد لله فيه ست مسايل الاولى قوله
تعالى وان المساجد لله ان بالفتح قيل هو مردود الى قوله تعالى قل اوحي اليه
اي ان المساجد لله وقال الخليل اي لان المساجد لله والمراد البيوت
التي تبنيها اهل الملل للعبادة وقال سعيد بن جبير قالت الجن كيف
لنا ان ناتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناوون عنك فنزلت
وان المساجد لله اي بنيت لذكر الله وطاعته وقال الحسن اراد بها
كل البقاع لان الارض كلها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم يقول اين ما كنتم

فصلوا فاين ما صليتم فهو مسجد وفي الصحيح وجعلت لي الارض
كلها مسجدا وطهورا وقال سعيد بن المسيب اراد بالمساجد الاعضا
التي يسجد عليها العبد وهي القدمان والركبتان واليدان والوجه يقول
هذه الاعضا انعم الله بها عليك فلا تسجد لغيره بها فتجحد نعمة الله وقال
عطا مساجدك اعضاوك التي امرت ان تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها
وفي الصحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد
على سبعة اعظم الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين
واطراف القدمين وقال العباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وقيل المساجد المواضع فواحدها
مسجد بكسر الجيم ويقال بالفتح حكاه الفرا فان جعلتها الاعضا فواحدها
مسجد بفتح الجيم وقيل هو جمع مسجد وهو السجود يقال سجدت سجودا ومسجدا
كما تقول ضربت في الارض ضربا ومضربا بالفتح اذا سرت في ابتغا
الرزق وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي
القبلة وسميت مكة المساجد لان كل احد يسجد اليها والقول
الاول اظهر هذه الاقوال ان شا الله وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
الثانية قوله تعالى لله اضافة تشريف وتكريم
ثم خص بالذكر منها البيت العتيق فقال وطهر بيتي وقال عليه السلام
لا تعمل المطي الا الى ثلثة مساجد الحديث خرجه الايمة وقد مضى الكلام
فيه وقال عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما
سواه الا المسجد الحرام قال ابن العربي وقد روي من طريق لا باس بها
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة
فيما سواه الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي

هذا ولو صح هذا لكان نصا قلت هو صحيح بنقل العدل عن
العدل حسب ما بيناه في سورة ابرهيم الثالثة المساجد وان
كانت لله ملكا وتشريفا فانها قد تنسب الى غيره تعريفا فيقال
مسجد فلان وفي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل
التي اضمرت من الحفيا وامدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التي لم
تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق وتكون هذه الاضافة بحكم
المحلية كانها في قبلتهم وقد تكون بتحبيسهم ولا خلاف بين الامة في
تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك
الرابعة مع ان المساجد لله لا يذكر فيها الا الله فانه تجوز
القسمة فيها للاموال ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك
بين المساكين وكل من جا اكل ويجوز حبس الغريم فيها وربط الاسير
والنوم فيه وسكنى المريض فيه وفتح الباب للجار اليه وانشاد
الشعر فيه اذا عري عن الباطل وقد مضى هذا كله مبينا في سورة براة
والنور وغيرها الخامسة قوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا
هذا توبيخ للمشركين في دعاهم مع الله غيره في المسجد الحرام وقال
مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله
فامر الله نبيه والمومنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد
كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا
المساجد لذكر الله ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا ولا طرقا ولا تجعلوا
لغير الله فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك
وان المساجد لم تبن لهذا وقد مضى في سورة النور ما فيه كفاية من احكام
المساجد والحمد لله السادسة روى الضحاك عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى

وقال وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا اللهم عبدك وزائرك
وعلى كل مزور حق وانت خير مزور فاسلك برحمتك ان تفك رقبتي
من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب علي
الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل
لي في الارض صبا **قوله تعالى** وانه لما قام عبد الله يدعوه يجوز الفتح
اي اوحي اليه انه ويجوز الكسر على الاستيناف وعبد الله هنا محمد صلى الله
عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخله ويقرا القران حسب ما تقدم اول
السوره يدعوه اي يعبده وقال ابن جريج يدعوا اي قام اليهم داعيا
الى الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا قال الزبير بن العوام هم الجن حين
استمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم اي كاد يركب بعضهم بعضا ازدحاما
ويسقطون حرصا على سماع القران وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله
الضحاك قال ابن عباس رغبة في سماع الذكر وروى برد عن مكحول
ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليله وكانوا سبعين
الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن عباس ايضا
ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما راوا من طاعة اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع والسجود وقيل المعنى
كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلى الله عليه وسلم
وقال الحسن وقتاده وابن زيد يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوه
تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره
ويتم نوره واختار الطبري ان يكون المعنى كادت العرب يجتمعون
على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على اطفا النور الذي جا به
وقال مجاهد قوله لبدا جماعات وهو من تلبد الشي على الشي اي تجمع

ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه وكل شي الصقته الصاقا شديدا فقد
لبدته وجمع اللبده لبد مثل قربه وقرب ويقال للشعر الذي على ظهر الاسد لبده
وجمعها لبد قال زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم

ويقال للجراد الكثير لبد وفيه اربع لغات وقرات فتح الباء وكسر اللام
وهي قراه العامه وضم اللام وفتح الباء وهي قراه مجاهد وابن محيصن وهشام
عن اهل الشام واحدتها لبده وبضم اللام والباء وهي قراه ابن حيوه ومحمد
ابن السميفع وابي الاشهب العقيلي والجحدري واحدها لبد مثل سقف وسقف
ورهن ورهن وبضم اللام وشد الباء وفتحها وهي قراه الحسن وابي العاليه
والاعرج والجحدري ايضا واحدها لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد
وقيل اللبد بضم اللام وفتح الباء الشي الدايم ومنه قيل لنسر لقمان لبد لدوامه
وبقائه قال النابغه

اخنى عليها الذي اخنى على لبد

قال القشيري وقري لبدا بضم اللام والباء وهو جمع لبيد وهو
الجوالق وفي الصحاح واهلكت مالا لبدا اي جما ويقال ايضا الناس لبد اي
مجتمعون واللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر

من امري ذي سماح لا تزال له بزلا يعيا بها الجثامه اللبد

ويروى اللبد قال ابو عبيده وهو اشبه ولبد اخر نسور لقمان
وهو ينصرف لانه ليس بمعدول وتزعم العرب ان لقمان هو الذي بعثته
عاد في وفدها الى الحرم يستسقي لها فلما اهلكوا خير لقمان بين بقا سبع بقرات
سمان في جبل وعر لا يمسها القطر وبقا سبعه انسر كلما هلك نسر خلف
بعده نسر فاختار النسور وكان اخر نسوره لبدا وقد ذكرته

الشعر قال النابغه

اصبحت خلاء وامسى اهلها احتملوا اخنى عليها الذي اخنى على لبد

واللبد لجوالق الصغير يقال البدته لقربه جعلتها في لبد ولبيد اسم
شاعر من بني عامر **قوله تعالى** قل انما ادعوا ربي قال النبي صلى الله عليه وسلم
انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا وكذا قرا اكثر القرا على الخبر وقرا عاصم وحمزه
قل على الامر وسبب نزولها ان كفار قريش قالوا انك جيت بامر عظيم وقد عاديت
الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك فنزلت **قوله تعالى** قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم نفعا وقيل
لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى اي انا على التبليغ وقيل الضر العذاب
والرشد النعيم وهو الاول بعينه وقيل الضر الموت والرشد الحياه
قوله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عذابه عني احد ان استحفظته
وهذا لانهم قالوا اترك ما تدعو اليه ونحن نجيرك وروى ابو الجوزاء عن ابن
مسعود قال انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله الجن حتى اتى الحجون فخط
علي خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيدهم يقال له وردان انا ازحلهم
عنك فقال اني لن يجيرني من الله احد ذكرها الماوردي قال ويحتمل معنيين
احدهما لن يجيرني مع اجارة الله لي احد والثاني لن يجيرني مما قدره الله تعالى
علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الجا اليه قاله قتاده وعنه
نصيرا ومولى قال السدي حرزا قال الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب
وقيل وليا ولا مولى وقيل مذهبا ولا مسلكا حكاه ابن شجره
والمعنى واحد ومنه قول الشاعر

يا لهف نفسي ولهفا غير مجدية عني وما من قضا الله ملتحد

الا بلاغا من الله ورسالاته فذلك الذي املكه بتوفيق الله

فاما الكفر والايمان فلا املكهما فعلى هذا يكون مردودا الى
قوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا املك الا ان
ابلغكم اي لكن ابلغكم ما ارسلت به اليكم قاله الفرا وقال
الزجاج هو منصوب على البدل من قوله ملتحدا اي ولن اجد من دونه ملتحدا
الا ان ابلغ ما ياتيني من الله ورسالاته اي ومن رسالاته التي امرني بتبليغها
او الا ان ابلغ عن الله واعمل برسالاته فاخذ نفسي بما امر به غيري وقيل
هو مصدر ولا بمعنى لم وان للشرط والمعنى لن اجد من دونه ملتحدا اي
ان لم ابلغ رسالات ربي ابلاغا **قوله تعالى** ومن يعص الله ورسوله في
التوحيد والعباده فان له نار جهنم كسرت ان لان ما بعد فا الجزا موضع
ابتدا وقد تقدم خالدين فيها نصب على الحال وجمع لان المعنى لكل من فعل ذلك
فوحد اولا للفظ من ثم جمع للمعنى ~~حتى اذا راوا ما يوعدون~~ فيها ابدا دليل
على ان العصيان هنا هو الشرك وقيل هو المعاصي غير الشرك ويكون معنى خالدين
فيها ابدا الا ان اعفوا وتلحقهم شفاعه ولا محاله انهم اذا خرجوا من الدنيا على الايمان
يلحقهم العفو وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة النسا وغيرها
حتى اذا راوا ما يوعدون من عذاب الاخره وما يوعدون من عذاب الدنيا
وهو القتل ببدر فسيعلمون حينيذ من اضعف ناصرا اهم ام المومنين
واقل عددا معطوف **قوله تعالى** قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني
قيام الساعه وقيل عذاب الدنيا اي لا ادري [illegible] اي لا
يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعه الا الله وهو غيب
لا اعلم منه الا ما يعرفنيه الله وما في قوله ما توعدون يجوز ان تكون
مع الفعل مصدرا ويجوز ان تكون بمعنى الذي ويقدر حذف العايده ام
يجعل له ربي امدا اي غايه واجلا وقراه العامه باسكان اليا من

ربي وقرا الحرميان وابو عمرو بالفتح **قوله تعالى** عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه احدا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى عالم الغيب عالم رفعا نعتا لقوله
ربي وقيل اي هو عالم الغيب والغيب ما غاب عن العباد وقد تقدم بيانه
في اول سورة البقرة فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه
يظهره على ما يشاء من غيبه لان الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الاخبار
عن بعض الغائبات وفي التنزيل وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
وقال ابن جبير الا من ارتضى من رسول هو جبريل عليه السلام وفيه بعد
والاولى ان يكون المعنى اي لا يظهر على غيبه الا من ارتضى اي اصطفى
للنبوة فانه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالا على
نبوته الثانية قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستاثر به
دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى
من ارتضاه من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله
معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب
بالحصا وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما
يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال
بعض العلماء وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف انسان
على اختلاف احوالهم وتباين رتبهم فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل
والغني والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم
ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة فان قال قبحه الله انما
اغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع
ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم
وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فائدة اذا في عمل المواليد

اي نجوم

ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد ولم يبق الا معاندة القرآن الكريم
وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم ولقد احسن الشاعر حيث قال

حكم المنجم ان طالع مولدي ... يقضي علي بميتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل ... ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لامير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما اراد لقاء الخوارج اتلقاهم والقمر
في العقرب فقال علي رضي الله عنه فاين قمرهم وكان ذلك في اخر الشهر
فانظر الى هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد على
من يقول بالتنجيم والافحام لكل جاهل يحقق احكام النجوم وقال له
مسافر بن عوف يا امير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلث ساعات
يمضين من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة اصابك
واصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت
وظهرت واصبت ما طلبت فقال له علي كرم الله وجهه ما كان لمحمد صلى الله عليه
وسلم منجم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بايات من التنزيل
فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله
ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك
ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم
وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر
في النار والمنجم كالساحر والساحر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في
النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما
كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها ولقي القوم فقتلهم وهي وقعة
النهروان الثابتة في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة

النجم نارها وطفئ باو ظلمها لقال قائل سار في الساعة التي ثار بها النجم ما كان لمحمد
صلى الله عليه وسلم منجم ولكنا من بعده فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر
البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفي ممن سواه
ومن يتوكل على الله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يعني ملايكه
يحفظونه عن ان يقرب منه شيطان فيحفظ الوحي من استراق الشياطين
والالقا الى الكهنه قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملايكه
يحرسونه من الشياطين يتشبهوا بصوره الملك فاذا جا شيطان في صوره
الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جا الملك قالوا هذا رسول ربك وقال
ابن عباس وابن زيد رصدا اي حفظه يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم
من امامه وورايه من الجن والشياطين قال قتاده وسعيد بن المسيب
هم اربعه من الملايكه حفظه وقال الفرا المراد جبريل كان اذا نزل بالرساله
نزلت معه ملايكه يحفظونه من ان يستمع الجن القران فيلقونه الى كهنتهم
فيسبقوا الرسول وقال السدي رصدا اي حفظه يحفظون الوحي فما جا
من عند الله قالوا انه من عند الله وما القاه الشيطان قالوا انه من الشيطان
ورصدا نعت على المفعول وفي الصحاح والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي
فيه الواحد والجمع والمونث وربما قالوا ارصاد والراصد للشي المراقب له
يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع
الرصد قوله تعالى ليعلم قال مقاتل وقتاده اي ليعلم محمد ان الرسل قبله قد
ابلغوا الرساله كما بلغ هو الرساله وفيه حذف يتعلق به اللام اي اخبرناه
بحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق
والصدق وقيل ليعلم محمد ان قد ابلغ جبريل ومن معه اليه رساله ربه
قاله ابن جبير قال ولم ينزل الوحي الا ومعه اربعه حفظه من الملايكه
عليهم السلام وقيل اي ليعلم الرسل ان الملايكه بلغوا رسالات

ربهم وقيل ليعلم الرسول اي رسول كان ان الرسل سواه بلغوا
وقيل اي ليعلم ابليس ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمه من تخليطه
واستراق اصحابه قال ابن قتيبه اي ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل
عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم
من كذب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وقراه الجماعه ليعلم بفتح
اليا وتاويله ما ذكرناه وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب
بضم اليا اي ليعلم الناس ان الرسل قد بلغوا وقال الزجاج اي ليعلم الله ان
رسله قد بلغوا رسالاته بفتح اليا كقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين المعنى اي ليعلم الله ذلك علم شهاده كما علمه غيبا واحاط
بما لديهم اي احاط علمه بما عندهم يعني بما عند الرسل وما عند الملايكه
وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم فيبلغوا
رسالاتهم واحصى كل شي عددا اي احاط بعدد كل شي وعرفه وعلمه
فلم يخف عليه منه شي وعددا نصب على الحال اي احصى كل شي في حال
العدد وان شئت على المصدر اي احصى وعد كل شي عددا فيكون مصدرا
لفعل محذوف فهو سبحانه المحصي المحيط العالم الحافظ لكل شي وقد بينا جميعه
في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى والحمد لله وحده

سوره المزمل مكيه كلها

في قول الحسن وعكرمه وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتاده
الا ايتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي
وقال الثعلبي قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السوره فانه نزل

بالمدينه وهي سبع وعشرون ايه بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى يا ايها المزمل فيه سبع مسايل الاولي قوله تعالى يا ايها المزمل فيه
سبع مسايل الاولي قوله تعالى يا ايها المزمل قال الاخفش وسعيد المزمل اصله
المتزمل فادغمت التا في الزاي وكذلك المدثر وقرا ابي بن كعب على الاصل
المتزمل والمتدثر في اصل المزمل قولان احدهما انه المحتمل يقال زمل الشي
اذا حمله ومنها الزامله لانها تحمل القماش الثاني ان المزمل هو المتلفف يقال تزمل
وتدثر بثوبه اذا تغطى وزمل غيره اذا غطاه وكل شي لفف فقد زمل ودثر
قال امرؤ القيس كبير اناس في بجاد مزمل
قوله تعالى يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثه
اقوال الاول قول عكرمه يا ايها المزمل بالنبوه والملتزم للرساله
وعنه اي يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر وكان يقرا يا ايها
المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول وكذلك
المدثر والمعنى المزمل نفسه والمدثر نفسه او الذي زمله غيره الثاني
يا ايها المزمل بالقران قاله ابن عباس الثالث بثيابه قاله قتاده وغيره
قال النخعي كان متزملا بقطيفه عايشه بمرط طوله اربعه عشر
ذراعا قالت عايشه نصفه علي وانا نايمه ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا ابريسم ولا صوفا كان
سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي قلت وهذا القول من
عايشه يدل على ان السوره مدنيه فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج
بها الا بالمدينه ومن ذكر انها مكيه لا يصح والله اعلم وقال
الضحاك تزمل بثيابه لمنامه وقيل بلغه من المشركين سو قول فاشتد
عليه فتزمل في ثيابه وتدثر فنزلت يا ايها المدثر ويا ايها المزمل وقيل
كان هذا في ابتدا ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت الملك

ونظر اليه اخذته الرعده فاتى اهله وقال زملوني دثروني معناه عن
ابن عباس وقالت الحكما انما خاطبه بالمزمل والمدثر في اول الامر
لانه لم يكن بعد ادى شيا من تبليغ الرساله قال ابن العربي واختلف
في تاويل يا ايها المزمل فمنهم من حمله على حقيقته قيل له يا من تلفف في ثيابه
او في قطيفته قاله ابراهيم وقتاده ومنهم من حمله على المجاز كانه قيل له
يا من تزمل بالنبوه قاله عكرمه وانما يسوغ هذا التفسير لو كانت
الميم مفتوحه مشدده بصيغه المفعول الذي لم يسم فاعله واما وهو
بلفظ الفاعل فهو باطل قلت قد بينا انها على حذف المفعول وقد قرا
بها فهي صحيحه المعنى قاله واما من قال انه زمل القران فهو صحيح في المجاز
لكنه قد قدمنا لا يحتاج اليه الثالثه قال السهيلي ليس المزمل
اسم من اسما النبي صلى الله عليه وسلم يعرف به كما ذهب اليه بعض الناس
وعدوه في اسمايه عليه السلام وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي
كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه بهذا الاسم
فايدتان احداهما الملاطفه فان العرب اذا قصدت ملاطفه المخاطب
وترك المعاتبه سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي حين غاضب فاطمه رضي الله عنها فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه
التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاطفه له وكذلك
قوله عليه السلام لحذيفه قم يا نومان وكان نايما ملاطفه له واشعارا
لترك العتب والتانيب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل
قم الليل فيه تانيس وملاطفه ليستشعر انه غير عاتب عليه والفايده
الثانيه التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله
تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من

على ذلك العمل والنصف تلك الصفة الرابعة قوله تعالى قم الليل قراءة العامة
بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرأ ابو السمال بضم الميم اتباعا لضمة القاف
وحكى الفتح لخفته قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هربا
من التقاء الساكنين فبأي حركة تحرك فقد وقع الغرض وهو من الافعال القاصرة
الغير متعدية الى مفعول فاما ظرف الزمان والمكان فسائغ فيه الا ان ظرف
المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة لا تقول قمت الدار حتى تقول قمت وسط
الدار وداخل الدار وقد قيل ان قم هنا معناه صل عبر به عنه واستعير
له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال الخامسة الليل حد الليل من غروب
الشمس الى طلوع الفجر وقد تقدم في سورة البقرة واختلف هل كان قيامه
فرضا وحتما او كان ندبا وحضا والدلائل تقوي ان قيامه كان حتما وفرضا
وذلك ان الندب والحض لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس
مخصوصا به وقتا دون وقت واما قيام الليل فنحتاج الى التوقيف بذلك من عائشة وغيرها
على ما يأتي واختلف ايضا على ما كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده
او عليه وعلى من كان قبله من الانبياء او عليه وعلى امته الاول
قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس
قال كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله
الثالث قول عائشة وابن عباس ايضا وهو الصحيح كما في صحيح مسلم
عن زرارة ابن سعد بن هشام بن عامر اراد ان يغزو في سبيل الله الحديث
وفيه فقلت لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الست تقرأ يا ايها المزمل فقلت بلى قالت فان الله عز وجل افترض
قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى

انزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد
فريضة وذكر الحديث وذكر وكيع ويعلى قالا حدثنا مسعر عن سماك
الحنفي قال سمعت ابن عباس يقول لما نزلت اول يا ايها المزمل كانوا يقومون
نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين اولها وآخرها
نحو من سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزل بعد عشر سنين ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله عنهم السادسة قوله تعالى
الا قليلا استثناء من الليل اي من الليل كله الا يسيرا منه لان قيام
جميعه على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد والقليل
من الشيء ما دون النصف فحكي عن وهب بن منبه انه قال القليل ما دون
المعشار والسدس وقال الكلبي ومقاتل الثلث ثم قال تعالى نصفه
او انقص منه قليلا فكان ذلك تخفيفا اذ لم يكن زمان القيام محدودا
فقام الناس حتى ورمت اقدامهم ثم نسخ ذلك بقوله تعالى علم ان لن تحصوه
وقال الاخفش نصفه اي او نصفه كما يقال اعطه درهما درهمين ثلاثة يريد
او درهمين او ثلاثة وقال الزجاج نصفه بدل من الليل والا بدل من
الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف
المعنى قم نصف الليل او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد عليه
قليلا الى الثلثين قال قم ثلثي الليل او نصفه او ثلثه وقيل ان نصفه
بدل من قوله قليلا وكان مخيرا بين ثلاث قيام نصف الليل بتمامه وبين
الناقص منه وبين قيام الزائد عليه كان تقديره الكلام قم الليل الا نصفه
او اقل من نصفه او اكثر من نصفه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مضى شطر او ثلثاه ينزل الله الحديث رواه
من طريقين عن ابي هريرة هكذا على الشك وقد جا في كتاب مسلم عن ابي هريرة
وابي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
يمهل حتى يمضي شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع يستجاب له
هل من مستغفر يغفر له هل من سايل يعطى صححه ابو محمد عبد الحق
وبين هذا الحديث مع صحته معنى النزول وان ذلك يكون عند نصف الليل
وخرجه ابن ماجه من حديث ابن شهاب عن ابي سلمة وابي عبد الله
الاغر عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله ربنا
تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الاخر كل ليلة فيقول من يسالني فاعطيه
من يدعوني فاستجيب له من يستغفرني فاغفر له حتى يطلع الفجر فكانوا يستحبون
صلاة اخر الليل على اوله قال علماونا وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقران
فانهما يصدران من مشكاة واحدة وفي الموطا وغيره من حديث ابن عباس
قال كنت عند خالتي ميمونة حتى اذا انتصف الليل او قبله بقليل
او بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الى شن معلق
فتوضا وضوءا خفيفا وذكر الحديث السابعة اختلف العلما في
الناسخ للامر بقيام الليل فعن ابن عباس وعايشة ان الناسخ قوله تعالى
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخر السورة وقيل قوله تعالى
علم ان لن تحصوه وعن ابن عباس انه ايضا منسوخ بقوله علم ان سيكون
منكم مرضى وعن عايشة ايضا والشافعي ومقاتل وابن كيسان هو منسوخ
بالصلوات الخمس وقيل الناسخ لذلك قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر
منه وقال عبد الرحمن السلمي لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حولا
حتى ورمت اقدامهم وسوقهم ثم نزل قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه قال
بعض العلما وهو فرض نسخ به فرض كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة

لفضله كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قلت القول الاول
يعم جميع هذه الاقوال وقد قال تعالى واقيموا الصلوة ومن خلالها قول من قال ان الناسخ
الصلوات الخمس وقد ذهب الحسن وابن سيرين الى ان صلوة الليل فريضة على كل مسلم
ولو على قدر حلب شاة وعن الحسن ايضا انه قال في هذه الاية الحمد لله تطوع
بعد الفريضة وهو الصحيح ان شا الله لما جا في قيامه من الترغيب والفضل في
القران والسنة وعن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اجعل للنبي صلى الله
عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فكره ذلك
وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون
ويتفلون فخرج اليهم فقال يا ايها الناس اكلفوا من الاعمال ما تطيقون
فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل ادومه وان قل
فنزلت يا ايها المزمل فكتبت عليهم وانزلت بمنزلة الفريضة حتى كان احدهم
ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فرحمهم الله وانزل ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فردهم الله الى الفريضة ووضع عنهم قيام
الليل الا ما تطوعوا به قلت حديث عايشة هذا ذكره الثعلبي ومعناه ثابت
في الصحيح الى قوله وان قل وباقيه يدل على ان قوله تعالى يا ايها المزمل
نزل بالمدينة وانهم مكثوا ثمانية اشهر يقومون وقد تقدم عنها في صحيح
مسلم حولا وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة عشر شهرا لم يذكر
غيره عنها وذكر ابن عباس انه كان بين اول المزمل واخرها سنة
قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه وفي نسخه
عنه قولان احدهما انه كان فرضه الى ان قبضه الله تعالى الثاني انه
نسخ عنه كما نسخ عن امته وفي مدة فرضه الى ان نسخ قولان احدهما
المفروض على امته في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس حولا وقول

عايشة سنة عشر سنين الثاني بانها عشر سنين الى ان خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف
ليميزه بثقل الرسالة قاله ابن جبير وليست هذا خلاف ما ذكره الثعلبي عن سعيد بن
جبير حسب ما تقدم فتامله وسياتي لهذه المسالة زيادة بيان اخر السورة
ان شاء الله تعالى الثامنة قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اي
لا تعجل بقراءة القرآن بل اقراه في مهل وبيان مع تدبر المعاني وقال
الضحاك اقراه حرفا حرفا وقال مجاهد احب الناس الى الله في القراءة
اعقلهم عنه والترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام ومنه ثغر رتل ونسق
رتل ورتل بكسر التاء وفتحها اذا كان حسن التنضيد وقد تقدم
بيانه في مقدمة الكتاب وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر برجل يقرا اية ويبكي فقال الم تسمع الى قول الله عز وجل ورتل القرآن
ترتيلا هذا الترتيل وسمع علقمة رجلا يقرا قراءة حسنة فقال لقد رتل القرآن فداه
ابي وامي وقال ابو بكر بن طاهر تدبر في لطايف خطابه وطالب
نفسك بالقيام باحكامه وقلبك بفهم معانيه وسرك بالاقبال عليه وروى
عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بقارئ
القرآن يوم القيمة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرا وارق ورتل
كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقروها اخرجه
ابو داود وقد تقدم في اول الكتاب وروى انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يمد صوته بالقراءة مدا قوله تعالى انا سنلقي
عليك فافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام
فمن امر بقيام اكثره لم يتهيا له ذلك الا بحمل شديد على النفس ومجاهدة
الشيطان فهو امر يثقل على العبد وقيل اي سنوحي اليك
القرآن وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرايعه قال قتادة

وعقل القتيل اعطى ديته
يعقل دم فلان اذا ترك القود
للدية وعقل عن فلان غرم عنه
نايبته وذلك اذا لزمته دية
فاداها عنه فهذا هو الفرق بين
عقله وعقل عنه وبابه ضرب
صحاح

بتاعه
بعضه
بعض وبابه
ضرب صحاح

نسق بفتحتين اذا كانت اسنانه
مستوية وخرز نسق منظم
نسق بالتسكين مصدر نسق
الكلام اذا عطف بعضه
على بعض وبابه نصر
والتنسيق
التنظيم
صحاح

مجاهد حلاله وحرامه الحسن العمل به ابو العالية ثقيلا
بالوعد والوعيد والحلال والحرام محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين وقيل
على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسب آلهتهم والكشف
عما حرفه اهل الكتاب السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم
فلان ثقيل علي اي يكرم علي قال الفرا ثقيلا رزينا ليس بالخفيف السفساف
لانه كلام ربنا وقال الحسين بن الفضل ثقيلا لا يحمله الا قلب مويد
بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل
مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيمة وقيل ثقيلا اي ثابتا
كثبوت الثقيل في محله ويكون معناه انه ثابت الاعجاز لا يزول
اعجازه ابدا وقيل هو القرآن نفسه كما جا في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها يعني صدرها على
الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه وفي الموطا وغيره
انه عليه السلام سيل كيف ياتيك الوحي فقال احيانا ياتيني مثل
صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا
يتمثل لي الملك رجلا فاعي ما يقول قالت عايشة رضي الله عنها ولقد رايته ينزل
عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا
قال ابن العربي وهذا اولى لانه الحقيقة وقد جا وما جعل عليكم
في الدين من حرج وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وقيل
الثقيل في السورة هو قول لا اله الا الله اذ في الخبر لا اله الا الله خفيفة
على اللسان ثقيلة في الميزان ذكره القشيري قوله تعالى
ان ناشية الليل فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ان ناشية
الليل اي اوقاته وساعاته لان اوقاته تنشا اولا فاولا والانفال

نشأ الشيء ينشأ اذا ابتدا واقبل شيئا بعد شيء فهو ناشئ وانشاه الله فنشأ
ومنه نشأت السحابه اذا بدات وانشاها الله فناشيه فاعله من
نشأت السحابه اذا بدات تنشا فهي ناشيه ومنه قوله تعالى او من ينشا
في الحليه وهو في الخصام غير مبين والمراد ان ساعات الليل الناشيه
فاكتفي بالوصف عن الاسم فالتانيث للفظ ساعه لان كل ساعه
تحدث وقال الناشيه مصدر بمعنى الخاطيه والكاذبه اي
ان نشاه الليل هي اشد وطا وقيل ان ناشيه الليل قيام الليل قال
ابن مسعود الحبشه يقولون نشا اي قام فلعله اراد ان الكلمه
عربيه ولكنها شايعه في الكلام اي كلام الحبشه غالبه عليهم والا فليس
في القران ما ليس من لغه العرب وقد تقدم بيان هذا في مقدمه
الكتاب مستوفا فالناشيه بين تعالى في هذه الايه فضل
صلاه الليل على صلاه النهار وان الاستكثار من صلاه الليل بالقراه فيها
ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب واختلف العلما في المراد
بناشيه الليل فقال ابن عمر وانس بن مالك هو ما بين المغرب والعشا تمسكا
بان لفظ نشا يعطي الابتدا فكان بالاوليه احق ومنه قول الشاعر

ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشا الصغار

وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشا ويقول هذا ناشيه
الليل وقال عطا وعكرمه انه بدو الليل وقال ابن
عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه ينشا بعد النهار وهو
الذي اختاره مالك بن انس قال ابن العربي وهو الذي يعطيه
اللفظ وتقتضيه اللغه وقالت عايشه وابن عباس ايضا
ومجاهد انما الناشيه القيام بالليل بعد النوم ومن قام اول الليل قبل النوم

فما قام ناشيه وقال يمان وابن كيسان هو القيام من اخر الليل وقال
ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل وذلك ان الانسان اذا نام لا يدري متى يستيقظ
وفي الصحاح وناشيه الليل اول ساعاته وقال القتبي انه ساعات
الليل لانها تنشا ساعه بعد ساعه وعن الحسن ومجاهد هي ما بعد العشا
الاخر الى الصبح وعن الحسن ايضا ما كان بعد العشا فهو ناشيه ويقال
ما ينشا في الليل من الطاعات حكاه الجوهري الثالثه قوله تعالى
هي اشد وطا قرا ابو العاليه وابو عمرو وابن ابي اسحق ومجاهد وحميد وابن محيصن
وابن عامر والمغيره وابو حيوه وطا بكسر الواو وفتح الطا والمد واختاره
ابو عبيد الباقون وطا بفتح الواو وسكون الطا مقصوره واختاره
ابو حاتم من قولك اشتدت على القوم وطاه سلطانهم اي ثقل عليهم
ما حملهم من المونه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك
على مضر فالمعنى انها اثقل على المصلي من ساعات النهار وذلك ان الليل
وقت منام وتودع واجمام فمن شغله بالعباده فقد تحمل المشقه
العظيمه ومن مد فهو مصدر واطات وطا ومواطاه اي وافقته قال
ابن زيد والطاته على الامر مواطاه اذا وافقته من الوفاق وفلان نواطي اسمه
اسمي وتواطوا عليه اي توافقوا فالمعنى اشد موافقه بين القلب والبصر
والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وابن ابي مليكه وغيرهما
وقال ابن عباس بمعناه اي تواطي السمع والقلب قال الله تعالى
مهادا للتصرف وفيه التفكر والتدبر والوطا خلاف الغطا وقيل
اشد وطا بسكون الطا وفتح الواو اي اشد ثباتا من النهار فان
الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل وابقى
لما يلهي ويشغل القلب والوطا الثبات تقول وطيت الارض بقدمي

وقال الاخفش اشد قياما قال الفراء اثبت قراءة وقياما وعنه اشد وطأ
اي اثبت للعمل وادومه لمن اراد الاستكثار من العبادة والليل وقت فراغ
عن اشغال المعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع وقال الكلبي اشد
وطأ اي اشد نشاطا للمصلي لانه في زمان راحته وقال عبادة اشد واحفظ
واثبت للقراءة قوله تعالى واقوم قيلا اي القراءة بالليل اقوم منها بالنهار اي
اشد استقامة واستمرارا على الصواب لان الاصوات هادية والدنيا ساكنة
ساكتة فلا يضطرب على المصلي ما يقراه قال قتاده ومجاهد اي اصوب
للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم وقال ابو علي اقوم قيلا اي اشد
استقامة لفراغ البال بالليل وقيل اي اعجل اجابة للدعا حكاه ابن شجرة
وقال عكرمة عبادة الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة وعن
زيد بن اسلم اجدر ان يتفقه في القرآن وعن الاعمش قال قرا انس
ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واصوب قيلا فقيل له واقوم قيلا فقال
اقوم واصوب سوا قال ابو بكر الانباري وقد ترامى بعض هولاء الزايغين
الى ان قال من قرا بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب اذا لم
يخالف معنى ولم يات بغير ما اراد الله وقصد له واحتجوا بقول انس هذا وهذا
قول لا يعرج عليه ولا يلتفت الى قايله لانه لو قرا بالفاظ تخالف الفاظ
القرآن اذا قاربت معانيها واشتملت على عامتها لجاز ان تقرا في موضع
الحمد لله رب العالمين الشكر للباري ملك المخلوقين ويتسع الامر
في هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن ويكون التالي له مفتريا على الله
عز وجل كاذبا على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا حجة لهم في قول ابن مسعود
نزل القرآن على سبعة احرف انما هو كقول احدكم هلم وتعال
واقبل لان هذا الحديث يوجب ان القراءة المأثورة المنقولة

بالاسانيد الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اختلفت الفاظها
اتفقت معانيها كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعال واقبل فاما ما
لم يقرا به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم رضي الله عنهم
فانه من اورد حرفا منه في القرآن بهت ومال وخرج عن مذاهب الصواب
قال ابو بكر والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه
الضلالة حديث لا يصح عند اهل العلم لانه مبني على رواية الاعمش
عن انس فهو مقطوع ليس بمتصل فيؤخذ به من قبل ان الاعمش راى
انسا ولم يسمع منه الخامسة قوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا
قراءة العامة بالحاء غير معجمة اي تصرفا في حوائجك واقبالا وادبارا
وذهابا ومجيا والسبح الجري والدوران ومنه السباحة في الما لتقلبه
بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري قال امرؤ القيس
وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات بالنهار وقيل ان لك في النهار
سبحا اي نوما والسبح التمدد ذكره الخليل وعن ابن عباس وعطا سبحا
طويلا يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك فاجعل ناشية الليل لعبادتك
وقال الزجاج ان فاتك في الليل شي فلك في النهار فراغ للاستدراك
وقرا يحيى بن يعمر وابو وايل سبخا بالخا المعجمة قال المهدوي
ومعناه النوم روي ذلك عن القاريين بهذه القراءة وقيل معناه الخفة
والسعة والاستراحة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة
وقد دعت على سارق رداها لا تسبخي بدعايك عليه اي لا تخففي
عنه اثمه قال الشاعر

فسبخ عليك الهم واعلم بانه ... اذا قدر الرحمن شيا فكاين

قال الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى اي خففها

وسبح الحرف وخفف والتسبيح النوم الشديد والتسبيح ايضا توسع القطن
والكتان والصوف وتنفيشها يقال للمراة سبخي قطنك والتسبيخ من القطن
ما يسبخ بعد الندف اي ندف تغزله المراة والقطعة منه سبيخة وكذلك
من الصوف والوبر ويقال لقطع القطن سبائخ قال الاخطل
يجفا القناص والكلاب

فارسلوهن يذرين التراب كما يذري سبائخ قطن ندف اوتار

وقال ثعلب السبح بالحا التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم الحما من فيح جهنم فسبخوها بالما اي سكنوها
وقال عمرو السبح النوم والفراغ قلت فعلى هذا يكون من الاضداد
ويكون بمعنى السبخ بالخا بعد المعجمة قوله تعالى واذكر اسم ربك وتبتل
اليه تبتيلا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى واذكر اسم ربك اي ادعه
باسمايه الحسنى ليحصل لك مع الصلاه محمود العاقبة وقيل اي اقصد بعملك
وجه الله وقال سهل اقرا بسم الله الرحمن الرحيم في ابتدا صلاتك توصلك
بركة قراتها الى ربك ويقطعك عما سواه وقيل واذكر اسم ربك في وعده
ووعيده لتتوفر على طاعته وتعدل عن معصيته وقال الكلبي صل لربك
اي بالنهار قلت وهذا احسن فانه لما ذكر الليل ذكر النهار اذ هو قسيمه
وقد قال وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
وقد تقدم الثانية قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا التبتل
الانقطاع الى عبادة الله عز وجل اي انقطع بعبادتك اليه ولا تشرك به غيره
يقال بتلت الشي اي قطعته ومنه قوله طلقها بتة اي بتلة اي
باينة منقطعة عن صاحبها اي قطع ملكه عنها بالكلية
ومنه مريم البتول لانقطاعها الى الله تعالى ويقال للراهب

متبتل لانقطاعه عن الناس وانفراده بالعبادة قال الشاعر

يضي الظلام بالعشا كانها منارة ممسى راهب متبتل

وفي الحديث النهي عن التبتل وهو الانقطاع عن الناس والجماعات
وقيل ان اصله عند العرب التفرد قال ابن عرفة والاول اقوى
لما ذكرنا ويقال كيف قال تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل له لان معنى
تبتل بتل نفسه فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل الثالثة
قد مضى في المايدة في تفسير قوله تعالى يايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم كراهة لمن تبتل وانقطع وسلك سبيل الرهبانيه
بما فيه كفاية قال ابن العربي واما اليوم وقد مرجت عهود الناس
وخفت اماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة
والعزبة افضل من التاهل ولكن معنى الاية انقطع عن الاوثان والاصنام
وعن عبادة غير الله وكذلك قال مجاهد معناه اخلص له العبادة
ولم يرد التبتل فصار التبتل مامورا به في القران منهيا عنه في السنة
ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان وانما بعث ليبين للناس
ما نزل اليهم فالتبتل المامور به الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة
كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل
المنهي عنه هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في
الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها
شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قوله تعالى رب
المشرق والمغرب قرا اهل الحرمين وابن محيصن ومجاهد وابو عمرو وابن
اسحق وحفص رب بالرفع على الابتدا والخبر لا اله الا هو وقيل على
اضمار هو والباقون رب بالخفض على نعت الرب تعالى في قوله واذكر

اسم ربك رب المشرق ومن علم انه رب المشارق والمغارب انقطع بعمله واسلمه
اليه فاتخذه وكيلا اي قائما بامورك وقيل كفيلا بما وعدك **قوله تعالى**
واصبر على ما يقولون اي من الاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من قولهم
ولا تمتنع من دعائهم واهجرهم هجرا جميلا اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم
فان في ذلك ترك الدعاء الى الله وكان هذا قبل الاذن بالقتال ثم امر بعد
بقتالهم وقتلهم فنسخت اية القتال ما كان قبلها من الترك قاله قتادة
وغيره وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان
قلوبنا لتقليهم او لتلعنهم **قوله تعالى** وذرني والمكذبين اي ارض
بي لعقابهم نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم
في الانفال وقال يحيى بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد
ابن جبير اخبرت انهم اثنا عشر رجلا اولي النعمة اي اولي الغنى والترفه
واللذة في الدنيا ومهلهم قليلا يعني الى مدة اجالهم قالت عائشة رضي الله
عنها لما نزلت هذه الاية لم يكن الا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر وقيل
ومهلهم قليلا مدة الدنيا **قوله تعالى** ان لدينا انكالا وجحيما الانكال
القيود عن الحسن ومجاهد وغيرهما واحدها نكل وهو ما منع الانسان
من الحركة وقيل سمي نكلا لانه ينكل به قال الشعبي اترون
ان الله تعالى جعل الانكال في ارجل اهل النار خشية ان يهربوا والله
ولكنهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت بهم وقال الكلبي الانكال
الاغلال والاول اعرف في اللغة ومنه قول الخنساء

دعاك فقطعت انكاله ... وقد كن قبلك لا تقطع

وقيل انه انواع العذاب الشديد قاله مقاتل وقد جاء ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب النكل على النكل بالتحريك قاله الجوهري قيل

وما النكل قال الرجل القوي المجرب على الفرس ذكره الماوردي قال
ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك الغل وكل عذاب قوي
فاشتد والجحيم النار المؤججة وطعاما ذا غصة اي غير سائغ ياخذ بالحلق
لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه
ايضا انه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج وقال الزجاج اي طعامهم
الضريع كما قال ليس لهم طعام الا من ضريع وهو شوك كالعوسج وقال
مجاهد هو الزقوم كما قال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والمعنى واحد وقال
حمران بن عثمان قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لدينا انكالا وجحيما
وطعاما ذا غصة فصعق وقال خليد بن حسان امسى الحسن
عندنا صائما فاتيته بطعام فعرضت له هذه الاية ان لدينا انكالا وجحيما
فقال ارفع الطعام فلما كانت الليلة الثانية اتيته بطعام فعرضت له هذه
الاية فقال ارفعوه ومثله في الثالثة فانطلق ابنه الى ثابت البناني
ويزيد الضبي ويحيى البكاء فحدثهم فجاؤوه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق
والغصة الشجى وهو ما ينشب في الحلق من عظم او غيره وجمعها غصص
والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص فانت غاص بالطعام
وغصان واغصصته انا والمنزل غاص بالقوم اي ممتلئ بهم **قوله تعالى**
يوم ترجف الارض والجبال اي تتحرك وتضطرب بمن عليها وانتصب يوم
على الظرف اي ينكل بهم ويعذبون يوم ترجف الارض وقيل بنزع الخافض
يعني هذه العقوبة في يوم ترجف الارض والجبال وقيل العامل ذرني
اي وذرني والمكذبين يوم ترجف الارض والجبال والكثيب الرمل
المجتمع قال حسان الانصاري

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحي في الورق القشيب

والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطئه بالقدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهال وقال ابن عباس مهيلا اي رملا سايلا متناثرا واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب اهيله اهاله وهيلا اذا صببته يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر

قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انهم شكوا اليه الجدوبة فقال اتكيلون ام تهيلون قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واهلت الدقيق لغة في هلت فهو مهال ومهيل وانما حذفت الواو لان اليا تنقل فيها الضمة فحذفت فسكنت هي والواو فحذفت الواو لالتقا الساكنين قوله تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا يريد النبي صلى الله عليه وسلم ارسله الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى فعصى فرعون الرسول اي كذب به ولم يومن قال مقاتل ذكر موسى وفرعون لان اهل مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى موسى لانه رباه ونشا فيما بينهم كقوله تعالى الم نربك فينا وليدا قال المهدوي ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره ولذلك اختير في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم وبيلا اي شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا قال

اكلت بنيك اكل الضب حتى وجدت مرارة الكلا الوبيل

واستوبل فلان كذا اي لم يحمد عاقبته وماء وبيل اي وخيم غير مري وكلأ مستوبل وطعام وبيل ومستوبل اذا لم يمرا ولم يستمرا قال زهير

فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا الى كلأ مستوبل متوخم

وقالت الخنسا

لقد اكلت بجيلة يوم لاقت فوارس مالك اكلا وبيلا

والوبيل ايضا العصا الضخمة وقال

لو اصبح في يمنى يدي زمامها وفي كفي الاخرى وبيل تحاذره

وكذلك الموبل بكسر البا والموبلة ايضا الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل قال طرفه

عقيلة شيخ كالوبيل المندد

فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا هو تقريع وتوبيخ اي كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه تقديم وتاخير اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قرا عبد الله وعطيه قال الحسن اي باي صلاة تتقون العذاب باي صوم تتقون العذاب وفيه اضمار اي كيف تتقون عذاب يوم وقال قتاده والله ما يتقي من كفر بالله ذلك اليوم بشي ويوما مفعول بتتقون على هذه القراة وليس بظرف وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول كفرتم وقال بعض المفسرين وقف التمام على قوله ان كفرتم والابتدا يوما يذهب الى ان اليوم مفعول يجعل والفعل لله عز وجل كانه قال يجعل الله الولدان شيبا في يوم قال ابن الانباري وهذا لا يصلح لان اليوم هو الذي يفعل هنا من شدة هوله قال المهدوي والضمير في يجعل يجوز ان يكون لله عز وجل ويجوز ان يكون لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك اذا كان الضمير لله عز وجل الا مع تقدير حذف كانه قال يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا قال

ابن الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق بكفرتم
احتاج الى صفة أي كفرتم فان احتج محتج بان الصفة قد تحذف وتنصب ما
بعدها احتججنا عليه بقراءة عبد الله فكيف تتقون يوما قلت
هذه القراءة ليست متواترة وانما جاءت على وجه التفسير واذا كان الكفر
بمعنى الجحود فيوما مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها اي فكيف تتقون
الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء وقرا ابو السمال فكيف تتقون
بكسر النون على الاضافة والولدان الصبيان قال السدي هم اولاد الزنا
وقيل اولاد المشركين والعموم اصح اي بسبب اليوم الذي يشيب فيه الصغير
من غير كبر وكذلك حين يقال لادم يا ادم قم فابعث بعث النار على ما تقدم
في اول سورة الحج قال القشيري ثم ان اهل الجنة يغير الله احوالهم واوصافهم
على ما يريد وقيل هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز لان
يوم القيامة لا يكون فيه ولدان ولكن معناه ان ذلك لو كان هناك
فيه صبي لشاب راسه من الهيبة ويقال هذا وقت الفزع قبل ان
ينفخ في الصور نفخة الصعق والله اعلم قال الزمخشري وقد مر
بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو
ابيض الراس واللحية كالثغامة فسئل عن ذلك فقال اريت القيامة والجنة
والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول
ذلك المنام اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان
الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب قوله تعالى السما
منفطر به اي متشققة لشدته وعبر به اي فيه اي في ذلك اليوم لهوله
هذا احسن ما قيل فيه وقيل اي مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها
لعظمته عليها وخشيتها من وقوعه كقوله تعالى ثقلت في

السموات والارض وقيل به اي له اي لذلك اليوم يقال فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك
والباء واللام متقاربان في مثل هذا الموضع قال الله تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة اي في يوم القيامة وقيل به اي بالامر اي السما منفطر بما
يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله اي بامره وقال ابو عمرو بن
العلا لم يقل منفطرة لان مجازها السقف تقول هذا سما البيت قال الشاعر

فلو رفع السما اليه قوما لحقنا بالسماء وبالسحاب

وفي التنزيل وجعلنا السما سقفا محفوظا وقال الفرا يذكر
ويؤنث وقال ابو علي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر واعجاز
نخل منقعر وقال ابو علي ايضا اي السما ذات انفطار كقولهم
امراة مرضع اي ذات رضاع فجرى على طريق النسب كان وعده اي بالقيامة
والحساب والجزا مفعولا كائنا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل
كان وعده بان يظهر دينه على الدين كله قوله تعالى ان هذه
تذكرة اي هذه السورة او الايات عظة وقيل ايات القران اذ هو
كالسورة الواحدة فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا اي من اراد ان يؤمن ويتخذ
بذلك الى ربه سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له
لانه اظهر له الحجج والدلائل ثم قيل نسخت باية السيف وكذلك قوله
فمن شا ذكره قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخر السورة فيه ثلاث عشرة
مسالة الاولى قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم هذه الاية
تفسير لقوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد
عليه كما تقدم وهي الناسخة لفرضية الصلاة يعني صلاة الليل كما تقدم

تقوم معناه تصلي وادنا اي اقل وقرا ابن السميفع وابو حيوة وهشام
عن اهل الشام ثلثي باسكان اللام ونصفه وثلثه بالخفض قراءة العامة عطفا
على ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى علم ان
لن تحصوه فكيف يقومون نصفه او ثلثه وهم لا يحصونه وقرا ابن
كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى التقدير تقوم ادنى من
ثلثي الليل وتقوم ثلثه قال الفرا وهو اشبه بالصواب لانه قال اقل
من الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا اقل من القلة قال القشيري وعلى
هذا يحتمل انهم كانوا يصيبون الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر
وكانوا يزيدون وفي الزيادة اصابة المقصود فاما الثلثان فكان يثقل
عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون منه ويحتمل انهم امروا بقيام نصف الليل
ورخص لهم في الزيادة والنقصان وكانوا ينتهون في الزيادة الى قريب من
الثلثين وفي النقصان الى الثلث ويحتمل انهم قدر لهم النصف وانقص الى
الثلث والزيادة الى الثلثين وكان فيهم من يفي بذلك وفيهم من يترك ذلك الى
ان نسخ عنهم وقال قوم انما افترض عليهم الربع فكانوا ينقصون من
الربع وهذا القول تحكم الثانية قوله تعالى والله يقدر الليل
والنهار على حقائقهما وانتم تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه
الخطا علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به
وقيل لن تطيقوا قيام الليل والاول اصح فان قيام الليل ما فرض كله
قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص
منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى
نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان لا يخطي فانتفخت اقدامهم
وانتقعت الوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم فقال تعالى
علم ان لن تحصوه وان مخففة من الثقيلة اي علم انكم لن تحصوه

لانكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكليف ما ليس فرضا وان نقصتم شق
ذلك عليكم الثالثة قوله تعالى فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو
وهذا يدل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل اي فتاب
عليكم من فرض القيام اذ عجزتم واصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع
بكم من تثقيل الى تخفيف ومن عسر الى يسر وانما امروا بحفظ الاوقات
على طريق التحري فخفف عنهم ذلك التحري وقيل معنى والله يقدر
الليل والنهار يخلقهما مقدرين كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره
تقديرا ابن العربي تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم وانما يربط الله
ما يشاء من وظائف التكليف الرابعة قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر
من القران فيه قولان احدهما ان المراد نفس القراءة اي فاقرءوا فيما
تصلونه بالليل ما خف عليكم قال السدي مائة اية وقال الحسن من
قرا مائة اية في ليلة لم يحاجه القران وقال كعب من قرا في ليلة مائة
اية كتب من القانتين وقال سعيد بن جبير خمسون اية
قلت قول كعب اصح لقوله عليه السلام من قام بعشر ايات لم
يكتب من الغافلين ومن قام بمائة اية كتب من القانتين ومن
قام بالفاية كتب من ... خرجه ابو داود
الطيالسي في مسنده من حديث عبدالله بن عمرو وقد ذكرناه في
مقدمة الكتاب والحمد لله القول الثاني فاقرءوا ما تيسر
منه اي فصلوا ما تيسر عليكم والصلاة تسمى قرانا كقوله
تعالى وقران الفجر اي صلاة الفجر ابن العربي وهو الاصح لانه عن
الصلاة اخبر واليها يرجع القول قلت الاول اصح حملا
للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الثاني مجاز فانه من تسمية الشي

كذا في الاصل

ببعض ما هو من اعماله الحاسة قال بعض العلماء قوله تعالى فاقرؤوا
ما تيسر منه نسخ قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه
ثم احتمل قول الله تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه معنيين احدهما ان يكون فرضا ثابتا
لانه ازيل به فرض غيره والاخر ان يكون فرضا منسوخا ازيل بغيره كما
ازيل به غيره وذلك لقول الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا فاحتمل قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي
يتهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه قال الشافعي فكان الواجب طلب
الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم تدل على ان لا واجب من الصلاة الا الخمس السادسة قال
القشيري ابو نصر والمشهور ان نسخ الليل كان في حق الامة وبقيت
الفرضية في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ التقدير بمقدار
وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من الهدي فالهدي لا بد منه
كذلك لا بد من صلاة الليل لكن فرض قدره الى اختيار المصلي
وعلى هذا فقد قال قوم نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل اصلا وهو
مذهب الشافعي ولعل الفرضية التي بقيت في حق النبي صلى الله عليه وسلم
هي هذا وهو قيامه ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام
ليس فرضا فقوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه معناه اقرؤوا ان تيسر
عليكم ذلك وصلوا ان شئتم وصار قوم الى ان النسخ بالكلية
تقرر في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا فما كانت صلاة الليل واجبة
عليه وقوله نافلة لك محمول على حقيقة النفل ومن قال نسخ المقدار
وبقي اصل وجوب قيام الليل ثم نسخ فهذا النسخ الثاني وقع ببيان
مواقيت الصلوات كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقوله

تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وما في الخبر من ان الزيادة على الصلوات
الخمس تطوع وقيل وقع النسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة كما في صفة الصلاة وان خوطب
به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل كانت
عامة له ولغيره وقد قيل ان الفرضية قيام الليل امتدت الى ما بعد
الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى واخرون
يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله
وانما فرض القتال بالمدينة فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة فقيام
الليل نسخ بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ابن عباس
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نسخ قول الله ان ربك يعلم انك
تقوم وجوب صلاة الليل السابعة قوله تعالى علم ان سيكون
منكم مرضى الاية بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل فان الخلق منهم المرضى
ويشق عليهم قيام الليل ويشق عليهم ان تفوتهم الصلوة والمسافر
في التجارات فلا يطيق قيام الليل والمجاهد كذلك فخفف الله عن
الكل لاجل هؤلاء وان في ان سيكون مخففة من الثقيلة اي اعلم
انه سيكون الثامنة سوى الله تعالى في هذه الاية من درجة
المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله
والاحسان والافضال فكان هذا دليلا على ان كسب المال الحلال بمنزلة
الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله وروى ابراهيم عن علقمة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلده فيبيعه
بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم

واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله
وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيا الى مدينة من مداين المسلمين
صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهدا وقرا
واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل
الله وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله
احب الي من ان اموت بين شعبتي رحلي ابتغي من فضل الله ضاربا في الارض
وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله
وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب
الى وكيله بع الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في
السعر فقال التجار للوكيل ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة
فربح فيه امثاله فكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا
كنا نريد ان نبيع بربح يسير مع سلامة ديننا وقد جنيت علينا جناية
فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال وتصدق به على فقرا البصرة وليتني
انجو من الاحتكار كفافا لا علي ولا لي ويروى ان غلاما من اهل
مكة كان لازما للمسجد فافتقده ابن عمر فمشى الى بيته فقالت امه
هو على طعام له يبيعه فلقيه فقال له يا بني ما لك وللطعام فهلا ابلا
فهلا بقرا فهلا غنما ان صاحب الطعام يحب المحل وصاحب الماشية يحب
الغيث التاسعة قوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه اي صلوا ما
امكن فاوجب الله من صلاة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات
الخمس على ما تقدم قال ابن العربي وقد قال قوم ان فرض قيام الليل
سن في ركعتين من هذه الاية قاله البخاري وغيره وعقد بابا وذكر
فيه حديث يعقد الشيطان على قافية احدكم ثلاث عقد يضرب مكان
كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت

عقدة وان توضا انحلت عقدة وان صلى انحلت عقده فاصبح نشيطا طيب النفس والا
اصبح خبيث النفس كسلان وذكر حديث سمرة بن جندب عن النبي
صلى الله عليه وسلم في الرويا قال اما الذي يثلغ راسه بالحجر فانه ياخذ
القران فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وحديث عبد الله بن مسعود
قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام الليل كله فقال
ذلك رجل بال الشيطان في اذنه قال ابن العربي وهذه احاديث
مقتضيه مطلق الصلوات المكتوبة فيحمل المطلق على المقيد لاحتماله
ويسقط الدعوى ممن عينه لقيام الليل وفي الصحيح واللفظ للبخاري
قال عبد الله بن عمر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تكن
مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ولو كان فرضا ما اقره النبي
صلى الله عليه وسلم ولا اخبر بمثل هذا الخبر عنه بل كان يذمه غاية الذم وفي
الصحيح عن عبد الله بن عمر قال كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم اذا
راى رويا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت غلاما شابا
عزبا وكنت انام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايت في
النوم كان ملكين اخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البير
واذا لها قرنان واذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت اقول اعوذ بالله من النار
قال فلقينا ملك فقال لي لم ترع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل
فكان بعد لا ينام من الليل الا قليلا فلو كان ترك القيام معصية لما قال
له الملك لم ترع العاشرة اذا ثبت ان قيام الليل ليس بفرض وان
قوله فاقرؤوا ما تيسر من القران فاقرؤوا ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراءة
في الصلاة فاختلف العلماء في قدر ما يلزمه ان يقرا به في الصلاة فقال

مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا يجزي لعدو لعنها ولا الاقتصار على بعضها
وقدره ابو حنيفة باية واحدة من اي القران كانت وعنه ثلث ايات لانها اقل
سورة ذكر القول الاول الماوردي والثاني ابن العربي والصحيح ما ذهب
اليه مالك والشافعي على ما بيناه في سورة الفاتحة اول الكتاب
والحمد لله وقيل ان المراد به قراة القران في غير الصلاة قال الماوردي
فعلى هذا يكون مطلق هذا الامر محمولا على الوجوب او على الاستحباب
دون الوجوب وهذا قول الاكثرين لانه لو وجب عليه ان يقراه لوجب
ان يحفظه الثاني انه محمول على الوجوب ليقف بقراته على اعجازه وما
فيه من دلايل التوحيد وبعث الرسل ولا يلزمه اذا قراه وعرف اعجازه
ودلايل التوحيد منه ان يحفظه لان حفظ القران من القرب المستحبة
دون الواجبة وفي قدر ما تضمنه هذا الامر من القراة خمسة اقوال احدها
جميع القران لان الله تعالى يسره على عباده قاله الضحاك الثاني ثلث القران
حكاه جويبر الثالث ماتنا اية قاله السدي الرابع ماية
اية قاله ابن عباس الخامس ثلاث ايات كاقصر سورة قاله ابو خالد الكناني
الحادية عشرة قوله تعالى واقيموا الصلوة يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها
واتوا الزكوة الواجبة في اموالكم قاله عكرمة وقتادة وقال الحرث
العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة
التطوع وقيل كل افعال الخير وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص له
الثانية عشرة قوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن
ما قصد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب وقد مضى في سورة الحديد
بيانه قال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقال عمر بن الخطاب

هو النفقة في سبيل الله الثالثة عشرة قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله تقدم في سورة البقرة وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه اتخذ حيسا يعني تمرا بلبن فجاه مسكين فاخذه
ودفعه اليه فقال بعضهم ما يدري هذا المسكين ما هذا فقال عمر
لكن رب المسكين يدري ما هو فكانه تاول وما تقدموا
لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا اي مما تركتم وخلفتم
ومن الشح والتقصير واعظم اجرا قال ابو هريرة الجنة ويحتمل
ان يكون اعظم اجرا الاعطاء بالحسنة عشرا ونصب خيرا واعظم على المفعول
الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين
لا محل له في الاعراب واجرا تمييز واستغفروا الله اي سلوه المغفرة
لذنوبكم ان الله غفور رحيم لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها
قاله سعيد بن جبير

سورة المدثر مكية في قول الجميع

وهي ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها المدثر فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها المدثر
اي ذا الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام واصله المتدثر فادغمت
التاء في الدال لتجانسهما وقرا ابي المتدثر على الاصل وقال
معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة المخزومي وفي صحيح مسلم
عن جابر بن عبد الله وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يحدث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث
عن فترة الوحي قال في حديثه فبينا انا امشي سمعت صوتا
من السما فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاني بحرا جالسا على كرسي

بين السماء والارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثثت منه
فرقا فرجعت فقلت زملوني زملوني دثروني فانزل الله عز وجل
يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر في روايه
قبل ان تفرض وهي الاوثان قال ثم تتابع الوحي خرجه الترمذي
ايضا وقال حديث حسن صحيح قال مسلم وحدثنا زهير بن حرب قال
حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى يقول سالت ابا
سلمه اي القران انزل قبل قال يا ايها المدثر فقلت او اقرا فقال
سالت جابر بن عبد الله اي القران انزل قبل قال يا ايها المدثر فقلت او اقرا
فقال جابر احدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت
بحرا شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت
فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم ار احدا ثم نوديت فنظرت
فلم ار احدا ثم نوديت فرفعت راسي فاذا هو على العرش في الهوي يعني
جبريل صلى الله عليه وسلم فاخذتني رجفه شديده فاتيت خديجه
فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر
قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر خرجه
البخاري وقال فيه فاتيت خديجه فقلت دثروني وصبوا علي ماء
باردا فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك
فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر قال
ابن العربي وقد قال بعض المفسرين انه جرى على النبي صلى الله عليه وسلم
امر فرجع الى منزله مغموما فقلق واضطجع فنزلت يا ايها المدثر قال
القشيري ابو نصر وقيل بلغه قول كفار مكه انت ساحر فوجد من
ذلك غما وحم فتدثر بثيابه فقال الله تعالى قم فانذر اي

كذا في الاصل

تفكر في قولهم وبلغهم الرساله وقيل اجتمع ابو لهب وابو سفيان
والوليد بن المغيره والنضر بن الحرث واميه بن خلف والعاص بن وائل
ومطعم بن عدي وقالوا قد اجتمعت وفود العرب في ايام الحج وهم يتسالون عن
امر محمد وقد اختلفوا في الاخبار عنه فمن قائل يقول مجنون واخر يقول
شاعر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فسموا محمدا باسم
واحد يجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال شاعر
فقال الوليد سمعت كلام ابن الابرص واميه بن ابي الصلت وما يشبه كلام محمد
واحد منهما فقالوا كاهن فقال الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد
قط فقام اخر فقال مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد
قط وانصرف الوليد الى بيته فقالوا صبا الوليد بن المغيره فدخل عليه ابو جهل
وقال ما لك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونك وزعموا انك
قد احتجت وصبات فقال الوليد ما لي الى ذلك حاجه ولكني فكرت في محمد
فقلت ما يكون منه ما يكون من الساحر فقيل يفرق بين الاب وابنه
والاخ واخيه وبين المراه وزوجها فقلت انه ساحر وشاع في الناس
وصاحوا يقولون محمد ساحر ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته
محزونا فتدثر بقطيفه ونزلت يا ايها المدثر وقال عكرمه
معنى يا ايها المدثر اي المدثر بالنبوه واثقالها قال ابن العربي
وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن تنبا بعد وعلى انها اول القران لم يكن
تمكن فيها بعد ان كانت الثانيه قوله تعالى يا ايها
المدثر ملاطفه في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته
ولم يقل يا محمد يا فلان ليستشعر اللين والملاطفه من ربه كما تقدم

في سورة المزمل ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لعلي اذ نام في المسجد قم ابا
تراب وكان قد خرج مغاضبا لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداوه واصابه ترابه
خرجه مسلم ومثله قوله عليه السلام لحذيفة ليلة الخندق قم يا نومان وقد
تقدم ان شاء الله قوله تعالى قم فانذر اي خوف اهل مكة وحذرهم
العذاب ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته لانه مقدمة
الرسالة وقيل هو دعاوهم الى التوحيد لانه المقصود بها وقال الفرا
قم فصل وامر بالصلاة الرابعة قوله تعالى وربك فكبر اي سيدك ومالكك
ومصلح امرك فعظم وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد وفي حديث
انهم قالوا بم تفتتح الصلاة فنزلت وربك فكبر اي صفه بانه اكبر قال
ابن العربي هذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلوة فانه مراد فيه
تكبير التقديس والتنزيه لخلع الانداد والاصنام دونه ولا تتخذ وليا
غيره ولا تعبد سواه ولا ترى لغيره فعلا الا له ولا نعمة الا منه وقد روي ان ابا سفيان
قال يوم احد اعل هبل فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد
صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكرا
بقوله الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق
في موارد منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع
يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال
بالذبائح لله عز وجل تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافرادا
لما شرع لامره بالسفك قلت قد تقدم في اول سورة البقرة
ان هذا اللفظ الله اكبر هو المتعبد به في الصلاة المنقول عن النبي صلى الله عليه
وسلم وفي التفسير انه لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة وعلمت
انه الوحي من الله تعالى ذكره القشيري الخامسة قوله تعالى

قوله تعالى فكبر دخلت على معنى جواب الجزا كما دخلت في فانذر وقم
فكبر ربك قاله الزجاج وقال ابن جني هو كقولك زيدا
فاضرب اي زيدا اضرب فالفا زايدة السادسة قوله تعالى وثيابك
فطهر فيه ثمانية اقوال احدها ان المراد بالعمل الثياب الثاني
القلب الثالث النفس الرابع الجسم الخامس الاهل السادس الخلق السابع
الدين الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر فمن ذهب الى القول الاول
قال تاويل الاية وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد وروى منصور
عن ابي رزين قال يقول وعملك فاصلح قال واذا كان الرجل خبيث
العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان حسن العمل قالوا ان فلانا
طاهر الثياب ونحوه عن السدي ومنه قول الشاعر

لاهم ان عامر بن جهم اودم حجا في ثياب دسم

ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء في
ثوبيه اللذين مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ومن
ذهب الى القول الثاني قال تاويل الاية وقلبك فطهر قاله ابن عباس
وسعيد بن جبير دليله قول امرئ القيس

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل اي قلبي من قلبك قال

الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان احدهما معناه وقلبك فطهر من
الاثم والمعاصي قاله ابن عباس وقتادة والثاني وقلبك
فطهر من الغدر اي لا تغدر فتكون دنس الثياب وهذا مروي
عن ابن عباس واستشهد بقول غيلان الثقفي

فاني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدرة اتقنع

ومن ذهب الى القول الثالث قال تاويل الاية فنفسك فطهر اي من الذنوب

والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس ومنه قول عنترة

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

وقال امرؤ القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسل وقال

ثياب بني عوف طهارى نقية وأوجههم عند المشاهد غران

أي أنفس بني عوف ومن ذهب إلى القول الرابع قال تأويل
الآية وجسمك فطهر أي عن المعاصي الظاهرة ومما جاء عن العرب في الكناية
عن الجسم بالثياب قول ليلى وذكرت إبلا

رموها بأثواب خفاف فلا ترى لها شبها إلا النعام المنفرا

أي ركبوها فرموها بأنفسهم ومن ذهب إلى القول الخامس
قال تأويل الآية وأهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب
سمى الأهل ثوبا ولباسا وإزارا قال الله تعالى هن لباس لكم
وأنتم لباس لهن قال الماوردي ولهم في تأويل الآية وجهان أحدهما
معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف الثاني
الاستمتاع بهن في القبل دون الدبر في الطهر لا الحيض حكاه ابن بحر
ومن ذهب إلى القول السادس قال تأويل الآية وخلقك
فحسن قاله الحسن والقرظي لأن خلق الإنسان مشتمل على أحواله اشتمال
ثيابه على نفسه وقال الشاعر

ويحيى لا يلام بسوء خلق ويحيى طاهر الأثواب حر

أي حسن الخلق ومن ذهب إلى القول السابع قال تأويل الآية
ودينك فطهر وفي الصحيحين عنه عليه السلام قال ورأيت الناس وعليهم ثياب
منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ورأيت عمر بن الخطاب وعليه إزار
يجره قالوا يا رسول الله فما أولت ذلك قال الدين وروى ابن وهب
عن مالك أنه قال ما يعجبني أن أقرأ القرآن إلا في الصلاة والمساجد لا في الطرق

قال الله تعالى وثيابك فطهر يريد مالك أنه كنى عن الثياب بالدين وقد
روى عبد الله بن نافع عن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
عن مالك بن أنس في قوله تعالى وثيابك فطهر أي لا تلبسها على غدرة ومنه
قول أبي كبشة

ثياب بني عوف طهارى نقية وأوجههم عند المشاهد غران

يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدناءات ويعني بغرة وجوههم تنزيههم
عن المحرمات أو جمالهم في الخلقة أو كليهما قاله ابن العربي وقال
سفيان بن عيينة لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا إثم قاله
عكرمة ومنه قول الشاعر أودم مجاني بثياب دنس
أي فقد دنسها بالمعاصي وقال النابغة

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

ومن ذهب إلى القول الثامن قال إن المراد بها الثياب الملبوسة فلهم في
تأويله أربعة أوجه أحدها معناه وثيابك فطهر أي وثيابك فأنق
ومنه قول امرئ القيس ثياب بني عوف طهارى نقية
الثاني وثيابك فشمر وقصر فإن تقصير الثياب أبعد من النجاسة فإذا
انجرت على الأرض لم يؤمن عليها أن يصيبها ما ينجسها قاله الزجاج وطاوس
الثالث وثيابك فطهر من النجاسة بالماء قاله محمد بن سيرين وابن زيد
والفقهاء الرابع لا تلبس ثيابك إلا من كسب حلال لتكون مطهرة من
الحرام وعن ابن عباس لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير
طائل قال ابن العربي وذكر بعض ما ذكرناه ليس بممتنع أن تحمل الآية
على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز وإذا حملناها على الثياب المعلومة
الطاهرة فهي تتناول معنيين أحدهما تقصير الأذيال فإنها إذا أرسلت تدنست

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلام من الانصار وقد راى ذيله
مسترخيا ارفع ازارك فانه ابقى واتقى وقد قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح
ازرة المومن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين
ما كان اسفل من ذلك ففي النار فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس
الازار الكعب وتوعد ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون
ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر وقائده العجب بمن
لم يجعل الله معه غيره ولا الحق سواه قال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله
الى من جر ثوبه خيلا ولفظ الصحيح من جر ازاره خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيامة
قال ابو بكر يا رسول الله ان احد شقي ازاري يسترخي الا ان اتعاهد
ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلا فعمم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي واستثنى الصديق فاراد الادنيا
الحاق انفسهم بالرفعا وليس ذلك لهم والمعنى الثاني غسلها عن النجاسة
وهو ظاهر منها صحيح فيها قال المهدوي وبه استدل بعض العلما
على وجوب طهارة الثوب قال ابن سيرين وابن زيد لا تصل الا في
ثوب طاهر واحتج بها الشافعي على وجوب طهارة الثوب عند مالك
واهل المدينة بفرض وكذلك طهارة البدن ويدل على ذلك
الاجماع على جواز الصلاة بالاستجمار من غير غسل وقد مضى هذا المعنى
في سورة براة مستوفى قوله تعالى والرجز فاهجر قال مجاهد وعكرمة
يعني الاوثان دليله قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقاله
ابن عباس وابن زيد والماثم فاهجر اي فاترك وكذا روى مغيرة
عن ابرهيم النخعي قال الرجز الاثم وقال قتادة اساف
ونايلة صنمان كانا عند البيت وقيل الرجز العذاب
على تقدير حذف المضاف المعنى وعمل الرجز فاهجر اي العمل المودي

الى العذاب واصل الرجز العذاب قال الله تعالى لين كشفت
عنا الرجز وقال تعالى فانزلنا عليهم رجزا من السما فسميت الاوثان رجزا
لانها تودي الى العذاب وقراة العامة الرجز بكسر الرا والرجز بضم
الرا وهما لغتان مثل الذكر والذكر وقال ابو العالية والربيع والكسائي
الرجز بالضم الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية وقال الكسائي
ايضا بالضم الوثن وبالكسر العذاب وقال السدي الرجز بنصب
الرا الوعيد قوله تعالى ولا تمنن تستكثر فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله تعالى ولا تمنن تستكثر فيه عشر تاويلات الاول لا تمنن على
ربك بما تتحمله من اثقال النبوة كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير الثاني
لا تعط عطية تلتمس بها افضل منها قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة
قال الضحاك هذا حرمه الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم لانه مامور
باشرف الاداب واجل الاخلاق واباحه لامته وقاله مجاهد
الثالث عن مجاهد ايضا لا تضعف ان تستكثر من الخير من قولك حبل
منين اذا كان ضعيفا ودليله قراة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر من الخير
الرابع عن مجاهد ايضا والربيع لا تعظم عملك في عينك ان تستكثر من
الخير فانه مما انعم الله عليك وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك
فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل الله لك سبيلا الى
عبادته الخامس قال الحسن لا تمنن على الله بعملك تستكثره
السادس لا تمنن بالنبوة على الناس فتاخذ منهم اجرا تستكثره
السابع
به قال القرظي لا تعطي مالك مصانعة قال زيد بن اسلم اذا
اعطيت عطية فاعطها لربك الثامن لا تقل دعوت فلم يستجب
لي التاسع لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها ولكن اصبر حتى يكون الله هو
الذي يثيبك عنها العاشر لا تفعل الخير لترائي به الناس الحاديه

هذه الاقوال وان كانت مرادة فاظهرها قول ابن عباس لا تعط لتأخذ
اكثر مما اعطيت من المال يقال مننت فلانا كذا اي اعطيته ويقال
للعطية المن فكأنه امر بان تكون عطاياه لله لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها
لانه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس
والخمس مردود عليكم وكان فيما يفضل من نفقة عياله مصروفا الى مصالح
المسلمين ولهذا لم يورث لانه كان لا يملك لنفسه الادخار والاقتناء وقد
عصمه الله تعالى عن الرغبة في شيء من الدنيا ولهذا حرمت عليه الصدقة وابيحت
له الهدية فكان يقبلها ويثيب عليها وقال لو دعيت الى كراع لاجبت
ولو اهدي الي كراع لقبلت قال ابن العربي وكان يقبلها سنة ولا يستكثرها
فالاغنيا اولى بالاجتناب لانها باب من ابواب الذلة وكذلك قول من قال
ان معناه لا تعطي عطية تنتظر ثوابها فان الانتظار تعلق بالاطماع وذلك في
حيزه بحكم الامتناع وقد قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وذلك
جائز لسائر الخلق لانه من متاع الدنيا وطلب الكسب والتكاثر بها
واما من قال اراد به العمل اي لا تمنن على الله بعملك فتستكثره فهو
صحيح فان ابن ادم لو اطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر
الثالثة قوله تعالى ولا تمنن قراءة العامة باظهار التضعيف
وقرا ابو السمال العدوي واشهب العقيلي والحسن ولا تمن مدغمة
مفتوحة تستكثر وقراءة العامة بالرفع وهو في معنى الحال تقول
جاء زيد يركض اي راكضا اي لا تعط شيئا مقدرا ان تاخذ بدله
ما هو اكثر منه وقرا الحسن بالجزم على جواب النهي وهو رديء لانه
ليس بجواب ويجوز ان يكون بدلا من تمنن كانه قال لا تستكثر
وانكره ابو حاتم وقال لان المن ليس بالاستكثار فيبدل
منه ويحتمل ان يكون سكن تخفيفا كعضد او ان يعتبر حال الوقف

وقرا الاعمش ويحيى تستكثر بالنصب توهم لام كي كانه قال
ولا تمنن لتستكثر وقيل هو باضمار ان كقوله

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى

ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا
تمنن ان تستكثر قال الكسائي فاذا حذف ان رفع وكان المعنى
واحدا وقد يكون المن بمعنى التعداد على المنعم عليه بالنعم فيرجع الى
القول ويعضده قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقد
يكون مرادا في هذه الاية والله اعلم قوله تعالى ولربك فاصبر اي ولسيدك
ومالكك فاصبر على اداء فرائضه وعبادته وقال مجاهد على ما اوذيت
وقال ابن زيد حملت امرا عظيما محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله وقيل
فاصبر على البلوى لانه يمتحن اولياءه واصفياءه وقيل على اوامره ونواهيه
وقيل على فراق الاهل والاوطان قوله تعالى فاذا نقر في الناقور اي اذا نفخ
في الصور والناقور فاعول من النقر كانه الذي من شانه ان ينقر فيه للتصويت
والنقر في كلام العرب الصوت ومنه قول امرئ القيس

اخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفا غير جاف غضيض

وهم يقولون نقر باسم الرجل اذا دعاه مختصا له بدعائه قال مجاهد وغيره
هو كهيئة البوق ويعني به النفخة الثانية وقيل الاولى لانها
اول الشدة الهائلة العامة وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في النمل
والانعام وفي كتاب التذكرة والحمد لله وعن ابي حباب قال امنا
زرارة بن اوفى فلما بلغ فاذا نقر في الناقور خر ميتا فذلك يومئذ
يوم عسير اي فذلك اليوم يوم شديد على الكافرين اي على
من كفر بالله وبانبيائه صلى الله عليهم وسلم غير يسير اي غير سهل ولا
هين وذلك ان عقدهم لا تنحل الا الى عقدة اشد منها بخلاف المؤمن

الوحيد بن المذنبين فانها تنتقل الى ما هو اخف حتى يدخلوا الجنة رحمه الله
تعالى ويومئذ نصب على تقدير فذلك يوم عسير يومئذ وقيل تقدير
جر مجازه فذلك في يومئذ وقيل يجوز ان يكون رفعا الا انه
بني على الفتح لاضافته الى غير متمكن **قوله تعالى** ذرني ومن خلقت
وحيدا ذرني اي دعني وهي كلمة وعيد وتهديد ومن خلقت اي
دعني والذي خلقته وحيدا فوحيدا على هذا حال من ضمير المفعول
المحذوف اي خلقته وحده لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك
ما اعطيته والمفسرون على انه الوليد بن المغيرة المخزومي وان كان
الناس خلقوا مثل خلقه فانما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة
واذى الرسول عليه السلام وكان يسمى الوحيد في قومه قال
ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب
نظير ولا لابي المغيرة نظير وكان يسمى الوحيد فقال الله تعالى ذرني
ومن خلقته بزعمه وحيدا لا ان الله تعالى صدقه بانه وحيد وقال
قوم ان قوله تعالى وحيدا يرجع الى الرب تعالى على معنيين احدهما
ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني
اني انفردت بخلقه ولم يشركني فيه احد فانا اهلكه ولا احتاج
الى ناصر في اهلاكه فوحيدا على هذا حال من ضمير الفاعل وهي
التاء في خلقت والاول قول مجاهد اي خلقته وحيدا في بطن امه
لا مال له ولا ولد وانعمت عليه فكفر فقوله وحيدا على هذا يرجع
الى الوليد اي لم يكن شيء فملكته وقيل اراد بذلك ليدله على انه
يبعث وحيدا كما خلق وحيدا او الوحيد الذي لا يعرف ابوه وكان
للولد معروفا بانه دعي كما ذكرنا في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم وهو في صفته

للوليد ايضا **قوله تعالى** وجعلت له مالا ممدودا اي خولته فاعطيته
مالا ممدودا وهو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الابل
والحجور والنعم والجنان والعبيد والجواري كذا كان ابن عباس يقول
وقال مجاهد غلته الف دينار وقال سعيد بن جبير وابن عباس
ايضا وقال قتادة ستة الاف دينار وقال مقاتل كان
له بستان لا ينقطع ثمره شتاء ولا صيفا وقال عمر رضي الله عنه وجعلت
له مالا ممدودا غلة شهر بشهر قال النعمان بن سالم ارضا يزرع
فيها قال القشيري والاظهر انه اشارة الى ماله بما لا ينقطع
رزقه بل يتوالى كالزرع والضرع والتجارة **قوله تعالى** وبنين شهودا اي
حضورا لا يغيبون عنه في سفر قال مجاهد وقتادة وكانوا عشرة
وقيل اثني عشر قاله السدي والضحاك قال الضحاك سبعة ولدوا بمكة
وخمسة ولدوا بالطائف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر ولدا
قال مقاتل كانوا سبعة كلهم رجال اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد
ابن الوليد قال فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان
من ماله وولده حتى هلك وقيل شهودا اذا ذكر ذكروا معه قاله
ابن عباس وقيل شهودا اي قد صاروا مثله في شهود ما كان
يشهده والقيام بما كان يباشره والاول قول السدي حاضرين
مكة لا يظعنون عنه في تجارة ولا يغيبون **قوله تعالى** ومهدت
له تمهيدا اي بسطت له في العيش بسطا حتى اقام ببلدته مطمئنا
مترفها يرجع الى رايه والتمهيد عند العرب التوطية والتهيئة
ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس ومهدت له تمهيدا اي
وسعت له ما بين اليمن الى الشام وقاله مجاهد وعن مجاهد ايضا
في مهدت له تمهيدا اي المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش

قوله تعالى ثم يطمع ان ازيد كلا اي ثم ان الوليد يطمع بعد هذا كله
ان ازيده في المال والولد كلا اي لست افعل ذلك مع كفره بالنعم وقال
الحسن وغيره اي ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمدا
صادقا فما خلقت الجنة الا لي فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له
كلا اي لست ازيده فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك
وثم في قوله تعالى ثم يطمع ليست بثم التي للنسق ولكنها تعجيب وهي
كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وذلك
كما تقول اعطيتك ثم انت تجفوني كالمتعجب من ذلك وقيل ثم يطمع
ان اترك ذلك في عقبه وذلك انه كان يقول ان محمدا مبتور اي ابتر
وينقطع ذكره بموته وكان يظن ان ما رزق لا ينقطع بموته وقيل
اي ثم يطمع ان انصره على كفره وكلا قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة
فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويكون ابتدا
انه يعني الوليد كان لاياتنا عنيدا اي معاندا للنبي صلى الله عليه
وسلم وما جاء به يقال عاند فهو عنيد مثل جالس فهو جليس قاله
مجاهد وعند بالكسر اي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد
وعاند والعاند البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع
عند مثل راكع وركع قاله ابو عبيدة وانشد قول الحارثي

اذا ركبت فاجعلاني وسطا اني كبير لا اطيق العندا

وقال ابو صالح عنيدا معناه مباعدا قال الشاعر

ارانا على حال تفرق بيننا نوى غربة ان الفراق عنود

قال قتادة جاحدا وقال مقاتل معرضا قال ابن عباس جحودا
وقيل انه المجاهر بعداوته وعن مجاهد ايضا قال مجانبا للحق معاندا له

معرضا عنه والمعنى كله متقارب والعرب تقول ذلك عن الرجل اذا عتا
وجاوز قدره والعنود من الابل الذي لا يخالط الابل انما هو في ناحية ورجل
عنود اذا كان يحل وحده لا يخالط الناس والعنيد من التجبر وعرق
عاند اذا لم يرقا دمه وكل هذا قياس واحد وقد مضى في سورة ابراهيم
عليه السلام وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف قوله تعالى سارهقه
صعودا اي ساكلفه وكان ابن عباس يقول سالجئه والارهاق في كلام
العرب ان يحمل الانسان على الشيء صعودا الصعود جبل من نار يتصعد
فيه سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه ابدا رواه ابو سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذي وقال فيه
حديث غريب وذكر ابن عطية عن ابي سعيد ان صخرة في جهنم اذا
وضعوا ايديهم عليها ذابت فاذا رفعوها عادت قال فيبلغ اعلاها
في اربعين سنة يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى اذا بلغ
اعلاها رمي به الى اسفلها فذلك دابه ابدا وقد مضى هذا المعنى في سورة
قل اوحي الي وفي التفسير انها صخرة ملسا يكلف صعودها فاذا صار في
اعلاها حدر في جهنم فيقوم يهوي الف عام من قبل ان يبلغ قرار جهنم
يحترق في كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقا جديدا وقال
ابن عباس ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيه ونحوه عن الحسن
وقتاده وقيل انه تصاعد نفسه للنزع وان لم يتعقبه موت ليعذب
من داخل جسده كما يعذب من خارجه قوله تعالى انه فكر
وقدر يعني الوليد فكر في شان النبي صلى الله عليه وسلم والقران وقدر
اي هيا الكلام في نفسه والعرب تقول قدرت الشيء اذا هياته وذلك
انه لما نزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير
سمعه الوليد يقراها فقال والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الانس

ولان كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان
اسفله لمغدق وانه ليعلوا ولا يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت
قريش ان صبا الوليد لتصبون قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة
قريش فقال لهم ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا فقال له الوليد
ومالي اراك حزينا فقال وكيف لا احزن وهذه قريش يجمعون لك
نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد
وتدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهما
فغضب الوليد وتكبر وقال انا احتاج الى كسر محمد وصاحبه وانتم
تعلمون قدر مالي واللات والعزى ما بي حاجة الى ذلك وانما انتم تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رايتموه قط يخنق فقالوا لا والله قال
تزعمون انه كاهن فهل رايتموه يكهن قط ولقد رأينا للكهنة اسجاعا
وتخالجا فهل رايتموه كذلك فقالوا لا والله قال وتزعمون انه شاعر
فهل رايتموه نطق بشعر قط قالوا لا والله قال فتزعمون انه كذاب
فهل جربتم عليه كذبا قط قالوا لا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى
الصادق الامين من كثرة صدقه فقالت قريش للوليد ما هو ففكر
في نفسه ثم نظر ثم عبس فقال اما هذا الا سحر اما رايتموه يفرق بين الرجل
واهله وولده ومواليه فذلك قوله تعالى انه فكر اي في امر محمد والقران
وقدر في نفسه ماذا يكون وماذا يمكنه ان يقول فيهما فقتل
اي لعن وكان بعض اهل اللغة يقول معناها فقهر وغلب وكل
مذلل ومقتل قال

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل

وقال الهذلي عنب ومقرن بالدعا كيف قدر قال ناس كيف

تعجب كما يقال للرجل يتعجب من صنيعه كيف فعلت هذا وذلك كقوله
انظر كيف ضربوا لك الامثال ثم قتل اي لعن لعنا بعد لعن وقيل فقتل
بضرب من العقوبة ثم قتل بضرب من العقوبة كيف قدر اي على اي حال قدر
ثم نظر اي بئس يرد الحق ويدفعه ثم عبس اي قطب بين عينيه في وجوه المؤمنين
وذلك انه لما حمل قريشا على ما حملهم عليه من القول في محمد صلى الله عليه وسلم بانه
ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل
عبس وبسر على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه والعبس مصدر عبس مخففا
يعبس عبوسا اذا قطب والعبس ما يتعلق باذناب الابل من ابعارها
وابوالها قال ابو النجم

كذا في الاصل

كان في

وبسر اي كلح وجهه وتغير لونه قاله قتادة والسدي ومنه قول
بشر بن خازم

صبحنا تميما غداة الجفار بشهباء ملمومة باسره

وقال اخر

وقد رابني منها صدود رأيته واعراضها عن حاجتي وبسورها

وقيل ان ظهور العبوس في الوجه بعد المحاورة وظهور البسور
في الوجه قبل المحاورة وقال قوم بسر وقف لا يتقدم ولا يتأخر
قالوا وكذلك يقول اهل اليمن اذا وقف المركب فلم يجئ ولم يذهب قد بسر المركب
وابسر اي وقف وقد ابسرنا والعرب تقول وجه باسر بين البسور
اذا تغير واسود ثم ادبر اي ولى واعرض ذاهبا الى اهله واستكبر
حين دعي اليه فقال ان هذا الا اي ما هذا الذي اتى به محمد صلى الله
عليه وسلم الا سحر يؤثر اي يروى عن غيره والسحر الخديعة وقد
تقدم بيانه في سورة البقرة وقال قوم السحر اظهار الباطل في صورة
الحق والاثر مصدر قولك اثرت الحديث اثره اذا ذكرته عن

عنك ومنه قيل حديث مأثور اي ينقله خلف عن سلف قال
امرؤ القيس ولو عن نثا غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول ما لا يزال يؤثر عني يد المسند
بريد الدهر وقال الاعشى
ان الذي فيه تماريتما بين للسامع والاثر
ويروى بين انه هذا الا قول البشر ما هذا الا كلام المخلوقين يخدع به القلوب
كما تخدع بالسحر قال السدي يعنون انه من قول يسار عبد لبني الحضرمي
كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه الى انه تعلم منه ذلك وقيل
ارادوا انه تلقنه من اهل بابل وقيل عن مسيلمة وقيل عن عدي الحضرمي
الكاهن وقيل انما تلقنه ممن ادعى النبوة من قبل فسخ على اموالهم وقال
ابو سعيد الضرير ان هذا الا سحر يؤثر يورث قوله تعالى ساصليه
سقر اي سادخله سقر كي يصلى حرها وانما سميت سقر من سقرته الشمس
اذا اذابته ولوحته واحرقت جلده ووجهه ولا ينصرف للتعريف والتانيث
قال ابن عباس هي الطبق السادس من جهنم وروى ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سال موسى ربه فقال اي رب اي عباد لك افقر فقال
صاحب سقر ذكره الثعلبي وما ادراك ما سقر هذا مبالغة في وصفها
اي وما اعلمك اي شيء هي وهي كلمة تعظيم ثم فسرحالها فقال لا تبقي ولا تذر
اي لا تترك لهم لحما ولا عظما ولا دما الا احرقته وكرر اللفظ تاكيدا وقيل لا تبقي
منهم شيئا ثم يعادون خلقا جديدا فلا تذر ان تعاود احراقهم هكذا ابدا
وقال مجاهد لا تبقي فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم كلما جددوا
وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما لواحة للبشر اي مغيرة
من لاحه اي غيره وقراه العامة لواحة بالرفع نعت لسقر
في قوله تعالى وما ادراك ما سقر وقرا عطية العوفي ونصر بن

عاصم وعيسى بن عمر لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل وقال
ابو رزين تلفح وجوههم لفحة تدعها اشد سوادا من الليل وقاله مجاهد
والعرب تقول لاحه البرد والحر والسقم والحزن اذا غيره ومنه قول الشاعر
تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر
وقال الاخر
وتعجب هند ان رأتني شاحبا تقول لشيء لوحته السمائم
وقال روبة بن العجاج
لوح منه بعد بدن وسنق تلويحك الضامر يطوى للسبق
وقيل ان اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه اي غيره والمعنى
انها معطشة للبشر اي لاهلها قاله الاخفش وقال
سقتني على لوح من الماء شربة سقاها به الله الرهام الغواديا
يعني باللوح شدة العطش والتاح اي عطش والرهام جمع رهمة بالكسر
وهي المطرة الضعيفة وارهمت السحابة اتت بالرهام قال ابن عباس
اي تلوح للبشر من مسيرة خمس مائة عام قال الحسن تلوح لهم جهنم حتى
يروها عيانا نظيره وبرزت الجحيم للغاوين وفي البشر وجهان احدهما انهما
الانس من اهل النار قاله الاخفش والاكثرون والثاني انه جمع بشرة وهي جلدة
الانسان الظاهرة قاله مجاهد وقتادة وجمع البشر ابشار وهذا على التفسير
الاول واما على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه الا الانس لا الجلود لانه من
لاح الشيء يلوح اذا لمع قوله تعالى عليها تسعة عشر اي على سقر
تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها اهلها ثم قيل على جملة النار تسعة عشر
من الملائكة هم خزنتها مالك وثمانية عشر ملكا ويحتمل ان يكون
التسعة عشر ملكا باعيانهم وعلى هذا اكثر المفسرين قال الثعلبي

ولا ينكر هذا فاذا كان ملكا واحدا يقبض جميع ارواح الخلايق كان احرى ان يكون
تسعة عشر على عذاب بعض الخلق وقال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه
وسلم خزنة جهنم فقال كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون
اشعارهم لاحدهم من القوة مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته
جبل فيرميهم في النار ويرمي عليهم الجبل قلت وذكر ابن المبارك قال
اخبرنا حماد بن سلمة عن الازرق بن قيس عن رجل من بني تميم قال كنا عند ابي العوام
فقرا هذه الاية وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر فقال
ما تسعة عشر تسعة عشر الف ملك او تسعة عشر ملكا قال قلت لا بل تسعة عشر ملكا
قال وانى تعلم ذلك فقلت لقول الله عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
قال صدقت هم تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي
بها سبعين الفا وعن عمرو بن دينار واحدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة
ومضر وخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال قال ناس من اليهود لاناس من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا لا ندري حتى نساله فجا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد غلب اصحابك اليوم فقال وبماذا غلبوا قال سالهم يهود هل يعلم نبيكم عدد
خزنة جهنم قال فماذا قالوا قال قالوا لا ندري حتى نسال نبينا قال افغلب قوم سيلوا
عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسال نبينا لكنهم قد سالوا نبيهم فقالوا ارنا الله جهرة علي
باعدا الله اني سايلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك فلما جاوا قالوا يا ابا القاسم كم عدد
خزنة جهنم قال هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة قالوا نعم فقال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا ثم قالوا اخبرنا يا ابا القسم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخبز من الدرمك قال ابو عيسى هذا حديث انما نعرفه من هذا
الوجه من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر وذكر ابن وهب قال وحدثنا عبد
الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي

احدهم كما بين المشرق والمغرب وقال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم
مسيرة سنة وقوة الواحد منهم ان يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة
سبعين الف انسان في قعر جهنم قلت والصحيح ان شا الله ان هولاء
التسعة عشر هم الروسا والنقبا واما جملتهم فالعبارة عنها كما قال الله تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بجهنم يوميذ لها سبعون الف زمام
مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقال ابن عباس وقتادة
والضحاك لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم
امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم
الدهم اي العدد والشجعان فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم
قال السدي فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي لا يهولنكم التسعة
عشر انا ادفع بمنكبي الايمن عشرة من الملايكة وبمنكبي الايسر تسعة ثم تمرون
الى الجنة يقولها مستهزيا وفي رواية ان الاشد بن كلدة قال انا اكفيكم
سبعة عشر واكفوني انتم اثنين وقيل ان ابا جهل قال افيعجز
كل ماية ان يبطشوا بواحد منهم ثم تخرجون من النار فنزل قوله تعالى
وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة اي لم
نجعلهم رجالا فتتعاطون مغالبتهم وقيل جعلهم ملايكة خلاف جنس
المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ الجن والانس من الرقة والرافة
بالاجناس ويحنون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتومن
سوادهم ولانهم اشد الخلق باسا واقواهم بطشا وما جعلنا عدتهم الا فتنة اي
بلية وروي عن ابن عباس من غير وجه قال ضلالة للذين كفروا يريد
ابا جهل وذويه وقيل الا عذابا كما قال تعالى يوم هم على النار

يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا اي جحدكم ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب وفي
تسعة عشر سبع قراءات قراءة العامة تسعة عشر وقرا ابو جعفر بن القعقاع وطلحة
ابن سليمان تسعة عشر باسكان العين وعن ابن عباس تسعة عشر بضم الهاء
وعن انس بن مالك تسعة وعشر ذكرها المهدوي وعنه ايضا تسعة اعشر
وعنه ايضا تسعة وعشر وقال من قرا تسعة عشر اسكن العين
لتوالي الحركات ومن قرا تسعة عشر جاء به على الاصل قبل التركيب وعطف عشرا
على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال واسكن الراء من عشر على نية
السكون عليهما ومن قرا تسعة عشر فانه من التداخل كانه اراد العطف
وترك التركيب فرفع هاء التانيث ثم راجع البناء واسكن واما تسعة اعشر
فغير معروف وقد انكرها ابو حاتم وكذلك تسعة وعشر لانها محمولة على تسعة اعشر
والواو بدل من الهمزة وليس لذلك وجه عند النحويين قال الزمخشري
وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن قوله تعالى ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب اي ليوقن الذين اعطوا التوراة والانجيل ان عدد خزنة
جهنم موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد
وغيرهم ثم يحتمل انه يريد الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام ويحتمل ان
يريد الكل ويزداد الذين امنوا ايمانا لانهم كلما صدقوا بما في كتاب
الله امنوا ثم ازدادوا ايمانا لتصديقهم بعدد خزنة جهنم ولا يرتاب
اي ولا يشك الذين اوتوا اعطوا الكتاب والمؤمنون المصدقون من
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في ان عدد خزنة جهنم تسعة عشر وليقول الذين
في قلوبهم مرض اي في صدورهم شك ونفاق من منافقي اهل المدينة الذين
ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ولم يكن نفاق بمكة وانما نجم
بالمدينة وقيل المعنى اي وليقول المنافقون الذين ينجمون في
مستقبل الزمان بعد الهجرة والكافرون اي اليهود والنصارى

ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني بعدد خزنة جهنم وقال الحسين
بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية
الخلاف والكافرون اي مشركو العرب وعلى القول الاول اكثر المفسرين
ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين
وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله تعالى اخبارا عنهم ماذا اراد الله بهذا مثلا
اي ما اراد الله بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا من الحديث المنعوت
الحديث بها والخبر عنها كذلك اي كما اضل الله ابا جهل واصحابه المنكرين خزنة
جهنم يضل اي يعمي ويخزي من يشاء ويهدي اي يرشد من يشاء كارشاده اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي وما يعلم جنود
ربك الا هو اي وما يدري عدد ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب اهل النار
الا هو اي الا الله جل ثناؤه وهذا جواب لابي جهل حين قال اما لرب محمد
من الجنود الا تسعة عشر وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم
غنايم حنين فاتاه جبريل فجلس عنده فاتى ملك فقال ان ربك يامرك بكذا
ولكن يخشى النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون شيطانا فقال يا جبريل اتعرفه
قال هو ملك وما كل ملائكة ربك اعرف وقال الاوزاعي قال موسى
يا رب من في السماء قال ملائكتي قال كم عدتهم يا رب قال اثنا عشر سبطا
قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب ذكرهما الثعلبي وفي الترمذي
عن النبي صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع
اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا قوله تعالى وما هي الا ذكرى
للبشر يعني الدلايل والحجج والقران وقيل وما هي اي وما هذه النار التي هي
سقر الا ذكرى اي عظة للبشر اي للخلق وقيل نار الدنيا تذكرة
لنار الاخرة قاله الزجاج وقيل ما هذه العدة الا ذكرى للبشر

اي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله وانه لا يحتاج الى اعوان وانصار فالكناية
على هذا في قوله تعالى وما هي ترجع الى الجنود لانه اقرب مذكورا
قوله تعالى كلا والقمر قال الفراء كلا صلة للقسم التقدير
اي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على
كلا واجاز الطبري الوقف عليها وجعلها ردا للذين زعموا انهم يقاومون
خزنة جهنم اي ليس الامر كما يقول من زعم انه يقاوم خزنة جهنم ثم اقسم
على ذلك عز وجل بالقمر وبما بعده فقال والليل اذ ادبر اي ولى وكذلك
دبر وقرا نافع وحمزة وحفص اذ ادبر الباقون اذا بالف ودبر
بغير الف وهما لغتان بمعنى يقال دبر وادبر وكذلك ادبر الليل
وقيل ودبر قال صخر بن عمرو بن الشريد

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر

ويروى المدبر وهذا قول الفراء والاخفش وقال بعض اهل اللغة دبر
الليل اذا مضى وادبر اخذ في الادبار وقال مجاهد سالت ابن عباس
عن قوله تعالى والليل اذ ادبر فسكت حتى اذا ادبر قال يا مجاهد هذا
حين دبر الليل وقال ابن السميفع والليل اذا ادبر بالفين وكذلك في
مصحف عبد الله وابي بالفين قال قطرب ومن قرا دبر فيعني اقبل
من قول العرب دبر فلان اذا جاء من خلفي قال ابو عمرو وهي
لغة قريش وقال ابن عباس في رواية عنه الصواب ادبر انما
يدبر ظهر البعير واختار ابو عبيد اذا ادبر قال لانها اكثر موافقة للحروف
التي تليه الا تراه يقول والصبح اذا اسفر فكيف يكون احدهما اذ والاخر اذا
وليس في القران قسم تعقبه اذ وانما يتعقبه اذا ومعنى اسفر اضاء
وقراءة العامة اسفر بالالف وقرا ابن السميفع سفر وهما لغتان

يقال سفر وجه فلان واسفر اذا اضاء وفي الحديث اسفروا بالفجر فانه
اعظم للاجر اي صلوا صلاة الصبح مسفرين ويقال طولوها الى الاسفار
والاسفار الانارة واسفر وجهه حسنا اي اشرق وسفرت المراة كشفت
عن وجهها فهي سافر ويجوز ان يكون من سفر الظلام اي كنسه كما يسفر
البيت اي يكنس ومنه السفير لما يسقط من ورق الشجر ويتحات يقال
انما سمي سفيرا لان الريح تسفره اي تكنسه والمسفرة المكنسة قوله تعالى
انها لاحدى الكبر جواب القسم اي ان هذه النار لاحدى الكبر اي لاحدى
الدواهي وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسماء النار وروي عن ابن عباس
انها اي ان تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اي لكبيرة من
الكبائر وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر هي العظائم من العقوبات
قال الراجز يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر داهية الدهر وصماء الغير
وواحدة الكبر كبرى مثل الصغرى والصغر والعظمى والعظم وقراءة العامة
لاحدى وهو اسم بني للتانيث وليس مبنيا على المذكر نحو عقبى واخرى
والفه الف قطع لا تذهب في الوصل وروى جرير بن حازم عن ابن كثير
انها لحدى الكبر بحذف الهمزة نذيرا للبشر يريد النار اي ان هذه
النار الموصوفة نذير للبشر فهو نصب على الحال من المضمر في انها قاله
الزجاج وذكر لان معناه معنى العذاب او اراد انها ذات انذار على معنى
النسب كقولهم امراة طالق وطاهر وقال الخليل النذير مصدر كالنكير
ولذلك يوصف به المؤنث وقال الحسن والله ما انذر الخلائق بشيء
ادهى منها وقيل المراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم اي قم نذيرا للبشر
اي فخوفهم فنذيرا حال من قم في اول السورة حين قال قم فانذر قاله
ابو علي الفارسي وابن زيد وروي عن ابن عباس وانكره
الفراء وابن الانباري وقال بعض المفسرين معناه يا ايها المدثر

ثم نذيرًا للبشر وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وقيل
هو صفة لله تعالى رواه ابو معاوية عن الضحاك حدثنا اسماعيل بن
سميع عن ابي رزين نذيرا للبشر قال يقول الله عز وجل انا لكم منها نذير فاتقوها
ونذيرا على نصب الحال اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة منذرًا بذلك
البشر وقيل هو حال من هو في قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو بمعنى
في موضع المصدر كانه قال انذارا للبشر قال الفراء يجوز ان يكون النذير
الانذار اي انذر انذارا لهم كقوله تعالى فكيف كان نكير اي انكاري
فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة اي قم فانذر انذارا وقيل
هو منصوب باضمار فعل وقرا ابن ابي عبلة نذير بالرفع على اضمار
هو وقيل ان القرآن نذير البشر لما تضمنه من الوعيد والوعد قوله تعالى
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اللام متعلقة بنذير اي نذيرا لمن شاء منكم
ان يتقدم الى الخير والطاعة او يتاخر الى الشر والمعصية ولقد علمنا
المستقدمين منكم اي في الخير ولقد علمنا المستاخرين عنه قال
الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر وقال بعض اهل التاويل معناه لمن شاء الله
ان يتقدم او يتاخر فالمشيئة متصلة بالله جل ثناؤه والتقديم الايمان
والتاخير الكفر وكان ابن عباس يقول هذا تهديد واعلام ان من تقدم
الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب لا ينقطع
ومن تاخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا
ينقطع وقال السدي لمن شاء منكم ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها
او يتاخر عنها الى الجنة قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة
بكسبها ماخوذة بعملها اما خلصها واما اوبقها وليست

رهينة بتأنيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث
النفس لانه لو قصدنا الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي
فيه المذكر والمؤنث وانما هو اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه
قال كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل

كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك
الا اصحاب اليمين فانهم لا يرتهنون بذنوبهم واختلف في تعيينهم فقال
ابن عباس الملائكة وقال علي بن ابي طالب اولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا
بكسبهم وقال الضحاك الذين سبقت لهم من الله الحسنى ونحوه عن ابن جريج
قال كل نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين وهم اهل الجنة فانهم
لا يحاسبون وكذا قال مقاتل ايضا هم اصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم
يوم الميثاق حين قال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقال الحسن وابن
كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم
وعن ابي ظبيان عن ابن عباس قال هم المسلمون وقيل الا اصحاب الحق
واهل الايمان وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقال ابو جعفر
الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين وكل من ابغضنا اهل البيت فهم
المرتهنون وقال الحكم هم الذين اختارهم الله لخدمته فلم
يدخلوا في الرهن لانهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم وقال القاسم كل
نفس ماخوذة بكسبها من خير او شر الا من اعتمد على الفضل والرحمة دون الكسب
فهو غير ماخوذ به في جنات اي في بساتين يتساءلون اي يسالون
عن المجرمين اي المشركين ما سلككم اي ادخلكم في سقر كما تقول سلكت
الخيط في كذا اذا ادخلته فيه وقال الكلبي يسال الرجل من
اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه فيقول له يا فلان وتـ

قراه عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلككم في سقر وعنه قال قرا
عمر بن الخطاب يا فلان ما سلككم في سقر وهي قراءة على التفسير لا انها قراءة
كما زعم من طعن في القرآن قال ابو بكر الانباري وقيل ان المومنين
يسلون الملايكه عن اقربايهم فتسال الملايكه المشركين فيقولون لهم ما سلككم
في سقر قال الفرا في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين الولدان
لانهم لا يعرفون الذنوب قالوا لم نك من المصلين يعني اهل النار يقولون لم
نك من المومنين الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين اي ولم نك نتصدق
وكنا نخوض مع الخايضين اي كنا نخالط اهل الباطل في باطلهم وقال
ابن زيد نخوض مع الخايضين اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم وهو قولهم
لعنه الله كاهن مجنون شاعر ساحر وقال السدي اي وكنا
نكذب مع المكذبين وقال قتاده كلما غوي غاو غوينا معه وقيل
معناه وكنا اتباعا ولم نكن متبوعين وكنا نكذب بيوم الدين
اي لم نك نصدق بيوم القيمه يوم الجزا والحكم قوله تعالى حتى اتانا
اليقين اي جانا ونزل بنا الموت ومنه قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين
وذلك ان قوما من اهل التوحيد عذبوا بذنوبهم ثم شفع فيهم فرحمهم الله بتوحيدهم
والشفاعه فاخرجوا من النار وليس للكفار شفيع يشفع فيهم وقال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة
جبريل ثم ابرهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين ثم الملايكه
ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهدا ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما
سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الى قوله
تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود فهولاهم

الذين يبقون في جهنم وقد ذكرنا اسناده في كتاب التذكره قوله تعالى
فما لهم عن التذكره معرضين اي فما لاهل مكه قد اعرضوا وولوا عما جيتهم به
وفي تفسير مقاتل الاعراض عن القران من وجهين احدهما الجحود والانكار
والوجه الاخر ترك العمل بما فيه ومعرضين نصب على الحال من الها والميم في
لهم وفي اللام معنى الفعل فانتصاب الحال على معنى الفعل كانهم اذ كانوا
هولا الكفار في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم حمر مستنفره قال
ابن عباس اراد الحمر الوحشيه وقرا نافع وابن عامر بفتح الفا اي منفره مذعوره
واختاره ابو عبيد وابو حاتم والباقون بالكسر اي نافره يقال نفرت
واستنفرت بمعنى مثل عجبت واستعجبت وسخرت واستسخرت وانشد الفرا

امسك حمارك انه مستنفر … في اثر احمره عمدن لغرب

قوله تعالى فرت من قسوره اي نفرت وهربت من قسوره او من رماه يرمونها
وقال بعض اهل اللغه ان القسوره الرامي وجمعه القسوره وكذا قال
سعيد بن جبير وعكرمه ومجاهد وقتاده والضحاك وابن كيسان القسوره
هم الرماه والصيادون ورواه عطا عن ابن عباس وابو ظبيان عن ابي موسى
الاشعري وقيل انه الاسد قاله ابو هريره وابن عباس ايضا ابن عرفه
من القسر بمعنى القهر اي انه يقهر السباع والحمر الوحشيه تهرب من السباع وروى
ابو حمزه عن ابن عباس قال ما اعلم القسوره غير الاسد في لغه احد
وانشد

يا بنت كوني خيره لخيره … اخوالها الجن واهل القسوره

وعنه ركز الناس اي حسهم واصواتهم وعنه ايضا القسوره بلسان العرب
الاسد وبلسان الحبشه الرماه وبلسان فارس شير وبلسان النبط اريا
وقال ابن الاعرابي القسوره اول الليل اي فرت من ظلمه الليل
وقاله عكرمه ايضا وقيل هو اول سواد الليل ولا يقال

لا تر سواد الليل قسورة وقال زيد بن اسلم من رجال اقويا وكل
شديد عند العرب فهو قسورة وقال لبيد بن ربيعه

اذا ما هتفنا هتفة في ندينا اتانا الرجال العائدون القساور

قوله تعالى بل يريد كل امري منهم ان يوتى صحفا منشره اي يعطي كتبا
مفتوحه وذلك ان ابا جهل وجماعه من قريش قالوا يا محمد ايتنا بكتب من ربك
اني قد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم نظيره لن نومن لك حتى تنزل علينا كتاب
نقرءه وقال ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند
كل رجل منا صحيفه فيها براءة وامنة من النار قال مطر الوراق ارادوا
ان يعطوا بغير عمل وقال الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني
اسرايل كان يصبح عند راسه مكتوبا ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك وقال
مجاهد ارادوا ان ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله عز وجل الى
فلان بن فلان وقيل المعنى ان يذكر بجميل فجعلت الصحف موضع الذكر
مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما بالنا
لا نرى ذلك كلا اي ليس يكون ذلك وقيل حقا والاول اجود لانه رد لقولهم
بل لا يخافون الاخره اي لا نعطيهم ما يتمنون لانهم لا يخافون الاخره اغترارا
بالدنيا وقرا سعيد بن جبير صحفا منشره بسكون الحا والنون فاما
تسكين الحا فتخفيف واما تسكين النون فشاذ انما يقال
نشرت الثوب وشبهه ولا يقال انشرت ويجوز ان يكون شبه الصحيفه
بالميتة كانها ميتة بطيها فاذا نشرت حييت فجا على انشر الله الميت كما شبه
احيا الميت بنشر الثوب فقيل فيه نشر الله الميت فهي لغة فيه قوله تعالى
كلا انه تذكره اي حقا ان القرآن عظه فمن شاء ذكره اي اتعظ به وما يذكرون
الا وما يتعظون الا ان يشا الله اي ليس يقدرون على الاتعاظ

والتذكير الا ان يشا الله ذلك لهم وقراه العامه يذكرون بالياء واختاره
ابو عبيد لقوله تعالى كلا بل لا يخافون الاخره وقرا نافع ويعقوب
بالتاء واختاره ابو حاتم لانه اعم واتفقوا على تخفيفها هو اهل التقوى واهل
المغفره وفي الترمذي وسنن ابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الايه هو اهل التقوى واهل
المغفره قال قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى فلم يجعل معي الها
فانا اهل ان اغفر له لفظ الترمذي وقال فيه حديث حسن غريب وفي
بعض التفسير قال اهل المغفره لمن تاب اليه من الذنوب الكبار واهل
المغفره ايضا للذنوب الصغار باجتناب الذنوب الكبار وقال محمد بن نصر انا
اهل ان يتقيني عبدي فان لم يفعل كنت اهلا ان اغفر له ٥

سورة القيمه مكيه

وهي تسع وثلاثون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
لا اقسم بيوم القيمه قيل ان لا صله وجاز وقوعها في اول السوره لان
القرآن متصل بعضه ببعض فهو في حكم كلام واحد ولهذا قد يذكر الشي في
سوره ويجي جوابه في سوره اخرى كقوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر انك لمجنون وجوابه في سوره اخرى كقوله تعالى ما انت بنعمه
ربك بمجنون ومعنى الكلام اقسم بيوم القيمه قاله ابن عباس وابن جبير وابو
عبيده ومثله قول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة فكاد صميم القلب لا يتقطع

وحكى ابو الليث السمرقندي اجمع المفسرون ان معنى لا اقسم اقسم

واختلفوا في تفسير لا فقال بعضهم لا زايده في الكلام للزينه وتجري في كلام زياده
كما في ايه اخري قال ما منعك ان لا تسجد يعني ان تسجد وقال بعضهم لا رد لكلامهم
حيث انكروا البعث فقال ليس الامر كما ذكروا قلت وهذا قول الفرا
قال الفرا وكثير من النحويين يقولون لا صله ولا يجوز ان يبدا بجحد ثم
يجعل صله لان هذا لو كان كذلك لم يعرف فيه خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه
ولكن القرآن جا بالرد على الذين كفروا بالبعث والجنه والنار فجا الاقسام
بالرد عليهم وذلك كقولهم لا والله ان القيامه حق كانك اكذبت قوما
انكروه وانشد غير الفرا لامري القيس

فلا وابيك ابنه العامري لا يدعي القوم اني افر

وقال غويه بن سلمى

الا نادت امامه باحتمال لتحزنني فلا بك ما ابالي

(الرد قاله)

وفايدتها توكيد القسم في قول الفرا وكان من لا يعرف هذه الجهه يقرا لاقسم
بغير الف كانها لام تاكيد دخلت على اقسم وهو صواب لان العرب
تقول لاقسم بالله وهي قراه الحسن وابن كثير والزهري وابن هرمز بيوم القيمه
اي بيوم يقوم الناس فيه لربهم ولله عز وجل ان يقسم بما شا ولا اقسم
بالنفس اللوامه لا خلاف في هذا بين القرا وانه سبحانه انما اقسم بيوم القيمه
تعظيما لشانه وعلى قراه ابن كثير اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانيه وقيل
ولا اقسم بالنفس اللوامه اي بنفس المومن الذي لا تراه الا يلوم نفسه يقول
ما اردت بكذا فلا تراه الا وهو يعاتب نفسه قاله ابن عباس ومجاهد
والحسن وغيرهم قال الحسن هي والله نفس المومن ما ترى المومن الا يلوم نفسه
ما اردت بكلامي وما اردت باكلي ما اردت بحديثي والفاجر لا يحاسب
نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم
نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل انها

ذات اللوم وقيل انها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها فعلى هذه الوجوه
تكون اللوامه بمعنى اللايمه وهو وصف مدح وعلى هذا يجي القسم بها سايغا
وفي بعض التفسير انه ادم عليه السلام لم يزل لايما لنفسه على معصيته التي اخرج
بها من الجنه وقيل اللوامه بمعنى الملومه المذمومه عن ابن عباس
ايضا فهي صفه ذم وهو قول من ينفي ان يكون قسما اذ ليس للعاصي خطر
يقسم به فهي كثيره اللوم وقال مقاتل هي نفس الكافر يلوم نفسه
ويتحسر في الاخره على ما فرط في جنب الله وقال الفرا ليس من نفس محسنه
او مسيه الا وهي تلوم نفسها فالمحسن يلوم نفسه ان لو كان ازداد احسانا والمسي يلوم
نفسه ان لو كان ارعوى عن اساته قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع
عظامه فنعيدها خلقا جديدا بعد ان صارت رفاتا قال الزجاج
اقسم بيوم القيامه وبالنفس اللوامه ليجمعن العظام للبعث فهذا جواب
القسم وقال النحاس جواب القسم محذوف اي ليبعثن ودل عليه قوله
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه للاحيا والبعث والانسان هنا الكافر
المكذب بالبعث والايه نزلت في عدي بن ربيعه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
حدثني عن يوم القيامه متى تكون وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم او من به او يجمع الله
العظام فلهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السو عدي
ابن ربيعه والاخنس بن شريق وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل
حين قال انكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها
لان العظام قالب الخلق بلى وقف حسن ثم تبتدي قادرين فقادرين
حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه من التقدير
وقيل المعنى بل نقدر قادرين قال الفرا قادرين نصب على

الخروج من تحمهم اي فقدر ويعوني قادرين على اكثر من ذلك وقال ايضا يصلح
نصبه على التكرير اي بلى فليحسبنا وقيل المضمر كنا اي كنا قادرين في الابتدا
وقد اعترف به المشركون وقرا ابن ابي عبلة وابن السميفع بلى قادرون تاويل
نحن قادرون على ان نسوي بنانه البنان عند العرب الاصابع واحدها
بنانه قال النابغة

بمخضب رخص كان بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

وقال عنترة

وان الموت طوع يدي اذا ما وصلت بنانها بالهندوان

فنبه بالبنان على بقية الاعضا وايضا فانها اصغر العظام فخصها بالذكر
لذلك قاله القتبي والزجاج وزعموا ان الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على
جمع العظام فقال الله تعالى بلى قادرين على ان نعيد السلاميات
على صغرها ونولف بينها حتى تستوي ومن قدر على هذا فهو على جمع
الكبار اقدر وقال ابن عباس وعامة المفسرين المعنى على ان نسوي
بنانه اي نجعل اصابع يديه ورجليه شيا واحدا كخف البعير او كحافر
الحمار او كظلف الخنزير ولا يمكنه ان يعمل به شيا ولكنا فرقنا اصابعه
حتى ياخذ بها ما شا وكان الحسن يقول جعل لك اصابع فانت تبسطهن وتقبض
بهن ولو شا الله لجمعهن فلم تتق الارض الا بكفيك وقيل اي نقدر
ان نعيد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو
كقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما
لا تعلمون قلت والتاويل الاول اشبه بمساق الاية والله اعلم
قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه قال ابن عباس يعني
الكافر يكذب بما امامه من البعث والحساب وقال عبد
الرحمن بن زيد ودليله يسال ايان يوم القيامه اي يسال متى يكون

على وجه الانكار والتكذيب فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب
ولكن يأثم لما بين يديه ومما يدل على ان الفجور التكذيب ما ذكره
القتبي وغيره ان اعرابيا قصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشكى اليه نقب
ابله ودبرها وساله ان يحمله على غيرها فلم يحمله فقال الاعرابي

اقسم بالله ابو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر
اغفر له اللهم ان كان فجر

يعني ان كان كذبني فيما ذكرت
وعن ابن عباس ايضا يعجل المعصيه ويسوف التوبه وفي بعض الحديث
قال يقول سوف اتوب ولا يتوب فهو قد اخلف فكذب وهذا قول مجاهد
والحسن وعكرمه والسدي وسعيد بن جبير يقول سوف اتوب سوف
اتوب حتى ياتيه الموت على اشر احواله وقال الضحاك هو الامل يقول
سوف اعيش واصيب من الدنيا ولا يذكر الموت وقيل اي يعزم على المعصيه
ابدا وان كان لا يعيش الا مده قليله فالهاء على هذه الاقوال للانسان
وقيل انه يوم القيمه والمعنى بل يريد الانسان ليكفر بالحق بين يديه
وهو القيمه والفجور اصله الميل عن الحق يسال ايان يوم القيمه اي متى
يوم القيامه قوله تعالى فاذا برق البصر قرا نافع وابان عن عاصم
برق بفتح الرا معناه لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف قال
مجاهد وغيره هذا عند الموت وقال الحسن هذا يوم القيامه
قال وفيه معنى الجواب عما سال عنه الانسان كانه قال يوم القيامه اذا برق
البصر وخسف القمر والباقون بالكسر وقرا برق ومعناه تحير فلم يطرف
قاله ابو عمرو والزجاج وغيرهما قال ذو الرمه

ولو ان لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مي سافرا كاد يبرق

الفرا والخليل برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول

للانسان المتحير المبهوت فذ برق فهو برق وانشد الفرا

فنفسك فانع ولا تنعني وداو الكلوم ولا تبرق

اي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك وقيل برق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحها قاله ابو عبيدة وانشد قول الكلابي

لما اتاني ابن عبيد راغبا اعطيته عيساء منها فبرق

اي فتح عينيه وقيل ان كسر الرا وفتحها لغتان بمعنى

وخسف القمر اي ذهب نوره والخسوف في الدنيا الى انجلا بخلاف الاخرة فانه لا يعود ضوءه ويحتمل ان يكون بمعنى غاب ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وقرا ابن ابي اسحق وعيسى والاعرج وخسف القمر بضم الخا وكسر السين يدل عليه وجمع الشمس والقمر وقال ابو حاتم محمد بن ادريس اذا ذهب بعضه فهو الكسوف واذا ذهب كله فهو الخسوف وجمع الشمس والقمر اي جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه قاله الفرا والزجاج قال الفرا ولم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما وقال ابو عبيدة هو على تغليب المذكر وقال الكسائي هو محمول على المعنى كانه قال الضوءان قال المبرد التانيث غير حقيقي وقال ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما اي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب اسودين مكورين مظلمين مقرنين كانهما ثوران عقيران وقد مضى الحديث بهذا المعنى في اخر سورة الانعام وفي قراءة عبد الله وجمع بين الشمس والقمر وقال عطا بن يسار جمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقال علي وابن عباس يجعلان في نور الحجب وقد يجمعان في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله ولا يكون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل بهما ذلك زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم وفي مسند ابي داود الطيالسي عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك يرفعه

قطعت رجله فكان يرفع المقطوعة على الصحيحة ويصيح من شدة وجعها باعلى صوته فقيل لكل رافع صوته رفع عقيرته والعقيرة فعيلة بمعنى مفعولة وفي حديث كعب ان الشمس والقمر ثوران عقيران في النار قيل لما وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله كل في فلك يسبحون ثم اخبر انه يجعلهما في النار يعذب بهما اهلها بحيث لا يبرحانها صارا كانهما زمنان عقيران حكى ذلك ابو موسى وهو كما تراه

الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران عقيران في النار وقيل هذا الجمع انهما يجتمعان ولا يفترقان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر فكان المعنى يجمع حرهما عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار قوله تعالى يقول الانسان يومئذ اين المفر يقول ابن ادم ويقال ابو جهل اي اين المهرب قال الشاعر

اين المفر والكباش تنتطح واي كبش حاد عنها يفتضح

الماوردي ويحتمل وجهين احدهما اين المفر من الله استحياء منه والثاني اين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المومنين لثقة المومن ببشرى ربه والثاني ان يكون من قول المومن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها وقراءة العامة المفر بفتح الفا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانه مصدر وقرا ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفا مع فتح الميم قال الكسائي هما لغتان مثل مدب ومدب ومصح ومصح وعن الزهري بكسر الميم وفتح الفا قال المهدوي من فتح الميم والفا من المفر فهو مصدر بمعنى الفرار ومن فتح الميم وكسر الفا فهو الموضع الذي يفر اليه ومن كسر الميم وفتح الفا فهو الانسان الجيد الفرار فالمعنى اين الانسان الجيد الفرار ولن ينجو مع ذلك قلت ومنه قول امرء القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

يريد انه حسن الكر والفر جيده كلا اي لا مفر فكلا رد وهو من قول الله تعالى ثم فسر هذا الرد فقال لا وزر لا ملجا من النار وكان ابن مسعود يقول لا حصن وكان الحسن يقول لا جبل وابن عباس يقول لا ملجا

وابن جبير يقول لا محيص ولا منعة والمعنى في ذلك كله واحد والوزر في اللغة
ما يلجا اليه من حصن او جبل او غيرهما قال الشاعر

لعمري ما للفتى من وزر ... من الموت يدركه والكبر

قال السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله تعالى لهم
لا وزر يعصمكم يومئذ مني قال طرفة

ولقد تعلم بكر اننا ... فاضلوا الراي وفي الروع وزر

اي ملجا للخائف ويروى وقر الي ربك يومئذ المستقر اي المنتهى قاله
قتادة ونظيره وان الي ربك المنتهى وقال ابن مسعود الي ربك المصير والمرجع
وقيل المستقر في الاخرة حيث يقره الله اذ هو الحاكم بينهم وقيل ان كلا
من قول الانسان لنفسه اذا علم انه ليس له مفر قال في نفسه كلا لا وزر
الي ربك يومئذ المستقر قوله تعالى ينبا الانسان اي يخبر ابن ادم برا كان
او فاجرا يوم القيمة بما قدم واخر اي بما اسلف من عمل سيء او صالح او اخر من سنة
صالحة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وروى
منصور عن مجاهد قال ينبا باول عمله واخره وقاله النخعي وقال ابن
عباس ايضا اي بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وهو قول قتادة
وقال ابن زيد بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلفه للورثة وقال
الضحاك ينبا بما قدم من فرض واخر من فرض وقال القشيري
وهذا الانباء يكون في القيامة وعند وزن الاعمال ويجوز ان يكون عند الموت
قلت الاول اظهر لما خرجه ابن ماجه في سننه من حديث الزهري
حدثني ابو عبد الله الاغر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان مما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا
صالحا او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اجراه
او صدقة اخرجها من ماله في صحته يلحقه من بعد موته خرجه

ابو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبع يجري اجرها للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما
او اجرى نهرا او حفر بئرا او غرس نخلا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا يستغفر
له بعد موته فقوله بعد موته وهو في قبره نص على ان ذلك لا يكون
عند الموت وانما يخبر بجميع ذلك عند وزن عمله وان كان يبشر بذلك
في قبره ودل على هذا ايضا قوله الحق وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وهذا لا يكون الا في الاخرة
بعد وزن الاعمال والله اعلم وفي الصحيح من سن في الاسلام سنة حسنة
كان له اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم
شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل
بها بعده ينقص من اوزارهم شيء قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة
قال الاخفش جعله هو البصيرة كما تقول للرجل انت حجة على نفسك
وقال ابن عباس بصيرة اي شاهد وهو شهود جوارحه عليه يداه بما
بطش بهما ورجلاه بما مشى عليهما وعيناه بما ابصر بهما والبصيرة الشاهد
وانشد الفراء

كان على ذي العقل عينا بصيرة ... بمقعده او منظر هو ناظره
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم ... من الخوف لا تخفى عليهم سرائره

ودليل هذا التاويل من التنزيل قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون وجاء تانيث البصيرة لان المراد بالانسان هاهنا
الجوارح لانها شاهدة على نفس الانسان فكانه قال بل الجوارح على نفس
الانسان بصيرة قال معناه القتيبي وغيره وناس يقولون هذه الهاء في
قوله تعالى بصيرة هي التي يسميها اهل الاعراب هاء المبالغة كالهاء في قولهم
داهية وعلامة وراوية وهو قول ابي عبيد وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان

من غير ان صح

يكتبان نما يكون منه من خير او شر يدل عليه قوله تعالى ولو القى معاذيره
فيمن جعل المعاذير الستور وهو قول السدي والضحاك وقال
بعض اهل التفسير المعنى بل على الانسان في نفسه بصيرة اي شاهد
فحذف حرف الجر ويجوز ان تكون بصيرة نعتا لاسم مونث فيكون تقديره
بل الانسان على نفسه عين بصيرة وانشد الفرا

كان على ذي العقل عينا بصيرة وقال الحسن في قوله تعالى
بل الانسان على نفسه بصيرة يعني بصير بعيوب نفسه ولو القى معاذيره
اي ولو ارخى ستره والستر بلغة اهل اليمن معذار قاله الضحاك
قال الشاعر

ولكنها ضنت بمنزل ساعة علينا واطت يومنا بالمعاذر

وقال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار اي وان ارخى
ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهد عليه وقيل اي ولو اعتذر
فقال لم افعل شيئا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه
فهو وان اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب
عذره قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد
وابو العالية وعطا والفرا والسدي ايضا ومقاتل قال مقاتل
اي لو اتى بعذر وحجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم وقوله تعالى ولا يوذن لهم فيعتذرون
فالمعاذير على هذا ماخوذ من العذر قال الشاعر

واياك والامر الذي ان توسعت موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن ان يعذر المرء نفسه وليس له من ساير الناس عاذر

واعتذر رجل الى ابرهيم النخعي فقال له

اني عذرتك غير معتذر ان المعاذر يشوبها الكذب وقال
ابن عباس ولو القى معاذيره اي لو تجرد من ثيابه حكاه الماوردي
قلت والاظهر انه الاتيان بالحجة والاعتذار من الذنب ومنه
قول النابغة

ها ان ذي عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها مشارك النكد

والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار والله ربنا ما كنا
مشركين وقوله تعالى في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم وفي الصحيح انه يقول يا رب امنت بك وبكتابك
وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع الحديث
وقد تقدم في حم السجدة وغيرها والحمد لله والمعاذير والمعاذر جمع معذرة
ويقال عذرته فيما صنع اعذره عذرا وعذرا والاسم المعذرة والعذري
قال الشاعر

اني حددت وما عذري لمحدود

وكذلك العذرة هي مثل الركبة والجلسة قال النابغة

ها ان ذي عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها مشارك النكد

وتضمنت هذه الاية مسايل الاولى قال القاضي ابو بكر بن العربي بل
الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره فيها دليل على قبول اقرار
المرء على نفسه لانها شهادة منه عليها قال الله تعالى يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولا خلاف
فيه لانه اخبار على وجه تنتفي التهمة عنه لان العاقل لا يكذب
على نفسه وهي المسالة الثانية وقد قال الله سبحانه
وتعالى في كتابه الكريم واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم

من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا
قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ثم قال تعالى وآخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وهو في الآثار
كثير قال النبي صلى الله عليه وسلم واغد يا أنيس على امرأة هذا فان
اعترفت فارجمها فاما اقرار الغير على الغير بوارث او دين
فقال مالك الامر المجتمع عليه عندنا في الرجل يهلك وله بنون
فيقول أحدهم قد اقر ابي ان فلانا ابنه ان ذلك النسب لا يثبت
بشهادة انسان واحد ولا يجوز اقرار الذي اقر الا على نفسه
في حصته من مال ابيه يعطى الذي شهد له قدر الذي يصيبه من
المال الذي في يده قال مالك وتفسير ذلك ان يهلك الرجل
ويترك ابنين ويترك ستمائة دينار ثم يشهد احدهما بان اباه
الهالك اقر ان فلانا ابنه فيكون على الذي شهد للذي
استحق مائة دينار وذلك نصف ميراث المستلحق لو لحق
وان اقر له الآخر اخذ المائة الاخرى فاستكمل حقه وثبت نسبه
وهو ايضا بمنزلة المرأة تقر بالدين على ابيها او على زوجها وينكر
ذلك الورثة فعليها ان تدفع له قدر الذي يصيبها من ذلك الدين
لو ثبت على الورثة كلهم ان كانت امرأة فورثت الثمن دفعت الى
الغريم ثمن دينه وان كانت ابنة ورثت النصف دفعت الى
الغريم نصف دينه على حساب هذا يدفع اليه من اقر له من النساء
الثالثة لا يصح الاقرار الا من مكلف لكن بشرط ان لا يكون
محجورا عليه لان الحجر يسقط قوله اذا كان لحق نفسه فان كان لحق غيره

كالمريض كانه منه ساقط ومنه جائز وبيانه في مسائل الفقه
وللعبد حالتان في الاقرار احدهما في ابتدائه ولا خلاف فيه على
الوجه المتقدم والثاني في ابهامه وذلك مثل ابهام الاقرار وله
صور كثيرة وامهاتها ست الصورة الاولى ان يقول له عندي شي
قال الشافعي لو فسره بتمرة او كسرة قبل منه والذي تقتضيه
اصولنا انه لا يقبل الا فيما له قدر فاذا فسره به قبل منه وحلف عليه
الصورة الثانية ان يفسره بخمر او خنزير او ما لا يكون مالا في
الشريعة لم يقبل باتفاق ولو ساعده المقر له الصورة الثالثة ان يفسره
بمختلف فيه مثل جلد الميتة او خنزير فان الحاكم يحكم عليه في ذلك بما يراه من رد
وامضاء فان رده لم يحكم عليه حاكم آخر بغيره بشي لان الحكم قد نفذ بابطاله
وقال بعض اصحاب الشافعي يلزم الخمر والخنزير وهو قول باطل وقال
ابو حنيفة اذا قال له علي شي لم يقبل تفسيره الا بمكيل او موزون لانه لا يثبت
في الذمة الاهما وهذا ضعيف فان غيرهما يثبت في الذمة اذا وجب
اجماعا الصورة الرابعة اذا قال له عندي مال قبل تفسيره بما لا
يكون مالا في العادة كالدرهم والدرهمين ما لم يجي من قرينة الحال ما يحكم
عليه باكثر منه الصورة الخامسة ان يقول له عندي مال
كثير وعظيم قال الشافعي يقبل وقال ابو حنيفة لا يقبل الا في نصاب
الزكاة وقال علماؤنا في ذلك اقوالا مختلفة منها نصاب السرقة والزكاة
والدية وافقه عندي نصاب السرقة لانه لا يبان عضو المسلم الا في مال عظيم
وبه قال اكثر الحنفية ومن تعجب فيتعجب لقول الليث بن سعد انه لا يقبل
في اقل من اثنين وسبعين درهما فقيل له ومن اين تقول ذلك قال لان الله
تعالى قال لقد نصركم الله في مواطن كثيرة وغزواته وسراياه

كانت ثنتين وسبعين وهذا لا يصح لانه اخرج حينئذ منها فكان حقه ان
يقول احد وسبعين وقد قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال لا
خير في كثير من نجواهم وقال والعنهم لعنا كبيرا الصورة السادسة
اذا قال له عندي عشرة او مائة او الف فانه يفسرها بما شاء ويقبل منه فان
قال الف درهم او مائة وعبد او مائة وخمسون درهما فانه يفسر المبهم ويقبل
منه وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة ان عطف على العدد المبهم مكيلا او موزونا
كان تفسيرا لقوله مائة وخمسون درهما لان الدرهم تفسير للخمسين والخمسون تفسير
للمائة وقال ابن خيران والاصطخري من اصحاب الشافعي الدرهم لا يكون
تفسيرا في المائة والخمسين الا للخمسين خاصة ويفسر هو المائة بما شاء
المسألة الرابعة قوله تعالى ولو القى معاذيره ومعناه لو
اعتذر بعد الاقرار لم يقبل منه وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعد ما اقر
في الحدود التي هي خالص حق الله فقال اكثرهم منهم الشافعي وابو حنيفة
يقبل رجوعه بعد الاقرار وقال به مالك في احد قوليه وقال في القول
الاخر لا يقبل الا ان يذكر لرجوعه وجها صحيحا والصحيح جواز الرجوع
مطلقا لما روى الائمة منهم البخاري ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رد
المقر بالزنا مرارا اربعا كل مرة يعرض عنه ولما شهد على نفسه اربع مرات
دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابك جنون قال لا قال احصنت قال نعم
وفي حديث البخاري لعلك قبلت او غمزت او نظرت وفي النسائي وابي داود
حتى قال في الخامسة انكتها قال نعم قال حتى غاب ذلك منك في ذلك منها
قال نعم كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر قال نعم قال هل تدري ما الزنا قال
نعم اتيت منها حراما ما يأتي الرجل من اهله حلالا قال فما تريد بهذا القول

قال اريد ان تطهرني قال فامر به فرجم قال الترمذي وابو داود فلما مس
اذلقته الحجارة فر يشتد فضربه رجل بلحي جمل وضربه الناس حتى مات فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وقال ابو داود والنسائي ليتثبت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما لترك حد فلا وهذا كله طريق رجوع وتصريح
بقبوله وفي قوله عليه السلام لعلك قبلت او غمزت اشارة الى قول مالك انه
يقبل رجوعه اذا ذكر وجها الخامسة وهذا في الحر المالك لامر نفسه
واما العبد فان اقراره لا يخلو من احد قسمين اما ان يقر على بدنه او على ما في يده
وذمته فان اقر على بدنه بما فيه عقوبة من القتل فما دونه نفذ ذلك
عليه وقال محمد بن الحسن لا يقبل ذلك منه لان بدنه مستغرق
لحق السيد وفي اقراره اتلاف حقوق السيد في بدنه ودليلنا قوله صلى الله عليه
وسلم من اصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فانه من
يبد لنا صفحته نقم عليه الحد المعنى ان محل العقوبة اصل الخلقة وهي الدمية
في الادمية ولا حق للسيد فيها وانما حقه في الوصف والتبع وهي المالية الطارية
عليه الا ترى انه لو اقر بمال لم يقبل حتى قال ابو حنيفة انه لو قال سرقت هذه
السلعة انه تقطع يده ويأخذها المقر له وقال علماؤنا السلعة للسيد
ويتبع العبد بقيمتها اذا عتق لان مال العبد للسيد اجماعا فلا يقبل قوله
فيه ولا اقراره عليه لا سيما وابو حنيفة يقول ان العبد لا ملك له ولا يصح ان
يملك ولا يملك ونحن وان قلنا انه يصح ملكه ولكن جميع ما في يده
لسيده باجماع على القولين والله اعلم قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به
وفي الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا انزل عليه الوحي بالقرآن يحرك به لسانه يريد ان يحفظه فانزل الله تبارك وتعالى

لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان يحرك به شفتيه قال ابو عيسى هذا
حديث حسن صحيح ولفظ مسلم عن ابن جبير عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة كان يحرك شفتيه فقال لي ابن عباس
انا احركهما كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه
فانزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في
صدرك ثم تقروه فاذا قراناه فاتبع قرانه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا
ان نقراه قال فكان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل عليهما السلام
استمع واذا انطلق جبريل عليه السلام قراه النبي عليه السلام كما اقراه خرجه
البخاري ايضا ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى
اليك وحيه وقد تقدم وقال عامر الشعبي انما كان يعجل بذكره
اذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه فنهي عن ذلك حتى يجتمع لان بعضه
مرتبط ببعض وقيل كان عليه السلام اذا نزل عليه الوحي حرك
لسانه مع الوحي مخافة ان ينساه فنزلت ولا تعجل بالقران من قبل ان
يقضى اليك وحيه ونزل سنقرئك فلا تنسى ونزل لا تحرك به لسانك
قال ابن عباس وقرانه عليك والقراة في قوله مقول الفرا مصدر ان

والقرانه

وقال قتادة فاتبع قرانه اي فاتبع شرايعه واحكامه وقوله
ثم ان علينا بيانه اي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام قاله قتادة
ثم ان علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما وقيل ان علينا
ان نبينه بلسانك قوله تعالى كلا قال ابن عباس ان ابا جهل لا يؤمن
بتفسير القران وبيانه وقيل اي كلا لا تصلون ولا تركون يريد كفار
مكة بل يحبون اي بل تحبون يا كفار اهل مكة العاجلة اي الدار الدنيا

والحياة فيها وتذرون اي تدعون الاخرة والعمل لها وفي بعض التفسير قال
الاخرة الجنة وقرا اهل المدينة والكوفيون بل تذرون وتحبون بالتاء فيهما
على الخطاب واختاره ابو عبيد قال ولولا الكراهة لخلاف هولاء
القرا لقراتها بالياء لذكر الانسان قبل ذلك الباقون بالياء على الخبر وهو اختيار
ابي حاتم فمن قرا بالياء فردا على قوله تعالى ينبا الانسان وهو بمعنى الناس
ومن قرا بالتاء فعلى انه واجههم بالتقريع لان ذلك ابلغ في المقصود
نظيره ان هولاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا قوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الاول من النضرة التي هي الحسن والنعمة والثاني
من النظر اي وجوه المومنين مشرقة حسنة ناعمة يقال نضرهم الله ينضرهم
نضرة ونضارة وهو الاشراق والعيش ومنه الحديث نضر الله امرا سمع مقالتي
قوله تعالى الى ربها اي الى خالقها ومالكها ناظرة اي تنظر الى ربها
على هذا جمهور العلما وفي الباب حديث صهيب خرجه مسلم وقد مضى في سورة
يونس عند قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وكان ابن عمر يقول
اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه الاية
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وروى يزيد النحوي عن عكرمة
قال تنظر الى ربها نظرا وكان الحسن يقول نضرت وجوههم ونظروا الى ربهم
وقيل النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب وروي ابن عمر ومجاهد
وعكرمة وليس معروفا الا عن مجاهد وحده واحتجوا بقوله تعالى
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذا القول ضعيف جدا
خارج عن مقتضى ظاهر الاية والاخبار وفي الترمذي عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى
جنانه وازواجه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله

من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة قال هذا حديث حسن غريب وقد روي عن ابن عمر ولم
يرفعه وفي صحيح مسلم عن ابي بكر بن عبد الله بن قيس عن ابيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء الكبرياء
على وجهه في جنة عدن وروى جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم
عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا
عن صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد
ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه وخرجه ابو داود
والترمذي وقال حديث حسن صحيح وخرج ابو داود عن ابي
رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى الله عز وجل مخليا به
يوم القيامة قال نعم يا ابا رزين اليس كلكم يرى
القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله
يعني القمر فالله اجل واعظم وفي كتاب النسائي عن صهيب قال فيه
فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من
النظر ولا اقر لاعينهم وفي التفسير لابي اسحق الثعلبي عن ابي الزبير
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل
حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤوسكم
فليس هذا يوم عبادة قال الثعلبي وقول مجاهد انها بمعنى تنتظر الثواب
من ربها ولا يراه شيء من خلقه فتأويل مدخول لان العرب اذا ارادت
بالنظر الانتظار قالوا نظرته كما قال تعالى هل ينظرون الا الساعة

هل ينظرون الا تأويله وما ينظرون الا صيحة واحدة واذا ارادت
به التفكر والتدبر قالوا نظرت فيه فاما اذا كان النظر مقرونا بذكر
الى وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الرؤية والعيان وقال
الازهري ان قول من قال ينتظر ثواب ربها خطأ لانه لا يقال نظر الى كذا
بمعنى الانتظار وان قول القائل نظرت الى فلان ليس الا رؤية عين كذلك
تقول العرب لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا نظر العين فاذا ارادوا
الانتظار قالوا نظرته قال

فانكما ان تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى ام جندب

لما ارادوا الانتظار قال تنظراني ولم يقل تنظرا الي واذا ارادوا نظر
العين قالوا نظرت اليه قال

نظرت اليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفال

وقال آخر

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظرة لولا التحرج عارم

وقال آخر

اني اليك لما وعدت لناظر نظر الفقير الى الغني الموسر

اي اني انظر اليك بذل لان نظر الذل والخضوع ارق لقلب المسؤول فاما ما
استدلوا به من قوله تعالى لا تدركه الابصار فانما ذلك في الدنيا وقد مضى
القول فيه في موضعه مستوفى وقال عطية العوفي ينظرون الى الله
لا تحيط ابصارهم به من عظمته ونظره يحيط بهم يدل عليه قوله تعالى
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال القشيري ابو نصر
وقيل الى واحد الآلاء اي نعمه منتظرة وهذا باطل لان واحد
الآلاء يكتب بالالف لا بالياء ثم الآلاء نعمه وهم في الجنة

لا ينتظرون دفع نقمة عنهم والمنتظر للشي متنغص العيش فلا يوصف
اهل الجنة بذلك وقيل اضاف النظر الي الوجه لان العين في الوجه وهو كقوله
تعالي تجري من تحتها الانهار والما يجري في النهر لا النهر ثم قد يذكر الوجه بمعني
العين قال الله تعالي القوه علي وجه ابي يات بصيرا اي علي عينيه ثم لا يبعد قلب
العاده غدا حتي يخلق الرويه والنظر في الوجه وهو كقوله تعالي افمن يمشي مكبا
علي وجهه فقيل يا رسول الله كيف يمشون في النار علي وجوههم قال النبي
لمشاهم علي اقدامهم قادر ان يمشيهم علي وجوههم وقوله ووجوه يومىذ
باسره اي وجوه الكفار يوم القيامه كالحه باسره وفي الصحاح وبسر الرجل وجهه
بسورا اي كلح تعالي عبس وبسر وقال السدي باسره اي متغيره والمعني
واحد تظن ان يفعل بها فاقره اي توقن وتعلم والفاقره الداهيه والامر العظيم
يقال فقرته الفاقره اي كسرت فقار ظهره قال معناه مجاهد وغيره
وقال قتاده الفاقر الشر وقال السدي الهلاك قال ابن عباس وابن
زيد دخول النار والمعني متقارب واصلها الوسم علي انف البعير بحديده او
نار حتي يخلص الي العظم قاله الاصمعي يقال فقرت انف البعير اذا فقرته بحديده
ثم جعلت علي موضع الجراح عليه وتر ملوي لتذلله بذلك وتروضه
ومنه قولهم قد عمل به الفاقره وقال النابغه
ابا لي قبر لا يزال مقابلي وضربه فاس فوق راسي فاقره
اي كاسره قوله تعالي كلا اذا بلغت التراقي كلا ردع وزجر اي بعيد
ان يومن الكافر بيوم القيمه ثم استانف فقال اذا بلغت التراقي
اي بلغت النفس او الروح التراقي فاخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب كقوله
تعالي حتي توارت بالحجاب وقوله تعالي فلولا اذا بلغت الحلقوم
وقد تقدم وقيل كلا معناه حقا اي حقا ان المساق الي الله
اذا بلغت التراقي اي اذا ارتقت النفس الي التراقي وكان ابن عباس يقول

اذا بلغت نفس الكافر والتراقي جمع ترقوه وهي العظام المكتنفه لثغره
النحر وهو مقدم الحلق من اعلا الصدر وهو موضع الحشرجه قال دريد
ابن الصمه ورب عظيمه دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقي
وقد يكني عن الاشفا علي الموت ببلوغ النفس التراقي والمقصود تذكيره
لهم بشده الحال عند نزول الموت قوله تعالي وقيل من راق اختلف فيه فقيل
هو من الرقيه عن ابن عباس وعكرمه وغيرهما روي سماك قال
من راق يرقي اي يشفي وروي ميمون بن مهران عن ابن عباس اي هل من
طبيب يشفيه وقاله ابو قلابه وقتاده قال الشاعر
هل للفتي من بنات الدهر من واق ام هل له من حمام الموت من راق
وكان هذا علي وجه الاستبعاد والياس اي من يقدر ان يرقي من الموت
وعن ابن عباس ايضا وابي الجوزا انه من رقي يرقي اذا صعد والمعني
من يرقي بروحه الي السما ملايكه الرحمه ام ملايكه العذاب وقيل ان
ملك الموت يقول من راق اي من يرقي بهذه النفس وذلك ان نفس الكافر
تكره الملايكه قربها فيقول ملك الموت يا فلان اصعد بها واظهر عاصم
وقوم النون في قوله تعالي من راق واللام في قوله تعالي بل ران لئلا يشبه
مراق وهو بايع المرقه وبران في تثنيه البر والصحيح ترك الاظهار وكسر
القاف من راق وفتح النون في بل ران في زوال اللبس وامثل مما ذكر قصد الوقف علي
من وبل واظهرهما قاله القشيري قوله تعالي وظن اي ايقن الانسان
انه الفراق اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين عاين
الملايكه قال الشاعر
فراق ليس يشبهه فراق قد انقطع الرجا عن التلاقي

والتفت الساق بالساق اي فاتصلت الشده بالشده شده اخر الدنيا بشده اول
الاخره قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وقال الشعبي وغيره المعنى التفت ساقا
الانسان عند الموت من شده الكرب وقال قتاده اما رايته اذا اشرف على الموت
يضرب برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا هما ساقا
الانسان اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق
الكفن بساق الميت وقال الحسن ايضا ماتت رجلاه ويبست ساقاه
فلم تحملاه ولقد كان عليهما جوالا قال النحاس القول الاول
احسنها وروى علي بن ابي طلحه عن ابن عباس والتفت الساق بالساق
قال اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخره فتلتقي الشده بالشده الا من رحمه
الله اي شده كرب الموت بشده هول المطلع والدليل على هذا قوله تعالى
الى ربك يومئذ المساق وقال مجاهد بلاء ببلاء يقول تتابعت
عليه الشدايد وقال الضحاك وابن زيد اجتمع عليه امران شديدان الناس
يجهزون جسده والملايكه يجهزون روحه والعرب لا تذكر الساق
الا في الشدايد والمحن العظام ومنه قولهم قامت الدنيا على ساق وقامت
الحرب على ساق وقامت الحرب بنا على ساق وقد مضى هذا المعنى في اخر
سوره القلم وقال قوم الكافر تعذب روحه عند خروج نفسه
فهذه الساق الاولى ثم يكون بعدهما ساق البعث وشدايده الى ربك اي الى
خالقك يومئذ اي يوم القيمه المساق اي المرجع وفي بعض التفسير قال يسوقه
ملكه الذي كان يحفظ عليه السيات والمساق المصدر من ساق يسوق
كالمقال من قال يقول قوله تعالى فلا صدق ولا صلى اي لم يصدق
ابو جهل ولم يصل وقيل يرجع هذا الى الانسان في اول السوره وهو اسم
جنس والاول قول ابن عباس اي لم يصدق بالرساله ولا صلى ودعا لربه
وصلى على رسوله وقال قتاده فلا صدق بكتاب الله وقيل ولا صدق بماله

ذخرا عند الله ولا صلى الصلوات التي امره الله بها وقيل فلا امن بقلبه
ولا عمل ببدنه قال الكسائي لا بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره تقول
العرب لا عبد الله خارج ولا فلان ولا تقول مررت برجل لا محسن حتى يقال
ولا مجمل وقوله فلا اقتحم العقبه ليس من هذا القبيل لان معناه افلا اقتحم
اي فهلا اقتحم فحذف الف الاستفهام وقال الاخفش فلا صدق
اي لم يصدق كقوله تعالى فلا اقتحم اي لم يقتحم ولم يشترط ان يعقبه بشي
اخر والعرب تقول لا ذهب اي لم يذهب فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي
المستقبل ومنه قول زهير فلا هو ابداها ولم يتقدم
ولكن كذب وتولى اي كذب بالقران وتولى عن
الايمان ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر افتخارا بذلك قاله مجاهد
وغيره قال مجاهد المراد به ابو جهل وقيل يتمطى من المطا وهو الظهر والمعنى
يلوي مطاه وقيل اصله يتمطط وهو التمدد من التكسل والتثاقل فهو
يتثاقل عن الداعي الى الحق فابدل من الطا يا كراهه التضعيف والتمطي يدل على
قله الاكتراث وهو التمدد كانه يمد ظهره ويلويه من التبختر والمطيطه الما
الخاثر الذي في اسفل الحوض لانه يتمطط اي يتمدد وفي الخبر اذا مشت
امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم كان باسهم بينهم والمطيطا التبختر
ومد اليدين في المشي قوله تعالى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى تهديد بعد
تهديد ووعيد بعد وعيد فهو وعيد اربعه لاربعه كما روي انها
نزلت في ابي جهل الجاهل بربه فقال فلا صدق ولا صلى ولكن كذب
وتولى اي لا صدق رسول الله ولا وقف بين يدي فصلى ولكن كذب
رسولي وتولى عن الصلاه بين يدي فترك التصديق خصله والتكذيب خصله

وترك الصلوات خصلة والتولي عن الله تعالى خصلة فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك
الخصال الأربعة والله أعلم لا يقال فإن قوله ثم ذهب إلى أهله يتمطى خصلة خامسة
فإنا نقول تلك كانت عادته وقيل التكذيب والتولي فأخرجها وذلك بين في قول قتادة على
ما نذكره وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات ليلة
فاستقبله أبو جهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم فأخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده فهزه مرة أو مرتين ثم قال أولى لك فأولى فقال أبو جهل
أتهددني فوالله إني لأعز أهل الوادي وأكرمه ونزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما قال لأبي جهل وهي كلمة وعيد وقال الشاعر

فأولى ثم أولى ثم أولى   وهل للدر يحلب من مرد

قال قتادة أقبل أبو جهل بن هشام يتبختر فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم
بيده فقال أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال ما تستطيع أنت
ولا ربك لي شيئا إني لأعز من بين جبليها فلما كان يوم بدر أشرف على المسلمين
لا يعبد الله بعد هذا اليوم أبدا فضرب الله عنقه وقتله شر قتلة وقيل
معناه الويل لك ومنه قول الخنساء

هممت بنفسي بعض الهموم   فأولى لنفسي أولى لها
سأحمل نفسي على آلة   فإما عليها وإما لها

الآلة الحالة والآلة السرير أيضا والآلة السرير الذي يحمل عليه الميت وعلى
هذا التأويل قيل هو من المقلوب كأنه قيل أويل ثم أخر الحرف المعتل والمعنى
الويل لك حيا وميتا والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار
وهذا التكرير كما قال   لك الويلات إنك مرجلي
أي لك الويل ثم الويل وضعف هذا القول وقيل معناه الذم لك أولى
لك من تركه إلا أنه كثر في الكلام فحذف وقيل المعنى أنت أولى

وأجدر بهذا العذاب وقال أبو العباس أحمد بن يحيى قال الأصمعي
أولى في كلام العرب مقاربة الهلاك كأنه يقول قد وليت الهلاك قد دانيت
الهلاك وأصله من الولي وهو القرب قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار أي يقربون منكم وأنشد الأصمعي   فأولى أن يكون له الولاء
أي قارب أن يكون له وأنشد أيضا   أولى لمن هاجت له أن يكمدا
أي قد دنا صاحبها الكمد وكان أبو العباس ثعلب يستحسن قول
الأصمعي ويقول ليس أحد يفسر كتفسير الأصمعي قال النحاس العرب تقول
أولى لك كدت تهلك ثم أفلت وكأن تقديره أولى لك وألزم لك الهلكة قال المهدوي ولا تكون
أولى أفعل منك وتكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال الوعيد أولى له من غيره
لأن أبا زيد قد حكى أولاة الآن إذا أوعدوا فدخول علامة التأنيث دليل على أنه
ليس كذلك ولكنه عن أولى ولم ينصرف عن أولى لأنه صار علما للوعيد
فصار كرجل اسمه أحمد وقيل التكرير فيه على معنى ألزم لك على عملك السيء
الأول ثم على الثاني والثالث والرابع كما تقدم قوله تعالى أيحسب الإنسان
أي أيظن ابن آدم أن يترك سدى أي أن يخلى مهملا فلا يؤمر ولا ينهى قاله
ابن زيد ومجاهد ومنه إبل سدى ترعى بلا راع وقيل أيحسب أن يترك
في قبره كذلك أبدا لا يبعث وقال الشاعر

فأقسم بالله جهد اليمين   ما ترك الله شيئا سدى

ألم يك نطفة من مني يمنى أي من قطرة ماء تمنى في الرحم أي تراق فيه
ولذلك سميت منى لإراقة الدماء وقد تقدم والنطفة الماء القليل يقال نطفت
الماء إذا قطر أي ألم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المرأة وقرأ
حفص من مني يمنى بالياء وهي قراءة ابن محيصن ومجاهد ويعقوب

وعباس عن ابي عمرو واختاره ابو عبيدة لاجل المني للبا فون بالنا لاجل النطفه واختاره
ابو حاتم ثم كان علقه اي دما بعد النطفه اي قدر به تعالى بهذا كله
على حبنه وقدره ثم قال الخلق فسوى اي فسواه تسويه وعدله تعديلا يجعل
الروح فيه فحصل منه اي من الانسان وقيل من مني الذكر والانثى اي الرجل والمراه
وقد احتج بهذا من راي اسقاط الخنثى وقد مضى في سورة الشورى ان هذه
الايه وقد بينها انما خرجنا مخرج الغالب وقد مضى في اول السوره سورة
النسا معنى القول فيه وذكرنا في ايه المواريث حكمه ولا معنى لاعادته
اليس ذلك بقادر اي اليس الذي قدر على خلق هذه النسمه من قطره من ماء بقادر
على ان يحيي الموتى اي على ان يعيد هذه الاجسام كهيئتها للبعث بعد
البلى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال سبحانك
اللهم بلى وقال ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او
غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم القيمه الى اخرها فليقل
سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره ذكره الثعلبي من حديث ابي
اسحق السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم

سورة الانسان مكيه

في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وقال الجمهور مدنيه وقيل
فيها مكي من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى اخر السوره وما
تقدمه مدني وهي احدى وثلاثون ابو ذهب ابن وهب قال حدثنا ابن
زيد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر
وقد انزلت عليه وعنده رجل اسود كان يسال النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له عمر بن الخطاب حسبك لا تثقل على النبي صلى الله عليه وسلم قال
دعه يا ابن الخطاب قال فنزلت عليه هذه السوره وهو عنده

فلما قراها عليه وبلغ صفه الجنان زفر زفره فخرجت نفسه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم او اخيكم الشوق الى الجنه وروي
عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ وسياتي وقال القشيري ان هذه
السوره نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه والمقصود من السوره عام وهكذا القول في كل
ما يقال انه نزل بسبب كذا وكذا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا هل بمعنى قد قاله الكسائي
والفرا وابو عبيده وقد حكي عن سيبويه هل بمعنى قد قال الفرا هل تكون
جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك تقرره بانك اعطيته
والجحد بان تقول هل يقدر احد على مثل هذا وقيل هي بمنزله الاستفهام والمعنى
اتى والانسان هنا ادم عليه السلام قاله قتاده والثوري وعكرمه والسدي
وروي عن ابن عباس حين من الدهر قال ابن عباس في روايه ابي صالح الحين
اربعون سنه مرت به قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكه والطايف
وعن ابن عباس ايضا في روايه الضحاك انه خلق من طين فاقام اربعين سنه ثم
من حما مسنون اربعين سنه ثم من صلصال اربعين سنه فتم خلقه بعد مايه
وعشرين سنه وزاد ابن مسعود فقال اقام وهو من تراب اربعين سنه فتم خلقه
بعد مايه وستين سنه ثم نفخ فيه الروح وقيل الحين المذكور ها هنا لا يعرف مقداره
عن ابن عباس ايضا حكاه الماوردي لم يكن شيا مذكورا قال الضحاك
عن ابن عباس لا في السما ولا في الارض وقيل اي كان جسدا مصورا
ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه
الروح فصار مذكورا قاله الفرا وقطرب وثعلب وقال يحيى بن سلام
لم يكن شيا مذكورا وقيل ليس هنا الذكر بمعنى الاخبار فان اخبار الرب
عن الكاينات قديم بل هذا الذكر بمعنى الخطر والشرف والقدر تقول فلان

مذكورا اي له شرف وقدر وقد قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي فقد اتى
على الانسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة ثم لما عرف الله الملائكة جعل ادم خليفة
وحمله الامانة التي عجزت عنها السموات والارض والجبال ظهر فضله على الكل
فصار مذكورا قال القشيري وعلى الجملة ما كان مذكورا للخلق وان كان
مذكورا لله وحكى محمد بن الجهم عن الفرا لم يكن شيئا ولم يكن مذكورا
وقال قوم النفي يرجع الى الشي اي قد مضى مدد من الدهر وادم لم يكن شيئا
يذكر في الخليقة لانه اخر ما خلقه من اصناف الخليقة والمعدوم ليس بشي حتى
ياتي عليه حين والمعنى قد مضت عليه ازمنة وما كان ادم شيئا ولا مخلوقا
ولا مذكورا لاحد من الخليقة وهذا معنى قول قتادة ومقاتل قال
قتادة انما خلق الانسان حديثا لا نعلم من خليقة الله عز وجل خليقة كانت
بعد الانسان وقال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير وتقديره هل اتى
حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله
ولم يخلق بعده حيوانا وقد قيل الانسان في قوله تعالى هل اتى على الانسان
عني به الجنس من ذرية ادم وان الحين تسعة اشهر مدة حمل الانسان في
بطن امه لم يكن شيا مذكورا اذا كان علقة ومضغة لانه في هذه
الحال جماد لا خطر له وقال ابو بكر رضي الله عنه لما قرا هذه الاية ليتها
تمت فلا نبتلى اي ليت المدة التي اتت على ادم لم يكن شيا مذكورا تمت على
ذلك فلا يلد ولا يبتلى اولاده وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرا هل
اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فقال ليتها تمت قوله تعالى
انا خلقنا الانسان اي ابن ادم من غير خلاف من نطفة اي ما يقطر وهو المني
وكل ما قليل في وعا فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحه
يعاتب نفسه ⁘ ما لي اراك تكرهين الجنه هل انت الا نطفة من شنه

وجمعها نطف ونطاف امشاج اخلاط واحدها مشج ومشيج مثل خدن وخدين
قال روبه

بطرح كل سمحج امشاج ... لم يكس جلدا في دم امشاج

ويقال مشجت هذا بهذا اي خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط
وقال المبرد واحد الامشاج مشيج يقال مشج يمشج اذا خلط وهو
ههنا اختلاط النطفة بالدم قال الشماخ

طوت احشاء مرتجة لوقت ... على مشج سلالته مهين

الفرا امشاج اخلاط ما المراة وما الرجل والدم والعلقة ويقال للشي من هذا
اذا خلط مشيج كقولك خليط وممشوج كقولك مخلوط وروي عن ابن عباس
رضي الله عنه قال الامشاج الحمرة في البياض والبياض في الحمرة وهذا قول
يختاره كثير من اهل اللغة قال الهذلي

كان الريش والفوقين منه ... خلاف النصل سيط به مشيج

وعن ابن عباس ايضا يختلط ما الرجل وهو ابيض غليظ بما المراة وهو اصفر
رقيق فيخلق منه الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ما الرجل وما كان
من لحم ودم وشعر فمن ما المراة وقد روي هذا مرفوعا ذكره البزار عن ابن مسعود
امشاجها عروق المضغة وعنه ما الرجل وما المراة وهما لونان وقال
مجاهد نطفة الرجل بيضا وحمرا ونطفة المراة خضرا وصفرا وقال ابن
عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ما الفرج والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم عظم ثم لحم ونحوه قال قتادة هي اطوار الخلق طورا نطفة وطورا
علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم يكسو العظام لحما كما قال في سورة
المومنين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال ابن
السكيت الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من انواع فخلق الانسان
منها ذا طبايع مختلفة وقال اهل المعاني الامشاج ما جمع وهو في معنى

الواحد لانه نعت للنطفة كما يقال برمة اعشار وثوب اخلاق وروي عن
ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال جاء حبر من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اخبرني عن ماء الرجل وماء المراة فقال ماء الرجل ابيض غليظ وماء المراة
اصفر رقيق فاذا علا ماء المراة انثت وان علا ماء الرجل ذكرت فقال
الحبر اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله وقد مضى القول في هذا
مستوفى في سورة البقرة ٥ نبتليه اي نختبره وقيل نقدر فيه الابتلا
وهو الاختبار وفيما نختبره به وجهان احدهما نختبره بالخير والشر قاله
الكلبي الثاني نختبر شكره في السرا وصبره في الضرا قاله الحسن وقيل نبتليه
نكلفه وفيه ايضا وجهان احدهما العمل بعد الخلق قاله مقاتل الثاني
الدين ليكون ماموراً بالطاعة ومنهيا عن المعصية وروي عن ابن عباس
نبتليه نصرفه خلقاً بعد خلق لنبتليه بالخير والشر وحكى محمد بن الجهم
عن الفرا قال المعنى والله اعلم جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهي مقدمة
معناها التاخير لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل
جعلناه سميعا يسمع به الهدى وبصيرا يبصر به الهدى قوله تعالى انا
هديناه السبيل اي بيناه له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير
والشر ببعث الرسل فامن او كفر كقوله تعالى وهديناه النجدين وقال
مجاهد اي بينا له السبيل الى الشقاوة والسعادة وقال الضحاك
وابو صالح والسدي السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل معناه منافعه
ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال عقله ٥ اما شاكرا واما كفورا
اي ايهما فعل فقد بيناه له قال الكوفيون ان هنا تكون جزاء وما
زايدة اي بينا له الطريق ان شكر او كفر واختاره الفرا ولم يجزه البصريون

اذ لا تدخل ان الجزائية على الاسما الا ان يضمر بعدها فعل وقيل اي هديناه الرشد
اي بيناه له سبيل التوحيد بنصب الادلة عليه ثم ان خلقنا له الهداية اهتدى
وامن وان خذلناه كفر وهو كما تقول لنصحت لك ان شئت فاقبل وان
شئت فاترك اي فان شئت فتحذف الفا وكذا فاما شاكرا والله اعلم ويقال
هديته السبيل والى السبيل وقد تقدم في الفاتحة وغيرها وجمع بين الشاكر
والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة في الشكر
وانما اتى في الكفر لان شكر الله تعالى لا يودى فانتفت عنه المبالغة
ولم ينتف عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر
كفره وان قل مع الاحسان اليه حكاه الماوردي قوله تعالى انا اعتدنا
للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا بين حال الفريقين وانه تعبد العقلا
وكلفهم ومكنهم مما امرهم فمن كفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب
٥ والسلاسل القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا كما مضى
في سورة الحاقة وقرا نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم وهشام عن
ابن عامر سلاسلا منونا الباقون بغير تنوين ووقف قنبل وابن كثير
وحمزة بغير الف ٥ الباقون بالالف واما قواريرا الاول فنونه نافع وابن
كثير والكسائي وابو بكر عن عاصم ولم ينون الباقون ووقف يعقوب
وحمزة بغير الف والباقون بالالف واما قواريرا الثانية فنونه نافع
والكسائي وابو بكر ولم ينون الباقون فمن نون قراها بالالف ومن لم
ينون اسقط منها الالف واختار ابو عبيد التنوين في الثلاثة
والوقف بالالف اتباعا لخط المصحف قال لاني رايت في مصحف عثمان سلاسلا
بالالف وقواريرا الاول بالالف وكان الثاني مكتوبا بالالف فحكت فرايت اثرها
هناك بينا فمن صرف فله اربع حجج احدها ان الجمع اشبه الاحاد فجمعت جمع الاحاد

فصرفت الثانيه ان الاخفش حكي عن العرب صرف جميع ما لا ينصرف
الا افعل منك وكذا قال الكسائي والفرا هو على لغه من يجر الاسما كلها
الا قولهم هو اظرف منك فانهم لا يجرونه وانشد ابن الانباري في ذلك قول
عمرو بن كلثوم يقول

كان سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بايدي لاعبينا

وقال لبيد

وجزورايسار يدعون لحتفها بمغالق متشابه اعلامها

وقال ايضا

فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغايب غنامها

فصرف مخاريق ومغاليق ورغايب وسبيلها ان لا تصرف والحجه الثالثه
ان يقول نونت قواريرا الاول لانه راس ايه ورووس الاي جاءت بالنون
كقوله عز وجل مذكورا سميعا بصيرا فنونا الاول لتوفق بين رووس
الايات ونونا الثاني على الجوار للاول والحجه الرابعه اتباع المصاحف
وذلك انهما جميعا في مصاحف مكه والمدينه والكوفه بالالف وقد احتج
من لم يصرفهن بان قال ان كل جمع بعد الالف منه ثلثه احرف او حرفان
او حرف مشدد لا ينصرف في معرفه ولا في نكره فالذي بعد الالف منه
ثلثه احرف فنحو قناديل ودنانير ومناديل والذي بعد الالف
حرفان فقول الله عز وجل لهدمت صوامع لان بعد الالف حرفين
وكذلك قوله ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا والذي بعد الالف
منه حرف مشدد شوات وذوات وقال خلف سمعت يحيى
ابن ادم يحدث عن ابن ادريس قال في المصاحف الحرف الاول والثاني
بغير الف فهذا حجه لمذهب حمزه وقال خلف رايت في مصحف

ينسب الي قراه ابن مسعود الاول بالالف والثاني بغير الف واما
افعل منك فلا يقول احد من العرب في شعره ولا في غيره هو افعل منك
منونا لان من يقوم مقام الاضافه فلا يجمع بين تنوين واضافه في حرف
لانهما دليلان من دلايل الاسما ولا يجمع بين دليلين قاله الفرا وغيره
قوله تعالى واغلالا جمع غل يغل بها ايديهم الي اعناقهم وعن جبير بن نفير
عن ابي الدردا كان يقول ارفعوا هذه الايدي الي الله جل ثناوه قبل
ان تغل بالاغلال وقال الحسن ان الاغلال لم تجعل في اعناق اهل النار
لانهم اعجزوا الرب سبحانه وتعالى ولكن اذا طفا بهم اللهب ارسبتهم تقدم القول
فيه قوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس الابرار اهل الصدق واحدهم
بر وهو من امتثل امر الله وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد واشهاد
وقيل هو جمع بر مثل نهر وانهار وفي الصحاح وجمع البر الابرار وجمع البار
البرره وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه والام بره بولدها وروي ابن
عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله جل ثناوه الابرار لانهم بروا الابا
والابنا كما ان لوالدك عليك حقا كذلك عليك لولدك حق وقال الحسن البر
الذي لا يوذي الذر وقال قتاده الابرار الذين يودون حق الله ويوفون
بالنذر وفي الحديث الابرار الذين لا يوذون احدا يشربون من كاس اي
من اناء فيه الشراب قال ابن عباس يريد الخمر والكاس في اللغه الانا
فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا قال الشاعر
وهو عمرو بن كلثوم

صببت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا

قال الاصمعي يقال صببت عنا الهديه اذا ما كان من معروف
يصبن صبا تمعين كففت قاله الجوهري كان مزاجها اي شوبها

وخلطها قال كان سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء
ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة
كافورا قال ابن عباس هو اسم عين ماء في الجنة عينا بدلا من
كافور على هذا وقيل بدل من كأس على الموضع وقيل هي حال من المضمر
في مزاجها وقيل نصب على المدح كما يذكر الرجل فيقول العاقل اللبيب اي
ذكرتم العاقل اللبيب فهو نصب باضمار اعني وقيل يشربون عينا قال
الزجاج المعنى من عين ويقال كافور وقافور والكافور ايضا وعاء طلع النخل
وكذلك الكفرى قاله الاصمعي واما قول الراعي

تكسو المفارق واللبات ذا ارج من قصب معتلف الكافور دراج

فان الظبي الذي يكون منه المسك انما يرعى سنبل الطيب فجعله كافورا يشرب
بها قال الفراء يشربها ويشرب بها سواء في المعنى وكان يشرب بها
يروى بها وينتفع بها وانشد

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن حابيل

قال ومثله يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا وقيل المعنى
يشربها والباء زائدة وقيل الباء بدل من تقديره يشرب منها قاله القتبي
يفجرونها تفجيرا اي يقال ان الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد
الى قصوره وبيده قضيب يشير به الى الماء فيجري معه حيثما دار
في منازله على مستوى الارض في غير اخدود ويتبعه حيثما صعد
الى اعلى قصوره وذلك قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها
تفجيرا اي يشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر ها هنا وها هنا الى حيث
يريد الرجل وعن ابن ابي نجيح عن مجاهد يفجرونها تفجيرا يقودونها
حيث شاؤوا وتتبعهم حيث ما لوا مالت معهم وروى ابو مقاتل
عن صالح بن سعيد عن ابي سهل عن الحسن قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش
احداهما التي ذكر الله يفجرونها تفجيرا والاخرى نضاختان من فوق
العرش احداهما التي ذكر الله سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال فالتسنيم للمقربين خاصة شربا لهم
والكافور للابرار يشربونها يمزج للابرار من التسنيم شرابهم واما الزنجبيل
والسلسبيل فللابرار منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وسكت عن ذكر
ذلك لمن هي شرب فما كان للابرار مزج فهو للمقربين صرف وللابرار مزاج والابرار
هم الصادقون والمقربون هم الصديقون قوله تعالى يوفون بالنذر
اي لا يخلفون اذا نذروا وقال معمر عن قتادة بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة
والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات وقال مجاهد وعكرمة
يوفون اذا نذروا في حق الله تعالى وقال الفراء والجرجاني وفي
الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا والعرب قد تزيد مرة كان
وتحذف اخرى والنذر حقيقته ما اوجبه المكلف على نفسه من فعله
وان شئت قلت في حد النذر هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات
ما لم يوجبه لم يلزمه وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتممون العهد والعهود
والمعنى واحد وقد قال الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم
اي اعمال نسكهم التي الزموها انفسهم باحرامهم بالحج وهذا يقوي قول قتادة
وان النذر يندرج فيه ما التزمه المرء بايمانه من امتثال امر الله تعالى
قاله القشيري وروى اشهب عن مالك انه قال يوفون بالنذر هو نذر
العتق والصيام والصلاة وروى عنه ابو بكر بن عبد العزيز
قال قال مالك يوفون بالنذر هو اليمين قوله تعالى ويخافون اي يحذرون
يوما اي يوم القيامة كان شره مستطيرا اي عاليا فاشيا وهو في اللغة

ممتدًا والعرب تقول استطار الصدع في القاروره والزجاجه واستطال اذا امتد قال الاعشى

فبانت وقد اسارت في الفواد صدعًا على نايها مستطيرا

ويقال استطار الحريق اذا انتشر واستطار الفجر اذا انتشر الضو قال حسان

وهان على سراه بني لوي حريق بالبويره مستطير

وكان قتادة يقول استطار والله شره حتى ملا السموات والارض وقال مقاتل كان شره فاشيًا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملايكه وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قال ابن عباس ومجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له وقال الداراني على حب الله وقال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام وكان الربيع بن خثيم اذا جاءه السايل قال اطعموه سكرا فان الربيع يحب السكر مسكينا اي ذا مسكنه فروى ابو صالح عن ابن عباس قال هو الطواف ويتيما اي من يتامى المسلمين وروي عنه سويد عن الحسن ان يتيما كان يحضر طعام ابن عمر فدعا ذات يوم بطعامه فطلب اليتيم فلم يجده وجا بعدما فرغ ابن عمر من طعامه فلم يجد الطعام فدعا له بسويق وعسل فقال دونك هذا فوالله ما غبنت قال الحسن وابن عمر والله ما غبن وأسيرا اي الذي يوسر فيحبس وروى ابو صالح عن ابن عباس قال الاسير يكون من اهل الشرك في ايديهم وقاله قتاده وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الاسير المحبوس وكذا قال سعيد بن جبير وعطا هو المسلم يحبس بحق وعن سعيد بن جبير مثل قول قتاده

وابن عباس قال قتاده لقد امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم يوميذ لاهل الشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وقال عكرمه الاسير العبد وقال ابو حمزه اليماني الاسير المراه يدل عليه قوله عليه السلام استوصوا بالنسا خيرًا فانهن عوان عندكم اي اسيرات وقال ابو سعيد الخدري في النبي صلى الله عليه وسلم ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فقال المسكين الفقير اليتيم الذي لا اب له والاسير المملوك والمسجون ذكره الثعلبي وقيل نسخ طعام الصدقات وطعام الاسير السيف قاله سعيد بن جبير وقال غيره بل هو ثابت الحكم واطعام اليتيم والمسكين على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الى ان يتخير فيه الامام قال الماوردي ويحتمل ان يريد بالاسير الناقص العقل لانه في اسر خبله وجنونه واسر المشرك انتقام يوقف على راي الامام وهذا بر واحسان وعن عطا قال الاسير من اهل القبله وغيرهم قلت وكان هذا القول عام يجمع جميع الاقوال ويكون اطعام الاسير المشرك قربه الى الله تعالى غير انه من صدقه التطوع فاما المفروضه فلا والله اعلم وقد مضى القول في اليتيم والمسكين والاسير واشتقاق ذلك في اللغه في البقره مستوفى والحمد لله قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله اي يقولون بالسنتهم للمسكين واليتيم والاسير انما نطعمكم في الله جل ثناوه فزعا من عذابه وطمعا في ثوابه لا نريد منكم جزا اي مكافاه ولا شكورا اي ولا تثنوا علينا بذلك قال ابن عباس كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين اطعموا وعن سالم عن مجاهد قال اما انهم ما تكلموا به ولكن الله جل ثناوه علمه منهم فاثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب وقاله سعيد بن جبير حكاه عنه القشيري

وقيل ان هذه الاية نزلت في مطعم بن ورقاء الانصاري نذر نذرا فوفا به
وقيل نزلت فيمن تكفل أسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين ابو بكر
وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وابو عبيدة رضي الله عنهم
ذكره الماوردي وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم
في يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا قال ابو حمزة الثمالي
بلغني ان رجلا قال يا رسول الله اطعمني فاني والله مجهود فقال والذي
نفسي بيده ما عندي ما اطعمك ولكن اطلب فاتا رجل من الانصار
وهو يتعشى مع امراته فساله واخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
المراه اطعمه واسقه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم يتيم فقال يا رسول الله
اطعمني فاني مجهود فقال ما عندي ما اطعمك ولكن اطلب فاستطعم
ذلك الانصاري فقالت المراه اطعمه واسقه فاطعمه وسقاه ثم اتى النبي
صلى الله عليه وسلم اسير فقال يا رسول الله اطعمني فاني مجهود فقال
والله ما معي ما اطعمك ولكن اطلب فجا الانصاري فطلب فقالت
المراه اطعمه واسقه فاطعمه وسقاه فنزلت ويطعمون الطعام على
حبه مسكينا ويتيما واسيرا ذكره الثعلبي وقد قال اهل
التفسير نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها
فضة قلت والصحيح انها نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا
حسنا فهي عامة وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد
من المفسرين قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثا لا يصح ولا يثبت
رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عز وجل يوفون بالنذر
ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا قال مرض الحسن والحسين فعادهما

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادهما عمومة العرب فقالوا يا ابا الحسن
ورواه جابر الجعفي عن قنبر مولى علي رضي الله عنه قال مرض الحسن
والحسين حتى عادهما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن رجع الحديث الى حديث ليث بن ابي سليم
لو نذرت عن ولدك نذرا وكل نذر ليس له وفا ليس بشي فقال علي رضي الله عنه
ان برا ولدي صمت لله ثلاثة ايام شكرا وقالت جارية لهم
نوبية ان برا سيداي صمت لله ثلاثة ايام شكرا وقالت
فاطمة مثل ذلك وفي حديث الجعفي فقال الحسن والحسين علينا مثل ذلك
فالبس الغلامان العافية وليس عند ال محمد قليل ولا كثير فانطلق علي الى
سمعون بن حاريا الخيبري وكان يهوديا فاستقرض منه ثلاثة
اصوع من شعير فجا به فوضعه ناحية البيت فقامت فاطمة الى صاع
فطحنته وخبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل
فوضع الطعام بين يديه وفي حديث الجعفي فقامت الجارية الى صاع
من شعير فخبزت منه خمسة اقراص لكل واحد منهم قرص فلما مضى
من صيامهم اليوم الاول وضع بين ايديهم الخبز والملح الجريش اذ اتاهم
مسكين فوقف بالباب وقال السلام عليكم اهل بيت
محمد وفي حديث الجعفي انا مسكين من مساكين امة محمد وانا والله
جايع اطعموني اطعمكم الله على موايد الجنة فسمعه علي كرم الله وجهه
فانشا يقول

افاطم ذات السداد واليقين
يا بنت خير الناس اجمعين
اما ترين البائس المسكين
قد قام بالباب له حنين

بيتكوا الى الله وتشتكيين
تشكو الينا جايع حزين
كل امرء بكسبه رهين
وفاعل الخير سيستبين
موعدنا جنة عليين
حرمها الله على الظنين
وللبخيل موقف مهين
تهوي به النار الى سجين
شرابه الحميم والغسلين
من يفعل الخير يقم سمين
ويدخل الجنة اى حين

فانشدت فاطمة رضي الله عنها تقول

امرك يا ابن عم سمع طاعه ... ما بي من لوم ولا وضاعه
عدلت في الخير له صناعه ... ارجوا انا شبعت من مجاعه
ان الحق الاخيار والجماعه ... وادخل الخلد ولي شفاعه

فاعطوه الطعام ومكثوا ليلتهم ويومهم لم يذوقوا شيا الا الماء القراح فلما ان كان في اليوم الثاني قامت الى الصاع فطحنته واختبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين ايديهم فوقف بالباب يتيم فقال السلام عليكم اهل بيت النبوه يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبه اطعموني اطعمكم الله من موايد الجنه فسمعه علي كرم الله وجهه فانشد يقول

فاطم بنت السيد الكريم ... بنت نبي ليس بالزنيم

لقد اتى الله بذا اليتيم ... من يرحم اليوم يكن رحيم
ويدخل الجنة والنعيم ... قد حرم الجنة للئيم
يزل في النار الى الجحيم ... شرابه الصديد والحميم

فانشدت فاطمة رضي الله عنها تقول

اطعمه اليوم ولا ابالي ... واوثر الله على عيالي
امسوا جياعا وهم اشبالي ... اصغرهما يقتل في القتال
بكربلا يقتل باغتيال ... يا ويل قاتله من الوبال
تهوي في النار الى سفال ... وفي يديه الغل والاغلال
كبوله زادت على الاكبال

فاعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيا الا الماء القراح فلما كان في اليوم الثالث قامت الى الصاع الباقي فطحنته واختبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه اذا اتاهم اسير فوقف بالباب وقال السلام عليكم اهل بيت محمد تاسرونا وتشدونا ولا تطعمونا اطعموني فاني اسير محمد فانشا علي يقول

فاطمة بنت النبي احمد ... بنت نبي سيد مسود
سماه ربي احمد محمد ... قد زانه الله بحسن اغيد
هذا اسير للنبي المهتدي ... مثقل في غله مقيد
يشكو الينا الجوع قد تمدد ... من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد ... ان يزرع الزارع سوف يحصد
اعطيه لا تجعليه افعد

فانشدت فاطمة رضي الله عنها تقول

لم يبق مما جاء غير صاع ... قد ذهبت كفي مع الذراع
ابني والله هما جياع ... يا رب لا تتركهما ضياع
ابوهما للخير ذو اصطناع ... يصطنع المعروف بابتداع
عبل الذراعين مديد الباع ... وما على راسي من قناع
الا قناعا نسجه انساع

فاعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة ايام ولياليها لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح فلما كان اليوم الرابع وقد قضى الله النذر اخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين واقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ جوعا فلما بصر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا الحسن ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم انطلق بنا الى ابنتي فاطمه فانطلقوا اليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع فلما اتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف المجاعه في وجهها بكى وقال واغوثاه بالله اهل بيت محمد يموتون جوعا فهبط الامين جبريل عليه السلام وقال السلام يقريك السلام يا محمد خذ هنيئا في اهل بيتك قال وما اخذ يا جبريل فاقراه هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا الى قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول فهذا حديث مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفا الا يكون بهذه الصفه ولا يعلم ان صاحب هذا الفعل مذموم وقد قال الله في تنزيله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل الذي يفضل عن نفسه

وعيالك وجرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة بان خير الصدقه ما كان عن ظهر غنى وابدا بنفسك ثم بمن تعول وافترض الله على الازواج نفقة اهاليهم واولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت افيحسب عاقل ان عليا جهل هذا الامر حتى اجهد صبيانا صغارا من ابناء خمسة او ستة على جوع ثلاثة ايام ولياليهن حتى تضوروا من الجوع وغارت العيون منهم لخلاء اجوافهم حتى ابكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجهد هبا انه اثر على نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له ان يحمل اهله على ذلك وهبا ان اهله سمحت بذلك لعلي فهل جاز له ان يحمل اطفاله جوع ثلاثة ايام بلياليهن ما يروج مثل هذا الا على حمقى جهال ابى الله للقلوب المتنبهه ان تظن مثل علي هذا وليت شعري من حفظ هذه الابيات كل ليلة عن علي وفاطمه واجابة كل واحد منهما صاحبه حتى اداه الى هذا الراوي فهذا واشباهه من حديث اهل السجون فيما ارى بلغني ان قوما يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون احاديث في السمر واشباهه ومثل هذه الاحاديث مفتعله فاذا صارت الى الجهابذة ردوها وزيفوها وما من شيء الا وله افة ومكيده وما من شيء اكثر من افة الدين قوله تعالى انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا عبوسا من صفة اليوم اي يوما تعبس فيه الوجوه فالمعنى نخاف يوما ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل منه عرق كالقطران وعن ابن عباس الضيق والقمطرير الطويل وقال الشاعر

شديدا عبوسا قمطريرا

وقيل القمطرير الشديد تقول العرب يوم قمطرير وقماطر وعصيب بمعنى واشد الغم

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم اذا ما كان يوماً قماطر
بضم القاف والمقطر اذا اشتد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون
من الايام واطوله في البلاء قال الشاعر
ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها ولج بها اليوم العبوس القماطر
وقال الكسائي اقمطر اليوم وازمهر اقمطرارا وازمهرارا وهو
القمطرير والزمهرير ويوم مقمطر اذا كان صعباً شديداً قال الهذلي
بنو الحرب ارضعنا لهم مقمطرة ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب
وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين
فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم وانشد ابن الاعرابي
يغدو على الصيد يعود منكسر ويقمطر ساعة ويكفهر
وقال ابو عبيدة يقال رجل قمطرير اي متقبض ما بين العينين
وقال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها
وجمعت قطريها ورمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل
الميم زائدة قال اسد بن ناعصة
واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح
فوقاهم الله اي دفع عنهم شر ذلك اليوم اي بأسه وشدته
وعذابه ٥ ولقاهم اي اتاهم واعطاهم حين لقوه اي راوه نضرة اي حسناً
وسروراً اي حبوراً قال الحسن ومجاهد نضرة في وجوههم وسروراً
في قلوبهم وفي النضرة ثلثة اوجه احدها البياض والنقا قاله الضحاك
الثاني الحسن والبها قاله ابن جبير الثالث انها اثر النعمة قاله
ابن زيد قوله تعالى وجزاهم بما صبروا على الفقر وقال القرظي على
الصوم وقال عطا على الجوع ثلاثة ايام النذر وقيل بصبرهم
على طاعة الله وصبرهم عن معصية الله ومحارمه وما تصدقوا به وهذا على

ان الاية نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلاً حسناً وروي عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة
الاولى والصبر على اداء الفرائض والصبر على اجتناب المعاصي والصبر على
المصايب ٥ جنة وحريراً اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير اي يسمى بحرير الدنيا
وكذلك الذي في الاخرة ما شا الله من الفضل ٥ وقد تقدم ان من لبس الحرير
في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وانما البسه من البسه في الجنة عوضاً عن حبسهم
انفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها قوله تعالى متكئين
فيها اي في الجنة ونصب متكئين على الحال من الها والميم في جزاهم والعامل
فيها جزا ولا يعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا واتكاهم في الاخرة
وقال الفرا وان شئت جعلت متكئين تابعاً كانه قال جزاهم
جنة متكئين فيها على الارائك السرر وقد تقدم وجاءت عن العرب
اسما تحتوي على صفات احدها الاريكة لا تكون الا في حجلة على سرير
ومنها السجل وهو الدلو الملي ماءً فاذا صغرت لم تسم سجلاً وكذلك
الذنوب لا يسمى ذنوباً حتى يملا والكاس لا يسمى كاساً حتى يترع
من الخمر وكذلك الطبق الذي يهدى عليه الهديه مهدى فاذا كان
فارغاً سمي طبقاً او خواناً قال ذو الرمة
خدوداً جفت في السير حتى كانما يباشرن بالمعزاء مس الارائك
اي الفرش على السرر ٥ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً اي لا يرون
في الجنة شدة حر كحر الشمس ولا زمهريراً اي ولا برداً مفرطاً قال الاعشى
منعمة طفلة كالمهاة لم تر شمساً ولا زمهريرا
وعن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشتكت النار الى ربها عز وجل قالت يا رب اكل بعضي
بعضاً فجعل لها نفسان نفس في الشتاء ونفس في الصيف فشده

والحجلة بفتحتين واحدة حجال العرس وهو بيت يزين بالثياب والاسرة والستور صحاح

اي امتلأ صح

ما يجدون من البرد من زمهريرها وشدته كما يجدون من الحر في الصيف من
سمومها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هوا الجنة سجسج لا حر
ولا برد والسجسج الظل الممدود كما بين طلوع الشمس وطلوع الفجر وقال
مره الهمداني الزمهرير البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان هو شي مثل
رؤوس الابر ينزل من السماء في غاية البرد وقال ابن مسعود هو لون
من العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيه سالوا الله
ان يعذبهم في النار الف سنة اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا
قال ابو النجم   لو كنت زنجا كنت زمهريرا
وقال ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي قال شاعرهم

وليلة ظلامها قد اعتكر   قطعتها والزمهرير ما زهر

ويروى ما ظهر اي لم يطلع القمر فالمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس
الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا اي انهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا
نهار لان ضوء النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر وقد مضى المعنى مجردا
في سورة مريم عند قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وقال ابن عباس بينما اهل الجنة اذ راوا نورا ظنوه شمسا
قد اشرقت بذلك النور الجنة فيقولون قال ربنا لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا فما هذا النور فيقول لهم رضوان ليست هذه شمسا ولا قمرا
ولكن هذه فاطمة وعلي ضحكا فاشرقت الجنان من نور ضحكهما
وفيهما انزل الله تعالى هل اتى على الانسان وانشد

انا مولى لفتى   انزل فيه هل اتى
ذاك علي المرتضى   وابن عم المصطفى

ودانية عليهم ظلالها اي ظل الاشجار في الجنة قريبة من الابرار
فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وان كان لا شمس ولا قمر ثم كما ان امشاطهم

الذهب والفضة وان كان لا وسخ ولا شعث ثم ويقال ان ارتفاع
الاشجار في الجنة مقدار مائة عام فاذا اشتهى ولي الله ثمرتها تدانت منه
حتى يتناولها وانتصب دانية على الحال عطفا على متكئين كما تقول في
الدار عبد الله متكئا ومرسلة عليه الحجال وقيل انتصب نعتا للجنة
اي وجزاهم جنة دانية فهي صفة لموصوف محذوف وقيل على
موضع لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ويرون دانية وقيل على المدح
اي دنت دانية قاله الفراء ظلالها الظلال مرفوعة بدانية ولو قرئ
برفع دانية على ان تكون الظلال مبتداه ودانية الخبر لجاز وتكون
الجملة في موضع الحال من الهاء والميم في جزاهم وقد قرئ بذلك وفي قراءة
عبد الله ودانيا عليهم لتقدير الفعل وفي حرف ابي ودان رفع على
الاستيناف وذللت اي وسخرت لهم قطوفها اي ثمارها تذليلا اي
تسخيرا فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع لا يرد ايديهم عنها
بعد ولا شوك قاله قتادة وقال مجاهد ان قام احد ارتفعت له
وان جلس تدلت عليه وان اضطجع دنت منه فاكل منها وعنه
ايضا ارض الجنة من فضة وترابها الزعفران وطيبها مسك
اذفر واصول شجرها ذهب وورقها وافنانها اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت والثمر تحت ذلك كله فمن اكل منها قائما لم توذه ومن اكل
منها قاعدا لم توذه ومن اكل منها مضطجعا لم توذه وقال
ابن عباس اذا هم ان يتناول من ثمارها تدلت اليه حتى يتناول منها
ما يريد وتذليل القطوف تسهيل التناول والقطوف الثمار
الواحد قطف بكسر القاف سمي به لانه يقطف كما سمي الجني لانه يجنى
تذليلا تاكيد لما وصف به من الذل كقوله تعالى ونزلناه
تنزيلا وكلم الله موسى تكليما قال الماوردي

ويحتمل ان يكون تذليل قطوفها ان تبرز لهم من اكمامها وتخلص لهم من نواها
قلت وهذا فيه بعد فقد روى ابن المبارك قال اخبرنا سفيان عن
حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جذوع نخل الجنة زمرد
اخضر وكرانيفها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم
وحللهم وثمرها امثال القلال وهي اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
والين من الزبد ليس فيه عجم قال ابو جعفر النحاس ويقال
المذلل الذي قد ذلله الماء اي ارواه ويقال المذلل الذي تغبيته اي
زيح لغمته ويقال المذلل المسوي لان اهل الحجاز يقولون ذلل نخلك
اي سوه ويقال المذلل القريب المتناول ومن قولهم حائط ذليل
اي قصير قال ابو جعفر وهذه الاقوال التي قد حكيناها
ذكرها اهل العلم باللغة وقالوها في قول امرئ القيس بقوله
وساق كانبوب السقي المذلل ● **قوله تعالى** ويطاف عليهم
بآنية من فضة واكواب اي تدور على هؤلاء الابرار والخدم
اذا ارادوا الشراب بآنية من فضة قال ابن عباس ليس
في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء اي ما في الجنة اشرف واعلى وابقى
ثم لم ينف الاواني الذهبية بل المعنى يسقون في اواني الفضة وقد
يسقون في اواني الذهب وقد قال يطاف عليهم بصحاف من ذهب
واكواب وقيل نبه بذكر الفضة على الذهب كقوله تعالى سرابيل
تقيكم الحر اي والبرد فنبه بذكر احدهما على الثاني والاكواب الكيزان
العظام التي لا آذان لها ولا عرى واحدها كوب قال

متكئا تقرع ابوابه يسعى عليه العبد بالكوب

وقد مضى في الزخرف ● كانت قوارير قوارير من فضة اي في صفاء القوارير

ولون الفضة فصفاؤها صفاء الزجاج وهي من فضة وقيل
ارض الجنة من فضة والاواني تتخذ من تربة الارض التي هي منها ذكره
ابن عباس وقال ليس في الجنة شيء الا قد اعطيتم في الدنيا شبهه
الا القوارير من فضة وقال لو اخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها
حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم تر من ورائها الماء ولكن قوارير الجنة مثل الفضة
في صفاء القوارير ● قدروها تقديرا قراءة العامة بفتح القاف والدال
اي قدرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم قال ابن عباس ومجاهد
وغيرهما اتوا بها على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان قال الكلبي وذلك
الذ واشهى فقدرتها الملائكة التي تطوف بها عليهم وعن ابن عباس ايضا
قدروها على ملء الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا تؤذيهم بثقل ولا بافراط صغر
وقيل ان الشاربين قدروا لها مقادير في انفسهم على ما اشتهوا وقدروا
وقرا ابن عمير والشعبي وابن سيرين قدروها بضم القاف وكسر الدال اي
جعلت لهم على قدر ارادتهم وذكر هذه القراءة المهدوي عن علي وابن عباس
رضي الله عنهم وقال من قرا قدروها فهو راجع الى معنى القراءة الاخرى
وكان الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى قدرت عليهم
وانشد سيبويه

آليت حب العراق الدهر اكله والحب تاكله في القرية السوس

وذهب الى ان المعنى على حب العراق وقيل هذا التقدير هو على ان
الاقداح تطير فتغرف بمقدار شهوة الشارب وذلك قوله تعالى قدروها
تقديرا اي لا تفضل عن الري ولا تنقص منه فقد الهمت الاقداح معرفة مقدار
ري المشتهي حتى تغترف بذلك المقدار ذكر هذا القول الترمذي الحكيم في
نوادر الاصول ● **قوله تعالى** ويسقون فيها كاسا وهي الخمر في الاناء

كان مزاجها زنجبيلا كان صله مزاجها زنجبيل او كان في حكم الله
زنجبيلا وكانت العرب تستلذ من الشراب ما يمتزج بالزنجبيل
الطيب رائحته لانه يحذو اللسان ويهضم الماكول فرغبوا في
نعيم الاخره بما اعتقدوه نهايه النعمه والطيب وقال المسيب
ابن علس يصف ثغر المراه يقول

وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافه الخمر

ويروي الكرم وقال اخر

وكذا قول الاعشى

كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا

وقال مجاهد الزنجبيل اسم للعين التي منها مزاج شراب الابرار
وكذا قال قتاده الزنجبيل اسم العين التي يشرب بها المقربون
صرفا ويمزج لسائر اهل الجنه وقيل هي عين في الجنه يوجد منها
طعم الزنجبيل وقيل ان فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل
والمعنى كان فيها زنجبيلا عينا بدلا من كاس ويجوز ان
ينتصب باضمار فعل اي يسقون عينا ويجوز نصبه باسقاط
الخافض اي من عين على ما تقدم في قوله تعالى عينا يشرب
بها عباد الله اي في الجنه تسمى سلسبيلا السلسبيل الشراب
اللذيذ وهو فعليل من السلاسه تقول العرب هذا شراب
سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى اي طيبه الطعم لذيذه وفي
الصحاح وتسلسل الما في الحلق جرى وسلسلته انا صببته
فيه وما سلسل وسلسال سهل الدخول في الحلق لعذوبته
وصفائه والسلاسل بالضم مثله وقال الزجاج السلسبيل

في اللغه اسم كان في غايه السلاسه فكان العين سميت
بصفتها وعن مجاهد قال سلسبيلا حديده الجريه تسيل في حلوقهم
انسلالا ونحوه عن ابن عباس انه الحديد الجري ذكره الماوردي
ومنه قول حسان بن ثابت

يسقون من ورد البريص عليهم كاسا تصفق بالرحيق السلسل

وقال ابو العاليه ومقاتل انما سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم
في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنه عدن الى اهل
الجنه وقال قتاده سلسله منقادها وها حيث شاوا
ونحوه عن عكرمه وقال القفال اي تلك عين شريفه فسل سبيلا اليها
وروي هذا عن علي رضي الله عنه وقال ابن عباس هنا عن علي رضي الله عنه
وقوله تسمى اي انها مذكوره عند الملائكه وعند الابرار واهل الجنه بهذا
الاسم وصرف سلسبيل لانه راس ايه كقوله الظنونا والسبيلا
قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون بين من الذي يطوف عليهم
بالانيه اي ويخدمهم ولدان فانهم اخف في الخدمه ثم قال
مخلدون اي باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضه والحسن لا
يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مر الازمنه
وقيل مخلدون لا يموتون وقيل مسورون مقرطون اي محلون
والتخليد التحليه وقد تقدم هذا ٥ اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا
اي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفا الوانهم لولوا مفرقا في عرصه المجلس
واللولو اذا انتثر من بساط كان احسن منه منظوما وعن
المامون انه ليله زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على
بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نسا دار الخليفه
اللولو فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر
وقال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حين يقول

كان صغيرا وكبيرا من مواقعها حصبا در على ارض من الذهب
وقيل انما شبههم بالمنثور لانهم سراع في الخدمه بخلاف الحور
العين اذ شبههن باللولو المكنون المخزون لانهن لا يمتهن بالخدمه
قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا ثم ظرف مكان
اي هناك في الجنه والعامل في ثم معنى رايت اي واذا رايت ببصرك
ثم وقال الفرا في الكلام ما مضمره اي واذا رايت ما ثم لقوله
تعالى لقد تقطع بينكم اي ما بينكم وقال الزجاج ما موصوله
بثم على ما ذكره الفرا ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصله ولكن
رايت يتعدى في المعنى الى ثم والمعنى اذا رايت ببصرك ثم ويعني بثم
الجنه وقد ذكر الفرا هذا ايضا والنعيم سائر ما يتنعم به والملك
الكبير استيذان الملايكه عليهم قاله السدي وغيره قال الكلبي
هو ان ياتي الرسول من عند الله بكرامه من الكسوه والطعام
والشراب والتحف الى ولي الله وهو في منزله فيستاذن عليه فذلك
الملك الكبير وقاله مقاتل بن سليمان الملك الكبير هو ان يكون لاحدهم
سبعون حاجبا حاجبا دون حاجب فبينما ولي الله فيما هو فيه من اللذه
والسرور اذ يستاذن عليه ملك من عند الله قد ارسله الله بكتاب وهديه
وتحفه من عند رب العالمين لم يرها ذلك الولي في الجنه قط فيقول
للحاجب الخارج استاذن على ولي الله فان معي كتابا وهديه من
رب العالمين فيقول لذلك الحاجب للحاجب الذي يليه هذا رسول من
رب العالمين معه هديه وكتاب يستاذن على ولي الله فيستاذن
كذلك حتى يبلغ الى الحاجب الذي يلي ولي الله فيقول له يا ولي الله
هذا رسول من رب العالمين يستاذن عليك معه كتاب وتحفه من
رب العالمين افاذن له فيقول نعم فاذنوا له فيقول ذلك
الحاجب الذي يليه نعم فاذنوا له فيقول له نعم الى الملك

فتاذن لك فيدخل فيسلم عليه ويقول السلام يقريك السلام وهذه تحفه
وهذا كتاب من رب العالمين اليك فاذا هو مكتوب عليه من الحي الذي لا يموت
الى الحي الذي لا يموت فيفتحه فاذا فيه سلام على عبدي ووليي ورحمتي
وبركاتي يا وليي اما ان لك ان تشتاق الى رويه ربك فيستخفه الشوق
فيركب البراق فيطير به البراق شوقا اليه فيعطيه ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال سفين الثوري بلغنا ان
الملك الكبير تسليم الملايكه عليهم دليله قوله تعالى والملايكه يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقيل
الملك الكبير كون التيجان على روسهم كما يكون على راس ملك من الملوك
وقال الترمذي الحكيم يعني ملك التكوين اذا ارادوا شيا قالوا له
كن وقال ابو بكر الوراق ملكا لا يتعقبه هلك وفي الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الملك الكبير هو ان ادناهم منزله ينظر في ملكه مسيره
الفي عام يرى اقصاه كما يرى ادناه قال وان افضلهم منزله من ينظر
وجه ربه تعالى كل يوم مرتين **قوله تعالى** عاليهم ثياب سندس خضر
واستبرق قرا نافع وحمزه وابن محيصن عاليهم ساكنه اليا واختاره
ابو عبيد اعتبارا بقراه ابن مسعود وابن وثاب وغيرهما عاليتهم وبتفسير
ابن عباس اما رايت الرجل عليه ثياب يعلوها افضل منها قال
الفرا وهو مرفوع بالابتدا وخبره ثياب سندس واسم الفاعل يراد به
الجمع ويجوز في قول الاخفش ان يكون افراده على انه فعل متقدم وثياب
مرتفعه به وسدت مسد الخبر والاضافه فيه في تقدير الانفصال
لانه لم يمض وابتدا به لانه اختص بالاضافه وقرا الباقون عاليهم
بالنصب قال الفرا هو كقولك فوقهم والعرب تقول قومك داخل
الدار فينصبون داخل على الظرف لانه محل وانكر الزجاج هذا

وقال هو مما لا تعرفه في الظروف ولو كان ظرفا لم يجز اسكانه
ولكنه نصب على الحال من شيئين احدهما الها والميم في قوله يطوف
عليهم اي على الابرار والثاني عاليا الابرار ثياب سندس اي
يطوف عليهم في هذه الحال والثاني ان يكون حالا من الولدان
اي اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب ابدانهم
وقال ابو علي العامل في الحال اما لقاهم نضرة وسرورا واما
جزاهم بما صبروا قال فيجوز ان يكون ظرفا فصرف المهدوي
ويجوز ان يكون اسم فاعل ظرفا كما هو ناحية من الدار او على ان
عاليا لما كان بمعنى فوق اجري مجراه فجعل ظرفا وقرا ابن
محيصن وابن كثير وابو بكر عن عاصم خضر بالجر على نعت السندس
واستبرق بالرفع نسقا على الثياب ومعناه عليهم سندس واستبرق
بالرفع نسقا على الثياب ومعناه عليهم سندس واستبرق وقرا ابن
عامر وابو عمرو ويعقوب خضر رفعا نعتا للثياب واستبرق بمعناه
بالخفض نعتا للسندس واختاره ابو عبيد وابو حاتم لجودة
لان الخضر احسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة واحسن ما
عطف الاستبرق على السندس عطف جنس على جنس ومعناه عليهم
ثياب خضر من سندس واستبرق اي من هذين النوعين وقرا نافع
وحفص كلاهما بالرفع ويكون خضر نعتا للثياب لانهما جميعا بلفظ الجمع
واستبرق عطفا على الثياب وقرا الاعمش وابن وثاب وحمزة
والكسائي كلاهما بالخفض ويكون قوله خضر نعتا للسندس
والسندس اسم جنس واجاز الاخفش وصف اسم الجنس بالجمع على استقباحه له
تقول اهلك الناس الدينار الاصفر والدرهم البيض ولكنه
مستبعد في الكلام والمعنى على هذه القراءة عاليهم ثياب سندس خضر

وثياب استبرق وكلهم صرف الاستبرق الا ابن محيصن فانه فتحه
ولم يصرفه فقرا واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو
غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن
محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق
بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه
معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره والسندس مارق من الديباج
والاستبرق ما غلظ منه وقد تقدم قوله تعالى وحلوا عطف على ويطوف
اساور من فضة في سورة فاطر ويحلون فيها من اساور من ذهب وفي سورة
الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ فقيل حلي الرجال الفضة وحلي النسا
الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يد احدهم سوارا من
ذهب وسوارا من فضة وسوارا من لؤلؤ ليجمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد بن
المسيب وقيل اي لكل منهم ما تميل اليه نفوسهم ● وسقاهم ربهم شرابا
طهورا قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا
قال اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها
عينان فيشربان من احداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم
ولا تشعث اشعارهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من
الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وقال النخعي وابو قلابة هو اذا شربوه بعد اكلهم طهرهم
وصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل
هو من عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع
الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من اذى
وقد رهنا معنى ما روي عن علي الا انه في قول مقاتل عين واحدة وعليه
فيكون فعولا للمبالغة ولا يكون فيه حجة للحنفي انه بمعنى الطاهر وقد

مضى بيانه في سورة الفرقان والحمد لله وقال طبيب الحالصين خلف
سهل بن عبد الله العتبة فقرأ وسقاهم ربهم شرابا طهورا وجعل يحرك شفتيه
وفيه كانه يمص شيئا فلما فرغ قيل له اتشرب ام تقرا فقال والله لو لم اجد
لذته عند قراءته كلذته عند شربه ما قراته قوله تعالى ان هذا
كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اي يقال لهم ان هذا جزاؤكم
اي ثواب وكان سعيكم اي عملكم مشكورا اي من قبل الله وشكره
للعبد قبول طاعته وثناؤه عليه واثابته اياه وروي سعيد عن قتاده
قال غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن وقال مجاهد مشكورا اي مقبولا
والمعنى متقارب فانه سبحانه اذا قبل العمل شكره واذا شكره اثاب عليه
الجزيل اذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم روي عن ابن عمر ان رجلا حبشيا
قال يا رسول الله فضلتم علينا بالصورة والالوان والنبوة افرايت ان امنت
بما امنت به وعملت بما عملت به اكاين انا معك في الجنة فقال نعم
والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة وضياؤه من مسيرة
الف عام ثم قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عند الله
عهد ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له عند الله بها مائة الف حسنة واربعة
وعشرون الف حسنة فقال رجل كيف نهلك بعدها يا رسول الله فقال
ان الرجل ليأتي يوم القيمة بالعمل لو وضع على جبل لاثقله فتجي النعمة من الله فتكاد
ان تستنفد ذلك كله الا ان يمن الله برحمته قال ثم نزلت هل اتى على
الانسان حين من الدهر الى قوله وملكا كبيرا فقال الحبشي يا رسول الله
ان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فبكى
الحبشي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدليه في حفرته ويقول ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم
مشكورا قلنا يا رسول الله وما هو قال والذي نفسي بيده

مطلب

مطلب في حكاية الحبشي

لعنا ووقعه الله ثم قال اي عبدي لا يبيض وجهك ولا بوينك من الجنة حيث شئت
فنعم اجر العاملين قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا
ما افتريته ولا جئت به من عندك ولا من تلقاء نفسك كما يدعيه المشركون
ووجه اتصال هذه الاية بما قبل انه سبحانه وتعالى لما ذكر اصناف الوعد
والوعيد بين ان هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة اليه وليس بسحر ولا
كهانة ولا شعر وانه حق قال ابن عباس نزل القران متفرقا
اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلناه وقد مضى القول في هذا
مبينا والحمد لله قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك وروي الضحاك عن
ابن عباس قال اصبر على اذى المشركين هكذا فصبت ثم نسخ باية القتال وقيل
اي اصبر لما حكم به عليك من الطاعات وانتظر حكم الله اذ وعدك انه ينصرك عليهم
ولا تستعجل فانه كائن لا محالة ولا تطع منهم اثما اي ذا اثم او كفورا اي لا تطع
الكفار فروي معمر عن قتاده قال قال ابو جهل ان رايت محمدا يصلي لاطان
على عنقه فانزل الله عز وجل ولا تطع منهم اثما او كفورا ويقال نزلت
في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وكانا اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرضان عليه الاموال والتزويج على ان يترك ذكر النبوة وفيهما نزلت
ولا تطع منهم اثما او كفورا قال مقاتل الذي عرض التزويج عتبة
ابن ربيعة قال ان بناتي من اجمل نساء قريش فانا ازوجك ابنتي بغير
مهر وارجع عن هذا الامر وقال الوليد ان كنت صنعت ما صنعت
من اجل المال فانا اعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الامر
فنزلت ثم قيل او في قوله اثما او كفورا اوكد من الواو لان الواو اذا
قلت لا تطع زيدا وعمرا فاطاع احدهما كان غير عاص لانه امره ان لا
يطيع الاثنين فاذا قال لا تطع منهم اثما او كفورا فاو (?) قد دلت
على ان كل واحد منهما اهل ان يعصى كما انك اذا قلت لا تخالف

الحسن او ابن سيرين او اتبع الحسن وابن سيرين فقد قلت هنا ان اهل
ان يتبعا وكل واحد منهما اهل لان يتبع قاله الزجاج وقال الفرا
او هنا بمنزلة لا كانه قال ولا كفورا قال الشاعر

لا وجد ثكلى كما وجدت ولا وجد عجول اضلها ربع
او وجد شيخ اضل ناقته يوم توافى الحجيج فاندفعوا

اراد ولا وجد شيخ وقيل الاثم المنافق والكفور الكافر الذي يظهر
للكفر اي لا تطع منهم اثما او كفورا ولا كفورا وهو قريب من قول الفرا
قوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي صل لربك اول النهار واخره
ففي اوله صلاة الصبح وفي اخره صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلاة
المغرب والعشا الاخرة وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب
وقال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القران فهو صلاة وقيل هو الذكر
المطلق سوا كان في الصلاة او في غيرها وقال ابن زيد وغيره
ان قوله سبحانه وتعالى وسبحه ليلا طويلا منسوخ بالصلوات الخمس
وقيل هو مخصوص للنبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم القول في مثله في
سورة المزمل وقال ابن حبيب حين وجمع الاصيل الاصايل
والاصل كقولك سفاين وسفن قال ولا باحسن منها اذ دنا الاصل
وقال في الاصايل وهو جمع الجمع

لعمري لانت البيت اكرم اهله واقعد في افيايه بالاصايل

وقد مضى هذا في اخر الاعراف مستوفي ودخلت من على الظرف للتبعيض كما دخل
على المفعول في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قوله تعالى ان هولا يحبون
العاجلة توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة الدنيا ويذرون اي
يدعون وراءهم اي بين ايديهم يوما ثقيلا اي عسيرا شديدا كما قال ثقلت في السموات والارض

اي يتركون الايمان بيوم القيامة وقيل وراءهم اي خلفهم اي ويذرون الاخرة خلف ظهورهم
فلا يعملون لها وقيل نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة
نبوته وحبهم العاجلة اخذهم الرشا على ما كتموه وقيل اراد المنافقين لاستبطانهم
للكفر وطلب الدنيا والاية تعم واليوم الثقيل يوم القيامة وانما سمي ثقيلا لشدايده
واهواله وقيل للقضاء فيه بين عباده قوله تعالى نحن خلقناهم اي من
طين وشددنا اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل
وغيرهم والاسر الخلق قال ابو عبيدة يقال فرس شديد الاسر اي الخلق
ويقال اسره الله جل ثناوه اذا شدد خلقه قال لبيد

ساهم الوجه شديد اسره مشرف الحارك محبوك الكتد

وقال الاخطل

من كل مجتنب شديد اسره سلس القياد تخاله مختالا

وقال ابو هريرة والحسن والربيع شددنا مفاصلهم واوصالهم بعضها
الى بعض بالعروق والعصب وقال مجاهد في تفسير الاسر هو الشرج
اي اذا خرج الغايط والبول تقبض الموضع وقال ابن زيد الاسر
القوة وقال ابن احمر يصف فرسا

يمشي باوظفة شداد اسرها صم السنابك لا تقي بالجدجد

واشتقاقه من الاسار وهو القد الذي تشد به الاقتاب يقال اسرت
القتب اسرا اي شددته وربطته ومنه قولهم خذه باسره اذا ارادوا
ان يقولوا هو لك كله لانهم ارادوا تعكيمه وشده لم يفتح ولم ينقص منه
شيا ومنه الاسير لانه كان يكتف بالاسر والكلام خارج مخرج الامتنان
عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية اي سويت خلقك واحكمته بالقوة
ثم انت تكفر بي واذا شينا بدلنا امثالهم تبديلا قال
ابن عباس يقول لو نشا لاهلكناهم وجينا باطوع لله منهم وعنه

ايضا لعجزنا محاسنهم الى سمع الصور وافتحها كذا ذكر الضحاك عنه والاول رواه عنه ابو صالح **قوله تعالى** ان هذه اي السورة تذكرة اي موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي طريقا موصلا الى طاعته وطلب مرضاته وقيل سبيلا وقيل وجها وطريقا الى الخير والمعنى واحد وما تشاؤون اي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل الى الله الا ان يشاء الله فاخبر ان الامر اليه سبحانه ليس اليهم وانه لا ينفذ مشيئته وقرا ابن كثير وابو عمرو وما يشاؤون بالياء على معنى الخبر عنهم والباقون بالتاء على معنى الخبر عنهم والباقون بالتاء على معنى المخاطبة لله عز وجل وقيل ان الاية الاولى منسوخة بالثانية والاشبه انه ليس بنسخ بل هو تبيين ان ذلك لا يكون الا بمشيئته قال الفرا وما تشاؤون الا ان يشاء الله جواب لقوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم اخبرهم ان الامر ليس اليهم فقال وما تشاؤون ذلك السبيل الا ان يشاء الله لكم ان الله كان عليما حكيما كان عليما باعمالكم حكيما في امره ونهيه لكم وقد مضى الكلام فيه في غير موضع يدخل من يشاء في رحمته اي يدخله الجنة راحما له والظالمين اي ويعذب الظالمين فنصبه باضمار يعذب قال الزجاج نصب الظالمين لان قبله منصوبا اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين اي المشركين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر كما قال الشاعر

اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير اذ نفرا
والذيب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا

اي اخشى الذيب اخشاه قال الزجاج والاختيار النصب وان جاز الرفع تقول اعطيت زيدا وعمرا اعددت له برا فيختار النصب اي وبررت عمرا او ابن عمر وقوله عز وجل يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ارتفع لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينتصب

المعنى فلم يجز العطف على المنصوب قبله فارتفع بالابتداء وههنا قوله اعد لهم عذابا بدل على ويعذب فجاز النصب وقرا ابان بن عثمان والظالمون رفعا بالابتدا والخبر اعد الله لهم عذابا اليما اي مولما موجعا وقد تقدم هذا في سورة البقرة وغيرها والله الموفق للصواب

سورة والمرسلات مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها وهو قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى اوينا الى الغار بمنى فنزلت فبينا نحن نتلقاها منه وان فاه لرطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم وعن كريب مولى ابن عباس قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني ام الفضل امراة العباس فبكت وقالت والله يا بني لقد اذكرتني بقراتك هذه السورة انها لاخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في صلاة المغرب وهي خمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والمرسلات عرفا جمهور المفسرين على ان المرسلات الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هي الملائكة ارسلت بالمعروف من امر الله تعالى ونهيه والخبر والوحي وهو قول ابي هريرة ومقاتل وابي صالح والكلبي وقيل هم الانبيا ارسلوا بلا اله الا الله قاله ابن عباس وقال ابو صالح انهم الرسل يرسلون بما يعرفونه من المعجزات وعن ابن عباس وابن مسعود انها الرياح كما قال تعالى وارسلنا الرياح وقال ويرسل الرياح ومعنى عرفا يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس تقول الناس

تقول العرب الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه فاكثروا
وهو نصب على الحال من والمرسلات اي الرياح التي ارسلت متتابعه ويجوز
ان يكون مصدرًا اي تتابعًا ويجوز ان يكون النصب على تقدير حرف الجر
كانه قال والمرسلات بالعرف والمراد الملائكه او الملائكه والرسل وقيل
يحتمل ان يكون المراد المرسلات السحاب لما فيها من نعمه ونقمه عارفه بما
ارسلت فيه ومن ارسلت اليه وقيل انها الزواجر والمواعظ وعرفا على
هذا التاويل متتابعات كعرف الفرس قاله ابن مسعود وقيل جاريات
قاله الحسن يعني في القلوب وقيل معروفات في العقول فالعاصفات
عصفا الرياح بغير اختلاف قاله المهدوي وعن ابن مسعود عن الرياح
العواصف تاتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه كما قال تعالى
او يرسل عليكم وقيل العاصفات الملائكه الموكلون بالرياح يعصفون بها وقيل
الملائكه تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشي اي اباده واهلكه وناقه عصوف
اي تعصف براكبها فتمضي كانها ريح في السرعه وعصفت الريح بالقوم اي ذهبت بهم وقيل
يحتمل انها الايات المهلكه كالزلازل والخسوف والناشرات نشرا الملائكه الموكلون بالسحاب
ينشرونها وقال ابن مسعود ومجاهد هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا
بين يدي رحمته اي تنشر السحاب للغيث وروي ذلك عن ابي صالح وعنه ايضا
الامطار لانها تنشر النبات فالنشر بمعنى الاحيا يقال نشر الله الميت وانشره
اي احياه وروي عنه السدي انها الملائكه تنشر كتب الله عز وجل وروي
الضحاك عن ابن عباس قال يريد ما ينشر من الكتب باعمال بني ادم قال الضحاك
انها الصحف تنشر على الله باعمال العباد وقال الزجاج انه البعث للقيمه
تنشر فيه الارواح وقال وان شرات بالواو لانه استيناف قسم اخر
والفارقات فرقا الملائكه تنزل بالفرق بالفرقان بين الحق والباطل

عاصفًا

قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابو صالح وروى الضحاك عن ابن
عباس قال ما تفرق الملائكه من الاقوات والارزاق والاجال
وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الفارقات الرياح تفرق بين السحاب
وتبدده وعن سعيد عن قتاده قال الفرقان تفرق الفارقات
فرق الله فيه بين الحق والباطل والحلال والحرام وقاله الحسن وابن كيسان
وقيل يعني الرسل فرقوا بين ما امر الله به ونهى عنه اي بينوا ذلك
وقيل السحاب الماطره تشبيها بالناقه الفارق وهي الحامل التي تخرج وتند
في الارض حين تضع ونوق فوارق وفرق فشبهوا السحابه التي تنفرد من
السحاب بهذه الناقه قال ذو الرمه

او مزنه فارق يجلو غواربها تبوّج البرق والظلما عجلوم

فالملقيات ذكرا الملائكه باجماع اي تلقي كتب الله عز وجل الى الانبيا عليهم السلام
قاله المهدوي وقيل هو جبريل وسمي باسم الجمع لانه كان ينزل بها وقيل
المراد الرسل يلقون الى امهم ما انزل عليهم قاله قطرب وقرا ابن عباس
فالملقيات ذكرا بالتشديد مع فتح القاف وهو كقوله تعالى وانك لتلقى
القران عذرا او نذرا اي تلقي الوحي اعذارا من الله وانذارا الى خلقه من عذابه
قاله الفرا وروي عن ابي صالح قال يعني الرسل يعذرون وينذرون وروى
سعيد عن قتاده عذرا قال عذرا لله عز وجل الى خلقه ونذرا للمومنين
ينتفعون به ويلجئون به وروى الضحاك عن ابن عباس عذرا اي ما
يقبله الله عز وجل من معاذير اوليايه وهي التوبه نذرا ينذر اعداره
وقرا ابو عمرو وحمزه والكسائي وحفص او نذرا باسكان الذال وجميع
السبعه على اسكان ذال عذرا سوى ما رواه الجعفي والاعشى عن ابي بكر

عن عاصم انه ضم الدال وروي ذلك عن ابن عباس والحسن وغيرهما وقرا
ابرهيم التيمي وقتاده عذرا ونذرا بالواو العاطفه ولم يجعلا بينهما الفا
وهما منصوبان على الفعل له اي للاعذار والانذار وقيل على المفعول به
وقيل على البدل من ذكرا اي فالملقيات عذرا او نذرا وقال ابو علي يجوز ان
يكون العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر وناذر كقوله تعالى هذا نذير من
النذر الاولى فيكون نصبا على الحال من الالقاء اي يلقون الذكر في حال العذر
والانذار او يكون مفعول الذكر اي فالملقيات ان تذكر عذرا او نذرا وقال
المبرد هما بالتثقيل جمع والواحد عذير ونذير ه انما توعدون لواقع هذا
جواب ما تقدم من القسم اي ما توعدون من امر القيامه لواقع بكم
ونازل عليكم ثم بين وقت وقوعه فقال واذا النجوم طمست اي
ذهب ضوها ومحي نورها كطمس الكتاب وقال طمس الشي اذا درس وطمس
فهو مطموس والريح تطمس الاثار فتكون الريح طامسه والاثر طامسا
بمعنى مطموس واذا السما فرجت اي فتحت وشقت ومنه قوله تعالى
وفتحت السما فكانت ابوابا وروي الضحاك عن ابن عباس قال فرجت
للطي واذا الجبال نسفت اي ذهب بها كلها بسرعه يقال نسفت الشي انسفه
اذا اخذته كله بسرعه وكان ابن عباس والكلبي يقول سويت بالارض
والعرب تقول فرس نسوف اذا كان يوخر الحزام بمرفقيه قال بشر
نسوف للحزام بمرفقيها ونسفت الناقه الكلا اذا رعته وقال المبرد
نسفت قلعت من موضعها يقول الرجل للرجل يقتلع رطبيه من الارض انتسفت
رجلاه وقيل النسف تفريق الاجزا حتى تذروها الريح ومنه نسف الطعام
لانه يحرك حتى تذهب الريح بعض ما فيه من التبن قوله تعالى واذا

الرسل اقتت اي جمعت لوقتها يوم القيمه والوقت الاجل الذي يكون
فيه للشي المؤخر اليه فالمعنى جعل لها وقت واجل للفصل والقضا بينهم
وبين الامم كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل هذا في الدنيا اي جمعت
الرسل لميقاتها الذي ضرب لها في انزال العذاب بمن كذبهم بان الكفار
ممهلون وانما تزول الشكوك يوم القيمه والاول احسن لان التوقيت
معناه شي يقع يوم القيمه كالطمس ونسف الجبال وتشقيق السماء
ولا يليق به التابيت قبل يوم القيامه قال ابو علي جعل يوم الدين
والفصل لها وقتا وقيل اقتت وعدت واجلت وقيل وقتت اي
ارسلت لاوقات معلومه على ما علمه الله واراده والهمزه في اقتت
بدل من الواو قاله الفرا والزجاج قال الفرا وكل واو انضمت وكانت
ضمتها لازمه جاز ان تبدل منها همزه تقول صلى القوم احدانا تريد
وحدانا ويقولون هذه وجوه حسان وهذا لان ضمه الواو ثقيله
ولم يجز البدل في قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمه غير لازمه
وقرا ابو عمرو وحميد والحسن ونصر عن عاصم ومجاهد وقتت بالواو وتشديد
القاف على الاصل قال ابو عمرو انما يقرا اقتت من قال في وجوه
اجوه وقرا ابو جعفر وشيبه والاعرج وقتت بالواو وتخفيف
القاف وهو فعلت من الوقت ومصدره الوقت كتابا موقوتا وعن الحسن
ايضا ووقتت بواوين وهو فوعلت من الوقت ايضا مثل عوهدت
ولو قلبت الواو في هاتين القراتين الفا جاز وقرا يحيى وايوب وخالد بن
الياس وسلام اقتت بالهمز والتخفيف لانها مكتوبه في المصحف بالالف لاي
يوم اجلت اي اخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم

اي ليوم الفصل اجلت روي سعيد عن قتادة قال يفصل فيه بين الناس
باعمالهم الي الجنة او الي النار وفي هذا الحديث اذا حشر الناس يوم القيمة قاموا
اربعين عاما علي روسهم الشمس شاخصة ابصارهم الي السما ينتظرون الفصل
وما ادراك ما يوم الفصل اتبع التعظيم تعظيما اي وما علمك بيوم الفصل
ويل يوميذ للمكذبين اي عذاب وخزي لمن كذب بالله وبرسله
وبكتبه وباليوم الفصل فهو وعيد وكرره في هذه السورة عند
كل اية لمن كذب لانه قسمه بينهم علي قدر تكذيبهم فان لكل مكذب
بشي عذاب سوي تكذيبه بشي اخر ورب شي كذب به هو اعظم
جرما من تكذيبه بغيره لانه اقبح في تكذيبه واعظم في الرد علي الله
فانما يقسم له الويل علي قدر ذلك وعلي قدر وفاقه وهو قوله جزا وفاقا
وروي عن ذلك وعلي قدر وفاقه وهو قوله جزا وفاقا وروي عن النعمان
ابن بشير قال الويل وادي في جهنم فيه الوان العذاب وقاله ابن
عباس وغيره قال ابن عباس اذا خبت جهنم اخذ من جمره فالقي عليها
فتاكل بعضها وروي ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت
علي جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي انه مجمع ما يسيل من
القيح الذي لاهل النار وصديدهم وانما يسيل الشي فيما سفل من
الارض وانفطر وقد علم العباد في الدنيا ان شر المواضع في الدنيا ما
استنقع فيها مياه الادناس والاقذار والغسالات من الجيف وما
الحمامات فذكر ان ذلك الوادي مرصد يا اهل الشرك والكفر والشرك
لتعلم العقول انه لا شي اقذر منه ولا انتن منه نتنا ولا اشد
مرارة منه ولا اشد سوادا منه ثم وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما تضمن من العذاب وانه اعظم وادي في جهنم فذكره الله تعالى

في وعده في هذه السورة قوله تعالى الم نهلك الاولين اخبر عن هلاك
الكفار من الامم الماضين من لدن ادم الي محمد صلى الله عليه وسلم ○ ثم
نتبعهم الاخرين ثم نلحق الاولين بالاخرين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل
ما فعلنا بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك
وقراه العامة ثم نتبعهم بالرفع علي الاستيناف وقرا الاعرج نتبعهم بالجزم
عطفا علي نهلك الاولين كما تقول الم اكرمك والمراد انه اهلك
قوما بعد قوم علي اختلاف اوقات المرسلين ثم استانف بقوله كذلك نفعل
بالمجرمين يريد من يهلك فيما بعد ويجوز ان يكون الاسكان تخفيفا من
نتبعهم لتوالي الحركات وروي عنه الاسكان للتخفيف وفي قراه ابن
مسعود ثم سنتبعهم والكاف من كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك الهلاك
نفعله بكل مشرك ثم قيل معناه التهويل لهلاكهم في الدنيا اعتبارا
وقيل هو اخبار بعذابهم في الاخرة قوله تعالى الم نخلقكم من ما مهين
اي ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدم وهذه الاية اصل لمن قال
ان خلق الجنين انما هو من ما الرجل وحده وقد مضي القول فيه فجعلناه
في قرار مكين اي مكان حريز وهو الرحم الي قدر معلوم قال
مجاهد الي ان نصور وقيل الي وقت الولادة فقدرنا نافع والكسائي
فقدرنا بالتشديد وخفف الباقون وهما لغتان بمعني قاله الكسائي
والفرا والقتبي قال القتبي قدرنا بمعني قدرنا مشدده كما تقول
قدرت كذا وقدرته ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال اذا
غم عليكم فاقدروا له اي قدروا له المسير والمنازل وقال محمد بن الجهم
عن الفرا فقال وذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه وتخفيفها قال ولا يبعد

ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحد لان العرب تقول قدر عليه الموت
وقد قال الله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد وقدر عليه
رزقه وقدر قال واحتج الذين خففوا فقالوا لو كانت كذلك لكانت
فنعم المقدرون قال الفرا وتجمع العرب بين اللغتين قال الله تعالى
فمهل الكافرين امهلهم قال الاعشى

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا

وروي عن عكرمة فقدرنا مخففة وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم والكسائي
لقوله فقدرنا فنعم القادرون ومن شدد وهو من التقدير اي فقدرنا
الشقي والسعيد فنعم المقدرون رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل المعنى قدرنا قصيرا وطويلا ونحوه عن ابن عباس قدرنا
ملكنا قال المهدوي هذا التفسير اشبه بقراءة التخفيف قلت
هو صحيح فان عكرمة الذي قرا فقدرنا مخففا قال معناه ملكنا فنعم
المالكون فافادت الكلمتان معنيين متغايرين اي قدرنا وقت الولادة
واحوال النطفة في التنقل من حالة الى حالة حتى صارت بشرا سويا او
للشقي والسعيد او الطويل والقصير كله على قراءة التشديد وقيل هما بمعنى
كما ذكرنا **قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا** فيه مسالتان الاولى قوله الم نجعل
الارض كفاتا اي ضامة تضم الاحيا على ظهرها والاموات في بطنها يقال كفت
الشي اكفته اذا جمعته وضممته والكفت الضم والجمع وانشد
سيبويه ○ كرام حين تنكفت الافاعي الى احجارهن من الصقيع
وقال ابو عبيدة كفاتا اوعية ويقال للنحي كفت وكفيت لانه
يحوي اللبن ويضمه وقال

فانت اليوم فوق الارض حيا وانت غدا تضمن في كفات

وخرج الشعبي في جنازة فنظر الى الجبان فقال هذه كفات الاموات

ثم نظر الى البيوت فقال هذه كفات الاحيا ويروى عن ربيعة في النباش
قال تقطع يده فقيل له لم قلت ذلك قال ان الله تعالى يقول الم نجعل الارض كفاتا
احيا وامواتا فالارض حرز وقد مضى هذا في سورة المايدة وكانوا يسمون بقيع
الغرقد كفتة لانه مقبرة تضم الموتى فالارض تضم الاحيا الى منازلهم
والاموات في قبورهم وايضا استقرار الناس على وجه الارض ثم اضطجاعهم
عليها انضمام منهم اليها وقيل هي كفات للاحيا يعني دفن ما يخرج من الانسان
من الفضلات في الارض اذ لا ضم في كون الناس عليها والضم يشير الى الاحتفاف
من جميع الوجوه وقال الاخفش وابو عبيدة ومجاهد في احد قوليه الاحيا والاموات
ترجع الى الارض اي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا
ينبت وقال الفرا انتصب احيا وامواتا بوقوع الكفات عليه اي الم نجعل
الارض كفات احيا واموات فاذا نونت نصبت كقوله تعالى او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما وقيل نصب على الحال من الارض اي منها كذا ومنها كذا
وقال الاخفش كفاتا جمع كافتة والارض يراد بها الجمع فنعتت بالجمع وقال
الخليل الكفت تقليب الشي ظهرا لبطن اي بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم
اي انقلبوا فمعنى الكفات انهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون اليها ويدفنون فيها
وجعلنا فيها اي في الارض رواسي شامخات يعني الجبال والرواسي الثوابت
والشامخات الطوال ومنه يقال شمخ بانفه اذا رفعه كبرا واسقيناكم ما فراتا
اي جعلنا لكم سقيا والفرات الما العذب يشرب ويسقى به الزرع اي خلقنا
الجبال وانزلنا الما الفرات وهذه الامور اعجب من البعث وفي بعض الحديث
قال ابو هريرة في الارض من الجنة الفرات والعجوة ونهر الاردن وفي صحيح
مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة **قوله تعالى**
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقال للكفار سيروا الى ما كنتم به تكذبون

من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل اي دخان
ذي ثلاث شعب يعني الدخان الذي يرتفع ثم يتشعب الى ثلاث شعب وكذلك
شان الدخان العظيم اذا ارتفع ثم تشعب ثم وصف الظل فقال لا ظليل اي
ليس كالظل الذي يقي حر الشمس ولا يغني من اللهب اي لا يدفع من لهب جهنم
شيا واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر وقيل
ان الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين قاله الضحاك وقيل
اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة احوال هي غاية اوصاف النار اذا
اضطرمت واشتدت وقيل عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب
فاما النور فيقف على روس المومنين واما الدخان فيقف على روس المنافقين
واما اللهب الصافي فيقف على روس الكافرين وقيل هو السرادق وهو لسان
من نار يحيط بهم ثم يتشعب منه ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم
الى النار وقيل هو الظل من يحموم كما قال تعالى في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا
كريم على ما تقدم وفي الحديث ان الشمس تدنو من روس الخلايق وليس عليهم يوميذ
لباس ولا لهم اكفان فتلحقهم الشمس وتاخذ بانفاسهم ومد ذلك اليوم ثم ينجي
الله برحمته من يشا الى ظل من ظله فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال
للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه انطلقوا الى ظل ذي ثلاث
شعب فيكون اوليا الله عز وجل في ظل عرشه او حيث شا من الظل الى ان يفرغ من الحساب
ثم يومر بكل فريق الى مستقره من الجنة والنار ثم وصف النار فقال انها ترمي
بشرر كالقصر الشرر واحده شررة والشرار واحده شرارة وهو ما تطاير من
النار في كل جهة واصله من شررت الثوب اي بسطته للشمس ليجف
والقصر البنا العالي وقراه العامة كالقصر باسكان الصاد اي الحصون
والمداين العظام وهو واحد القصور قاله ابن عباس وابن مسعود وهو في معنى

عنا الله عنه

الجميع على طريق الجنس وقيل القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمرة وجمر
وتمرة وتمر والقصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ وفي البخاري عن ابن عباس ايضا
ترمي بشرر كالقصر قال كنا نرفع الخشب بقصر ثلثة اذرع او اقل فنرفعه
للشتا فنسميه القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هي
اصول الشجر والنخل العظام اذا وقع وقطع وقيل اعناقه وقرا ابن عباس ومجاهد
وحميد والسلمي كالقصر بفتح الصاد اراد اعناق النخل والقصر العنق جمع قصرة
وقصرات وقال قتادة اعناق الابل وقرا سعيد بن جبير بكسر القاف
وفتح الصاد وهي ايضا جمع قصرة مثل بدرة وبدر وقصعة وقصع وحلقة
وحلق لحلق الحديد قال ابو حاتم ولعله لغة كما قالوا حاجة وحوج
وقيل القصر الجبل فشبه الشرر بالقصر في مقداره ثم شبهه في لونه بالجمالات
الصفر وهي الابل الصفر فقال

كانه جمالات صفر

تلك خيلي وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
اي هن سود وانما سميت السود من الابل صفرا لانها يشوب سوادها شي من صفرة
كما قيل لبيض الظبا الادم لان بياضها تعلوه كدرة والشرر اذا تطاير
وسقط وفيه بقية من لون النار اشبه شي بالابل السود لما يشوبها من صفرة
وفي شعر عمران بن حطان الخارجي يقول

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وضعف الترمذي هذا القول فقال وهذا القول محال في اللغة ان يكون
شي يشوبه شي قليل فينسب كله الى ذلك الشايب والعجب لمن قد قال هذا
وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلا نعلم شيا من هذا في اللغة ووجهه عندنا
ان النار خلقت من النور فهي نار مضية فلما خلق الله جهنم وهي موضع خاص ذلك

الموضع بتلك النار وبعث إليها سلطانه وغضبه فاسودت من سلطانه وغضبه
وازدادت حدة صارت أشد سوادا من النار ومن كل شي سوادا فإذا كان يوم القيمة
وجي بجهنم في الموقف رمت بشررها على أهل الموقف غضبا لغضب الله والشرر
هو أسود لأنه من نار أسود فإذا رمته النار بشررها فإنها ترمي الأعداء به فهن
سود من سواد النار لا يصل ذلك إلى الموحدين لأنهم في سرادق الرحمة وقد
أحاط بهم في الموقف وهو الغمام الذي يأتي فيه الرب تبارك وتعالى ولكن
يعاينون ذلك الرمي فإذا عاينوه نزع الله السلطان والغضب عنه في رأي
العين منهم حتى يروها صفرا ليعلم الموحدون أنهم في رحمة الله لا في سلطانه
وغضبه وكان ابن عباس يقول الجمالات الصفر جبال السفن يجمع بعضها
إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال ذكره البخاري وكان يقرؤها
جمالات بضم الجيم وكذلك قرأ مجاهد وحميد جمالات بضم الجيم
وهي الحبال الغلاظ وهي قلوس السفينة أي حبالها وواحد القلوس
قلس عن ابن عباس أيضا وعلى أنها قطع النحاس والمعروف
في الحبل الغليظ جمل بتشديد الميم كما تقدم في الأعراف وجمالات
بضم الميم جمع جمالة بكسر الجيم موحدا كأنه جمع جمل نحو حجر وحجارة وقرأ
يعقوب وابن أبي إسحق وعيسى والجحدري جمالة بضم الجيم موحدا
وهي الشي العظيم المجموع بعضه إلى بعض نحو حجر وحجارة وذكر وذكارة
وقرأ حفص وحمزة والكسائي جمالة وبقية السبعة جمالات
قال الفراء يجوز أن تكون الجمالات جمع جمال كما يقال رجل ورجال
ورجالات وقيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لمتابعة
بعضها بعضا والقصر واحد القصور وقصر الظلام اختلاطه
ويقال أتيته قصرا أي عشيا وهو مشترك قال

كأنهم قصرا مصابيح راهب بموزن روى بالسليط ذبالها

مسئلة في هذه الآية دليل على جواز ادخار الحطب والفحم
وإن لم يكن من القوت فإنه من مصالح وذلك مما تقتضي النظر أن يكتسبه
في غير وقت حاجته ليكون أرخص وحالة وجوده أمكن كما كان
صلى الله عليه وسلم يدخر القوت في غير وقت عموم وجوده من كسبه
وماله وكل شي محمول عليه وقد بين ابن عباس هذا بقوله كنا نعمد إلى
الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه وندخره للشتاء
وكنا نسميه القصر وهذا أصح ما قيل في ذلك والله أعلم قوله تعالى
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون أي إن يوم القيمة
له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ويتنصلون وعن عكرمة عن ابن عباس قال
سأله ابن الأزرق عن قوله هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع إلا همسا وقد قال
وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال له إن الله عز وجل يقول وإن يوما
عند ربك كألف سنة مما تعدون فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من
هذه الألوان وقيل لا ينطقون بحجة نافعة ومن نطق بما لا ينفع
ولا يفيد فكأنه ما نطق قال الحسن لا ينطقون بحجة وإن كانوا
ينطقون وقيل إن هذا وقت جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وقد
تقدم وقال أبو عثمان أسكتتهم رؤية الهيبة وحيا الذنوب
وقال الجنيد أي عذر لمن أعرض عن منعمه وجحده وكفر أياديه
ونعمه ويوم بالرفع قراءة العامة على الابتدا والخبر أي تقول
الملائكة هذا يوم لا ينطقون ويجوز أن يكون قوله انطلقوا من
قول الملائكة ثم يقول الله لأوليائه هذا يوم لا ينطق الكفار ومعنى اليوم الساعة

والوقت ه وروى يحيى بن ابي سليمان عن ابي بكر عن عاصم هذا يوم لا ينطقون
بالنصب وروي عن ابن هرمز وغيره فجاز ان يكون مبنيا لاضافته الى الفعل
وموضعه رفع وهذا مذهب الكوفيين وجاز ان يكون في موضع نصب على
ان تكون الاشارة الى غير اليوم وهذا مذهب البصريين لانه انما بني عندهم
اذا اضيف الى المبني والفعل ههنا معرب وقال الفراء في قوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون الفا نسق اي عطف على يؤذن واجيز
ذلك لان اواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الايات
وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب وكله صواب ومثله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالنصب والرفع **قوله تعالى** هذا يوم
الفصل اي ويقال لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق فيتبين
المحق من المبطل جمعناكم والاولين قال ابن عباس جمع الذين كذبوا
محمدا والذين كذبوا النبيين من قبله رواه عنه الضحاك فان
كان لكم كيد فكيدون اي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون
اي فاحتالوا لانفسكم وقاووني ولن تجدوا ذلك وقيل اي فان
كان لكم حيلة اي قدرتم على حرب فكيدوني اي حاربوني كذا روى
الضحاك عن ابن عباس قال يريد كنتم في الدنيا تحاربون
محمدا صلى الله عليه وسلم وتحاربونني فاليوم حاربوني وقيل اي انكم
في الدنيا كنتم تعملون بالمعاصي وقد عجزتم الان عنها وعن الدفع
عن انفسكم وقيل انه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون **قوله تعالى** ان المتقين في ظلال
وعيون اخبر بما يصير اليه المتقون غدا والمراد بالظلال ظلال الاشجار وظلال
القصور مكان الظل في الشعب الثلاث وفي سورة يس هم وازواجهم في ظلال

فلا سبيل الى الجنة حتى تقطع جهنم وفي الصحاح والمرصاد الطريق وذكر
القشيري ان المرصاد المكان الذي يرصد فيه الواحد العدو نحو المضمار الموضع
الذي تضمر فيه الخيل اي هي معدة لهم فالمرصاد بمعنى المحل فالملائكة
يرصدون الكفار حتى ينزلوا بجهنم وذكر الماوردي عن ابي سنان انها بمعنى
راصدة تجازيهم بافعالهم وفي الصحاح الراصد للشيء الراقب له تقول رصده يرصده
رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد الاصمعي
رصدته ارصده ترقبته وارصدت له اعددت له قال
الكسائي مثله قلت فجهنم معدة مترصدة متفعل من الرصد وهو
الترقب اي هي متطلعة لما يأتي والمرصاد مفعال من ابنية المبالغة
كالمعطار والمغيار فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار للطاغين
مآبا بدل من قوله مرصادا والمآب المرجع اي مرجعا يرجعون اليها يقال آب
يؤوب اوبة اذا رجع قال قتادة مأوى ومنزلا والمراد بالطاغين
من طغى في دينه بالكفر وفي دنياه بالظلم **قوله تعالى** لابثين فيها
احقابا اي ماكثين في النار ما دامت الاحقاب وهي لا تنقطع فكلما مضى
حقب جاء حقب والحقب بضمتين الدهر والاحقاب الدهور والحقبة بالكسر
السنة والجمع حقب قال متمم بن نويرة

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك واقل
على ما يأتي والجمع احقاب والمعنى في الاية لابثين فيها احقاب الاخرة التي لا نهاية لها
فحذف الاخرة لدلالة الكلام عليه اذ في الكلام ذكر الاخرة وهو كما يقال
ايام الاخرة اي ايام بعد ايام الى غير نهاية وانما كان يدل على التوقيت
لو قال خمسة احقاب او عشرة ونحوه وذكر الاحقاب لان الحقب كان ابعد شيء

عندهم فتكلم بما تذهب اليه اوهامهم ويعرفونها وهي كناية عن
التأبيد اي يمكثون فيها ابدا وقيل ذكر الاحقاب دون الايام لان
الاحقاب اهول في القلوب وادل على الخلود والمعنى متقارب وهذا
الخلود في حق المشركين ويمكن حمل الاية على العصاة الذين يخرجون
من النار بعد احقاب وقيل الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق
فاذا انقضت فيكون لهم نوع اخر من العقاب ولهذا قال لابثين فيها
احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ولابثين
اسم فاعل من لبث ويقويه ان المصدر منه اللبث بالاسكان
كالشرب وقرأ حمزة والكسائي لبثين بغير الف وهو اختيار ابي حاتم وابي
عبيد وهما لغتان يقال رجل لابث ولبث مثل طمع وطامع وفره وفاره ويقال
هو لبث بمكان كذا اي قد صار اللبث شانه فشبه
بما هو خلقة في الانسان نحو حذر وفرق لان باب فعل انما هو لما يكون
خلقة في الشيء في الاغلب وليس كذلك اسم الفاعل من لابث والحقب
ثمانون سنة في قول ابن عمر وابن عباس وابي هريرة والسنة ثلاثمائة
يوم وستون يوما واليوم سنة من ايام الدنيا قاله ابن عباس وروى ابن عمر
هذا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة والسنة ثلثمائة وستون يوما
كل يوم مثل الدنيا وعن ابن عمر ايضا الحقب اربعون سنة وقال السدي سبعون
سنة وقيل انه الف شهر رواه ابو امامة مرفوعا قال بشير بن كعب
ثلثمائة سنة وقال الحسن الاحقاب لا يدري احدكم ما هي ولكن ذكروا
انها مائة حقب والحقب الواحد منها سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة
مما تعدون وعن ابي امامة ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحقب
الواحد ثلاثون الف سنة ذكره المهدوي والاول الماوردي وقال
قطرب هو الدهر الطويل الغير محدود وقال عمر رضي الله عنه قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها
احقابا والحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل
يوم الف سنة مما تعدون فلا يتكلن احد على ان يخرج من النار ذكره
الثعلبي قال القرظي الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب
سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلثمائة
وستون يوما كل يوم الف سنة قلت هذه اقوال متعارضة والتحديد
في الاية للخلود يحتاج الى توقيف يقطع العذر وليس ذلك بثابت عن
النبي صلى الله عليه وسلم وانما المعنى والله اعلم ما ذكرناه اولا اي لابثين فيها
ازمانا ودهورا كلما مضى زمن تعقبه زمن ودهر تعقبه دهر هكذا ابد الابد
من غير انقطاع وقال ابن كيسان معنى لابثين فيها احقابا لا غاية
لها ولا انتهاء فكانه قال ابدا وقال ابن زيد ومقاتل انها منسوخة
بقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود
قد حصل قلت وهذا بعيد لانه خبر وقد قال تعالى ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط على ما تقدم هذا في حق الكفار فاما العصاة
الموحدون فصحيح ويكون النسخ بمعنى التخصيص والله اعلم وقيل المعنى لابثين
فيها احقابا اي في الارض اذ قد تقدم ذكرها ويكون الضمير في لا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا لجهنم وقيل واحد الاحقاب حقب وحقبة وقال

فان تنأ عنها حقبة لا تلاقها فانك مما احدثت بالمجرب

وقال الكميت مر لها بعد حقبة وحقب

لا يذوقون فيها اي في الاحقاب بردا ولا شرابا البرد النوم
في قول ابي عبيدة وغيره قال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وقال مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد وابو معاذ النحوي
وانشدوا قول الكندي

بردت مراشفها علي فصدني عنها وعن تقبيلها البرد

يعني النوم والعرب تقول منع البرد البرد يعني اذهب البرد النوم قلت
وقد جا الحديث انه عليه السلام سئل هل في الجنة نوم فقال لا النوم اخو الموت
والجنة لا موت فيها فكذلك النار وقد قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا
وقال ابن عباس البرد برد الشراب وعنه ايضا البرد النوم والشراب
الما وقال الزجاج اي لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل
البرد برد كل شي له راحة وهذا برد ينفعهم فاما الزمهرير فهو برد
يتاذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله اعلم به وقال
الحسن وعطا وابن زيد بردا اي روحا وراحة قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الفي اوقات العشا يذوق

وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا جملة في موضع الحال من الطاغين
او نعت للاحقاب والاحقاب ظرف زمان والعامل فيه لابثين او لبثين
على تعديه فعل الا حميما وغساقا استثنا منقطع في قول من جعل البرد النوم
ومن جعله من البرود كان بدلا منه والحميم الما الحار قاله ابو عبيدة وقال
ابن زيد الحميم دموع اعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه قال النحاس
اصل الحميم الما الحار ومنه اشتق الحمام ومنه الحمى ومنه وظل من يحموم
انما يراد به النهاية في الحر والغساق صديد اهل النار وقيحهم وقيل الزمهرير
وقرا حمزة والكسائي بتشديد السين وقد مضى في ص القول فيه
جزا وفاقا اي موافقا لاعمالهم عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما
فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى المقاتلة وجزا نصب

على المصدر اي جازيناهم جزا وافق اعمالهم قاله الفرا والاخفش وقال
الفرا ايضا هو جمع الوفق والوفق واللفق واحد وقال مقاتل
وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار
وقال الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله بما يسوؤهم انهم كانوا
لا يرجون لا يخافون حسابا اي محاسبة على اعمالهم وقيل معناه لا يرجون
ثواب حساب قال الزجاج اي انهم كانوا لا يومنون بالبعث فيرجون حسابهم
وكذبوا باياتنا كذابا اي بما جات به الانبيا وقيل بما انزلنا من الكتب
وقراة العامة كذابا بتشديد الذال وكسر الكاف اي كذب اي كذبوا
تكذيبا كبيرا قال الفرا هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت به كذابا
وخرقت القميص خراقا وكل فعل في وزن فعل فمصدره فعال مشدد في لغتهم
وانشد بعض الكلابيين

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي وعن حاجة قضاؤها من شفائيا

وقرا علي رضي الله عنه كذابا بالتخفيف وهو مصدر ايضا قال ابو علي
التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة كقول الاعشى

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

قال ابو الفتح جا جميعا مصدر كذب وكذب جميعا قال الزمخشري
كذابا بالتخفيف مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه
وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا
كذابا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل
مكذب بالحق كاذب لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان
المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة وقرا ابن عمر كذابا بضم
الكاف والتشديد جمع كاذب قاله ابو حاتم ونصبه على الحال
قال الزمخشري وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ

في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حساب ونجال فيجعل صفة لمصدر كذبوا
اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وفي الصحاح وقوله وكذبوا باياتنا كذابا
وهو احد مصادر المشدد لان مصدره قد يجي على تفعيل مثل التكليم وعلى فِعّال
مثل كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم كل ممزق ۝
وكل شي احصيناه كتابا كل نصب باضمار فعل يدل عليه احصيناه اي واحصينا كل
شي احصيناه وقرا ابو السمال وكل شي بالرفع على الابتدا كتابا نصب على المصدر
لان معنى احصينا كتبنا اي كتبناه كتابا ثم قيل اراد به العلم فان ما كتب
كان ابعد من النسيان وقيل اي كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملايكه
وقيل اراد ما كتب على العباد من اعمالهم فهذه كتابة صدرت عن الملايكه
الموكلين بالعباد بامر الله اياهم بالكتابة دليله قوله وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين ۝ فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قال ابو برزة سالت النبي
صلى الله عليه وسلم عن اشد اية في القرآن فقال قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وكلما خبت زدناهم
سعيرا قوله تعالى ان للمتقين مفازا ذكر جزا من اتقى مخالفة امر الله مفازا
موضع فوز ونجاة وخلاص مما فيه اهل النار ولذلك قيل للفلاة اذا قل
ماوها مفازة تفاولا بالخلاص منها ۝ حدايق واعنابا هذا تفسير
الفوز وقيل اي للمتقين حدايق جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه
يقال احدق به اي احاط به والاعناب جمع عنب اي كروم اعناب فحذف
۝ وكواعب اترابا كواعب جمع كاعب وهي الناهد يقال كعبت الجارية
تكعب كعوبا وكعبت تكعيبا ونهدت تنهد نهودا وقال الضحاك
الكواعب العذاري ومنه قول قيس بن عاصم

وكم من حصان قد حوينا كريمة ... وكم كاعب لم تدر ما البوس معصر

والاتراب الاقران في السن وقد مضى في سورة الواقعة الواحد ترب
۝ وكاسا دهاقا قال الحسن وقتاده وابن زيد وابن عباس مترعة مملوة
تقول ادهقت الكاس اي ملاتها وكاس دهاق اي ممتلية قال

مرها بها بكاسها الدهاق

وقال خداش بن زهير

اتانا عامر يبغي قرانا ... فاترعنا له كاسا دهاقا

وقال سعيد بن جبير وعكرمه ومجاهد وابن عباس ايضا متتابعة يتبع بعضها
بعضا في بعض بالمتتابع كالمتداخل وعن عكرمه ايضا وزيد بن اسلم
صافية قال الشاعر

لانت الى الفواد احب قربا ... من الصادي الى كاس دهاق

وهو جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر فالتقدير خمرا ذات
دهاق اي عصرت وصفيت قاله القشيري وفي الصحاح وادهقت الماء اي افرغته
افراغا شديدا وقال ابو عمرو الدهق بالتحريك ضرب من العذاب وهو
بالفارسية اشكنجه قال المبرد والمدهوق المعذب بجميع العذاب
الذي لا فرجة فيه قال ابن الاعرابي دهقت الشي كسرته وقطعته
وكذلك دهدقته وانشد لحجر بن خالد ۝ ندهدق بضع اللحم للباع والندا
وبعضهم تغلي بذم مراجله ۝ ودهمقته بزيادة الميم مثله وقال
الاصمعي الدهمقة لين الطعام وطيبه ورقته وكذلك كل شي لين ومنه حديث عمر
لو شيت ان يدهمق لي لفعلت ولكن الله عاب قوما فقال اذهبتم طيباتكم في
حياتكم الدنيا فاستمتعتم بها قوله تعالى لا يسمعون فيها اي في الجنة لغوا ولا
كذابا اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك
انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت وذلك ان اهل الجنة اذا
شربوا لم تتغير عقولهم ولم يتكلموا بلغو بخلاف اهل الدنيا ولا كذابا

تقدم اي يكذب بعضهم بعضا ولا يسمعون كذابا وقرا الكسائي كذابا
بالتخفيف من كاذبت كذابا اي لا يتكاذبون في الجنة وقيل هما مصدران
للتكذيب وانما خففها ههنا لانها ليست بمقيدة بفعل يصير مصدرا له وشدد
قوله وكذبوا باياتنا كذابا لان كذبوا يقيد المصدر بالكذاب ● جزاء من ربك نصب
على المصدر لان المعنى جازاهم بما تقدم ذكره جزاء وكذلك عطاء لان معنى
اعطاهم وجازاهم واحد اي اعطاهم عطاء حسابا اي كثيرا قاله قتادة
يقال احسبت فلانا اي كثرت له العطاء حتى قال حسبي وقال

ونقفي وليد الحي ان كان جايعا ونحسبه ان كان ليس بجايع

وقال القتبي واصل هذا ان نعطيه حتى يقول حسبي وقال
الزجاج حسابا اي ما يكفيهم وقاله الاخفش يقال احسبني كذا اي كفاني
وقال الكلبي حاسبهم فاعطاهم بالحسنة عشرا قال مجاهد حسابا لما
عملوا فالحساب بمعنى العدد اي بقدر ما وجب له في وعد الرب فانه وعد
للحسنة عشرا ووعد لقوم سبع مائة ضعف وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية
له ولا مقدار كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقرا ابو هاشم
عطاء حسابا على وزن فعال اي كفافا قال الاصمعي تقول العرب حسبت الرجل
بالتشديد اذا اكرمته وانشد الفرا قول الشاعر

اذا اتاه ضيفه نحسبه ●

وقال ابن عباس حسابا بالنون
قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن قرا ابن مسعود ونافع وابو
عمرو وابن كثير وزيد عن يعقوب والمفضل عن عاصم رب بالرفع على الاستيناف
الرحمن خبره او المعنى هو رب السموات ويكون الرحمن مبتدا ثانيا وقرا ابن عامر
ويعقوب وابن محيصن كلاهما بالخفض نعتا لقوله تعالى جزاء من ربك اي
جزاء من ربك رب السموات الرحمن وقرا ابن عباس وعاصم وحمزه والكسائي

رب السموات خفضا على النعت الرحمن رفعا على الابتدا اي هو الرحمن واختاره
ابو عبيد وقال هذا اعدلها خفض رب لقربه من قوله من ربك فيكون نعتا له
ورفع الرحمن لبعده منه على الاستيناف وخبره لا يملكون منه خطابا اي لا
يملكون ان يسالوا الا فيما اذن لهم فيه وقال الكسائي لا يملكون منه خطابا
بالشفاعة الا باذنه وقيل الخطاب الكلام اي لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه
الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار لا يملكون منه خطابا
فاما المومنون فيشفعون قلت بعد ان يوذن لهم لقوله تعالى من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي
له قولا قوله تعالى يوم يقوم الروح واختلف في الروح على اقوال ثمانية الاول
انه ملك من الملايكة قال ابن عباس ما خلق الله مخلوقا بعد العرش اعظم
منه فاذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا وقامت الملايكة كلهم صفا فيكون
عظم خلقه مثل صفوفهم وعن ابن مسعود قال الروح ملك اعظم من
السموات السبع ومن الارضين السبع ومن الجبال وهو حيال السماء الرابعة
يسبح الله كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا
فيجي يوم القيمة وحده صفا وساير الملايكة صفا الثاني انه جبريل
عليه السلام قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ان عن
يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع
يدخل جبريل كل يوم فيه سحرا فيغتسل فيزداد نورا على نوره وجمالا
على جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من
ريشه سبعين الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا البيت المعمور
والكعبة سبعون الفا لا يعودون اليه الى يوم القيمة وقال وهب
ان جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرايصه يخلق الله
من كل رعدة مائة الف ملك فالملايكة صفوف بين يدي الله تعالى

منكسة رؤوسهم فاذا اذن الله لهم في الكلام قالوا لا اله الا انت وهو قوله
تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن في الكلام
وقال صوابا يعني قول لا اله الا الله الثالث روى ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم الروح في هذه الاية جند من جنود الله ليسوا ملائكة
لهم رؤوس وايدي وارجل ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملائكة
صفا قال هولاء جند وهولاء جند وهذا قول ابي صالح ومجاهد
وعلى هذا هم خلق على صورة بني ادم كالناس وليسوا بناس الرابع
انه اشراف الملائكة قاله مقاتل بن حيان الخامس انهم حفظة على
الملائكة قاله ابن ابي نجيح السادس انهم بنو ادم قاله الحسن وقتادة
فالمعنى ذوو الروح وقال العوفي والقرظي هذا مما كان يكتمه ابن عباس
قال الروح خلق من خلق الله على صور بني ادم وما نزل ملك من السما
الا ومعه واحد من الروح السابع ارواح بني ادم تقوم صفا وتقوم الملائكة
صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى الاجساد قاله عطية الثامن
انه القران قاله زيد بن اسلم وقرا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وصفا
مصدرا اي يقومون صفا صفوفا والمصدر ينبي على الواحد والجمع كالعدل
والصوم ويقال ليوم العيد يوم الصف وقال في موضع اخر وجاء ربك والملك صفا
صفا هذا يدل على الصفوف وهذا حين العرض والحساب قال معناه القتيبي
وغيره وقيل يقوم الروح صفا انهم صفان وقيل يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون
اي لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال صوابا يعني حقا قاله الضحاك
ومجاهد وقال ابو صالح لا اله الا الله وروى الضحاك عن ابن عباس قال يشفعون
لمن قال لا اله الا الله واصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من اصاب يصيب
اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني الملائكة والروح

الذين قاموا صفا لا يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن له الرحمن هيبة
واجلالا الا من اذن له الرب في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا وانهم يوحدون الله
ويسبحونه وقال الحسن ان الروح يقول يوم القيامة لا يدخل احد الجنة الا بالرحمة
ولا النار الا بالعمل فهو معنى قوله تعالى وقال صوابا **قوله تعالى** ذلك اليوم
الحق اي الكائن الواقع فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اي مرجعا بالعمل الصالح كانه اذا
عمل خيرا رده الى الله عز وجل واذا عمل شرا باعده الله منه وينظر الى هذا المعنى
قوله عليه السلام والخير كله بيديك والشر ليس اليك وقال قتادة
مآبا سبيلا **قوله تعالى** انا انذرناكم عذابا قريبا يخاطب كفار قريش
ومشركي العرب لانهم قالوا لا نبعث والعذاب عذاب الاخرة وكل ما هو ات
فهو قريب وقد قال الله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
قال معناه الكلبي وغيره وقال قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين
قال مقاتل هي قتل قريش ببدر والاظهر انه عذاب الاخرة وهو
الموت والقيامة لان من مات فقد قامت قيامته فان كان من اهل الجنة
راى مقعده من الجنة وان كان من اهل النار راى الخزي والهوان ولهذا قال
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه بين انه يراه وقيل ينظر الى ما قدمت فحذف
الى والمراد هاهنا المومن في قول الحسن اي يجد لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد
لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا ولما قال ويقول الكافر علم انه اراد بالمرء
المومن وقيل المرء هاهنا ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط ويقول
الكافر ابو جهل وقيل هو عام في كل احد وانسان يرى في ذلك اليوم
جزاء ما كسب وقال مقاتل نزلت قوله يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه في ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في
اخيه الاسود بن عبد الاسد وقال الثعلبي سمعت ابا القسم بن حبيب

يقول الكافر هنا ابليس وذلك انه عاب ادم بانه خلق من تراب وافتخر بانه
خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه ادم وبنوه من الثواب والراحة والرحمة
وراى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه لكان ادم فيقول يا ليتني كنت
ترابا قال ورايته في بعض التفاسير قال القشيري ابو نصر فقيل اي
يقول ابليس يا ليتني خلقت من التراب ولم اقل انا خير من ادم وعن ابن عمر اذا
كان يوم القيمة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهايم والوحش
ثم يوضع القصاص بين البهايم حتى يقتص للشاة الجما من الشاة القرنا نطحتها فاذا فرغ
من القصاص بينها قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا ونحوه عن ابي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وقد ذكرناه
في كتاب التذكرة باحوال الموتى وامور الاخرة محررا والله اعلم بالصواب وذكر
ابو جعفر حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا
عبد الرزاق قال حدثنا معمر قال اخبرني جعفر بن برقان الجزري عن يزيد بن الاصم
عن ابي هريرة قال ان الله يحشر الخلق كلهم من دابة وطاير وانسان ثم يقال
للبهايم والطير كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اي لم
ابعث كما قال يا ليتني لم اوت كتابيه وقال ابو الزناد اذا قضي بين الناس
وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار قيل لساير الامم ولمؤمني الجن عودوا
ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا
وقال ابن ابي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري
والكلبي ومجاهد مؤمنو الجن يدخلون الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها ونقلنا الاصح
وقد مضى في سورة الرحمن بيان هذا وانهم مكلفون يثابون ويعاقبون فهم كبني ادم والله اعلم

سورة والنازعات مكية باجماع

وهي خمس او ست واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والنازعات غرقا اقسم سبحانه بهذه الاشيا التي ذكرها
على ان القيامة حق والنازعات الملايكة التي تنزع ارواح الكفار قاله
علي رضي الله عنه وكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد هي الملايكة
تنزع نفوس بني ادم قال ابن مسعود يريد انفس الكفار ينزعها
ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافر واصول
القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها
في اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله بالكفار قاله ابن عباس وقال سعيد
ابن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها في النار وقيل يرى الكافر نفسه
في وقت النزع كانها تغرق وقال السدي والنازعات هي النفوس حين تغرق
في الصدور وقال مجاهد هو الموت ينزع النفوس قال الحسن وقتادة هي النجوم
تنزع من افق الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليه اي ذهب او من قولهم
نزعت الخيل اي جرت غرقا اي انها تغرق وتغيب وتطلع من افق اخر قاله
ابو عبيدة وابن كيسان والاخفش وقيل النازعات القسي تنزع بالسهام
قاله عطا وعكرمة وغرقا بمعنى اغراقا واغراق النازع في القوس ان يبلغ غاية
المد حتى ينتهي الى النصل يقال اغرق في القوس اي استوفى مدها وذلك بان
ينتهي الى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه والاستغراق الاستيعاب
ويقال لقشرة البيضة الداخلة غرقى وقيل هم الغزاة الرماة قلت وهو
والذي قبله سوا لانه اذا اقسم بالقسي فالمراد النازعون بها تعظيما لها
وهو مثل قوله والعاديات ضبحا والله اعلم واراد بالاغراق المبالغة في النزع
وهو سايغ في جميع وجوه تاويلها وقيل هي الوحش تنزع من الكلا

ونشط حكاه يحيى بن سلام ومعنى غرقا اي ابعادا في النزع **قوله تعالى**
والناشطات نشطا قال ابن عباس يعني الملائكة تنشط نفس المومن فتقبضها
كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه وحكى هذا القول الفرا ثم قال
والذي سمعت من العرب ان يقولوا انشطت وكانما انشط من عقال وربطها
نشطا والرابط الناشط واذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته فانت
ناشط واذا حللته فقد انشطته وانت منشط وعن ابن عباس ايضا هي
انفس المومنين عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ما من مومن الا وتعرض عليه
الجنة من قبل ان يموت فيرى فيها ما اعد الله له من ازواجه واهله من الحور
العين فهم يدعونه اليها فنفسه اليهم نشطة ان تخرج فتاتيهم وعنه
ايضا قال يعني انفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب الذي
يعقب به السرج والنشط الجذب بسرعة ومنه الانشوطة عقدة يسهل
انحلالها اذا جذبت مثل عقدة التكة وقال ابو زيد نشطت الحبل
انشطه نشطا عقدته انشوطة وانشطته اي حللته وانشطت الحبل اي
مددته حتى ينحل وقال الفرا انشط العقال اي حل ونشط اي ربط
الحبل في يديه وقال الليث انشطته بانشوطة واستوطتني اي اوثقته
وانشطت العقال اي مددت انشوطته فانحلت قال ويقال نشط
بمعنى انشط لغتان بمعنى وعليه يصح قول ابن عباس المذكور اولا وعنه
ايضا ان الناشطات الملائكة لنشاطها تذهب وتجي بامر الله حيثما كان
وعنه ايضا وعن علي رضي الله عنه هي الملائكة تنشط ارواح الكفار
ما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من اجوافهم نشطا بالكرب والغم
كما ينشط الصوف من سفود الحديد وهو من النشط بمعنى الجذب
يقال نشطت الدلو انشطها بالكسر وانشطها بالضم اي نزعتها قال

الاصمعي بير انشاط اي قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة
وبير نشوط قال وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى ينشط كثيرا وقال مجاهد
هو الموت ينشط نفس الانسان قال السدي هي النفوس حين تنشط
من القدمين وقيل النازعات ايديها وانفسهم تنزع القسي باغراق السهام
والتي تنشط للاوهاق عن عكرمة وعطا هي الاوهاق تنشط السهام
وعن عطا ايضا وقتادة والحسن والاخفش هي النجوم تنشط من افق الى افق
اي تذهب وكذا في الصحاح والناشطات نشطا يعني النجوم من برج
الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد والهموم تنشط بصاحبها قال
هميان بن قحافة * امست همومي تنشط المناشطا الشام بي طورا وطورا واسطا
ابو عبيدة وعطا ايضا الناشطات هي الوحش حين تنشط من بلد كما ان الهموم
تنشط الانسان من بلد الى بلد وانشد قول هميان *
امست همومي البيت * وقيل والنازعات للكافرين
والناشطات للمومنين فالملائكة يجذبون روح المومن برفق والنزع
جذب بشدة والنشط جذب برفق وقيل هما جميعا للكفار والاتيان
بعدهما للمومنين عند فراق الدنيا **قوله تعالى** والسابحات سبحا قال علي
رضي الله عنه هي الملائكة تسبح بارواح المومنين الكلبي هي الملائكة
تقبض ارواح المومنين كالذي يسبح في الما فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع
يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح وقال
مجاهد وابو صالح هي الملائكة ينزلون من السما مسرعين لامر الله كما يقال للفرس
الجواد سابح اذا اسرع في جريه وعن مجاهد الملائكة تسبح في نزولها وصعودها
وعنه ايضا السابحات الموت تسبح في انفس بني ادم وقيل هي الخيل
للغزاة قال عنترة *

والخيل تعلم حين تسبح في حياض الموت سبحا

وقال ابن القيس

تسبح اذا ما السابحات على الونا اثرن غبارا بالكديد المركل

وقال قتاده والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها وكذلك الشمس والقمر قال الله تعالى كل في فلك يسبحون قال عطا هي السفن تسبح في الماء قال ابن عباس السابحات ارواح المومنين تسبح شوقا الى لقا الله تعالى ورحمته حين تخرج **قوله تعالى** فالسابقات سبقا قال علي رضي الله عنه هي الملائكه تسبق الشياطين بالوحي الى الانبيا عليهم السلام وقال مسروق ومجاهد وعن مجاهد ايضا وابي روق هي الملائكه سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقيل تسبق بني ادم الى العمل الصالح فتكتبه وعن مجاهد ايضا الموت يسبق الانسان وقال مقاتل هي الملائكه تسبق بارواح المومنين الى الجنه وقال ابن مسعود هي انفس المومنين تسبق الى الملائكه الذين يقبضونها وقد عاينت السرور الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى الجنه لقا الله ورحمته ونحوه عن الربيع قال هي النفس تسبق بالخروج عند الموت وقال قتاده والحسن ومعمر هي النجوم يسبق بعضها في السير قال عطا هي الخيل التي تسبق الى الجهاد وقيل يحتمل ان يكون السابقات ما يسبق من الارواح قبل الاجساد الى الجنه او نار حكاه الماوردي وقال الجرجاني ذكر فالسابقات بالفا لانها مشتقه من التي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن تقول قام فذهب فهذا يوجب ان يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام وذهب لم يكن القيام سببا للذهاب **قوله تعالى** فالمدبرات امرا قال القشيري اجمعوا على ان المراد الملائكه وقال فيه الماوردي قولان احدهما الملائكه

قاله الجمهور والقول الثاني هي الكواكب السبعه حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل وفي تدبيرها الامر وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها الثاني تدبيرها ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الاحوال وحكى هذا القول ايضا في تفسيره وان الله تعالى علق كثيرا من تدبير امر العالم بحركات النجوم فاضيف التدبير اليها وان كان من الله كما يسمى الشي باسم ما يجاوره وعلى ان المدبرات الملائكه فتدبيرها نزولها بالحلال والحرام وتفصيله قال ابن عباس وقتاده وغيرهما وهو الى الله جل ثناوه ولكن لما نزلت الملائكه به سميت بذلك كما قال عز وجل نزل به الروح الامين وكما قال فانه نزله على قلبك يعني جبريل صلى الله عليه وسلم نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم والله عز وجل هو الذي انزله وروى عطا عن ابن عباس فالمدبرات امرا الملائكه وكلوا بتدبير احوال اهل الارض في الرياح والامطار وغير ذلك قال عبد الرحمن بن سابط تدبير امر الدنيا الى اربعه جبريل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل واسرافيل صح فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح في البر والبحر واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس من الملائكه اقرب من اسرافيل وبينه وبين العرش مسيرة خمس ماية عام وقيل اي وكلوا بامور عرفهم الله بها من اول السوره الى هنا قسم اقسم الله به ولله ان يقسم بما شا من خلقه وليس لنا ذلك الا به عز وجل وجواب القسم مضمر كانه قال والنازعات وكذا لتبعثن ولتحاسبن اضمر لمعرفه السامعين بالمعنى قاله الفرا ويدل عليه قوله ايذا كنا عظاما نخره الست ترى انه كالجواب لقولهم ايذا كنا عظاما نخره نبعث فاكتفى بقوله ايذا كنا عظاما نخره وقال قوم وقع القسم على قوله ان في ذلك لعبره لمن يخشى

وهذا اختيار الكادر والترمذي قال محمد بن علي اي فيما اقتصصت
من ذكر يوم القيمة وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى ولكن
وقع القسم على ما في السورة مذكورًا بارزًا ظاهرًا اخرا واقسم بشي ليس عند كون فيها
قال ابن الانباري وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وقيل
جواب القسم هل اتاك حديث موسى لان المعنى قد اتاك وقيل الجواب
يوم ترجف الراجفة على تقدير ليوم ترجف فحذف اللام وقيل فيه تقديم
وتاخير تقديره يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقا قال
السجستاني يجوز ان يكون هذا من التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم
بالساهرة والنازعات غرقا قال ابن الانباري وهذا خطا لان الفا لا يفتتح
بها الكلام والاول الوجه وقيل انما وقع القسم على ان قلوب اهل النار
تجف وابصارهم تخشع فانتصاب يوم ترجف الراجفة على هذا المعنى ولكن
لم يقع عليه قال الزجاج اي قلوب واجفة يوم ترجف وقيل انتصب باضمار
اذكر وترجف اي تضطرب والراجفة اي المضطربة كذا قال عبد الرحمن بن
زيد قال هي الارض والرادفة الساعة قال مجاهد الرادفة الزلزلة تتبعها الرادفة
الصيحة وعنه ايضا قال ابن عباس والحسن وقتادة هما الصيحتان النفختان
اما الاولى فتميت كل شي باذن الله واما الثانية فتحيي كل شي
باذن الله وجا في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينهما اربعون
سنة وقال مجاهد ايضا الرادفة حين تنشق السما وتحمل الارض والجبال
فتدك دكة واحدة وذلك بعد الزلزلة وقيل الراجفة تحرك الارض والرادفة
زلزلة اخرى تفني الارضين فالله اعلم وقد مضى في اخر النمل ما فيه كفاية
في النفخ في الصور واصل الرجفة الحركة قال الله تعالى يوم ترجف الارض
وليست الرجفة ههنا من الحركة فقط بل من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا
ورجيفا اي ظهر الصوت والحركة ومنه سميت الاراجيف لاضطراب

الاصوات بها وافاضة الناس فيها قال

ابا الاراجيف يا ابن اللوم توعدني وفي الاراجيف خلت اللوم والخورا

وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذهب ربع الليل
قام ثم قال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جا الموت بما فيه ٥ قلوب يومئذ واجفة اي خائفة وجلة قاله
ابن عباس وعليه عامة المفسرين وقال السدي زائلة عن اماكنها
نظيره اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وقال المورج قلقة مستوفزة
مرتكضة غير ساكنة وقال المبرد مضطربة والمعنى متقاربة
والمراد قلوب الكفار يقال وجف القلب يجف وجيفا اذا خفق كما يقال
وجب يجب وجيبا ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف
حمل الدابة على السير السريع قال

بدلن بعد جره صريفا وبعد طول النفس الوجيفا

وقلوب رفع بالابتدا وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها مثل
قوله ولعبد مومن خير من مشرك ومعنى خاشعة منكسرة ذليلة من هول
ما ترى نظيره خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة والمعنى ابصار اصحابها
فحذف المضاف يقولون اي يقول هولا المكذبون المنكرون للبعث
اذا قيل لهم انكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين انرد بعد موتنا
الى اول الامر فنعود احيا كما قبل الموت وهو كقولهم انا لمبعوثون
خلقا جديدا يقال رجع فلان في حافرته اي رجع من حيث جا قاله
قتادة وانشد ابن الاعرابي

احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار

يقول ارجع الى ما كنت عليه من شبابي

من الغزل والصبي بعد ان شبت وصلعت ويقال رجع على حافرته اي الطريق
الذي جاء منه وقولهم في المثل النقد عند الحافرة قال يعقوب
اي عند اول كلمة وقيل الحافرة العاجلة اي ائنا لمردودون الى الدنيا
فنصير احياء كما قال الشاعر

آليت لا انساكم فاعلموا حتى يرد الناس في الحافرة

وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم فهي بمعنى المحفورة كقوله تعالى
ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ائنا لمردودون في قبورنا احياء قاله
مجاهد والخليل والفرا وقيل سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر
كما سميت القدم ارضا لانها على الارض والمعنى انا راجعون بعد الموت
الى الارض فنمشي على اقدامنا وقال ابن زيد الحافرة النار وقرا
تلك اذا كرة خاسرة وقال مقاتل وزيد بن اسلم هي اسم
من اسماء النار وقال ابن عباس الحافرة في كلام العرب الدنيا وقرا
ابو حيوة الحفرة بغير الف مقصور من الحافرة وقيل الحفرة الارض المنتنة
باجسادها موتاها من قولهم حفرت اسنانه اذا ركبها الوسخ من
ظاهرها وباطنها يقال في اسنانه حفر وقد حفرت تحفر حفرا مثل
كسر يكسر كسرا اذا فسدت اصولها وبنو اسد يقولون في اسنانه
يقولون في اسنانه حفر بالتحريك وقد حفرت مثال تعب تعبا وهي
اردا اللغتين قاله في الصحاح ائذا كنا عظاما نخرة اي بالية متفتتة
يقال نخر العظم بالكسر اي بلي وتفتت يقال عظام نخرة وكذا قرا
الجمهور من اهل المدينة ومكة والشام والبصرة واختاره ابو
عبيد لان الآثار التي يذكر فيها العظام نظرنا فيها فرأينا نخرة لا ناخرة
وقرا عمر وابنه عبدالله وابن عباس وابن مسعود وابن الزبير
وحمزة والكسائي وابو بكر ناخرة بالف واختاره الفرا

والطبري وابو معاذ النحوي لوفاق رؤوس الاي وفي الصحاح والناخر
من العظام الذي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ولها نخير ويقال ما بها ناخر
اي ما بها احد حكاه يعقوب عن الباهلي وقال ابو عمرو بن العلا الناخرة
التي لم تنخر بعد اي لم تبل ولا بد ان تنخر وقيل الناخرة المجوفة وقيل
هما لغتان بمعنى كذلك تقول العرب نخر الشيء فهو نخر وناخر كقولهم طمع
وطامع وحذر وحاذر وبخل وباخل وفره وفاره قال الشاعر

يظل بها الشيخ الذي كان بادنا يدب على عوج له نخرات

عوج يعني قوائم وفي بعض التفسير ناخرة بالالف بالية ونخرة ينخر
فيها الريح اي تمر فيها على عكس الاول قال
من بعدما كانت عظاما ناخرة وقال بعضهم الناخرة التي اكلت اطرافها وبقيت
اوساطها والنخرة التي فسدت كلها وقال مجاهد اي مرفوتة كما قال
عظاما ورفاتا ونخرة الريح بالضم شدة هبوبها والنخرة ايضا والنخرة مثال الهمزة
مقدم انف الفرس والحمار والخنزير يقال هشم نخرته اي انفه قالوا
تلك اذا كرة خاسرة اي رجعة خائبة كاذبة اي ليست كائنة
قاله الحسن وغيره الربيع بن انس خاسرة على من كذب بها وقيل
اي هي كرة خسران والمعنى اهلها خاسرون كما يقال تجارة رابحة اي يربح
صاحبها ولا شيء اخسر من كرة تقتضي المصير الى النار وقال قتادة ومحمد بن
كعب اي لئن رجعنا احياء بعد الموت لنحشرن بالنار وانما قالوا هذا لانهم اوعدوا
بالنار والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى والكرة المرة والجمع الكرات
فانما هي زجرة واحدة ذكر جل ثناؤه سهولة البعث عليه فقال فانما هي زجرة واحدة
وروى الضحاك عن ابن عباس قال نفخة واحدة فاذا هم اي الخلائق اجمعون
بالساهرة اي على وجه الارض بعدما كانوا في بطنها قال الفرا

سميت هذا الاسم لان فيها نوم الحيوان وسهرهم والعرب تسمي الفلاة
ووجه الارض ساهرة بمعنى ذات سهر لانه يسهر فيه خوفا منه فوصفه
بما فيه واستدل ابن عباس والمفسرون بقول امية بن الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر ... وما فاهوا به لهم مقيم

وقال اخو همدان يوم ذي قار لفرسه

اقدم محاج انها الاساوره ... ولا يهولنك رجل نادره

فانما قصرك ترب الساهره ... ثم تعود بعدها في الحافره

من بعدما كنت عظاما ناخره وفي الصحاح ويقال الساهور ظل الساهرة
وهي وجه الارض ومنه قوله فاذا هم بالساهرة قال ابو كبير الهذلي

يرتدن ساهرة كان جميمها وعميمها اسداف ليل مظلم

ويقال الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا كسف وانشدوا
قول امية بن ابي الصلت قمر وساهور يسل ويغمد
وانشد الاخر في وصف امراة

كانها عرق سام عند ضاربه او شقة خرجت من جوف ساهور

يريد شقة القمر وقيل الساهرة الارض البيضا وروى الضحاك عن ابن
عباس قال ارض من فضة لم يعص الله عز وجل عليها قط خلقها
حينئذ وقيل ارض يجددها الله يوم القيامة وقيل الساهرة
اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلايق وذلك حين
تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام قال
وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقال عثمان بن ابي العاتكه
انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل
اريحا وجبل حسان يمده الله كيف يشا قال قتاده هي جهنم

اي فاذا هم الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون
عليها حينئذ وقيل الساهرة بمعنى الصحرا على شفير جهنم اي يوقفون بارض
القيامة فيدوم السهر حينئذ ويقال الساهرة الارض البيضا المستوية سميت بذلك
لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الما وفي ضدها نايمة قال
الاشعث بن قيس يقول

وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما

او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة قوله تعالى هل اتاك حديث موسى اي قد
جاك وبلغك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي ان فرعون كان اقوى من
كفار عصرك ثم اخذناه وكذلك هولاء وقيل هل بمعنى ما اي ما اتاك
ولكني اخبرتك به فان فيه عبرة لمن يخشى وقد مضى من خبر موسى وفرعون
في غير موضع ما فيه كفاية وفي طوى ثلاث قراات قرا ابن محيصن وابن عامر
والكوفيون طوى منونا واختاره ابو عبيد لخفة الاسم الباقون بغير تنوين لانه
معدول مثل عمر وقثم قال الفرا طوى واد بين المدينة ومصر قال وهو
معدول من طاو كما عدل عمر من عامر وقرا علي معنى المقدس مرة بعد
مرة قاله الزجاج وانشد

اعاذل ان اللوم في غير كنهه علي طوى من غيك المتردد

اي هو لوم مكرر علي وقيل ضم الطا وكسرها لغتان وقد مضى في طه القول
فيه اذهب الى فرعون اي ناداه ربه اذهب فحذف لان النداء قول فكانه
قال له ربه اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز القدر في العصيان وروي
عن الحسن قال كان فرعون علجا من همدان وعن مجاهد قال كان من اهل
اصطخر وعن الحسن ايضا قال كان من اهل اصبهان يقال له ذو ظفر
طوله اربعة اشبار فقل هل لك الى ان تزكى اي تسلم

فيطهرك من الذنوب وروى الضحاك عن ابن عباس قال هل لك الى ان تشهد
ان لا اله الا الله ٥ واهديك الى ربك اي وارشدك الى طاعة ربك
فتخشى اي فتخافه وتتقيه وقرا نافع وابن كثير تزكى بتشديد الزاي
على ادغام في التاء لان اصلها تتزكى الباقون تزكى بتخفيف الزاي
على معنى طرح التا وقال ابو عمرو تزكى بالتشديد الصدقة وتزكى
تكون زكيا مومنا وانما دعي فرعون ليكون زكيا مومنا قال
فلهذا اخترنا التخفيف وقال صخر بن جويرية لما بعث الله موسى الى
فرعون قال اذهب الى فرعون الى قوله واهديك الى ربك فتخشى ولن يفعل
فقال يا رب وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله اليه
ان امض الى ما امرتك به فان في السما اثني عشر الف ملك يطلبون علم القدر
فلن يبلغوه ولا يدركوه فاراه الاية الكبرى اي العلامة العظمى وهي
المعجزة قيل العصا وقيل اليد البيضا تبرق كالشمس وروى الضحاك عن
ابن عباس الاية الكبرى قال العصا قال الحسن يده وعصاه
وقيل فلق البحر وقيل الاية اشارة الى جميع اياته ومعجزاته فكذب اي كذب
نبي الله موسى وعصى اي عصى ربه عز وجل ثم ادبر يسعى اي ولى مدبرا معرضا عن الايمان
يسعى اي يعمل بالفساد في الارض وقيل يعمل في نكاية موسى وقيل ادبر يسعى هاربا
من الحية فحشر اي جمع اصحابه ليمنعوه منها وقيل جمع جنوده للقتال
والمحاربة والسحرة للمعارضة وقيل حشر الناس للحضور فنادى اي قال لهم
بصوت عال انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي ويروى ان ابليس تصور لفرعون
في صورة الانس بمصر في الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك اما
تعرفني قال لا قال وكيف وانت خلقتني الست القائل انا ربكم الاعلى ذكره
الثعلبي في كتاب العرائس قال عطا كان صنع لهم اصناما صغارا وامرهم بعبادتها

فقال انا رب اصنامكم وقيل اراد القادة والسادة وهو ربهم واولئك
هم ارباب السفلة وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فنادى فحشر لان النداء يكون قبل
الحشر ٥ فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي نكال قوله ما علمت لكم من اله غيري
وقوله بعدها انا ربكم الاعلى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وكان بين الكلمتين
اربعون سنة قاله ابن عباس والمعنى امهله في الاولى ثم اخذه في الاخرة
فعذبه بكلمتيه وقيل نكال الدنيا هو ان اغرقه ونكال الاخرة العذاب
في الاخرة قاله قتادة وغيره وقال مجاهد عذاب اول عمره واخره
وقيل الاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عن قتادة ايضا
ونكال منصوب على المصدر المؤكد في قول الزجاج لان معنى اخذه الله نكل
الله به فاخرج مكان مصدر عن معناه وقيل نصب بنزع حرف الصفة
اي فاخذه الله بنكال الاخرة فلما نزع الخافض نصب ٥ وقال
الفراء اي اخذه الله اخذا نكالا اي للنكال والنكال اسم لما جعل نكالا للغير
اي عقوبة له حتى يعتبر به يقال نكل فلان بفلان اذا اثخنه عقوبة والكلمة
من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد وقد مضى في سورة المزمل والحمد لله
٥ ان في ذلك لعبرة اي اعتبارا وعظة لمن يخشى اي يخاف الله عز وجل قوله تعالى
ءانتم اشد خلقا يريد اهل مكة اي اخلقكم بعد الموت اشد في تقديركم
ام السما فمن قدر على السما قدر على الاعادة وهذا كقوله تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقوله اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر ان يخلق مثلهم فمعنى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف السما فقال
بناها اي رفعها فوقكم كالبنا ٥ رفع سمكها اي اعلى سقفها في الهوى يقال
سمكت الشي اذا رفعته في الهوى وسمك الشي سموكا ارتفع وقال الفرا

كل شي حمل شيا من البنا وغيره فهو سمك وبنا مسموك وسنام سامك اي عال والمسموكات السموات ويقال اسمك في الديم اي اصعد في الدرجه **قوله تعالي** فسواها اي خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه ولا شقوق ولا فطور واغطش ليلها اي جعله مظلما غطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل بنفسه واغطشه الله كما يقال اظلم الليل واظلمه والغطش والغبش الظلمه ورجل اغطش اي اعمي او شبيه به وقد غطش والمراه غطشا ويقال ليله غطشا وليل اغطش وفلاه غطشي لا يهتدي لها قال الاعشي

ويهما بالليل غطشي الفلاه يونسني صوت قيادها

وقال الاعشي ايضا

عقرتهم ناقتي موهنا وغامرهم مدلهم غطش

يعني تغامرهم ليلهم لانه غمرهم بسواده واضاف الليل الي السما لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس مضاف الي السما ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل واخرج ضحاها اي ابرز نهارها وضوها وشمسها واضاف الضحي الي السما كما اضاف الظلمه لان فيها سبب الظلام والضيا بغروب الشمس وطلوعها ○ والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها وهذا يشير الي كون الارض بعد السما وقد مضي القول فيه في اول البقره عند قوله تعالي هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوي الي السما مستوفي والعرب تقول دحوت الشي ادحوه دحوا اذا بسطته ويقال لعش النعامه ادحي لانه مبسوط علي وجه الارض قال اميه بن ابي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم قطانها حتي التنادي

وانشد المبرد

دحاها فلما راها استوت علي الما ارسي عليها الجبالا

وقيل دحاها اي سواها ومنه قول زيد بن عمرو

واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها بايد وارسي عليها الجبالا

وعن ابن عباس خلق الله الكعبه ووضعها علي الما علي اربعه اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وذكر بعض اهل العلم ان بعد في موضع مع كانه قال والارض مع ذلك دحاها كما قال عتل بعد ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيي الخلق قال الشاعر

فقلت لها فيي اليك فانني حرام واني بعد ذاك لبيب

اي مع ذلك وقيل بعد بمعني قبل كقوله تعالي ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل الفرقان قال ابو كبير الهذلي

حمدت الهي بعد عروه اذ نجا خراش وبعض الشر اهون من بعض

وزعموا ان خراشا نجا قبل عروه وقيل دحوها حرثها وشقها قاله ابن زيد وقيل دحاها مهدها للاقوات والمعني متقارب وقراه العامه والارض بالنصب اي دحا الارض وقرا الحسن وعمرو بن ميمون والارض بالرفع علي الابتدا لرجوع الها وقيل دحاها يدحو دحوا ودحا يدحا دحيا كقولهم طغي يطغي ويطغوا وطغي يطغي ومحا يمحو ومحا يمحا ولحا العود يلحا ويلحو فمن قال يدحو قال دحوت ومن قال يدحا قال دحيت اخرج منها اي من الارض ماها اي العيون المتفجره بالما ومرعاها اي النبات الذي يرعا وقال القتبي دل بشيين علي جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح لان النار من العيدان والملح من الما والجبال ارساها قراه العامه والجبال بالنصب اي وارسي الجبال ارساها يعني اثبتها فيها اوتادا لها وقرا الحسن وعمرو بن ميمون وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم والجبال بالرفع علي الابتدا ويقال هلا ادخل حرف العطف علي اخرج فيقال لانه حال باضمار قد

كقوله تعالى احصرت صدورهم متاعا لكم اي منفعة لكم ولانعامكم من الابل والبقر والغنم ومتاعا نصب على المصدر من غير اللفظ لان معنى اخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا **قوله تعالى** فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى وهي النفخة الثانية التي يكون معها البعث قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه وهو قول الحسن وعن ابن عباس ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شيء فتعم ما سواها لعظم هولها اي تغلبه وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القرى قال المبرد الطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع وانما اخذت فيما احسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري وطم الماء اذا ملا النهر كله غيره هي ماخوذة من طم السبيل الركية اذا دفنها والطم الدفن والعلو وقال القاسم بن الوليد الهمداني الطامة الكبرى حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وهو معنى قول مجاهد وقال سفيان هي الساعة التي يسلم اهل النار الى الزبانية اي الداهية التي طمت وعظمت قال ان بعض الحرب ويحي ولذلك البعض ابها اطم **قوله تعالى** يوم يتذكر الانسان ما سعى اي ما عمل من خير او شر ۝ وبرزت الجحيم اي ظهرت لمن يرى قال ابن عباس يكشف عنها فتلظى فيراها كل ذي بصر وقيل المراد الكافر لانه الذي يرى النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصلى الكافر بالنار وجواب فاذا جاءت الطامة محذوف اي اذا جاءت الطامة دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وقرا مالك بن دينار وبرزت الجحيم قال عكرمة وغيره لمن ترى بالتاء اي لمن تراه الجحيم او لمن تراه انت يا محمد والخطاب له عليه السلام والمراد به الناس **قوله تعالى** فاما من طغى اي تجاوز الحد في العصيان قيل نزلت في النضر وابنه الحارث وهي عامة في كل كافر اثر الحياة الدنيا على الاخرة وروي عن يحيى بن ابي كثير قال من اتخذ طعام واحد ثلثه الوان فقد طغى وروى جويبر عن الضحاك قال قال حذيفة اخوف ما اخاف على هذه الامة ان يؤثروا ما يرون على ما يعلمون ويروي انه وجد في الكتب ان الله جل ثناؤه قال لا يؤثر عبد لي دنياه على اخرته الا بثثت عليه همومه وضيعته ثم لا ابالي

والايثار ارادة الشيء على طريقة التفضيل له على غيره كذا في التفسير

ضاع يضيع ضياعا وضيعا ...

فيها هلكته فان الجحيم هي المأوى اي مأواه والالف واللام بدل من الهاء ۝ واما من خاف مقام ربه اي حذر مقامه بين يديه وقال الربيع مقامه يوم الحساب وكان قتادة يقول ان لله عز وجل مقاما قد خافه المؤمنون وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل عند مواقعة الذنب فيقلع نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان ۝ ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي والمحارم وقال سهل ترك الهوى مفتاح الجنة لقول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وقال عبد الله بن مسعود انتم في زمان يقود الحق الهوى وسياتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان ۝ فان الجنة هي المأوى اي المنزل والاية نزلت في مصعب بن عمير واخيه عامر بن عمير فروى الضحاك عن ابن عباس قال اما من طغى فهو اخ لمصعب بن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه في فدائه ۝ واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه وهي السهام فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال عند الله احتسبك وقال لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب وقيل ان مصعب بن عمير قتل اخاه عامرا يوم بدر وعن ابن عباس ايضا قال نزلت هذه الاية في رجلين ابو جهل بن هشام المخزومي ومصعب بن عمير العبدري وقال السدي نزلت هذه الاية واما من خاف مقام ربه في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان ابا بكر كان له غلام ياتيه بطعام فلم يساله واكله فقال له غلامه لم لا تسالني اليوم فقال نسيت فمن اين لك هذا الطعام قال تكهنت لقوم في الجاهلية فاعطونيه فتقيأه من ساعته وقال يا رب ما بقي في العروق فانت حبسته فنزلت

واما من خاف مقام ربه وقال الكلبي نزلت في من هم بمعصية وقدر عليها في
خلوة ثم تركها من خوف الله ونحوه عن ابن عباس يعني من خاف عند المعصية مقامه
بين يدي الله فانتهى عنها والله اعلم قوله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها
قال ابن عباس سال مشركوا مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تكون الساعة
استهزاء فانزل الله عز وجل الاية وقال عروة بن الزبير في قوله تعالى فيم
انت من ذكراها لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسال عن الساعة حتى نزلت هذه
الاية الى ربك منتهاها ومعنى مرساها اي قيامها قال الفراء رسوها
قيامها كرسو السفينة وقال ابو عبيدة منتهاها ومرسى السفينة
حيث تنتهي وهو قول ابن عباس الى ربك ابن انس منتهاها والمعنى
منتهى قرب وقد مضى في الاعراف بيان ذلك وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تقوم الساعة الا بغتة بعضها ربك فيم انت من ذكراها اي
في اي شي انت يا محمد من ذكر القيامة والسوال عنها وليس لك السوال عنها وهذا
معنى ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم
يسال عن الساعة حتى نزلت فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها اي منتهى علمها
فكانه عليه السلام لما اكثروا عليه سال الله ان يعرفه ذلك فقيل له لا تسال
فلست في شي من ذلك ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسالتهم له اي فيم
انت من ذلك حتى يسالونك بيانه ولست ممن يعلمه وروي معناه عن ابن عباس
والذكرى بمعنى الذكر الى ربك منتهاها اي منتهى علمها فلا يوجد عند غيره وهو
كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي وقوله ان الله تعالى عنده علم الساعة انما انت منذر
من يخشاها اي مخوف وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا لكل مكلف
وهو كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقراءة العامة منذر
بالاضافة غير منون طلب التخفيف والا فاصله التنوين لانه للمستقبل وانما
لا ينون في الماضي قال الفراء يجوز التنوين وتركه كقوله تعالى بالغ امره وبالغ
امره وموهن كيد الكافرين والتنوين الاصل وبه قرا ابو جعفر وشيبة والاعرج

او ابن محيصن وحميد وعباس عن ابي عمرو منذر منونا وتكون في موضع نصب
والمعنى انما ينتفع بانذارك من يخشى الساعة وقال ابو علي يجوز ان تكون
الاضافة للماضي نحو ضارب زيد امس لانه قد فعل الانذار والاية رد على من قال احوال
الاخرة غير محسوسة وانما هي احوال روحانية قوله تعالى كانهم يوم يرونها
يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم الا عشية اي قدر عشية او ضحاها
اي او قدر ضحاها التي تلي تلك العشية والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا
يوما واحدا وقيل لم يلبثوا في قبورهم الا عشية او ضحاها وذلك انهم استقصروا مدة
لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول وقال الفراء يقول القائل وهل للعشية ضحى انما
الضحى لصدر النهار ولكن اضيف الضحى الى العشية وهو اليوم الذي تكون فيه على
عادة العرب يقولون اتيتك الغداة او عشيتها او غداة عشيتها فتكون العشية في معنى اخر
النهار قال وانشدني بعض بني عقيل
نحن صبحنا عامرا في دارها جردا تعادى طرفي نهارها
عشية الهلال او سرارها اراد عشية الهلال او عشية سرار العشية
فهذا اشد من اتيتك الغداة او عشيتها تمت السورة ولله الحمد

سورة عبس مكية

في قول الجميع وهي احدى واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى عبس وتولى فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى عبس اي كلح بوجهه
يقال عبس وبسر وقد تقدم وتولى اي اعرض بوجهه ان جاءه ان في موضع نصب لانه
مفعول له المعنى لان جاءه الاعمى اي الذي لا يبصر بعينيه فروى اهل التفسير
اجمع ان قوما من اشراف قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طمع
في اسلامهم فاقبل عبد الله بن ام مكتوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يقطع عبد الله عليه كلامه فاعرض عنه ففيه نزلت هذه الاية قال مالك ان

هشام بن عروة حدثه عن عروة انه قال نزلت هذه السورة يعني عبس وتولى في ابن ام
مكتوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا محمد استدنيني وعند النبي صلى الله عليه وسلم
رجل من عظماء المشركين فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخر ويقول يا فلان هل ترى بما اقول باسا فيقول لا والدمى
ما ارى بما تقول باسا فانزل الله عز وجل عبس وتولى وفي الترمذي مسندا قال حدثنا سعيد
ابن يحيى بن سعيد الاموي حدثني ابي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن ابيه
عن عايشة قالت نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخر
ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففي هذا انزل قال حديث غريب ابن العربي
الثانية عتاب من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في اعراضه وتوليه عن عبد الله
ابن ام مكتوم فيقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو
هذا هو ابن قيس بن زايدة بن الاصم وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها وكان
قد تشاغل عنه برجل من عظماء المشركين يقال كان الوليد بن المغيرة قال ابن العربي
قال المالكية من علماينا وهو يكنى ابا عبد شمس وقال قتادة هو امية بن خلف وقال
مجاهد كانوا ثلثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وقال عطا عتبة بن
ربيعة سفيان الثوري كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس الزمخشري
كان عنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام
والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام
رجا ان يسلم باسلامهم غيرهم قال ابن العربي اما قول علماينا انه الوليد بن المغيرة
فقد قال اخرون انه امية بن خلف والعباس وهذا كله باطل وجهل من المفسرين
الذين لم يتحققوا الدين وذلك ان امية والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم بالمدينة
ما حضر معهما ولا حضرا معه وكان موتهما كافرين احدهما قبل الهجرة والاخر في بدر
ولم يقصد قط امية المدينة ولا حضر معه مفردا ولا مع احد ابن الـ[illegible]
اقبل ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم الى الله تعالى

علم ان هذه السورة مكية باسرها
عند الجمهور وما رايت في رواية
ما يخالف الجمهور وان ابن
ام مكتوم اسلم قديما بمكة وكان
من المهاجرين الاولين رضي الله
عنهم اجمعين فيا ليت شعري
كيف اورد المصنف هذه
المقالة مع ما فيها من الاطالة
واسناد الجهالة الى المفسرين
الذين تحققوا الدين وفسروا
كتاب الله المبين علما وتواتر
اليقين فنعم ما قالوا والتحرز
قايل لكل جواد كبوة والجواد
يكبوا

وقد قوي طمعه في اسلامهم وكان في اسلامهم اسلام من وراءهم من قومهم فجاء ابن ام مكتوم وهو اعمى
فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره
حتى ظهرت الكراهة في وجهه يعني وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه
وقال في نفسه يقول هولاء انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس واعرض
فنزلت الاية قال الثوري فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا راى ابن ام مكتوم بسط له
رداءه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي هل من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين
في غزوتين غزاهما قال انس ورايته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية
سوداء الرابعة قال علماونا ما فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما
بان النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكن الله تعالى عاتبه حتى
لا تنكسر قلوب اهل الصفة اوليعلم ان المومن الفقير خير من الغني وكان النظر الى المومن
اولى وان كان فقيرا اصلح واولى من الامر الاخر وهو الاقبال على الاغنياء طمعا في ايمانهم
وان كان ذلك ايضا نوعا من المصلحة وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الاية على ما تقدم وقيل انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان
في قلب ابن ام مكتوم من الايمان كما قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان
يكبه الله في النار على وجهه الخامسة قال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم
لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي كان يقوده ان يكفه فدفعه ابن
ام مكتوم واعرض عنه وابى الا ان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه فكان
في هذا نوع جفا منه ومع هذا انزل الله في حقه على نبيه عبس وتولى بلفظ
الاخبار عن الغايب تعظيما له ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه بمواجهه
الخطاب تانيسا فقال وما يدريك اي يعلمك لعل ابن ام مكتوم يزكى اسندعا
منك تعليم اية من القران والشيطان يزداد طهارة في دينه وزوال ظلمة
الجهل عنه وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك اذا طمعت في ان يتزكى
بالاسلام او يتذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه
كاين وقرا الحسن آن جاءه الاعمى بالمد على الاستفهام فان متعلقة

بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى لتغيير ان جاءه اعرض عنه وتولى فتوقف على هذه
القراءة على تولى ولا يوقف عليه على قراءة الخبر وهي قراءة العامة السادسة نظير
هذه الاية في العبادات قوله تعالى في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي وكذلك قوله في سورة الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة
الحياة الدنيا وما كان مثله والله اعلم قوله تعالى او يذكر اي يتعظ بما يقوله
فتنفعه الذكرى اي العظة وقراءة العامة بضم العين عطفا على يزكى وقرا
عاصم وابن ابي اسحق وعيسى فتنفعَه نصبًا وهي قراءة السلمي وزر بن حبيش
على جواب لعل لانه غير موجب كقوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب ثم قال فاطلع
اما من استغنى اي كان ذا ثروة وغنى فانت له تصدى اي تعرض
له وتصغي لكلامه والتصدي الاصغاء قال الراعي
تصدى لوضاح كان جبينه سراج الدجى تحنى اليه الاساود
واصله تتصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري
صدد داره اي قبالتها نصب على الظرف ويقال هو من الصدى وهو العطش اي
تتعرض له كما يتعرض العطشان للماء والمصاداة المعارضة وقراءة العامة
تصدى بالتخفيف على طرح التاء الثانية تخفيفا وقرا نافع وابن محيصن بالتشديد
على الادغام وما عليك الا يزكى اي لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن انما انت رسول
وما عليك الا البلاغ قوله تعالى واما من جاءك يسعى يطلب العلم لله وهو يخشى اي
يخاف الله فانت عنه تلهى اي تعرض بوجهك عنه وتشتغل بغيره واصله تتلهى
يقال لهيت عن الشيء الهى اي تشاغلت عنه والتلهي التغافل ولهيت عنه ولهيت
بمعنى قوله تعالى كلا انها تذكرة كلا كلمة ردع وزجر اي ما الامر كما تفعل مع الفريقين
اي لا تفعل بعدها مثلها من اقبالك على الغني واعراضك عن المؤمن الفقير والذي
جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الاولى كما تقدم ولو حمل على صغيرة لم يبعد
قاله القشيري والوقف على كلا على هذا الوجه جائز ويجوز ان يقف
على تلهى ثم يبتدئ كلا على معنى حقا انها اي السورة او ايات القران

تذكرة اي موعظة وتبصرة للخلق فمن شاء ذكره اي اتعظ بالقران قال الجرجاني انها اي
القران مذكرة الا انه لما جعل القران تذكرة اخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره لجاز
كما قال في موضع اخر كلا انه تذكرة ويدل عليه انه اراد القران قوله فمن شاء ذكره اي
كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ وروى ابن عباس
في قوله تعالى فمن شاء ذكره قال من شاء الله تبارك وتعالى الهمه ثم اخبر عن جلالته فقال في
صحف جمع صحيفة مكرمة اي عند الله قاله السدي وقال الطبري مكرمة في الدين لما فيها
من العلم والحكم وقيل مكرمة لانها نزل بها كرام الحفظة او لانها نازلة من اللوح
المحفوظ وقيل مكرمة لانها نزل بها كريم لان كرامة الكتاب من كرامة صاحبه
وقيل المراد كتب الانبياء دليله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى
مرفوعة رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة عنده تبارك وتعالى وقيل
مرفوعة في السماء السابعة قاله يحيى بن سلام الطبري مرفوعة الذكر والقدر وقيل
مرفوعة عن الشبه والتناقض مطهرة قال الحسين من كل دنس وقيل مصانة عن
ان ينالها الكفار وهو معنى قول السدي وعن الحسن ايضا مطهرة من ان تنزل على
المشركين وقيل اي القران اثبتت الملائكة في صحف يقرؤ فيها فهي مكرمة مرفوعة مطهرة
بايدي سفرة اي الملائكة الذين جعلهم سفرا بينه وبين انبيائه فهم بررة لم يتدنسوا
بمعصية وروى ابو صالح عن ابن عباس مطهرة تجعل التطهير لمن حملها بايدي سفرة
قال كتبة وقال مجاهد ايضا وهم الملائكة الكرام الكاتبون لاعمال العباد في الاسفار
التي هي الكتب واحدهم سافر كقولك كاتب وكتبة ويقال سفرت اي كتبت
والكتاب هو السفر وجمعه اسفار وقال الزجاج وانما قيل للكتاب سفر
بكسر السين والكاتب سافر لان معناه انه يبين الشيء ويوضحه يقال اسفر الشيء اذا
اضاء وسفرت المراة اذا كشفت النقاب عن وجهها قال ومنه سفرت بين القوم
اسفر سفارة اصلحت بينهم وقاله الفراء وانشد فما ادع السفارة بين قومي ولا امشي بغش ان مشيت
والسفير الرسول المصلح بين القوم والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء ويقال للوراقين

سفرا بلغة العبرانية وقال قتادة السفرة هاهنا هم القراء لانهم يقرؤون الاسفار وعنه ايضا
كقول ابن عباس وقال وهب بن منبه بايدي سفرة هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن عمر لقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سفرة كراما بررة ولكن ليسوا هم المرادين
بهذه الاية ولا قاربوا المراد بها بل هي لفظة مخصوصة بالملايكة عند الاطلاق ولا
يشاركهم فيها سواهم ولا يدخل معهم في متناولها غيرهم وروي في الصحيح عن عايشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي يقرا القران وهو حافظ له
مع السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرا وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله اجران
متفق عليه واللفظ للبخاري كرام اي كرام على ربهم قاله الكلبي وقال الحسن كرام عن
المعاصي فهم يرفعون انفسهم عنها وروى الضحاك عن ابن عباس في كرام قال يتكرمون ان
يكونوا مع ابن ادم اذا خلا بزوجته او تبرز لغايط وقيل اي يوثرون منافع غيرهم
على منافع انفسهم بررة جمع بار مثل كافر وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة يقال بر
وبار اذا كان اهلا للصدق ومنه بر فلان في يمينه اي صدق وفلان يبر
خالقه ويتبرره اي يطيعه فمعنى بررة مطيعين لله صادقين لله في اعمالهم
وقد مضى في سورة الواقعة قوله تعالى انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه
الا المطهرون انهم الكرام البررة في هذه السورة قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره
قتل لعن وقيل عذب والانسان الكافر فما عني به الكافر وروى الضحاك عن ابن عباس قال نزلت في عتبة بن
ابي لهب وكان قد امن فلما نزلت والنجم ارتد وقال امنت بالقران كله الا النجم فانزل الله تعالى قتل الانسان
اي لعن حيث كفر بالقران ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبك
اسد الغاضرة فخرج من فوره ذلك بتجارة الى الشام فلما انتهى الى الغاضرة تذكر دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل لمن معه الف دينار ان هو اصبح حيا فجعلوه في وسط الرفقة وجعلوا
المتاع حوله فبينما هم على ذلك اقبل الاسد فلما دنا من الرحال وثب فاذا هو فوقه فمزقه
وقد كان ابوه ندبه وبكى وقال ما قال محمد شيا قط الا كان وروى ابو صالح عن ابن عباس
ما اكفره اي ما اشد كفره وقيل ما تعجب وعادة العرب اذا تعجبوا من شي قالوا قاتله الله ما احسنه واخزاه الله

ما اظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل ما اكفره بالله ونعمه مع
معرفته بكثرة احسانه اليه على التعجب ايضا قال ابن جريج اي ما اشد كفره وقيل ما استفهام
اي اي شي دعاه الى الكفر فهو استفهام توبيخ وما يحتمل التعجب ويحتمل معنى اي فيكون استفهاما ما
۝ من اي شي خلقه اي من اي شي خلق الله هذا الكافر فيتكبر اي اعجبوا لخلقه من نطفة اي من ما مهين جماد خلقه
فلم يغلط في نفسه قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين ۝ فقدره اي في
بطن امه كذا روى الضحاك عن ابن عباس اي قدر يديه ورجليه وعينيه وساير
ارابه وحسنا ودميما وقصيرا وطويلا وشقيا وسعيدا وقيل فقدره اي فسواه كما قال
اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وقال الذي خلقك فسواك
وقيل فقدره اطوارا اي من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره
للخروج من بطن امه قال مجاهد يسره لطريق الخير والشر اي بين له ذلك دليله انا هديناه
السبيل وهديناه النجدين وقاله الحسن وعطا وابن عباس ايضا في رواية ابي صالح عنه وعن
مجاهد ايضا قال سبيل الشقا والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابو بكر بن طاهر
يسر على كل احد ما خلقه له وقدره عليه دليله قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له ۝ ثم
اماته فاقبره اي جعل له قبرا يواري فيه اكراما ولم يجعله مما يلقى على وجه الارض تاكله الطير والعوافي
قاله الفرا وقال ابو عبيدة اقبره جعل له قبرا وامر ان يقبر قال ابو عبيدة ولما قتل
عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ودخلوا عليه اقبرنا صالحا فقال دونكموه
وقال اقبره ولم يقل قبره لان القابر هو الدافن بيده قال الاعشى
لو اسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر
يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اي صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا تقول العرب بترت ذنب
البعير وابتره الله وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله اطرده اي صيره
طريدا ۝ ثم اذا شا انشره اي احياه بعد موته وقراءة العامة انشره بالالف وروى ابو حيوة
عن نافع وشعيب بن ابي حمزة شا نشره بغير الف لغتان فصيحتان بمعنى يقال انشر الله الميت
ونشره قال الاعشى حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر

قوله تعالى كلا لما يقض ما امره قال مجاهد وقتاده لما يقض لا يقض احد ما امر به وكان ابن عباس
يقول لما يقض ما امره لم يف بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب ادم ثم كلا ردع وزجر اي ليس الامر كما يقول
الكافر فان الكافر اذا اخبر بالنشور قال ولين رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى وربما يقول قد قضيت
ما امرت به فقال كلا لم يقض شيا بل هو كافر بي وبرسولي وقال الحسن اي حقا لم يقض اي لم يعمل بما امر به
وما في قوله لما عماد للكلام كقوله فبما رحمة من الله لنت وقوله عما قليل ليصبحن نادمين وقال الامام
ابن فورك اي كلا لم يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان بل امره بما لم يقض له قال ابن الانباري
الوقف على كلا قبيح والوقف على امره ونشره جيد فكلا على هذا بمعنى حقا قوله تعالى فلينظر
الانسان الى طعامه لما ذكر عز وجل ابتدا خلق الانسان ذكر ما يسر من رزقه اي فلينظر كيف خلق
الله طعامه وهذا النظر نظر القلب بالفكر اي ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام
حياته وكيف هيا له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وروي عن الحسن ومجاهد قال فلينظر
الانسان الى طعامه اي الى مدخله ومخرجه وروى ابن ابي خيثمه عن الضحاك ابن سفيان الكلابي قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم
يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته قال فان الله ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا وقال
ابي بن كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم ان مطعم ابن ادم جعل مثلا للدنيا وان قزحه وملحه
فلينظر الى ما يصير وقال ابو الوليد سالت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلا فينظر ما يخرج منه
قال ياتيه الملك فيقول انظر ما بخلت به الى ما صار قوله تعالى انا صببنا الما صبا قراه
العامه انا بالكسر على الاستيناف وقرا الكوفيون ورويس عن يعقوب انا بفتح الهمزه
فان في موضع خفض على الترجمه عن الطعام فهو بدل منه كانه قال فلينظر الانسان الى
طعامه من هذه القراه وكذلك ان باضمار وهو انا صببنا الما في حال رفعها منترجمه
عن الطعام وقيل المعنى لانا صببنا الما فاخرجنا به الطعام اي لهذا الشان وقرا
بعض القرا اني بمال بمعنى كيف فمن اخذ بهذه القراه قال الوقف على طعامه تام ويقال
معنى انا بمعنى الا ان فيها كناية عن الوجوه وتاويلها من اي وجه صببنا الما قال الكميت

اي ومن اين ان لك الطرب ... من حيث لا صبوة ولا ريب

صببنا الما صبا يعني الغيث والامطار ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها

حبا اي قمحا وشعيرا وسلتا وسائر ما يحصد ويدخر وعنبا وقضبا وهو القت والعلف
عن الحسن سمي بذلك لانه يقضب اي يقطع بعد ظهوره مره بعد مره قال القتبي وثعلب
واهل مكه يسمون القت القضب وقال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب من النخل ولانه
ذكر العنب قبله وعنه ايضا انه الفصفصه وانه القت الرطب قال الخليل القضب الفصفصه الرطبه
وقيل بالسين فاذا يبست فهو قت قال والقضب اسم يقع على ما يقضب من اغصان الشجره ليتخذ
منها سهام او قسي ويقال قضبا جميع ما يقضب مثل القت والكراث وسائر البقول التي تقطع
فينبت اصله وفي الصحاح والقضبه والقضب الرطبه وهي الاسفست بالفارسيه والموضع
الذي ينبت فيه مقضبه وزيتونا وهي شجره الزيتون ونخلا يعني النخيل وحدائق اي
بساتين واحدها حديقه قال الكلبي وكل شي احيط عليه من نخيل او شجر فهو حديقه وما لم يحط به
فليس بحديقه غلبا عظاما شجرها يقال شجره غلبا ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق
لا يلتفت الا جميعا قال العجاج ما زلت يوم البين الوي صلبي ... والراس حتى صرت مثل الاغلب
ورجل اغلب بين الغلب اذا كان غليظ الرقبه والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير
قال عمرو بن معديكرب يمشي بها غلب الرقاب كانهم ... بزل كسين من الكحيل جلالا
وحديقه غلبا ملتفه وحدائق غلب واغلولب العشب بلغ والتف البعض بالبعض قال
ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلبا وهي الغلاظ وعنه ايضا الطوال قال قتاده وابن
زيد الغلب النخل الكرام وعن ابن عباس ايضا وقال عكرمه عظام الاوساط والجذوع
قال مجاهد ملتفه وفاكهه اي ما ياكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ وغيرهما وابا ما
ياكله البهايم من العشب قال ابن عباس والحسن الاب كل ما انبتت الارض مما لا ياكله
الناس وما ياكله الادميون هو الحصيد ومنه قول الشاعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له دعوه ميمونه ريحها الصبا ... بها ينبت الله الحصيده والابا
وقيل انما سمي ابا لانه يوب اي يوم وينتجع والاب والام اخوات وقال
جذمنا قيس ونجد دارنا ... ولنا الاب به والمكرع وقال الضحاك الاب كل شي ينبت
على وجه الارض وكذا قال ابو رزين وهو النبات يدل عليه قول ابن عباس قال
الاب ما تنبت الارض مما ياكل الناس والانعام وعن ابن عباس ايضا وابن ابي طلحه

الاب الثمار الرطبة وقال الضحاك هو التبن خاصة وهو يحكى عن ابن عباس ايضا قال الكلبي هو كل نبات
سوى الفاكهة وقيل الفاكهة رطب الثمار والاب يابسها وقال ابرهيم التيمي سئل ابو بكر الصديق
رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا
اعلم وقال انس سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا هذه الاية ثم قال كل هذا عرفناه فما الاب
ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكليف وما عليك يا ابن عمر ان لا تدري ما الاب ثم
قال ابتغوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا تبينه فدعوه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال خلقتم من سبع ورزقتم من سبع يعني من نطفة ثم مضغة الاية والرزق من سبع وهو
قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا الى قوله وفاكهة ثم قال وابا وهو يدل على انه ليس برزق
لابن ادم وانه مما تختص به البهائم والله اعلم ٥ متاعا لكم نصب على المصدر المؤكد لان انبات هذه
الاشيا امتاع لجميع الحيوانات وهذا ضرب مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم كنبات
الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه في غير موضع **قوله تعالى** فاذا جاءت الصاخة لما ذكر امر
المعاش ذكر امر المعاد ليتزودوا له بالاعمال الصالحة وبالانفاق مما امتن به عليهم والصاخة
الصيحة التي تكون عنها القيامة وهي النفخة الثانية تصخ الاسماع اي تصمها فلا تسمع الا ما
تدعى به للاحيا وذكر ناس من المفسرين قال تصيخ لها الاسماع من قولك اصاخ الى كذا اي استمع
اليه ومنه الحديث وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة الا الجن والانس
وقال الشاعر   تصيخ للنبأة اسماعه   اصاخة الناشد للمنشد   قال
بعض العلما وهذا يوخذ على جهة التسليم للقدما فاما اللغة فمقتضاها القول الاول قال
الخليل الصاخة صيحة تصخ الاذان صخا اي تصمها بشدة وقعتها واصل الكلمة في اللغة الصك
الشديد وقيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اذا صكه قال الشاعر
٥ يا جارتي هل لك ان تجالدي   جلادة كالصك بالجلامد   ومن هذا الباب قول العرب
صختهم الصاخة وباتتهم البائنة اي الداهية قال الطبري واحسبه من صخ فلان فلانا اذا اصمه
قال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد
كان بعض حديثي الاسنان حدثاء الازمان   اصم بك الناعي وان كنت اسمعا
وقال اخر   اصمني سرهم ايام فرقتهم   فهل سمعتم بسر يورث الصمما

ولعمر الله ان صيحة القيامة لمسمعة تصم عن الدنيا وتسمع امور الاخرة **قوله تعالى** يوم يفر
المرء اي يهرب اي تجيء الصاخة في هذا اليوم الذي يهرب فيه من اخيه اي من موالاة اخيه ومكالمته
لانه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه كما قال بعده لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله
عن غيره وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه بما بينهم من التبعات وقيل لئلا يروا ما هو فيه من
الشدة وقيل لعلمه انهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا كما قال يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا
وقال عبد الله بن طاهر الابهري يفر منهم لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف
تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئا سوى ربه تعالى وصاحبته اي زوجته
وبنيه اي اولاده وذكر الضحاك عن ابن عباس قال يفر قابيل من هابيل ويفر النبي صلى الله عليه
وسلم من امه وابرهيم من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امراته وادم من سوء بنيه وقال
الحسن اول من يفر يوم القيمة من امراته لوط قال فيرون ان هذه الاية نزلت فيهم وهذا فرار التبري
٥ لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنسا
جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال يا عائشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض خرجه الترمذي
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر او يرى بعضنا
بعضا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قال حديث حسن صحيح وقراءة
العامة يغنيه بالغين المعجمة اي حال يشغله عن الاقربا وقرا ابن محيصن وحميد يعنيه بفتح
اليا وعين غير معجمة اي يعنيه امره وقال القتبي يعنيه يصرفه ويصده عن قرابته ومنه
يقال اعن عني وجهك اي اصرفه واعن عن السفيه قال خفاف   سيعنيك حرب بني مالك
عن الفحش والجهل في المحفل
قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة قد علمت ما لها من الفوز والنعيم
وهي وجوه المومنين ضاحكة اي مسرورة فرحة مستبشرة اي بما اتاها الله من الكرامة وقال
عطا الخراساني مسفرة من طول ما اغبرت في سبيل الله جل ثناوه ذكره ابو نعيم الضحاك
من اثار الوضو ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل
حسن وجهه بالنهار يقال اسفر الصبح اذا اضاء ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار
ودخان ٥ ترهقها اي تغشاها قترة اي كسوف وسواد كذا قاله ابن عباس وعنه

ايضا ذلك وشدته والفجرة في كلام العرب الفجار جمع الفجرة عن ابي عبيدة وانشد للفرزدق
متوج بردا الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا
وفي الحديث انه بهم اذا اصابت ثيابا يوم القيمة حول ذلك في وجوه الكفار وقال زيد بن اسلم
القترة ما ارتفعت الى السما والغبرة ما انحطت الى الارض والغبار والغبرة واحد ٥ اولئك هم الكفرة
الفجرة جمع كافر والفجرة جمع فاجر وهو الكاذب المفتري على الله وقيل الفاسق فجر فجورا
اي فسق وفجر اي كذب واصله الميل والفاجر المايل وقد مضى بيانه والكلام فيه والحمد لله

سورة التكوير مكية في قول الجميع

وهي تسع وعشرون اية روى الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيمة
فليقرا اذا الشمس كورت واذا السما انفطرت واذا السما انشقت قال هذا حديث حسن بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى اذا الشمس كورت قال ابن عباس تكويرها ادخالها في العرش الحسن ذهاب ضوءها
وقاله قتادة ومجاهد وروي عن ابن عباس ايضا وسعيد بن جبير غورت ابو عبيدة كورت مثل تكوير
العمامة تلف وتمحى وقال الربيع بن خثيم كورت رمي بها ومنه كورته فتكور اي سقط قلت واصل
التكوير الجمع ماخوذ من كار العمامة على راسه يكورها اي جمعها فهي تكور ثم يمحى ضوءها ثم يرمى بها
والله اعلم وعن ابي صالح كورت نكست واذا النجوم انكدرت اي تهافتت وتناثرت وقال ابو عبيدة
انصبت كما ينصب العقاب اذا انكسرت قال العجاج يصف صقرا
ابصر خربان فضاء فانكدر ... تقضي البازي اذا البازي كسر ٥ وروى ابو صالح عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى في السما يوميذ نجم الا سقط في الارض
حتى يفزع اهل الارض السابعة مما لقيت واصاب العليا يعني الارض وروى الضحاك
عن ابن عباس قال تساقطت وذلك انها قناديل معلقة بين السما والارض بسلاسل من نور
وتلك السلاسل بايدي ملايكة من نور فاذا جات النفخة الاولى مات من في السموات ومن
في الارض فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من ايدي الملايكة لانه مات من
كان يمسكها ويحتمل ان يكون انكدارها طمس اثارها وسميت النجوم نجوما لظهورها في السما
بضوءها وعن ابن عباس ايضا انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها
والمعنى متقارب ٥ واذا الجبال سيرت يعني قلعت عن الارض وسيرت

في الهوا وهو مثل قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقيل سيرها ان تنزل عن منزلة الحجارة فتكون
كثيبا مهيلا اي رملا سايلا وتكون كالعهن وتكون هبا منبثا وتكون سرابا مثل السراب الذي ليس بشي وعادت
الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقد تقدم في غير موضع والحمد لله ٥ واذا العشار
عطلت اي النوق الحوامل التي في بطونها اولادها الواحدة عشرا وهي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر
ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشي باسمه المتقدم وان كان قد
جاوز ذلك يقول الرجل لفرسه وقد قرح هاتوا مهري ويسميه بمتقدم اسمه قال عنترة
لا تذكري مهري وما اطعمته ... فيكون جلدك مثل جلد الاجرب ... وقال ايضا
وحملت مهري وسطها فمضاها ... وانما خص العشار بالذكر لانها اعز ما تكون عند العرب فليس
يعطلها اهلها الا حال القيامة وهذا على وجه المثل لان في القيامة لا تكون ناقة عشرا ولكن
اراد به المثل ان هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشرا لعطلها واشتغل بنفسه وقيل انهم
اذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضا وراوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التي كانت
انفس اموالهم لم يعبوا بها ولم يهمهم امرها وخوطبت العرب بامر العشار لان مالها وعيشها اكثره
من الابل وروى الضحاك عن ابن عباس عطلت عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم قال الاعشى
هو الواهب المية المصطفاه ... اما مخاضا واما عشارا ... وقال آخر ترى المر مهجورا اذا قل ماله
وما ينفع الزوار مال مزورهم ... اذا سرحت شول له وعشار ... يقال ناقة عشرا وناقتان عشراوان ونوق
عشار وعشراوات يبدلون من همزة التانيث واوا وقد عشرت الناقة تعشيرا اي صارت عشرا وقيل
العشار السحاب يعطل مما يكون فيه وهو الما فلا يمطر والعرب تشبه السحاب بالحامل وقيل الديار تعطل
فلا تسكن وقيل الارض التي تعشر زرعها تعطل فلا تزرع والاول اشهر وعليه من الناس الاكثر
٥ واذا الوحوش حشرت اي جمعت والحشر الجمع عن الحسن وقتادة وغيرهما وقال ابن عباس حشرها
موتها رواه عنه عكرمة وحشر كل شي الموت غير الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيمة وعن ابن
عباس ايضا قال يحشر كل شي حتى الذباب قال ابن عباس يحشر الوحوش غدا اي تجمع حتى يقتص لبعضها
من بعض فيقتص للجما من القرنا ثم يقال لها موتي فتموت وهذا اصح مما رواه عنه عكرمة وقد بيناه
في كتاب التذكرة مستوفى ومضى في الانعام بعضه اي ان الوحوش اذا كانت هذه
حالها فكيف ببني ادم وقيل عني بهذا انها مع نفرتها اليوم من الناس

ونبددها في الصحاري نعم عذابًا للناس من اهوال ذلك اليوم قال معناه ابي بن كعب ﴿وإذا البحار
سجرت﴾ اي ملئت من الماء والعرب تقول سجرت الحوض اسجره سجرًا اذا ملاته وهو مسجور والمسجور
والساجر في اللغه الملآن وروى الربيع بن خثيم سجرت فاضت وملئت وقاله الكلبي ومقاتل
والحسن والضحاك قال سجرت حقيقته ملئت فيفيض بعضها الى بعض فتصير
شيئا واحدا وهو معنى قول الحسن وقيل ارسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها
حتى امتلات وعن الضحاك ومجاهد اي فجرت فصارت بحرًا واحدًا القشيري
وذلك بان يرفع الله الحاجز الذي ذكر في قوله تعالى بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك
البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت البحار بحرا واحدا وقيل
صارت بحرا واحدا من الحميم لاهل النار وعن الحسن ايضا وقتاده وابن حيان تيبس
فلا يبقى من مائها قطره قال القشيري وهو من سجرت التنور اسجره سجرًا اذا احميته
وما سلط عليه الايقاد نشف ما فيه من الرطوبه وتسير الجبال حينئذ وتصير البحار
والارض كلها بساطا فيملا مكان البحار بتراب الجبال وقال النحاس وقد تكون
الاقوال متفقه تكون تيبس من الماء بعد ان يفيض بعضها الى بعض فتقلب نارا قلت
ثم تسير الجبال حينئذ كما ذكره القشيري والله اعلم وقال ابن زيد وشمر وعطيه
وسفيان ووهب وابي وعلي بن ابي طالب وابن عباس في روايه الضحاك عنه اوقدت
فصارت نارا قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر ثم يبعث الله
عليها ريحا دبورا فتنفخه حتى يصير نارا وكذا في بعض الحديث يامر الله عز وجل
الشمس والقمر فينتثرون في البحر ثم يبعث الله جل ثناؤه الدبور فيسجرها نارا
فتلك نار الله الكبرى التي يعذب بها الكفار قال القشيري وقيل في
تفسير قول ابن عباس سجرت نارا وقدت يحتمل ان يكون جهنم في قعور من
البحار فهي الان غير مسجوره لقوام الدنيا فاذا انقضت الدنيا سجرت
فصارت كلها نارا يدخلها الله اهلها ويحتمل ان يكون تحت البحر نار ثم يوقد
الله البحر كله فيصير نارا وفي الخبر البحر نار وقال معويه بن سعيد

بحر الروم وسط الارض اسفله آبار مطبقه بنحاس تسجر يوم القيمه وقيل تكون الشمس
في البحر فيصير البحر نارا بحر الشمس ثم جميع ما في هذه الايات يجوز ان يكون في الدنيا قبل
القيامه وتكون من اشراطها ويجوز ان يكون يوم القيامه وما بعد هذه الايات
فيكون في يوم القيامه قلت روي عن عبد الله بن عمرو لا يتوضا بماء البحر لانه
طبق جهنم وقال ابي بن كعب ست ايات من قبل يوم القيمه بينما الناس في اسواقهم
اذ ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم فتحيروا ودهشوا فبينما هم كذلك ينظرون اذ تناثرت
النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت
واحترقت فصارت هباء منبثا ففزعت الانس الى الجن والجن الى الانس واختلطت
الدواب والوحش والهوام والطير وماج بعضها في بعض فذلك قوله تعالى
واذا الوحوش حشرت ثم قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار
فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعه واحده الى الارض
السابعه السفلى والى السماء السابعه العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم
وقيل معنى سجرت هو حمره مايها حتى تصير كالدم ماخوذ من قولهم عين سجرا اي
حمرا وقرا ابن كثير سجرت وابو عمرو ايضا اخبارا عن حالها مره واحده وقرا
الباقون بالتشديد اخبارا عن حالها في تكرر ذلك عليها مره بعد اخرى قوله تعالى
واذا النفوس زوجت قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم واذا النفوس
زوجت قال يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله وقال عمر بن الخطاب يقرن
الفاجر مع الفاجر ويقرن الصالح مع الصالح وقال ابن عباس ذلك حين يكون الناس
ازواجا ثلثه السابقون زوج يعني صنفا واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج وعنه
ايضا قال زوجت نفوس المومنين بالحور وقرن الكفار بالشياطين وكذلك المنافقون
وعنه ايضا قرن كل واحد بشكله من اهل الجنه ومن اهل النار فيضم المبرز في
الطاعه الى مثله والمتوسط الى مثله واهل المعصيه الى مثله والتزويج ان

يقرن النبي بمثله والمعنى وإذا النفوس قرنت إلى أشكالها في الجنة والنار وقيل يضم كل رجل إلى
من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال ابن عباس
جعلوا أزواجا على شبه أعمالهم ليس من قبيح أصحاب اليمين زوج وأصحاب الشمال زوج والسابقون
زوج وقد قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي أشكالهم وقال عكرمة وإذا
النفوس زوجت قرنت الأرواح بالأجساد أي ردت إليها وقال الحسن ألحق كل امرئ بشيعته
اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس وكل من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق بعضهم
ببعض والمنافقين بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين وقيل يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان
أو إنسان على جهة البغض والعداوة ويقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء
والمؤمنين وقيل قرنت النفوس بأعمالها فصارت لاختصاصها به كالتزويج
قوله تعالى وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت الموؤدة المقتولة وهي الجارية تدفن
وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أي يثقلها حتى تموت
ومنه تقول ولا يؤده حفظهما أي لا يثقله وقال أبو نويرة

وموؤدة مقبورة في مغارة بآمتها موسومة لم تمهد

وكانوا يفعلون ذلك لإحدى الخصلتين إحداهما كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات
به الثانية إما مخافة الحاجة والإملاق وإما خوفا من السبي والاسترقاق وقد مضى
في سورة النحل هذا المعنى عند قوله تعالى أم يدسه في التراب وقد كان ذوو الشرف
منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر به الفرزدق فقال

وما الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد

يعني جده صعصعة كان يشتريهن من آبائهن فجاء الإسلام وقد أحيا سبعين موؤدة
وقال ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها
فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها وإن ولدت غلاما حبسته
ومنه قول الراجز

سميتها إذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن زميت

وقال قتادة كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه فعاتبهم
الله في ذلك وتوعدهم بقوله تعالى وإذا الموؤدة سئلت وقال عمر

في قوله تعالى وإذا الموؤدة سئلت قال جاء قيس بن عاصم إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله إني وأدت ثماني بنات كن لي في الجاهلية قال فأعتق عن كل واحدة منهن
رقبة قال يا رسول الله إني صاحب إبل قال فاهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت وقوله تعالى سئلت
سؤال الموؤدة توبيخ لقاتلها كما يقال للطفل إذا ضرب لم ضربت وما ذنبك قال الحسن أراد الله
أن يوبخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب وقال ابن أسلم بأي ذنب ضربت وكانوا يضربونها وذكر
بعض أهل العلم في قوله سئلت قال طلبت كأنه يريد كما تطلب بدم القتيل قال وهو كقوله
وكان عهد الله مسؤولا أي مطلوبا فكأنها طلبت منهم فقيل أين أولادكم وقرأ الضحاك وأبو الضحى
عن جابر بن زيد وأبو صالح وإذا الموؤدة سألت فتتعلق الجارية بأبيها فتقول بأي
ذنب قتلتني فلا يكون له عذر قال ابن عباس وكان يقرأ وإذا الموؤدة سألت وكذلك
هو في مصحف أبي وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن المرأة التي تقتل
ولدها تأتي يوم القيامة ولدها متعلقا بثدييها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه أمي
وهذه قتلتني والقول الأول عليه الجمهور وهو مثل قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس
اتخذوني على جهة التوبيخ والتبكيت لهم فكذلك سؤال الموؤدة توبيخ لوائدها وهو
أبلغ من سؤالها عن قتلها لأن هذا مما لا يصلح إلا بذنب فبأي ذنب كان ذلك فإذا
ظهر أنه لا ذنب لها كان أعظم في البلية وظهور الحجة على قاتلها وقرئ قتلت بالتشديد وفيه
دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بذنب
والله أعلم قوله تعالى وإذا الصحف نشرت أي فتحت بعد أن كانت مطوية والمراد
صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر تطوى بالموت وتنشر في
القيامة فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وروى مرثد بن وداعة قال إذا كان يوم القيامة تطايرت
الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية إلى قوله في الأيام الخالية
وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم إلى قوله ولا كريم وروي عن أم سلمة رضي الله عنها

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة فقلت يا رسول الله كيف
بالنساء قال شغل الناس يا ام سلمة قلت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل
الخردل وقد مضى في سورة سبحان قول ابي السوار العدوي هما نشرتان وطية اما ما حييت
يا ابن ادم فصحيفتك المنشورة فامل فيها ما شئت فاذا مت طويت حتى اذا بعثت نشرت
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اذا مات المرء طويت صحيفة
عمله فاذا كان يوم القيامة نشرت وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال اليك
يساق الامر يا ابن ادم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وابو عمرو نشرت مخففا على
نشرها مرة واحدة لقيام الحجة الباقون بالتشديد على تكرار النشر للمبالغة في تقريع
العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرير ذلك من الانسان والملائكة الشهداء عليه قوله تعالى
واذا السماء كشطت الكشط قلع عن شدة التزاق فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن
الكبش وغيره والقشط لغة فيه وفي قراءة عبد الله قشطت وكشطت البعير كشطا
نزعت الجلد ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته
وانكشط اي ذهب فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء وقيل تطوى
كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب فكان المعنى قلعت وطويت والله اعلم
قوله تعالى واذا الجحيم سعرت اي اوقدت فاضرمت للكفار وزيد في احمايها يقال
سعرت النار واسعرتها وقراءة العامة بالتخفيف من السعير وقرا نافع وابن ذكوان
ورويس بالتشديد لانها اوقدت مرة بعد مرة قال قتادة سعرها غضب الله
وخطايا بني ادم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اوقد
على النار الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها
الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وروي موقوفا قوله تعالى واذا الجنة
ازلفت اي ادنيت وقربت من المتقين قال الحسن انهم يقربون منها لا انها تزول عن
موضعها وكان عبد الرحمن بن زيد يقول الزلفى في كلام العرب القربة قال الله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين وتزلف فلان تقرب قوله تعالى علمت نفس

ما احضرت يعني ما عملت من خير وشر وهذا جواب اذا الشمس كورت وما بعدها
قال عمر رضي الله عنه لهذا اجري الحديث وروي عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما انهما قرا
فلما بلغا علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة فالمعنى على هذا اذا الشمس
كورت وكانت هذه الاشياء علمت نفس ما احضرت من عملها وفي الصحيحين عن عدي بن
حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ما بينه وبينه
ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا شيئا قدمه وينظر اشام منه فلا يرى الا شيئا قدمه
وينظر امامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل
وقال الحسن اذا الشمس كورت قسم وقع على قوله علمت نفس ما احضرت كما يقال اذا نفر
زيد نفر عمرو والقول الاول اصح وقال ابن زيد عن ابن عباس في قوله تعالى اذا الشمس كورت
الى قوله واذا الجنة ازلفت اثنتي عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة وقد
بيناها ستة الاولى بقول ابي بن كعب قوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وهي الكواكب الخمسة
الدراري زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد فيما ذكر اهل التفسير وهو مروي عن علي
كرم الله وجهه وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان احدهما لانها تستقبل الشمس
قاله بكر بن عبد الله المزني الثاني لانها تقطع المجرة قاله ابن عباس وقال الحسن وقتادة هي النجوم
التي تخنس بالنهار واذا غربت وقاله علي رضي الله عنه قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل
وتكنس في وقت غروبها اي تتاخر عن البصر لخفائها فلا ترى وفي الصحاح والخنس الكواكب
كلها لانها تخنس في المغيب او لانها تخفى نهارا ويقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة
وقال الفراء في قوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس انها النجوم الخمسة زحل والمشتري
والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في مجراها وتكنس اي تستتر كما تكنس الظباء في
المغار وهي الكناس ويقال سميت خنسا لتاخرها لانها الكواكب المتحيرة التي ترجع
وتستقيم يقال خنس عنه يخنس بالضم خنوسا تاخر واخنسه غيره اذا خلفه ومضى عنه والخنس
تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الارنبة والرجل اخنس والمراة خنساء
والبقر كلها خنس وقد روي عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى

فلا أقسم بالخنس هي بقر الوحش روى هشام عن زكريا عن أبي إسحق عن أبي ميسرة عن عمرو بن
شرحبيل قال قال لي عبد الله بن مسعود إنكم قوم عرب فما الخنس قلت هي بقر الوحش قال
وأنا أرى ذلك وقاله إبراهيم وجابر بن عبد الله وروي عن ابن عباس إنما أقسم الله ببقر
الوحش وروي عنه عن عكرمة قال الخنس البقر والكنس هي الظباء فهي خنس إذا
رأين الإنسان خنسن وانقبضن وتأخرن ودخلن كناسهن القشيري وقيل
على هذا الخنس من الخنس في الأنف وهو تأخر الأرنبة وقصر القصبة وأنوف البقر والظباء خنس والأصل
الحمل على النجوم لذكر الليل والصبح بعد هذا فذكر النجوم أليق قلت لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته
من حيوان وجماد وإن لم يعلم وجه الحكمة في ذلك وقد جاء عن عبد الله بن مسعود وجابر
ابن عبد الله صحابيان والنخعي أنها بقر الوحش وعن ابن عباس وسعيد بن جبير
أنها الظباء وعن الحجاج بن منذر قال سألت جابر بن زيد عن الجواري الكنس فقال الظباء والبقر
فلا يبعد أن يكون المراد وقد قيل إنها الملائكة حكاه الماوردي والكنس الغيب مأخوذ
من الكناس وهي كناس الوحش الذي يختفي فيه قال أوس

ألم تر أن الله أنزل مزنة وعفر الظباء في الكناس تقمع

وقال طرفة

كأن كناسي ضالة يكنفانها وأطر قسي تحت صلب مؤيد

وقيل الكنوس أن تأوي إلى مكانسها وهي المواضع التي تأوي
إليها الوحوش والظباء قال الأعشى

فلما أتينا الحي أتلع أنس كما أتلعت تحت المكانس ربرب

يقال أتلع إليها أي ارتفع وأتلعت الظبية من كناسها أي مدت جيدها وقال امرؤ القيس

تعشى قليلا ثم أنحى ظلوفه يثير التراب عن مبيت ومكنس

والكنس جمع كانس وكانسة وكذا الخنس جمع خانس وخانسة والجوار جمع جارية من جرى يجري
والليل إذا عسعس قال الفراء أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر حكاه الجوهري
وقال بعض أصحابنا إنه دنا من أوله وأظلم وكذلك السحاب إذا دنا من الأرض المهدوي

والليل إذا عسعس أدبر بظلامه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وروي عنهما أيضا وعن الحسن
وغيره أقبل بظلامه زيد بن أسلم عسعس ذهب قال الفراء العرب تقول عسعس الليل
وسعسع إذا لم يبق منه إلا اليسير قال الخليل وغيره عسعس إذا أقبل وأدبر المبرد
هو من الأضداد والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره
وقال علقمة

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقال رؤبة

يا هند ما أسرع ما تسعسعا من بعد ما كان فتى ترعرعا

وهذه حجة الفراء وقال امرؤ القيس

عسعس حتى لو نشاء إذ دنا كان لنا من ناره مقتبس

فهذا يدل على الدنو وقال الحسن ومجاهد عسعس أظلم وقال

حتى إذا ما ليلهن عسعسا ركبن من حد الظلام حندسا

الماوردي وأصل العس الامتلاء ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه فانطلق على
إقبال الليل لابتداء امتلائه وانطلق على إدباره لانتهاء امتلائه وانطلق على ظلامه
لاستكمال امتلائه وأما قول امرئ القيس ألما على الربع القديم بعسعسا
لموضع بالبادية وعسعس أيضا اسم رجل قال الراجز وعسعس نعم الفتى تبناه
أي تتعمده وقيل للذئب العسعس والعسعاس والعساس لأنه يعس بالليل
ويطلب ويقال للقنافذ العساعس لكثرة ترددها بالليل وقال أبو عمرو والتعسعس الشم
وأنشد كمنخر الذئب إذا تعسعسا والتعسعس أيضا طلب الصيد قوله تعالى
والصبح إذا تنفس أي امتد حتى يصير نهارا واضحا يقال للنهار إذا زاد تنفس وكذلك
الموج إذا نضح الماء ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وقيل إذا تنفس أي انشق
وانفلق ومنه تنفست القوس والعود إذا تصدعت ○ إنه لقول رسول كريم
هذا جواب القسم والرسول الكريم جبريل قاله الحسن وقتادة والضحاك
والمعنى إنه لقول رسول عن الله كريم على الله وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام
ثم عداه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين ليعلم أهل التحقيق في التصديق أن الكلام

لله عز وجل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ذي قوة من جعله جبريل فقوته ظاهرة فروى
الضحاك عن ابن عباس قال من قوته قلعه مداين قوم لوط بقوادم جناحه ۞ عند ذي
العرش اي عند الله جل ثناوه مكين اي ذي منزلة ومكانة فروى عن ابي صالح قال يدخل
سبعين سرادقا بغير اذن ۞ مطاع ثم امين اي في السموات قال ابن عباس من طاعة الملايكة
جبريل انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن
الجنان افتح له فدخلها وراى ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له جهنم حتى ينظر اليها
فاطاعه وفتح له ۞ امين على الوحي الذي يجي به ومن قال ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم
قال المعنى ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي يطيعه من اطاع الله عز وجل وما صاحبكم بمجنون
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون حتى يتهم في قوله وهو جواب القسم وقيل اراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يرى جبريل على الصورة التي يكون بها عند الله عز وجل فقال اما ذلك اليّ فاذن
له الرب فاتاه وقد سد الافق فلما نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه
فقال المشركون انه مجنون فنزلت انه لقول رسول كريم وما صاحبكم بمجنون فانه راى
جبريل على صورته فهابه وورد عليه ما لم يحتمل بنيته فخر مغشيا عليه قوله تعالى
ولقد راه بالافق المبين اي بمطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق المبين اذا كانت
تطلع منه الشمس فهو مبين اي من جهته ترى الاشيا وقيل الافق
المبين اقطار السما ونواحيها قال الشاعر

احذنا بافاق السما عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

قال الماوردي فعلى هذا فيه ثلاثة اقاويل احدها انه راه في
افق السما الشرقي قاله سفيان الثاني في افق السما الغربي
حكاه ابن شجرة الثالث انه راه نحو اجياد وهو مشرق
مكة قاله مجاهد وحكى الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك
على صورتك التي تكون فيها في السما قال لن تقدر على ذلك قال بلى

قال فاين تشا ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبعرفات
قال ذلك بالحري ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت
فاذا هو اقبل بخشخشة وكلكلة من جبال عرفات قد ملا ما بين المشرق والمغرب
وراسه في السما ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا
عليه فتحول جبريل الى صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف
لو رايت اسرافيل وراسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش
على كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع يعني
العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم
راى ربه عز وجل بالافق المبين وهو معنى قول ابن مسعود وقد مضى
القول في هذا في سورة والنجم مستوفى فتامله هناك وفي المبين قولان
احدهما انه صفة للافق قاله الربيع الثاني انه صفة لمن راه قاله
مجاهد ۞ وما هو على الغيب بظنين بالظا قراه ابن كثير وابي عمرو والكسائي
اي بمتهم والظنة التهمة قال الشاعر

اما وكتاب الله لا عن شناءة هجرت ولكن الظنين ظنين

واختاره ابو عبيد لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه ولان الاكثر من كلام العرب ما هو
بكذا ولا يقولون ما هو على كذا انما يقولون ما انت على هذا بمتهم وقرا الباقون
بضنين بالضاد اي ببخيل من ضننت بالشي اضن ضنا فروى ابن ابي نجيح عن
مجاهد قال لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله واحكامه
قال الشاعر اجود بمكنون الحديث وانني بسرك عمن سالني لضنين
والغيب القران وخبر السما هذا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صفة جبريل عليه السلام
وقيل بضنين بضعيف حكاه الفرا والمبرد يقال رجل ضنين اي ضعيف وبير ضنون
اذا كان قليلة الما قال الاعشى

ما جعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتي اذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر

٥ وما هو يعني القرآن بقول شيطان رجيم اي مرجوم ملعون كما قالت
قريش قال عطا يريد الشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم
في صوره جبريل يريد ان يفتنه فاين تذهبون قال قتاده فالي
اين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته كذي روي معمر عن قتاده الي
اين تذهبون عن كتابي وطاعتي وقال الزجاج فاي طريقه
تسلكون ابين من هذه الطريقه التي قد بينت لكم ويقال اين تذهبون والي
اين تذهبون حكي الفرا عن العرب ذهبت الشام وخرجنا العراق
وانطلقت السوق اي اليها قال سمعناه في هذه الاحرف الثلاثه وانشد لي
بعض بني عقيل

تصيح بنا حنيفه اذ راتنا واي الارض تذهب بالصياح

يريد الي اي الارض تذهب فحذف الي وقال الجنيد معني الايه مقرون
باية اخري وهو قوله وان من شي الا عندنا خزاينه المعني اي طريق
تسلكون ابين من الطريق الذي بينه الله لكم وهذا معني قول الزجاج ان هو
يعني القرآن الا ذكر للعالمين اي موعظه وزجر وان بمعني ما وقيل
ما محمد الا ذكر لمن شا منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه وقال ابو هريره
وسليمان بن موسي لما نزلت لمن شا منكم ان يستقيم قال ابو جهل الامر الينا ان شينا
استقمنا وان شينا لم نستقم وهذا هو القدر وهو راس القدريه فنزلت وما تشاوون الا ان يشا الله
رب العالمين فبين بهذا ان الله لا يعمل العبد خيرا ولا شرا الا بمشيته وقال الحسن والله ما شا
العرب الاسلام حتي شاه الله لها قال وهب بن منبه قرات في سبعة وثمانين
كتابا مما انزل الله علي الانبيا من جعل الي نفسه شيا من المشيه فقد كفر وفي التنزيل ولو
اننا نزلنا اليهم الملايكه وكلمهم الموتي وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله وقال
وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا والاي في هذا كثير
وكذلك الاخبار وان الله سبحانه هدي بالاسلام واضل بالكفر كما تقدم في غير موضع والحمد لله وحده

سورة الانفطار

مكيه عند الجميع وهي تسع عشر ايه قوله تعالى اذا السما انفطرت اي تشققت
بامر الله لنزول الملايكه كقوله تعالي ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكه تنزيلا
وقيل تفطرت لهيبه الله تعالى والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطر
ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشي تشقق وسيف فطار اي فيه شقوق
قال عنتره ٥ وسيفي كالعقيقه فهو كمعي سلاحي لا افل ولا فطارا ٥
وقد تقدم في غير موضع ٥ واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت نثرت الشي انثره
نثرا فانتثر والاسم النثار بالضم ما تناثر من الشي ودر منثر شدد للكثره
٥ واذا البحار فجرت اي فجر بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا علي ما تقدم وقال
الحسن فجرت ذهب ماوها ويبست وذلك انها اولا راكده مجتمعه فاذا فجرت تفرقت
فذهب ماوها وهذه الاشيا بين يدي الساعه علي ما تقدم في اذا الشمس كورت
٥ واذا القبور بعثرت اي قلبت فاخرج ما فيها من اهلها احيا يقال
بعثرت المتاع اي قلبته ظهرا لبطن وبعثرت الحوض وبحثرته اذا هدمته
وجعلت اعلاه اسفله وقال قوم منهم الفرا بعثرت اخرج ما في بطنها من
الذهب والفضه وذلك من اشراط الساعه ان تخرج الارض ذهبها وفضتها
٥ علمت نفس ما قدمت واخرت مثل ينبا الانسان يوميذ بما قدم واخر
وقد تقدم وهذا جواب اذا السما انفطرت لانه قسم في قول الحسن وقع علي قوله
تعالي علمت نفس تقول اذا بدت هذه الامور من اشراط الساعه ختمت الاعمال
فعلمت كل نفس ما كسبت فانها لا ينفعها عمل بعد ذلك وقيل اي اذا كانت
هذه الاشيا قامت القيامه فحوسبت كل نفس بما عملت واوتيت كتابها بيمينها
او بشمالها فتذكرت عند قراته جميع اعمالها وقيل هو خبر وليس بقسم وهو
الصحيح ان شا الله تعالي قوله تعالى يا ايها الانسان خاطب بهذا منكري

البعث وقال ابن عباس الانسان هنا الوليد بن المغيره وقال عكرمه ابي بن
خلف وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلده الجمحي عن ابن عباس ايضا ﴿ما غرك
بربك الكريم﴾ اي ما الذي غرك حتي كفرت بربك الكريم اي المتجاوز عنك قال
قتاده غره شيطانه المسلط عليه الحسن غره شيطانه الخبيث وقيل حمقه وجهله
رواه الحسن عن عمر رضي الله عنه وروي غالب الحنفي قال لما قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم قال عمر الجهل وقال صالح بن مسمار بلغنا
ان النبي صلي الله عليه وسلم قرا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فقال غره جهله
وقال عمر رضي الله عنه كما قال الله تعالي انه كان ظلوما جهولا وقيل غره عفو الله
اذ لم يعاقبه في اول مره قال ابرهيم بن الاشعث قيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله
يوم القيمه بين يديه فقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال كنت اقول
غرني ستورك المرخاه لان الكريم هو الستار نظمه ابن السماك فقال

يا كاتم الذنب اما تستحي والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك امهاله وستره طول مساويكا

وقال ذا النون المصري كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر وانشد ابو بكر
ابن طاهر الابهري فقال

يا من غلا في العجب والتيه وغره طول تماديه
املا لك الله فبارزته ولم تخف غب معاصيه

وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو
بالباب فقال ما لك لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه
فاعتقه وناس يقولون ما غرك ما خدعك وما سول لك حتي اضعتما وجب
عليك وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيمه فيقول له
يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين
﴿الذي خلقك﴾ اي قدر خلقك من نطفه فسواك في بطن امك وجعل لك يدين

ورجلين وعينين وساير اعضايك فعدلك اي جعلك معتدلا سوي الخلق كما يقال
هذا شي معدل وهذه قراه العامه وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم قال الفرا
وابو عبيد يدل عليه قوله تعالي لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقرا الكوفيون
عاصم وحمزه والكساي فعدلك مخففا اي امالك وصرفك الي اي صوره شا اما حسنا
واما قبيحا واما طويلا واما قصيرا وقال مجاهد قال النبي صلي الله عليه وسلم ان النطفه
اذا استقرت في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين ادم اما قرات هذه الايه في
اي صوره ما شا ركبك قال ان شا في صوره انسان وان شا في صوره حمار وان
شا في صوره قرد وان شا في صوره خنزير وقال مكحول ان شا ذكرا وان شا انثي
وقال مجاهد في اي صوره اي في اي شبه من اب وام او عم او خال وغيرهما
وفي متعلقه بركبك فلا تتعلق بعدلك علي قراه من خفف لانك تقول عدلت الي كذا
ولا تقول عدلت في كذا ولذلك منع الفرا التخفيف لانه قدر في متعلقه بعدلك وما
يجوز ان تكون صله موكده اي في اي صوره شا ركبك ويجوز ان تكون شرطيه اي
ان شا ركبك في غير صوره الانسان من صوره قرد او حمار او خنزير فما بمعني الشرط
والجزا اي في صوره ما شا ان يركبك فيها ركبك قوله تعالي ﴿كلا بل تكذبون
بالدين﴾ يجوز ان يكون كلا بمعني حقا او لا ويبتدا بها ويجوز ان تكون بمعني لا علي ان يكون
المعني ليس الامر علي ما تقولون من انكم في عبادتكم غير الله محقون يدل علي ذلك قوله ما غرك
بربك الكريم ولذلك يقول الفرا يصير المعني ليس كما غررت به وقيل اي ليس الامر
كما تقولون من انه لا بعث وقيل هو بمعني الردع والزجر اي لا تغتروا بحلم الله
وكرمه فتتركوا التفكر في اياته ابن الانباري الوقف الجيد علي الدين وعلي
ركبك والوقف علي كلا قبيح بل تكذبون يا اهل مكه بالدين اي بالحساب وبل
لنفي شي تقدم وتحقيق غيره وانكارهم للبعث كان معلوما وان لم يجر له ذكر في هذه
السوره قوله تعالي ﴿وان عليكم لحافظين﴾ اي رقبا من الملايكه
﴿كراما﴾ اي علي الله كقوله تعالي كرام برره وههنا ثلاث مسايل الاولي

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم
الا عند احدى حالتين عند الخلاء والجماع فاذا اغتسل احدكم فليستتر بجذم او بغيره
او ليستره اخوه وروي عن علي رضي الله عنه قال لا يزال الملك موليا عن العبد ما دام بادي
العورة وروي ان العبد اذا دخل الحمام بغير ميزر لعنه ملكاه الثانيه
واختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظه ام لا فقال بعضهم لا لان امرهم
ظاهر وعملهم واحد قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل بل عليهم حفظه
لقوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما
تفعلون وقال واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان الكفار يكون لهم كتاب ويكون عليهم حفظه فان قيل الذي عن
يمينه ايش يكتب ولا حسنة له قيل له الذي يكتب عن شماله يكون باذن صاحبه
ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب والله اعلم الثانيه سئل سفيان كيف
تعلم الملائكة ان العبد قد هم بالحسنة او بالسيئة فقال اذا هم العبد بحسنة وجدوا
منه ريح المسك واذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن وقد مضى في سورة ق عند
قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد زيادة بيان لمعنى هذه الايه
وقد كره العلما الكلام عند الغائط والجماع لمفارقة الملك العبد عند ذلك وقد مضى
في اخر سورة آل عمران في هذا وعن الحسن يعلمون لا يخفى عليهم شي من اعمالكم وقيل
يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم به انفسكم والله اعلم **قوله تعالى** ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم نفيسهم مثل قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في
السعير وقال يومئذ يصدعون فاما الذين امنوا الايتين يصلونها اي يصيبهم
لهبها وحرها يوم الدين اي يوم الجزا والحساب وكرر ذكره تفخيما لشانه نحو قوله
تعالى القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة وقال ابن عباس فيما روي
عنه كل شي من القرآن من قوله وما ادراك فقد ادراه وكل شي من قوله وما يدريك فقد طوي
عنه ه يوم لا تملك نفس قرا ابن كثير وابو عمرو يوم بالرفع على البدل من يوم الدين

او ردا على اليوم الاول فيكون صفة ونعتا ليوم الدين ويجوز ان يكون يرفع باضمار هو
الباقون بالنصب على انه في موضع الا انه نصب لانه مضاف غير محض كما تقول الجحيني
يوم يقوم زيد وانشد المبرد من اي يومي من الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر
فاليومان الثانيان مخفوضان بالاضافة على الترجمه عن اليوم الاولين الا انهما
نصبا في اللفظ لانهما اضيفا الى غير محض فيتمكن وهذا اختيار الفرا والزجاج وقال قوم
اليوم الثاني منصوب على المحل كانه قال في يوم لا تملك نفس لنفس شيا وقيل
بمعنى ان هذه الاشيا تكون يوم الدين معني بيانون يوم لان الدين يدل عليه او باضمار
اذكر والامر يومئذ لله لا ينازعه فيه احد كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم والحمد لله رب العالمين

سوره المطففين مكيه

في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنيه في قول الحسن وعكرمه ومقاتل
قال مقاتل وهي اول سوره نزلت بالمدينه وقال ابن عباس وقتاده مدنيه
الا ثمان ايات في قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخرها مكي وقال الكلبي وجابر بن زيد
نزلت بين مكه والمدينه وهي ست وثلثون ايه بسم الله الرحمن الرحيم ٥
قوله تعالى ويل للمطففين فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ويل للمطففين
روى النسايي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينه
كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك قال
الفرا فهم من اوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وعن ابن عباس ايضا قال هي اول سوره
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعه نزل المدينه وكان هذا فيهم كانوا اذا
اشتروا استوفوا بكيل راجح واذا باعوا بخسوا المكيال والميزان فلما نزلت هذه
السوره انتهوا فهم اوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال قوم نزلت في رجل
يعرف بابي جهينه واسمه عمرو كان له صاعان ياخذ بواحد ويعطي باخر

قاله ابو هريرة رضي الله عنه الثانية قوله تعالى ويل اي شدة عذاب في
الاخرة وقال ابن عباس انه واد في جهنم يسيل فيه صديد اهل النار فهو قوله تعالى
ويل للمطففين اي الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم وروي عن ابن عمر قال المطفف
الرجل يستاجر الكيال وهو يعلم انه يحيف في كيله فوزره عليه وقال اخرون التطفيف
في الكيل والوزن والوضو والصلاة والحديث قال مالك ويقال لكل شي وفا وتطفيف
وروي عن سالم بن ابي الجعد قال الصلاة بمكيال فمن اوفى له ومن طفف فقد علمتم
ما قال الله عز وجل ويل للمطففين الثالثة قال اهل اللغة المطفف ماخوذ
من الطفيف وهو القليل والمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل
او وزن وقال الزجاج انما قيل للفاعل من هذا مطفف لانه لا يكاد يسرق من الميزان
والمكيال الا الشي الطفيف الخفي وانما اخذ من طف الشي وهو جانبه وطفاف المكوك
وطفافه بالفتح والكسر ما ملا اصباره وكذلك طف المكوك وطففه وفي الحديث
كلكم بنو ادم طف الصاع لم تملاوه وهو ان يقرب ان يمتلي فلا يفعل والمعنى بعضكم
قريب من بعض فليس لاحد على احد فضل الا بالتقوى والطفاف والطفافة بالضم
ما فوق المكيال واناء طفان اذا بلغ الكيل طفافه تقول منه اطففت والتطفيف
نقص المكيال وهو ان لا تملاه الى اصباره اي الى جوانبه يقال ادهقت الكاس الى
اصبارها واصمارها اي الى راسها وقول ابن عمر حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم سبق الخيل
كنت فارسا يوميذ فسبقت الناس حتى طفف بي الفرس مسجد بني زريق حتى كاد
يساوي المسجد يعني وثب بي الرابعة المطفف هو الذي يخسر في الكيل
والوزن ولا يوفي حسب ما بيناه وروى ابن القاسم عن مالك انه قرا ويل للمطففين
فقال لا تطفف ولا تخلب ولكن ارسل وصب عليه صبا حتى اذا استوفى ارسل يده
ولم يمسك وقال عبد الملك بن الماجشون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
مسح الطفاف وقال ان البركة في راسه قال وبلغني ان كيل فرعون كان مسحا بالحديد
قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون قال الفراء اي من الناس يقال اكتلت منك اي

استوفيت منك ويقال اكتلت ما عليك اي اخذت ما عليك وقال الزجاج اي
اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل والمعنى الذين اذا استوفوا اخذوا الزيادة
واذا اوفوا او وزنوا لغيرهم نقصوا فلا يرضون للناس ما يرضون لانفسهم الطبري
على بمعنى عند قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فيه مسالتان الاولى
قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم فحذفت اللام فتعدى الفعل
فنصب ومثله نصحتك ونصحت لك وامرتك به وامرتكه قاله الاخفش والفرا قال
الفرا وسمعت اعرابية تقول اذا صدر الناس اتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين
الى الموسم المقبل قال وهو من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال الزجاج
لا يجوز الوقف على كالوا حتى تصل بهم قال ومن الناس من يجعلها توكيدا ويجيز
الوقف على كالوا او وزنوا والقول الاول الاختيار لانها حرف واحد وهو قول الكسائي قال
ابو عبيد وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين ويقف على كالوا و وزنوا ثم يقول هم
يخسرون قال واحسب قراة حمزة كذلك ايضا قال ابو عبيد والاختيار ان يكونا كلمة
واحدة من جهتين احداهما الخط وذلك انهم كتبوها بغير الف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا
كالوا و وزنوا بالالف والاخرى انه يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك
وهو كلام عربي كما يقال صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك وكذلك شكرتك ونصحتك
ونحو ذلك يخسرون اي ينقصون والعرب تقول اخسرت الميزان وخسرته وهم في موضع
نصب على قراة العامة راجع الى الناس تقديره واذا كالوا الناس او وزنوهم يخسرون
وفيه وجهان احدهما ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال

ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

اراد جنيت لك والوجه الاخر ان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه والمضاف هو المكيل والموزون وعن ابن عباس انكم معاشر الاعاجم
وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم كانوا يجمعون الكيل والوزن

جميعًا وكانا مفترقين في الحرمين كان اهل مكه يزنون واهل المدينه يكيلون وعلى
القراه الثانيه هم في موضع رفع بالابتدا اي واذا كالوا الناس او وزنوا لهم يخسرون
ولا يصح لانه تكون الاولى ملغاه ليس لها خبر وانما كانت تستقيم لو كان بعدها واذا كالوا
هم ينقصون او وزنوهم يخسرون الثانيه قال ابن عباس قال النبي صلى الله
عليه وسلم خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله
الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشه الا فشا فيهم الطاعون ولا طففوا الكيل الا
منع منهم النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاه الا حبس الله عنهم المطر خرجه
ابو بكر البزار بمعناه ومالك بن انس ايضا من حديث ابن عمر وقد ذكرناه في كتاب
التذكره وقال مالك بن دينار دخلت على جار لي قد نزل به الموت فجعل
يقول جبلين من نار جبلين من نار فقلت ما تقول اتهجر قال يا ابا يحيى كان لي مكيالان
اكيل باحدهما واكتال بالاخر فقمت فجعلت اضرب احدهما بالاخر حتى كسرتهما فقال
يا ابا يحيى كلما ضربت احدهما بالاخر ازداد عظما فمات في وجعه وقال عكرمه اشهد
على كل كيال او وزان انه في النار فقيل له فان ابنك كيال او وزان قال اشهد انه في
النار وقال الاصمعي وسمعت اعرابيه تقول لا تلتمس المروه ممن مروته في روس
المكاييل ولا السنه الموازين وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وقال عبد خير
مر علي رضي الله عنه على رجل وهو يزن الزعفران وقد ارجح فاكفا الميزان ثم قال
اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شيت كانه امره بالتسويه اولا ليعتادها
ويفصل الواجب من النفل وقال نافع كان ابن عمر يمر بالبايع فيقول اتق الله واوف
الكيل والوزن بالقسط فان المطففين يوم القيمه يوقفون حتى ان العرق ليلجمهم
الى انصاف اذانهم وقد روي ان ابا هريره قدم المدينه وقد خرج النبي صلى الله عليه
وسلم الى خيبر واستخلف على المدينه سباع بن عرفطه فقال ابو هريره فوجدناه في صلاه
الصبح فقرا في الركعه الاولى كهيعص وقرا في الركعه الثانيه ويل للمطففين

قال ابو هريره فقلت في صلاتي ويل لابي فلان كان له مكيالان اذا اكتال اكتال بالوافي
واذا كال كال بالناقص قوله تعالى الا يظن اوليك ويتعجب عظيم من حالهم في الاجترا
على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومسولون عما يفعلون
والظن هنا بمعنى اليقين اي الا يوقن اوليك ولو ايقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن
وقيل الظن بمعنى التردد اي ان كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا
فيه ويبحثوا عنه ويأخذوا بالاحوط ليوم عظيم شانه وهو يوم القيمه قوله تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين فيه اربع مسايل الاولى العامل في يوم فعل مضمر
دل عليه مبعوثون والمعنى يبعثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ويجوز ان يكون
بدلا من يوم في ليوم عظيم وهو مبني وقيل هو في موضع خفض لانه اضيف الى غير متمكن
وقيل هو منصوب على الظرف اي في يوم ويقال اقم الى يوم خروج فلان فتنصب
يوم فان اضافوا الى الاسم فحينيذ يخفضون ويقولوا اقم الى يوم خروج فلان
وقيل في الكلام تقديم وتاخير التقدير انهم مبعوثون يوم يقوم الناس لرب العالمين
ليوم عظيم الثانيه وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت
ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطففين قد توجه عليهم هذا الوعيد
العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن
وفي هذا الانكار والتعجب وكلمه الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس لله خاضعين
ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف فيما كان
في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على التسويه والعدل في كل
اخذ واعطا بل في كل قول وعمل الثالثه قرا ابن عمر ويل للمطففين
حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين فبكى حتى سقط وامتنع من قراه ما بعده
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم يقوم الناس لرب العالمين
في يوم كان مقداره خمسين الف سنه فمنهم من يبلغ العرق كعبيه ومنهم من يبلغ
ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ اذنيه

حتى ان احدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع وروى ناس عن ابن عباس قال
يقومون مقدار ثلثمائة سنة ويهون على المؤمن قدر صلاتهم الفريضة وروى
عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقومون الف عام في الظلة
وروى مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب
العالمين حتى ان احدهم ليقوم في رشحه الى انصاف اذنيه وعنه ايضا عن النبي
صلى الله عليه وسلم يقوم مائة سنة وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
لبشير الغفاري كيف انت صانع في يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلثمائة سنة لرب
العالمين لا ياتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيه بامر قال بشير المستعان بالله قلت
فقد ذكرنا مرفوعا من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة المكتوبة يصليها في الدنيا وقيل
في سال سائل وعن ابن عباس يهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة وقوله
ان ذلك المقام على المؤمن كزوال الشمس والدليل على هذا من الكتاب قوله
الحق الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم وصفهم فقال الذين امنوا
وكانوا يتقون جعلنا الله منهم بفضله وكرمه وجوده ومنه امين وقيل المراد بالناس
جبريل عليه السلام يقوم لرب العالمين قاله ابن جبير وفيه بعد لما ذكرنا
من الاخبار في ذلك وهي صحيحة ثابتة وحسبك ما في صحيح مسلم والبخاري والترمذي
من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال
يقوم احدهم في رشحه الى نصف اذنيه ثم قيل هذا القيام يوم يقومون من قبورهم
وقيل في الاخرة يحفون عبادهم في السيادة قال يزيد الرشك يقومون بين يديه
للقضاء الرابعة القيام لله رب العالمين سبحانه حقير بالاضافة
الى عظمته وحقه فاما قيام الناس بعضهم لبعض فاختلف الناس فيه فمنهم
من اجازه ومنهم من منعه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام الى جعفر
ابن ابي طالب واعتنقه وقام طلحة لكعب بن مالك يوم تيب عليه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار حين طلع عليه سعد بن معاذ
قوموا الى سيدكم وقال ايضا من سره ان يتمثل له الناس قياما فليتبوا
مقعده من النار وذلك يرجع الى حال الرجل ونيته فان انتظر ذلك واعتقده
لنفسه فهو ممنوع وان كان على طريق البشاشة والوصلة فانه جايز وخاصة
عند الاسباب كالقدوم من السفر ونحوه وقد مضى في اخر سورة يوسف شي من
هذا قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين قال قوم من اهل العلم بالعربية
كلا ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من تطفيف الكيل والميزان او
تكذيب بالاخرة فليرتدعوا عن ذلك فهي كلمة ردع وزجر ثم استانف فقال ان
كتاب الفجار وقال الحسن كلا بمعنى حقا وروى ناس عن ابن عباس كلا قال
الا تصدقون ان كتاب الفجار فعلى هذا يوقف لرب العالمين وفي تفسير مقاتل
ان اعمال الفجار وروى ناس عن ابن عباس قال ان ارواح الفجار واعمالهم لفي سجين وروى
ابن ابي نجيح عن مجاهد قال سجين صخرة تحت الارض السابعة تقلب فيجعل كتاب
الفجار تحتها ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب قال
كعب تحتها ارواح الكفار تحت خد ابليس وعن كعب ايضا قال سجين صخرة
سوداء تحت الارض السابعة مكتوب فيها اسم كل شيطان تلقى انفس الكفار عندها
وقال سعيد بن جبير سجين تحت خد ابليس يحيى بن سلام حجر
اسود تحت الارض يكتب فيه ارواح الكفار وقال عطاء الخراساني
هي الارض السابعة السفلى وفيها ابليس وذريته وعن ابن عباس قال ان
الكافر يحضره الموت وتحضره رسل الله فلا يستطيعون لبغض الله له وبغضهم اياه
ان يوخروه ولا يعجلوه حتى تجي ساعته فاذا جاءت قبضوا نفسه ودفعوه الى
ملائكة العذاب فاروه ما شاء الله ان يروه من الشر ثم هبطوا به الى الارض السابعة
وهي سجين وهي اخر سلطان ابليس فاثبتوا فيها كتابه وعن كعب الاحبار في هذه الاية

في هذه الآية قال ان روح الفاجر اذا قبضت يصعد بها الى السماء فتأبى السماء
ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى الارض ان تقبلها فتدخل في سبع ارضين
حتى ينتهى بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج لها من سجين من تحت خد ابليس رق فيرقم
فيوضع تحت خد ابليس وقال الحسن سجين في الارض السابعة وقيل هو
ضرب مثل واشارة الى ان الله تعالى يرد اعمالهم التي ظنوا انها تنفعهم قال مجاهد
المعنى عملهم تحت الارض السابعة لا يصعد منها شي قال وسجين صخرة في الارض السابعة
وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سجين جب في جهنم وهو مفتوح وقال
في الفلق انه جب مغطى وقال انس هي دركة في الارض السفلى وقال
انس قال النبي صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وقال عكرمة سجين خسار
وضلال كقولهم لمن سقط قدره قد زلق بالحضيض وقال ابو عبيدة
والاخفش والزجاج لفي سجين لفي حبس وضيق شديد فعيل من السجن كما يقال فسيق
وشريب قال ابن مقبل

ورفقة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصت به الابطال سجينا

والمعنى كتابهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم او لانه محل من الاعراض
عنه والابعاد له محل الزجر والهوان وقيل اصله سجيل فابدلت اللام نونا وقد
تقدم ذلك قال ابن اسلم سجين الارض السافلة وسجيل السماء الدنيا
القشيري سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هولا فلا يظهر بل يكون
في ذلك الموضع كالمسجون وهذا دليل على خسة اعمالهم وتحقير الله اياها ولهذا قال
في كتاب الابرار يشهده المقربون ٥ وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما
كنت تعلمه يا محمد انت ولا قومك ثم فسره له فقال كتاب مرقوم اي
مكتوب كالرقم في الثوب لا يبلى ولا يمحى وقال قتادة رقم لهم بشر لا يزاد
فيهم احد ولا ينقص منهم احد وقال الضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير واصل
الرقم الكتابة قال ٥ ٥ ٥

سار قوم في ملا القراح اكيلم على بعدكم ان كان لكم يا قوم
وليس في قوله وما ادراك ما سجين ما يدل على ان اللفظ سجين ليس عربيا كما لا يدل
في قوله القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة بل هو تعظيم لامر سجين وقد
مضى في مقدمة الكتاب والحمد لله انه ليس في القرآن غير عربي ويل يومئذ
للمكذبين اي شدة وعذاب يوم القيامة للمكذبين ثم بين امرهم فقال الذين
يكذبون بيوم الدين اي بيوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد ٥ وما يكذب
به الا كل معتد اثيم اي فاجر جائر عن الحق معتد على الخلق في معاملتهم اياهم وعلى
نفسه وهو اثيم في ترك امر الله وقيل هذا في الوليد بن المغيرة وابي جهل ونظرائهم
لقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وقراءة العامة تتلى بتاءين
وقرا ابو حيوة وابو سماك والاشهب العقيلي والسلمي اذا يتلى بالياء واساطير
الاولين احاديثهم واباطيلهم التي كتبوها وزخرفوها واحدها اسطورة واسطارة
وقد تقدم قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا ردع وزجر
اي ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن معناها حقا ران على قلوبهم وفي
الترمذي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطا
خطيئة نكتت في قلبه نكتة سودا فاذا نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه
فان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الرين الذي ذكر الله في كتابه
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون هذا حديث حسن صحيح وكذا قال المفسرون
هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب قال مجاهد هو الرجل يذنب الذنب فيحيط
الذنب بقلبه ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب قلبه
قال مجاهد هي مثل الآية التي في سورة البقرة بلى من كسب سيئة الآية
ونحوه عن الفراء قال يقول كثرت المعاصي منهم والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك
الرين عليها وروي عن مجاهد ايضا قال القلب مثل الكف ورفع كفه فاذا اذنب الذنب

انقبض وضم اصبعه فاذا اذنب الذنب انقبض وضم اخرى حتى ضم اصابعه كلها حتى
يطبع على قلبه قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قال كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون ومثله عن حذيفة رضي الله عنه سوآ وقال بكر بن عبد الله
ان العبد اذا اذنب صار في قلبه كوخزة الابرة ثم اذا اذنب ثانيا صار كذلك
ثم اذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل او كالغربال لا يعي خيرا ولا يثبت فيه صلاح
وقد بينا في البقرة القول في هذا المعنى بالاخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا معنى لاعادتها وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن
ابن جريج عن عطا عن ابن عباس وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس
شيا الله اعلم بصحته قال هو الران الذي يكون على الفخذين والساق والقدم
وهو الذي يلبس في الحرب قال وقال اخرون الران الخاطر الذي يخطر بقلب الرجل
وهذا مما لا يضمن عهدة صحته والله اعلم واما عامة اهل التفسير فعلى ما قد مضى
ذكره قبل هذا وكذلك اهل اللغة عليه يقال ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا
اي غلب قال ابو عبيدة في قوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
اي غلب وقال ابو عبيد كل ما غلبك فقد ران بك ورانك وران عليك وقال الشاعر

وكم ران من ذنب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذي ران وانجلى

ورانت الخمر على عقله اي غلبته وران عليه النعاس اذا غطاه ومنه قول
عمر في الاسيفع اسيفع جهينة فاصبح قد رين به اي غلبته الديون وكان يدان
ومنه قول ابي زبيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سكرا فقال

ثم لما رآه رانت به الخمر وان لا يرينه باتقاء

فقوله رانت به الخمر اي غلبت على عقله وقلبه وقال الاموي قد ران القوم
فهم مرينون اذا هلكت مواشيهم او هزلت وهذا من الامر الذي اتاهم مما
يغلبهم فلا يستطيعون احتماله قال ابو زيد يقال قد رين بالرجل رينا
اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به وقال ابو معاذ النحوي

الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهذا اشد من الرين
والاقفال اشد من الطبع قال الزجاج الرين هو كالصدا يغشى القلب كالغيم الرقيق
ومثله الغين يقال غين على قلبه غطي والغين شجر ملتف الواحد غينا اي خضرا
كثيرة الورق ملتفة الاغصان وقد تقدم قول الفرا انه احاطة الذنب بالقلوب
وذكر الثعلبي عن ابن عباس ران على قلوبهم اي غطى عليها وقيل غطى عليها وهذا
هو الصحيح عنه ان شا الله تعالى وقرا حمزة والكسائي والاعمش وابو بكر والمفضل
ران بالامالة لان فا الفعل الرا وعينه الف منقلبة من يا فحسنت الامالة لذلك ومن
فتح فعلى الاصل لان باب فا الفعل في فعل الفتح مثل كال وباع ونحوه واختاره ابو عبيد
وابو حاتم ووقف حفص بل ثم يبتدي ران وقفا يبين اللام لا للسكت قوله تعالى
كلا انهم اي حقا انهم يعني الكفار عن ربهم يومئذ اي يوم القيامة لمحجوبون وقيل كلا
ردع وزجر اي ليس كما يقولون بل انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الزجاج في هذه
الاية دليل على ان الله عز وجل يرى في يوم القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الاية
فايدة ولا خسست منزلة الكفار بانهم يحجبون وقال الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة فاعلم الله جل ثناؤه ان المومنين ينظرون اليه واعلم ان الكفار محجوبون
عنه وقال مالك بن انس في هذه الاية لما حجب اعداه فلم يروه تجلى لاوليايه حتى
راوه وقال الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه
بالرضا ثم قال اما والله لو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى ربه في المعاد لما عبده
في الدنيا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده
حجبهم في الاخرة عن رؤيته وقال مجاهد في قوله تعالى لمحجوبون اي عن
كرامته ورحمته ممنوعون وقال قتادة هو ان الله تعالى لا ينظر اليهم برحمته
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وعلى الاول الجمهور وانهم محجوبون عن رؤيته
فلا يرونه ثم انهم لصالوا الجحيم اي ملازموها ومحترقون فيها غير خارجين منها

كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وكلما خبت زيدت سعيرا ويقال الجحيم الباب
الرابع من النار ثم يقال لهم اي تقول لهم خزنة جهنم هذا الذي كنتم به تكذبون رسل الله
في الدنيا قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين كلا بمعنى حقا والوقف على يكذبون
وقيل اي ليس الامر كما ظنوا بل كتابهم في سجين وكتاب المومنين في عليين وقال
مقاتل كلا اي لا يومنون بالعذاب الذي يصلونه ثم استانف فقال ان كتاب
الابرار مرفوع في عليين على قدر مرتبتهم قال ابن عباس اي في الجنة وعنه
ايضا فان اعمالهم في كتاب الله في السما وقال الضحاك ومجاهد وقتادة
يعني السما السابعة فيها ارواح المومنين وروى الاجلح عن الضحاك قال هي سدرة
المنتهى ينتهي اليها كل شي من امر الله لا يعدوها فيقولون رب عبدك فلان وهو اعلم
به منهم فياتيه كتاب من الله عز وجل مختوم بامانه من العذاب فذلك قوله تعالى كلا
ان كتاب الابرار وعن كعب قال ان روح المومن اذا قبضت صعد بها وفتحت لها
ابواب السما وتلقتها الملايكة بالبشرى ثم يخرجون معها حتى ينتهوا الى العرش فيخرج
لهم من تحت العرش رق فيرقم فيختم فيه النجاة من الحساب يوم القيمة ويشهده
المقربون وقال قتادة ايضا في عليين هي فوق السما السابعة عند قايمة
العرش اليمنى وقال البرا بن عازب قال النبي صلى الله عليه وسلم عليون في السما
السابعة تحت العرش وعن ابن عباس ايضا هو لوح من زبرجدة خضرا معلق بالعرش
اعمالهم مكتوبة فيه وقال الفرا عليون ارتفاع بعد ارتفاع وقيل
عليون اعلا الامكنة وقيل معناه علو في علو مضاعف كانه لا غاية له
ولذلك جمع بالواو والنون وهو معنى قول الطبري قال الفرا هو اسم موضوع
على صيغة الجمع ولا واحد له من لفظه كقولك عشرين وثلثين والعرب اذا جمعت جمعا ولم
يكن له بنا من واحده ولا تثنية قالوا في المذكر والمونث بالنون وقال
الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب الجمع كما تقول هذه قنسرون ورايت قنسرين
وقال يونس النحوي واحدها علي وعلية قال ابو الفتح عليين جمع علي

وهو فعيل من العلو وكان سبيله ان تقول علية كما قالوا للغرفة علية لانها من العلو
فلما حذفت التا من علية عوضوا منها الجمع بالواو والنون كما قالوا في ارضين وقيل
ان عليين صفة للملايكة فانهم الملا الاعلى كما يقال فلان في بني فلان اي هو من جملتهم وعندهم
والذي في الخبر من حديث عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل
عليين لينظرون الى الجنة من كذا فاذا اشرف رجل من اهل عليين اشرقت الجنة
لضيا وجهه فيقولون ما هذا النور فيقال اشرف رجل من اهل عليين الابرار
اهل الطاعة والصدق وفي خبر اخر ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما يرى الكوكب
الدري في افق السما يدل على ان عليين اسم الموضع المرتفع وروى ناس عن ابن عباس في
قوله عليين قال اخبر ان ارواحهم واعمالهم في السما السابعة ثم قال وما ادراك ما عليون
اي ما الذي اعلمك يا محمد اي شي عليون على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة ثم
فسره فقال كتاب مرقوم يشهده المقربون وقيل ان كتاب مرقوم ليس بتفسير العليين
بل تم الكلام عند قوله عليون ثم ابتدا وقال كتاب مرقوم اي كتاب الابرار مرقوم
وهذا عكس الرقم في كتاب الفجار قاله القشيري وروي ان الملايكة تصعد
بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شا الله من سلطانه اوحى اليهم انكم
الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد
غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شا الله اوحى اليهم
انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه
في سجين قوله تعالى يشهده المقربون اي يشهد عمل الابرار مقربو كل سما من
الملايكة وقال وهب وابن اسحق المقربون هنا اسرافيل عليه السلام فاذا
عمل المومن عمل البر صعدت الملايكة بالصحيفة ولها نور يتلالا في السموات
كنور الشمس في الارض حتى ينتهي بها الى اسرافيل فيختم عليها ويكتب وهو قوله
يشهده المقربون اي يشهد كتابهم قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم اي نعمه

العمل الصدق والطاعة

والنعيم بالفتح التنعيم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وامراه منعمه ومناعمه بمعنى اي ان
الابرار لفي الجنات يتنعمون على الارائك الاسره في الحجال ينظرون الى ما اعد الله لهم من
الكرامات قاله عكرمه وابن عباس ومجاهد وقال مقاتل ينظرون الى
اهل النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينظرون الى اعدائهم في النار ذكره المهدوي
وقيل على الارائك اذا شاوا ينظرون الى وجهه وجلاله قوله تعالى تعرف
في وجوههم نضرة النعيم اي بهجته وغضارته ونوره يقال نضر النبات اذا ازهر
ونور وقراه العامه تعرف بفتح التا وكسر الرا نضره نصبا اي تعرف يا محمد وقرا ابو
جعفر بن القعقاع ويعقوب وشيبه وابن ابي اسحق تعرف بضم التا وفتح الرا على
الفعل المجهول نضره رفعا ٥ يسقون من رحيق اي من شراب لا غش فيه قال
الاخفش والزجاج وقيل الرحيق الخمر الصافيه وفي الصحاح الرحيق صفو الخمر
والمعنى واحد الخليل افضل الخمر واجودها وقال مقاتل وغيره هي الخمر
العتيقه البيضا الصافيه من الغش النيره قال حسان

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

وقال اخر ام لا سبيل الى الشباب وذكره اشهى الي من الرحيق السلسل

٥ مختوم ختامه مسك قال مجاهد يختم به اخر جرعه وقيل المعنى اذا شربوا
هذا الرحيق ففني ما في الكاس انختم ذلك بخاتم المسك وكان ابن مسعود يقول
يجدون عاقبتها طعم المسك ونحوه عن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي قالا ختامه اخر
طعمه وهو حسن لان سبيل الاشربه ان يكون الكدر في اخرها فوصف شراب
اهل الجنه بان رائحه اخره رائحه المسك وعن مسروق عن عبد الله قال المختوم الممزوج
وقيل مختوم اي ختمت ومنعت من ان يمسها ماس الى ان يفك ختامها الابرار وقرا
علي وعلقمه وشقيق والضحاك وطاوس والكسائي خاتمه بفتح الخا والتا والف
بينهما قال علقمه اما رايت المراه تقول للعطار اجعل خاتمه مسكا تريد اخره
والخاتم والختام متقاربان في المعنى الا ان الخاتم الاسم والختام المصدر قاله

نضرة

الفرا وفي الصحاح والختام الطين الذي يختم به وكذا قال مجاهد وابن زيد ختم
اناوه بالمسك بدلا من الطين حكاه المهدوي وقال الفرزدق
وبت افض اغلاق الختام وقال الاعشى وابرزها وعليها ختم
٥ اي عليها طينه مختومه مثل نفض بمعنى منفوض وقبض بمعنى مقبوض وذكر
ابن المبارك وابن وهب واللفظ لابن وهب عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى ختامه
مسك اي خلطه ليس بخاتم يختم الا ترى الى قول المراه من نسائكم ان خلطه من الطيب كذا وكذا
انما خلطه مسك قال شراب ابيض مثل الفضه يختمون بها اخر شربهم لو ان
رجلا من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها
وروي عن ابي بن كعب قال قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم قال غدران
الخمر وقيل مختوم في الانيه وهو غير الذي يجري في الانهار والله اعلم ٥ وفي
ذلك اي وفي الذي وصفناه من امر الجنه فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون
يقال نفست عليه الشي انفسه نفاسه اي ضننت به ولم احب ان اصير اليه وقيل
الفا بمعنى الى اي والى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل نظيره لمثل هذا فليعمل
العاملون ٥ ومزاجه اي ومزاج ذلك الرحيق من تسنيم وهو شراب ينصب عليهم
من علو وهو اشرف شراب في الجنه واصل التسنيم في اللغه الارتفاع فهي عين تجري
من علو الى اسفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه وكذلك تسنيم القبور ٥
وروي عن عبد الله قال تسنيم عين في الجنه يشرب بها المقربون صرفا ويمزج منها
كاس اصحاب اليمين فتطيب وقال ابن عباس في قوله عز وجل ومزاجه
من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين وقيل
التسنيم عين تجري في الهوا بقدره الله تعالى فتنصب في اواني اهل الجنه على قدر
ملئها فاذا امتلات امسك الما فلا يقع منه قطره على الارض ولا يحتاجون
الى الاستقا قاله قتاده ٥ ابن زيد بلغنا انها عين تجري من تحت العرش

وكذا في مراسل الحسن وقد ذكرناه في سورة الانسان عينا يشرب بها المقربون
اي يشرب بها اهل جنة عدن وهم افاضل اهل الجنة صرفا وهي لغيرهم مزاج وعينا
نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال من تسنيم وتسنيم معرفة ليس يعرف
له اشتقاق وان جعلته مصدرا مشتقا من السنام فعينا نصب لانه مفعول
به كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهذا قول الفرا انه
منصوب بتسنيم وعند الاخفش يسقون اي يسقون عينا او من عين
وعند المبرد باضمار اعني على المدح **قوله تعالى** ان الذين اجرموا وصف
احوال الكفار في الدنيا مع المومنين في استهزايهم بهم والمراد رؤسا قريش من اهل
الشرك روي نا عن ابن عباس قال هم الوليد بن المغيرة وعقبة بن ابي معيط
والعاص بن وايل والاسود بن عبد يغوث والعاص بن هشام وابو جهل والنضر
ابن الحارث واولئك كانوا من الذين امنوا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل عمار
وخباب وصهيب وبلال يضحكون على وجه السخرية واذا مروا بهم عند اتيانهم وقيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم
اي يعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به يقال غمزنا الشي يدي قال
وكنت اذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها او تستقيما
وقالت عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سجد غمزني فقبضت رجلي الحديث
وقد مضى في النسا وغمزته بعيني وقيل الغمز بمعنى العيب يقال غمزه اي عابه
وما في فلان غمزة اي عيب وقال مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
جا في نفر من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فلمزهم المنافقون وضحكوا عليهم
وتغامزوا واذا انقلبوا اي انصرفوا الى اهلهم اي اصحابهم وذويهم انقلبوا
فاكهين اي معجبين منهم وقيل معجبون بما هم عليه من الكفر متفكهون بذكر
المومنين وقرا ابن القعقاع وحفص والاعرج والسلمي فكهين بغير الف والباقون
بالف قال الفرا هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم

وقال حديث حسن غريب وروي ابن سنجر محمد بن سنجر عن امية مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت
كنت اوضي النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه رجل فقال اوصني فقال لا تشرك بالله شيا وان قطعت او
حرقت بالنار الحديث اخرجه قال علماؤنا ولقد امتحن كثير من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بالقتل والصلب والتعذيب الشديد ولم يلتفتوا الى شي من ذلك ويكفيك قصة عاصم وخبيب
واصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والاسر والحرق وغير ذلك وقد مضى
في النحل ان هذا اجماع ممن قوي في ذلك فتامله هناك **قوله تعالى** قتل اصحاب
الاخدود دعا على هولاي الكفار بالابعاد من رحمته وقيل معناه الاخبار عن
قتل اولئك المومنين اي انهم قتلوا بالنار فصبروا وقيل هو اخبار عن اولئك
الظالمين فانه روي ان الله قبض ارواح الذين القوا في الاخدود قبل ان
يصلوا الى النار وخرجت نار من الاخدود فاحرقت الذين هم عليها قعود ذكره
النحاس ومعنى عليها اي عندها وعلى بمعنى عند وقيل عليها على ما يدنو منها من
حافات الاخدود كما قال وبات على النار الندى والمحلق
والعامل في اذ قتل اي لعنوا في ذلك الوقت وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود اي
حضور يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر على المومنين فمن ابى القوه في النار وفي ذلك
وصفهم بالقسوة ثم بالجد في ذلك وقيل على بمعنى مع اي وهم مع ما يفعلون
بالمومنين شهود **قوله تعالى** وما نقموا منهم وقرا ابو حيوة نقموا بالكسر والفتح وقد مضى
في براة القول فيه اي ما نقم الملك واصحابه من الذين حرقهم الا ان يومنوا اي الا ان
صدقوا بالله العزيز اي الغالب المنيع الحميد اي المحمود في كل حال الذي له
ملك السموات والارض لا شريك له فيهما ولا نديد والله على كل شي شهيد
اي عالم باعمال خلقه لا يخفى عليه خافية **قوله تعالى** ان الذين فتنوا المومنين
والمومنات اي حرقوهم بالنار والعرب تقول فتن فلان الدرهم والدينار اذا ادخله

والصحيح

الكور لينظر جودته ودينار مفتون ويسمى الصايغ الفتان ولذلك الشيطان وورق فتين اي فضه محرقه ويقال للحره فتين اي كانما احرقت حجارتها بالنار وذلك لسوادها ۝ ثم لم يتوبوا اي من قبيح صنيعهم مع ما اظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الايات البينات علي يدي الغلام فلهم عذاب جهنم لكفرهم ولهم عذاب الحريق اي في الدنيا لاحراقهم المومنين بالنار وقد تقدم عن ابن عباس وقيل ولهم عذاب الحريق اي ولهم في الاخره عذاب زايد علي عذاب كفرهم بما احرقوا المومنين وقيل لهم عذاب الجحيم وعذاب الحريق والحريق اسم من اسما جهنم كالسعير والنار دركات وانواع ولها اسما وكانوا يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق فالاول عذاب ببردها والثاني عذاب بحرها ان الذين امنوا اي هولاي الذين كانوا امنوا بالله اي صدقوا به وبرسله وعملوا الصالحات لهم جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار من ما غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذه للشاربين وانهار من عسل مصفى ذلك الفوز الكبير اي العظيم الذي لا فوز يشبهه قوله تعالى ان بطش ربك لشديد اي اخذه الجبابره والظلمه كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمه ان اخذه اليم شديد وقد تقدم قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم المعنى والسما ذات البروج ان بطش ربك وما بينهما معترض موكد للقسم ولذلك قال الترمذي الحكيم ان القسم واقع علي ذكر صفته بالشده انه هو يبدي ويعيد يعني الخلق عند اكثر العلما يخلقهم ابتدا ثم يعيدهم عند البعث وروي عكرمه قال عجبت الكفار من احيا الله جل ثناوه الاموات وقال ابن عباس يبدي لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في الاخره وهذا اختيار الطبري وهو الغفور اي الستور لذنوب عباده المومنين لا يفضحهم بها الودود اي المحب لاوليايه فروي الضحاك عن ابن عباس قال كما يود احدكم اخاه بالبشري والمحبه وعنه ايضا الودود اي المتودد الي اوليايه بالمغفره وقال مجاهد الواد لاوليايه فعول بمعنى فاعل وقال ابن زيد الرحيم وحكى المبرد عن اسماعيل بن اسحق القاضي ان الودود

هو الذي لا ولد له وانشد قول الشاعر
وأركب في الروع عريانة ... ذلول الجناح لقاحا ودودا
اي لا ولد لها تحن اليه ويكون معنى الايه انه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من اجله ليكون بالمغفره متفضلا من غير جزا وقيل الودود بمعنى المودود كركوب وحلوب اي يوده عباده الصالحون ويحبونه ۝ ذو العرش المجيد قرا الكوفيون الا عاصما المجيد بالخفض نعتا للعرش وقيل لربك اي ان بطش ربك المجيد لشديد ولم يمتنع الفصل لانه جار مجرى الصفه في التشديد الباقون بالرفع نعتا لذو وهو الله تعالى واختاره ابو عبيد وابو حاتم لان المجد النهايه في الكرم والفضل والله سبحانه وتعالى هو المنعوت بذلك وان كان قد وصف عرشه بالكريم في اخر المومنين تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي تناهيا فيه حتى يقتبس منهما ومعنى ذو العرش اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان علي سرير ملكه وان لم يكن علي سرير ويقال ثل عرشه اي ذهب سلطانه وقد مضى بيان هذا في الاعراف وخاصه في كتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى ۝ فعال لما يريد اي لا يمتنع عليه شي يريده الزمخشري فعال خبر ابتدا محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غايه الكثره وقال الفرا هو رفع علي التكرير والاستيناف لانه نكره محضه وقال الطبري رفع فعال وهو نكره محضه علي وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وعن ابي السفر قال دخل ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم علي ابي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا الا ناتيك بطبيب قال قد راني فقالوا ما قال لك قال قال اني فعال لما اريد هل اتاك حديث الجنود اي قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافره المكذبه لانبيايهم يونسه بذلك ويسليه ثم بينهم فقال فرعون وثمود وهما في موضع جر علي البدل من الجنود المعنى انك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا انبياه ورسله ۝ بل الذين كفروا اي من هولاي الذين لا يومنون بك في تكذيب لك كدأب من قبلهم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهوره وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك فدل بهما علي امثالهما

والله اعلم **قوله تعالى** والله من ورائهم محيط اي يقدر عليهم ان ينزل بهم ما انزل بفرعون والمحاط
به كالمحصور وقيل اي والله عالم بهم فمجازيهم ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ اي متناه في الشرف
والكرم والبركة وهو بيان ما بالناس من الحاجة اليه من احكام الدين والدنيا لا كما
زعم المشركون وقيل مجيد اي غير مخلوق في لوح محفوظ اي مكتوب في لوح وهو محفوظ
عند الله تعالى من وصول الشيطان اليه وقيل هو ام الكتاب ومنه انتسخ القرآن
والكتب وروى الضحاك عن ابن عباس قال اللوح من ياقوتة حمراء اعلاه معقود
بالعرش واسفله في حجر ملك يقال له ماطريون كتابه نور وقلمه نور ينظر الله عز وجل
فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة ليس منها نظرة الا وهو يفعل ما يشاء ويرفع وضيعا ويضع
رفيعا ويغني فقيرا ويفقر غنيا يحيي ويميت ويفعل ما يشاء لا اله الا هو وقال انس بن مالك
ومجاهد ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في جبهة اسرافيل وقال
مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقيل اللوح المحفوظ الذي فيه اصناف الخلق والخليقة
وبيان امورهم وذكر آجالهم وارزاقهم واعمالهم والاقضية النافذة فيهم وما لعواقب امورهم
وهو ام الكتاب وقال ابن عباس اول شي كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ اني
انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا
وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ
الها سواي وكتب الحجاج الى محمد بن الحنفية رضي الله عنه يتوعده فكتب اليه ابن الحنفية
بلغني ان الله تعالى في كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ يعز ويذل ويبتلي
ويفرج ويفعل ما يشاء فلعل نظرة منها يشغلك بنفسك فتشتغل بها ولا تتفرغ وقال
بعض المفسرين اللوح شي يلوح للملائكة فيقرؤنه وقرا ابن السميفع وابو حيوة قرآن
مجيد على الاضافة اي قرآن رب مجيد وقرا نافع في لوح محفوظ بالرفع نعتا للقرآن اي بل
هو قرآن مجيد محفوظ في لوح الباقون بالجر نعتا للوح والقراء متفقون على فتح اللام
من لوح الا ما روي عن يحيى بن يعمر فانه قرا في لوح بضم اللام اي انه يلوح وهو ذو
نور وعلو وشرف قال الزمخشري واللوح الهوى يعني اللوح فوق السماء السابعة

الذي فيه اللوح وفي الصحاح لاح الشي يلوح لوحا اي لمح ولاحه السفر وغيره ولاح لوحا
ولوحا عطش والتاح مثله واللوح الكتف وكل عظم عريض واللوح الذي يكتب فيه واللوح
بالضم الهوا بين السما والارض

سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والسما والطارق قسمان السما قسم والطارق قسم والطارق النجم
وقد بينه الله تعالى بقوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب واختلف فيه فقيل هو زحل
الكوكب الذي في السما السابعة ذكره محمد بن الحسن في تفسيره وذكر له اخبارا الله اعلم بصحتها
وقال ابن زيد انه الثريا وعنه ايضا انه زحل وقاله الفرا عن ابن عباس هو الجدي وعنه
ايضا وعن علي رضي الله عنهما والفرا النجم الثاقب نجم في السما السابعة لا يسكنها غيره من النجوم
فاذا اخذت النجوم امكنتها من السما هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السما السابعة
وهو زحل وهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وحكى الفرا ثقب الطاير اذا ارتفع وعلا
وروى ابو صالح عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا مع ابي طالب فانحط نجم فامتلات
الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال هذا نجم رمي به وهو اية
من ايات الله فعجب ابو طالب ونزل والسما والطارق وروي عن ابن عباس ايضا والسما والطارق
وما يطرق فيها وعن ابن عباس وعطا الثاقب الذي ترمى به الشياطين قال قتاده
هو عام في ساير النجوم لان طلوعها بليل وكل من اتاك ليلا فهو طارق قال

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعا فالهيتها عن ذي تمايم مغيل

وقال

الم تر اني كلما جيت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فالطارق النجم اسم جنس سمي بذلك لانه يطرق بالليل ومنه الحديث نهى النبي صلى الله عليه
وسلم ان يطرق المسافر اهله بليلا كي تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة والعرب تسمي كل قاصد
في الليل طارقا يقال طرق فلان طروقا اذا جا بليل وقد طرق يطرق طروقا فهو طارق
ولابن الرومي

يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تفرحن بليل طاب اوله فرب اخر ليل اجج النارا

وفي الصحاح والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول هند
نحن بنات طارق نمشي على النمارق ... اي ان ابانا في الشرف كالنجم المضيء قال
الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في
الوصول الى الدق وقال قوم انه يكون نهارا والعرب تقول اتيتك اليوم طرقتين اي
مرتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار الا طارقا
يطرق بخير يا رحمن وقال جرير في الطروق
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام
ثم بين فقال وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب الثاقب المضيء ومنه شهاب ثاقب يقال
ثقب يثقب ثقوبا وثقابة اذا اضاء وثقوبه ضوءه والعرب تقول اثقب نارك اي اضئها قال
اذاع به في الناس حتى كانه ... بعلياء نار اوقدت بثقوب
وقال مجاهد الثاقب المتوهج قال القشيري والمعظم على ان الطارق والثاقب
اسم جنس اريد به العموم كما ذكرناه عن مجاهد وما ادراك ما الطارق تفخيما لشان هذا
المقسم به وقال سفيان كل ما في القرآن وما ادراك فقد اخبره وكل شيء قال فيه وما
يدريك لم يخبره به **قوله تعالى** ان كل نفس لما عليها حافظ قال قتادة حفظة يحفظون
عليك رزقك وعملك واجلك وعنه ايضا قال قرينه يحفظ عليه عمله من خير او شر وهذا
هو جواب القسم وقيل الجواب انه على رجعه لقادر في قول الترمذي محمد بن علي وان
مخففة من الثقيلة وما مؤكدة اي ان كل نفس لعليها حافظ وقيل المعنى ان كل نفس الا عليها
حافظ يحفظها من الآفات حتى يسلمها الى القدر قال الفراء الحافظ من الله يحفظها حتى
يسلمها الى المقادير وقاله الكلبي وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن
مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه
كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم اي ما كل نفس الا عليها حافظ وهي
لغة هذيل يقول قائلهم نشدتك لما قمت الباقون بالتخفيف على انها زائدة مؤكدة كما ذكرنا

ونظير هذه الآية قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله على ما
تقدم وقيل الحافظ هو الله سبحانه ولولا حفظه لها لم تبق وقيل الحافظ عليه عقله يرشده
الى مصالحه ويكفه عن مضاره قلت العقل وغيره وسائط والحافظ بالحقيقة هو الله
عز وجل قال الله عز وجل والله خير حفظا وقال قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن
وما كان مثله **قوله تعالى** فلينظر الانسان اي ابن ادم مم خلق وجه الاتصال بما
قبله توصية الانسان بالنظر في اول امره وسنته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته
وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبة امره ومم خلق استفهام
اي من اي شيء خلق ثم قال خلق وهو جواب الاستفهام من ماء دافق اي من المني والدفق صب الماء
دفقت الماء ادفقه دفقا صببته فهو ماء دافق اي مدفوق كما قالوا سر كاتم اي مكتوم
لانه من قولك دفق الماء على ما لم يسم فاعله ولا يقال دفق الماء ويقال دفق الله روحه اذا دعي
عليه بالموت قال الفراء والاخفش ماء دافق اي مصبوب في الرحم قال الزجاج من ماء ذي اندفاق
يقال دارع وفارس ونابل اي ذو فرس ودرع ونبل وهذا مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق
بشدة قوته واراد ماءين ماء الرجل وماء المراة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما
وعن عكرمة عن ابن عباس دافق لزج يخرج اي هذا الماء من بين الصلب اي الظهر وفيه لغات
اربع صُلب وصُلُب وقرئ بهما وصلب بفتح اللام وصالب على وزن قالب ومنه قول
العباس تنقل من صالب الى رحم والترائب اي الصدر الواحدة تريبة وهي موضع القلادة
من الصدر قال مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
والصلب من الرجل والترائب من المراة قال ابن عباس الترائب موضع القلادة وعنه ما
بين ثدييها وقاله عكرمة وروي عنه يعني ترائب المراة اليدين والرجلين والعينين وبه
قال الضحاك وقال سعيد بن جبير هو الجيد مجاهد ما بين المنكبين والصدر
وعنه الصدر وعنه التراقي وعن ابن جبير عن ابن عباس الترائب اربعة اضلاع من هذا الجانب
وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة الصدر وقال
معمر بن ابي حبيبة المدني الترائب عصارة القلب ومنه يكون الولد والمشهور من كلام العرب

انها عظام الصدر والنحر قال دريد بن الصمة

فان تدبروا نأخذكم في ظهوركم وان تقبلوا نأخذكم في الترايب

وقال اخر وبدت كان ترايب نحرها جمر الغضا في ساعد يتوقد

وقال اخر والزعفران على ترايبها شرق به اللبات والنحر وعن عكرمه

الترايب الصدر ثم انشد نظام در على ترايبها وقال ذو الرمه

ضرجن بردا عن ترايبه اي شققن ويروي ضرجن بالحاء اي القين وفي الصحاح والتريبه

واحده الترايب وهي عظام الصدر ما بين الترقوه والثندوه قال الشاعر

اشرف ثدياها على التريب وقال المثقب العبدي

ومن ذهب يسن على تريب كلون العاج ليس بذي غضون

عن غير الجوهري ٥ وفي التفسير يخلق من ما الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب ومن

ما المراه الذي يخرج من ترايبها اللحم والدم وقاله الاعمش وقد تقدم مرفوعا في اول سوره ال

عمران والحمد لله وفي الحجرات انا خلقناكم من ذكر وانثى وقد تقدم وقيل ان ما الرجل ينزل من الدماغ

ثم يجتمع في الانثيين وهذا لا يعارض قوله من بين الصلب لانه ان نزل من الدماغ فانما يمر

بين الصلب والترايب وقال قتاده المعنى ويخرج من صلب الرجل وترايب المراه وحكى الفرا ان

مثل هذا ياتي عن العرب يكون معنى من بين الصلب من الصلب وقال الحسن المعنى يخرج من صلب الرجل

وترايب الرجل ومن صلب الرجل وترايب المراه ثم انا نعلم ان النطفه من جميع اجزا البدن ولذلك يشبه

الرجل والده كثيرا وهذه الحكمه في غسل جميع الجسد من خروج المني وايضا المكثر من الجماع

يجد وجعا في ظهره وصلبه وليس ذلك الا لخلو صلبه عما كان محتبسا من الماوردي اسماعيل

عن اهل مكة يخرج من بين الصلب بضم اللام وروينا عن عيسى الثقفي حكاه المهدوي

وقال ومن جعل المعنى يخرج من بين صلب الرجل وترايبه ~~الرجل~~ فالضمير في يخرج للما ~~ومن~~

~~من صلب الرجل وترايب المراه فالضمير في يخرج للما~~ ومن جعله من صلب الرجل وترايب المراه فالضمير

للانسان وقريبا الصلب بفتح الصاد واللام ٥ انه اي ان الله جل ثناؤه على رجعه اي رد الما في

الاحليل لقادر كذا قال الضحاك ومجاهد وعنهما ايضا ان المعنى على رد الما في الصلب وقاله

عكرمه وعن الضحاك ايضا ان المعنى انه على رد الانسان من الكبر الي الشباب ومن

الشاب الي الكبر كذى في المهدوي وفي الماوردي والثعلبي الي الصبا ومن الصبا الي النطفه

وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الما حتى لا يخرج لقادر وقال ابن عباس وقتاده والحسن

وعكرمه ايضا انه على رد الانسان بعد الموت لقادر وهو اختيار الطبري قال الثعلبي وهو

الاقوى لقوله تعالى يوم تبلى السرائر الماوردي ويحتمل انه على ان يعيده الي الدنيا بعد

بعثه الي الاخره لان الكفار سالوا الله تعالى فيها الرجعه **قوله تعالى** يوم تبلى السرائر فيه مسالتان

الاولى قوله تعالى يوم العامل في يوم في قول من جعل المعنى انه على بعث الانسان قوله

لقادر ولا يعمل فيه رجعه لما فيه من التفرقه بين الصله والموصول بخبر ان وعلى الاقوال الاخر التي في انه

على رجعه لقادر يكون العامل في يوم فعل مضمر ولا يعمل فيه لقادر لان المراد في الدنيا وتبلى

اي تمتحن وتختبر قال ابو الغول الطهوي

ولا تبلى بسالتهم وان هم صلوا بالحرب حينا بعد حين

ويروي تبلى بسالتهم فمن رواه تبلى بضم التا جعله من الاختبار وتكون البساله على هذه

الروايه الكراهه كانه قال لا يعرف لهم فيها كراهه وتبلى تعرف قال الراجز

قد كنت قبل اليوم تزدريني واليوم ابلوك وتبتليني

اي اعرفك وتعرفني ومن رواه تبلى بفتح التا فالمعنى انهم لا يضعفون عن الحرب وان تكررت

عليهم زمانا بعد زمان وذلك ان الامور الشداد اذا تكررت على الانسان هدته واضعفته

وقيل تبلى السرائر اي تخرج مخباتها وتظهر وهو كل ما استسر الانسان من خير او شر

واضمره من ايمان او كفر كما قال الاحوص

سيبقى لكم من مضمر السر والحشا سريره ود يوم تبلى السرائر

الثانيه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايتمن الله تعالى

خلقه على اربع الصلوه والزكاه والصيام والغسل وهن السرائر التي يختبرها الله عز وجل

يوم القيمه ذكره المهدوي وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من

حافظ عليهن فهو ولي الله حقا ومن اختانهن فهو عدو لله حقا الصلاه والصوم والغسل

من الجنابه ذكره الثعلبي وذكره الماوردي عن زيد بن اسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

للأمانة ثلاث الصلوة والصوم والجنابة استأمن الله عز وجل ابن آدم على الصلوة فان شاء
قال صليت ولم يصل استأمن الله عز وجل ابن آدم على الصوم فان شاء قال صمت ولم يصم استأمن
الله عز وجل ابن آدم على الجنابة فان شاء قال اغتسلت ولم يغتسل اقرأوا ان شئتم يوم تبلى
السرائر اما بلغك ان الوضوء من السرائر قال وقد بلغني ذلك فيما يقول الناس فاما حديث
احدث به فلا والصلاة من السرائر والصيام من السرائر ان شاء قال صليت ولم يصل ومن السرائر
ما في القلوب يجزي الله به العباد قال ابن العربي قال ابن مسعود يغفر للشهيد الا
الأمانة والوضوء من الأمانة والصلوة والزكاة من الأمانة والوديعة من الأمانة واشد ذلك
الوديعة تمثل له على هيئتها يوم اخذها فيرمى بها في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها
في عنقه فاذا رجا ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين وقال ابي بن كعب من
الأمانة ان ائتمنت المرأة على فرجها قال اشهب قال لي سفيان في الحيضة والحمل ان قالت لم احض
وانا حامل صدقت ما لم تأت بما يعرف فيه انها كاذبة وفي الحديث غسل الجنابة من الأمانة
وقال ابن عمر يبدي الله يوم القيامة كل سر خفي فيكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه والله
عالم بكل شيء ولكن يظهر علامات الملائكة والمؤمنين **قوله تعالى** فما له اي للانسان من قوة
اي منعة تمنعه ولا ناصر ينصره مما نزل به وعن عكرمة فما له من قوة ولا ناصر قال
هؤلاء الملوك ما لهم يوم القيامة من قوة ولا ناصر وقال سفيان القوة العشيرة والناصر
الحليف وقيل فما له من قوة في بدنه ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله وهو معنى قول قتادة
قوله تعالى والسماء ذات الرجع اي ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر كذا قال عامة
المفسرين وقال اهل اللغة الرجع المطر وانشدوا للمتنخل يصف سيفا شبهه بالماء
فقال:
ابيض كالرجع رسوب اذا ... ما ثاخ في محتفل يختلي
قال الخليل الرجع المطر نفسه والرجع ايضا نبات الربيع وقيل ذات الرجع اي ذات
النفع وقد يسمى المطر ايضا اوبا كما يسمى رجعا قال:
رباء شماء لا ياوي لقلتها ... الا السحاب والا الاوب والسبل
وقال عبد الرحمن بن زيد الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب

[Margin: قوله ... [illegible] ... قال الجوهري]

في اخرى وقيل ذات الملائكة لرجوعهم اليها باعمال العباد وهذا قسم والأرض ذات
الصدع قسم آخر اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والأنهار نظيره ثم شققنا الأرض
شقا الآية والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الأرض فتتصدع به وكأنه قال والأرض ذات النبات
لان النبات صادع للأرض وقال مجاهد والأرض ذات الطرق التي تصدعها المشاة
وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الأموات لانصداعها عنهم للنشور
انه لقول فصل على هذا وقع القسم اي ان القرآن يفصل بين الحق والباطل وقد تقدم في مقدمة
الكتاب ما رواه الحرث عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتاب الله
فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وقيل المراد بالقول الفصل ما تقدم من الوعيد
في هذه السورة من قوله تعالى انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر وما هو بالهزل اي ليس القرآن
بالباطل واللعب والهزل ضد الجد وقد هزل يهزل قال الكميت
تجد بنا في كل يوم وتهزل ... انهم اي ان اعداء الله يكيدون كيدا اي يمكرون
مكرا بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا واكيد كيدا اي اجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو
ما اوقع الله بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل كيد الله استدراجهم من حيث لا يعلمون
وقد مضى هذا المعنى في اول البقرة عند قوله تعالى الله يستهزئ بهم مستوفى فمهل
الكافرين اي اخرهم ولا تسأل الله تعجيل اهلاكهم وارض بما يدبره في امورهم ثم نسخت باية
السيف اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم امهلهم تأكيد مهل ومهل وامهل بمعنى مثل نزل
وانزل وامهله انظره ومهله تمهيلا اي والاسم المهلة والاستمهال والاستنظار وتمهل
في امره اي اتأد والتمهل الاعتدال والانتصاب والامتهال ايضا سكون وفتور
ويقال مهلا يا فلان اي رفقا وسكونا رويدا اي قريبا عن ابن عباس قتادة
قليلا والتقدير امهلهم امهالا قليلا والرويد في كلام العرب تصغير رود وكذا قال ابو عبيد
وانشد:
كأنها ثمل يمشي على رود ... اي على مهل وتصغيره رويد مهلا وتصغيره
رويدك امهل لان الكاف انما تدخله اذا كان بمعنى افعل دون غيره وانما حركت الدال

لالتقا الساكنين ونصب نصب المصادر وهو مصغر ما مورديه لانه تصغير الترخيم من ارود
وهو مصدر ارود يرود وله اربعة اوجه اسم للفعل وصفة وحال ومصدر فالاسم نحو قولك
رويد عمرا اي ارود عمرا يعني امهله والصفة نحو قولك ساروا سيرا رويدا والحال نحو قولك
سار القوم رويدا لما اتصل بالمعرفة صار حالا لها والمصدر نحو قولك رويد عمرو بالاضافة
كقوله تعالى فضرب الرقاب قال جميعه الجوهري والذي في الاية من هذه الوجوه ان يكون
نعتا للمصدر اي امهالا رويدا ونحوه ان يكون للحال اي امهلهم غير مستعجل

سورة الاعلى مكية في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى يستحب للقارى اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى ان يقول عقبه
سبحان ربي الاعلى قاله النبي صلى الله عليه وسلم وقاله جماعة من الصحابة والتابعين على ما يجي
وروي جعفر بن محمد عن ابيه عن جده رضي الله عنهم قال ان الله تعالى خلق ملكا يقال له حزقائيل
له ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل تقدر ان
تبصر العرش جميعه فزاده الله اجنحة مثلها فكان له ستة وثلثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح
مسيرة خمسمائة عام ثم اوحى الله تعالى ايها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ راس قائمة
من قوائم العرش ثم ضاعف الله له في الاجنحة والقوة وامره ان يطير فطار مقدار ثلثين الف سنة
اخرى فلم يصل ايضا فاوحى الله اليه ايها الملك لو طرت الى نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق
عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فانزل الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اجعلوها في سجودكم ذكره الثعلبي في كتاب العرايس له وقال ابن عباس والسدي معنى سبح اسم
ربك الاعلى اي عظم ربك الاعلى والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى كما قال لبيد
الى الحول ثم اسم السلام عليكما وقيل نزه ربك عن السوء وعما يقول فيه الملحدون وذكر
الطبري ان المعنى نزه اسم ربك عن ان يسمي به احد سواه وقيل نزه تسمية ربك وذكرك
اياه ان تذكره الا وانت خاشع معظم ولذكره محترم وجعلوا الاسم بمعنى التسمية والاولى
ان يكون الاسم هو المسمى روى نافع عن ابن عمر قال لا تقل على اسم الله فان اسم الله هو

قياما

الاعلى وروى ابو صالح عن ابن عباس صل بامر ربك الاعلى قال وهو ان يقول سبحان ربي
الاعلى وروي عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابي موسى وعبد الله
ابن مسعود رضي الله عنهم انهم كانوا اذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا سبحان ربي الاعلى
امتثالا لامره في ابتدائها فيختار الاقتداء بهم في قراءتهم لا ان سبحان ربي الاعلى من القران كما قال
بعض اهل الزيغ وقيل انها في قراءة ابي سبحان ربي الاعلى وكان ابن عمر يقرؤها كذلك وفي
الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا سبحان ربي الاعلى قال ابو بكر الانباري
حدثني محمد بن شهرياذ قال نا حسين بن الاسود قال نا عبد الرحمن بن ابي حماد قال نا عيسى
ابن عمر عن ابيه قال قرا علي بن ابي طالب عليه السلم في الصلوة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان
ربي الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل له يا امير المومنين اتزيد هذا في القران قال انما
هو قالوا سبحان ربي الاعلى قال انما امرنا بشي فقلته وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما
نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وهذا كله
يدل على ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربي وقيل ان اول من قال سبحان ربي الاعلى
ميكائيل عليه السلام وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل يا جبريل اخبرني بثواب من
قال سبحان ربي الاعلى في صلاته او في غير صلاته فقال يا محمد ما من مومن ولا مومنة يقولها
في سجوده او في غير سجوده الا كانت في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول
الله تعالى صدق عبدي انا فوق كل شي وليس فوقي شي اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت
له وادخلته الجنة فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فاوقفه
بين يدي الله تعالى فيقول يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فاذهب به الى الجنة
وقال الحسن سبح اسم ربك الاعلى اي صل لربك الاعلى وقيل اي صل باسماء الله لا كما يصلي المشركون
بالمكاء والتصدية وقيل ارفع صوتك بذكر ربك قال جرير

قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا تكبيرا

الذي خلق فسوى قد تقدم معنى التسوية في الانفطار وغيرها اي سوى
ما خلق فلم يكن في خلقه تثبيج وقال الزجاج اي عدل قامته وعن ابن عباس

حين خلق فسوى خلقه وقيل خلق في أصلاب الآباء وسوى في أرحام الأمهات وقيل خلق الأجساد فسوى الأفهام وقيل أي خلق الإنسان وهيأه للتكليف والذي قدر فهدى قرأ علي رضي الله عنه والسلمي والكسائي والذي قدر بتخفيف الدال وشددها الباقون وهما بمعنى واحد أي قدر ووفق لكل شكله فهدى أي أرشد قال مجاهد قدر الشقاوة والسعادة وهدى للرشد والضلالة وعنه أيضا قال هدى الإنسان للسعادة والشقوة وهدى الأنعام لمراعيها وقيل قدر أرزاقهم وأقواتهم وهداهم لمعاشهم إن كانوا أنسا ولمراعيهم إن كانوا وحشا وروي عن ابن عباس والسدي ومقاتل والكلبي في قوله فهدى قال عرف خلقه كيف يأتي الذكر والأنثى كما قال في طه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي الذكر والأنثى وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع في الأشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها وقيل قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى أن الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله تعالى وهداية الإنسان إلى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغذيته وأدويته وفي أبواب دنياه ودينه وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الأعلى وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم تسعة أشهر وأقل وأكثر ثم هداه للخروج من الرحم وقال الفراء أي قدر

مطلب نافع

فهدى وأضل فاكتفى بذكر أحدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ويحتمل أن يكون بمعنى دعا إلى الإيمان كقوله تعالى وإنك لتهدي أي لتدعو وقد دعا الكل إلى الإيمان وقيل فهدى أي دلهم بأفعاله على توحيده وكونه عالما قادرا والاختلاف في أن من شدد الدال من قدر أنه من التقدير كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا ومن خفف فيحتمل أن يكون من التقدير فيكونان بمعنى ويحتمل أن يكون من القدرة والملك أي ملك الأشياء وهدى من يشاء قلت وسمعت بعض أشياخي يقول الذي خلق فسوى وقدر فهدى هو تفسير العلو الذي يليق بجلال الله سبحانه على جميع مخلوقاته

والذي أخرج المرعى أي النبات والكلأ الأخضر قال الشاعر

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فجعله غثاء أحوى الغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش وكذلك الغثاء بالتشديد والجمع الأغثاء قتادة الغثاء الشيء اليابس ويقال للبقل والحشيش إذا تحطم ويبس غثاء وهشيم وكذلك الذي يكون حول الماء من القماش غثاء كما قال

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة ... من السيل والأغثاء فلكة مغزل

وحكى أهل اللغة غثا الوادي وجفا وكذلك الماء إذا علاه من الزبد والقماش ما لا ينتفع به والأحوى الأسود أي أن النبات يضرب إلى الحوة من شدة الخضرة كالأسود والحوة السواد قال الأعشى

لمياء في شفتيها حوة لعس ... وفي اللثات وفي أنيابها شنب

وفي الصحاح والحوة سمرة الشفة يقال رجل أحوى وامرأة حواء وقد حويت وبعير أحوى إذا خالط خضرته سواد وصفرة وتصغير أحوى أحيو في لغة من قال أسود ثم قيل يحتمل أن يكون أحوى حالا من المرعى ويكون المعنى كأنه من خضرته يضرب إلى السواد

الماش

والغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش والمعنى اخرج المرعى احوى فجعله غثاء يقال قد حوى النبت حكاه الكسائي وقال
وغيث من الوسمي حو تلاعه تبطنته بشيظم صلتان
ويجوز ان يكون احوى صفة لغثاء والمعنى انه صار كذلك بعد خضرته
قال ابو عبيدة فجعله اسود من احتراقه وقدمه والرطب اذا يبس اسود قال عبد الرحمن بن زيد
اخرج المرعى اخضر ثم لما يبس اسود ثم صار غثاء تذهب به الرياح والسيول وهو مثل ضربه
الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها **قوله تعالى** سنقرئك اي القرآن
يا محمد فنعلمك فلا تنسى اي فتحفظ رواه ابن وهب عن مالك وهذه بشرى من الله تعالى
بشره بان اعطاه اية بينة وهي ان يقرا عليه جبريل ما يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يكتب
ولا يقرا فيحفظه ولا ينساه وعن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال كان يتذكر مخافه
ان ينسى فقيل كفيتكه قال مجاهد والكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل
عليه السلام عليه بالوحي لم يفرغ جبريل من اخر الاية حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم باولها
مخافه ان ينساها فنزلت سنقرئك فلا تنسى بعد ذلك شيئا فقد كفيتكه ووجه
الاستثناء على هذا ما قاله الفراء الا ما شاء الله وهو لم يشا ان ينسى شيئا كقوله تعالى خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء الله ولا يشاء ويقال في الكلام لاعطينك كل ما سالت
الا ما شئت والا ان اشاء ان امنعك والنية على ان لا يمنعه شيئا فعلى هذا مجاري الايمان
يستثنى فيها ونية الحالف التمام وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس فلم ينس بعد
نزول هذه الاية حتى مات الا ما شاء الله وعن سعيد عن قتادة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئا الا ما شاء الله وعلى هذه الاقوال قيل الا ما شاء الله
ان ينسى ولكنه لم ينس شيئا منه بعد نزول هذه الاية وقيل الا ما شاء الله ان

ينسى ثم يتذكر بعد ذلك فاذا قد نسي ولكنه يتذكر ولا ينسى نسيانا كليا وقد روي
انه اسقط اية في قراته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها وقيل
هو من النسيان اي الا ما شاء الله ان ينسيكه ثم قيل هذا بمعنى النسخ اي الا ما شاء
الله ان ينسخه والاستثناء نوع من النسخ وقيل النسيان بمعنى الترك اي يعصمك من ان تترك
العمل به الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه اياه فهذا في نسخ العمل والاول في نسخ القراءة
قال الفرغاني كان يغشى مجلس الجنيد اهل النسط من العلوم وكان يغشاه ابن
كيسان النحوي وكان رجلا جليلا فقال يوما ما تقول يا ابا القاسم في قوله تعالى
سنقرئك فلا تنسى فاجابه مسرعا كانه تقدم له السؤال قبل ذلك بأوقات لا تنسى العمل به
فقال ابن كيسان لا يفضض الله فاك مثلك من يصدر عن رايه وقوله فلا تنسى لا للنفي
وقيل للنهي وانما اثبتت الياء لان رؤوس الاي على ذلك والمعنى لا تغفل عن قراءته وتكراره
فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار لان
الاستثناء من النهي لا يكاد يكون الا موقتا معلوما وايضا فان الياء مثبتة في جميع
المصاحف وعليها القراء وقيل معناه الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله وقيل المعنى
فجعله غثاء احوى الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله وقيل المعنى فجعله غثاء احوى الا ما شاء الله
الذي يناله بنو ادم والبهائم فانه لا يصير كذلك **قوله تعالى** انه يعلم
الجهر اي الاعلان من القول والعمل وما يخفى من السر وعن ابن عباس ما في قلبك
ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاءها وقيل الجهر ما حفظته من
القرآن في صدرك وما يخفى هو ما نسخ من صدرك ونيسرك معطوف على سنقرئك
وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعنى لليسرى اي للطريقة اليسرى
وهي عمل الخير قال ابن عباس نيسرك لان تعمل خيرا ابن مسعود لليسرى اي
للجنة وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة قال معناه الضحاك
وقيل اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به **قوله تعالى** فذكر اي

فعظ قومك يا محمد بالقرآن إن نفعت الذكرى أي الموعظة وروى يونس عن الحسن قال تذكره
للمؤمن وحجة على الكافر وكان ابن عباس يقول تنفع أوليائي ولا تنفع أعدائي وقال الجرجاني
التذكير واجب وإن لم ينفع قال والمعنى فذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع فحذف كما قال
سرابيل تقيكم الحر وقيل إنه مخصوص في قوم بأعيانهم وقيل إن إن بمعنى ما لا بمعنى الشرط
لأن الذكرى نافعة بكل حال قاله ابن شجرة وذكر بعض أهل العربية أن إن بمعنى إذ أي إذ
نفعت الذكرى كقوله تعالى وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أي إذ كنتم فلم يخبر
بعلوهم إلا بعد إيمانهم وقيل بمعنى قد قوله تعالى سيذكر من يخشى أي من يتقي الله
ويخافه فروى أبو صالح عن ابن عباس قال نزلت في ابن أم مكتوم الماوردي وقد يتذكر
من يرجوه إلا أن تذكرة الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخشية دون الرجا
وإن تعلقت بالخشية والرجا وقيل أي عمم أنت التذكير والوعظ وإن كان الوعظ
إنما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء حكاه القشيري قوله تعالى
ويتجنبها أي ويتجنب الذكرى ويبعد عنها الأشقى أي الشقي في علم الله وقيل نزلت في
الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى أي العظمى وهي السفلى من أطباق
النار قاله الفراء وعن الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقاله يحيى بن سلام
لا يموت فيها ولا يحيى أي لا يموت فيستريح من العذاب ولا يحيى حياة لها طعم وقد مضى في
سورة النساء وعن حديث أبي سعيد الخدري أن المذنبين إذا دخلوا جهنم وهي النار
الصغرى على قول الفراء أخذ فوائدها وماتوا إلى أن يشفع فيهم خرجه مسلم وقيل أهل الشقا
متفاوتون في شقائهم وهذا الوعيد للأشقى وإن كان ثم شقي لا يبلغ هذه المرتبة
قوله تعالى قد أفلح من تزكى فيه ثلاث مسائل الأولى قوله تعالى قد أفلح
أي صادف البقاء في الجنة أي من تطهر من الشرك بالإيمان قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة وقال الحسن

والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وقال معمر عن قتادة من تزكى قال بعمل صالح وعنه
وعن عطاء وأبي العالية نزلت في صدقة الفطر وعن ابن سيرين قد أفلح من تزكى وذكر
اسم ربه فصلى قال أخرج فصلى بعدما أدى وقال عكرمة كان الرجل يقول أقدم زكاتي
بين يدي صلاتي فقال سفيان قال الله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى
وروي عن أبي سعيد الخدري وابن عمر أن ذلك في صدقة الفطر وصلاة العيد وكذلك قال أبو
العالية وقال إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء وروى كثير بن عبد الله عن
أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قد أفلح من تزكى قال أخرج زكاة
الفطر وذكر اسم ربه فصلى صلاة العيد وقال ابن عباس والضحاك وذكر
اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد وقيل المراد بالآية زكاة الأموال كلها قاله
أبو الأحوص وعطا وروى ابن جريج قلت لعطا قد أفلح من تزكى للفطر قال هي للصدقات
كلها وقيل هو زكاة الأعمال لا زكاة الأموال أي تطهر في أعماله من الريا والتقصير لأن
الأكثر أن يقال في المال زكى لا تزكى وروى جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم قد أفلح من تزكى ~~وروى جابر بن عبد الله~~ أي من شهد أن لا إله إلا الله
وخلع الأنداد والأضداد وشهد أني رسول الله وعن ابن عباس تزكى قال لا إله إلا الله
وروى عنه عطاء قال نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان بالمدينة منافق
له نخلة بالمدينة مائلة في دار رجل من الأنصار إذا هبت الرياح أسقطت البسر
والرطب إلى دار الأنصاري فيأكل هو وعياله فخاصمه المنافق فشكى ذلك إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه فقال إن أخاك الأنصاري
ذكر أن بسرك ورطبك يقع إلى منزله فيأكل هو وعياله فهل لك أن أعطيك نخلة

في الجنة بدلها قال ابيع عاجلا باجل لا افعل وذكروا ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اعطاه
حائطا من نخل بدل نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكي ونزلت في المنافق ويتجنبها الاشقى
وذكر الضحاك انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه الثانية قد ذكرنا القول في
زكوة الفطر في سورة البقرة مستوفي وقد تقدم ان هذه السورة مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة
عيد ولا زكوة فطر القشيري ولا يبعد ان يكون اثنى على من يمتثل امره في صدقة الفطر وصلاة العيد
فيما امر به في المستقبل الثالثة قوله تعالي وذكر اسم ربه فصلى اي ذكر ربه وروي
عطا عن ابن عباس قال يريد ذكر معاده وموقفه بين يدي الله جل ثناوه فعبده وصلى له وقيل
ذكر اسم ربه بالتكبير في اول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبه يحتج على
وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وفيه حجة
لمن قال ان الافتتاح جايز بكل اسم من اسماء الله عز وجل وهذه مسالة خلاف بين الفقها
وقد مضى القول في هذا في اول البقرة وقيل هي تكبيرات العيد قال الضحاك وذكر اسم ربه في طريق
المصلى فصلى اي صلاة العيد وقيل وذكر اسم ربه هو ان يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف
عقابه ويرجو ثوابه ليكون استيفاوه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه وقيل هو ان
يفتتح اول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم فصلى اي وصلى فذكر ولا فرق بين ان يقول اكرمتني فزرتني
وبين ان يقول زرتني فاكرمتني قال ابن عباس هذا في الصلوة المفروضة وهي الصلوات الخمس وقيل
الدعا اي دعا الله بحوايج الدنيا والاخرة وقيل صلاة العيد قاله ابو سعيد الخدري وابن عمر وغيرهم
وقد تقدم وقيل هو ان يتطوع بصلاة بعد زكاته قاله ابو الاحوص وهو مقتضى قول عطا
وروي عن عبد الله قال من اقام الصلوة ولم يوت الزكاة فلا صلاة له قوله تعالى
بل يؤثرون الحياة الدنيا قراه العامة بل تؤثرون بالتاء تصديقه قراءة ابي بل انتم تؤثرون

قلت وقد ذكر المصنف ... ان هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وقد قال الامام الهمام ابو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني في لبابه سورة الاعلى مكية وقيل مدنية لمن قال في قوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى اخرج زكوة الفطر وصلى صلوة العيد لما ورد الحديث النبوي ... ان السورة ... مدنية ... بقول ابن عباس والضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد والله تعالى اعلم ... منه

وقرا ابو عمرو ونصر بن عاصم بل يؤثرون بالياء على الغيبة تقديره بل يؤثرون الاشقون
الحياة الدنيا وعلى الاول فيكون تاويلها بل تؤثرون ايها المسلمون الاستكثار
من الدنيا للاستكثار من الثواب وعن ابن مسعود انه قرا هذه الاية فقال اتدرون لم
اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة لان الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها
ولذاتها وبهجتها والاخرة غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الاجل وروي ثابت
عن انس قال كنا مع ابي موسى في مسير والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا قال
ابو موسى يا انس ان هولا يكاد احدهم يفري الاديم بلسانه فتعال فلنذكر
ربنا ساعة ثم قال يا انس ما ثبر الناس ما بطا بهم قلت الدنيا والشيطان والشهوات
قال لا ولكن عجلت الدنيا وغيبت الاخرة اما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا ميلوا

قوله تعالى والاخرة خير وابقى اي والدار الاخرة اي الجنة خير اي افضل وابقى اي ادوم من الدنيا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يضع احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع
صحيح وقد تقدم وقال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف
يبقى لكان الواجب ان يؤثر خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف والاخرة من ذهب يبقى والدنيا
من خزف يفنى قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى قال قتادة وابن زيد يريد
قوله والاخرة خير وابقى وقال تتابعت كتب الله جل ثناؤه كما تسمعون ان الاخرة
خير وابقى من الدنيا وقال الحسن ان هذا لفي الصحف الاولى اي في كتب الله جل
ثناؤه كلها ان هذا لفي الصحف الاولى من قوله قد افلح الى اخر السورة لحديث ابي ذر
على ما ياتي وروى عكرمة عن ابن عباس ان هذا لفي الصحف الاولى قال هذه
السورة وقال الضحاك ان هذا القران لفي الصحف الاولى اي الكتب الاولى صحف
ابراهيم وموسى يعني الكتب المنزلة عليهما ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك
الصحف وانما هو على المعنى اي ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وروى
الاجري من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت

اما لا كله ايها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني
بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من فم كافر وكان فيها امثال
وعلى العاقل ان تكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه
وساعة يتفكر في صنع الله عز وجل اليه وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب
وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير
محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن عد كلامه
من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها
عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبت لمن
راى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمان اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لا يعمل قال
قلت يا رسول الله فهل في ايدينا شي مما كان في ايدي ابرهيم وموسى مما انزل الله عليك قال نعم
اقرا يا اباذر قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل يوثرون الحيوة الدنيا
والاخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى وذكر الحديث

تفسير سورة الغاشية مكية

في قول الجميع وهي ست وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
هل اتاك حديث الغاشية هل بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان قال قطرب اي قد جاك
يا محمد حديث الغاشية اي القيمة التي تغشى الخلايق باهوالها وافزاعها قاله اكثر المفسرين
وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار ورواه ابو
صالح عن ابن عباس دليله قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقيل تغشى الخلق
وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق وقيل الغاشية اهل النار يغشونها
ويقتحمون فيها وقيل معنى هل اتاك اي هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك قال ابن
عباس لم يكن اتاه قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور وقيل انها خرجت مخرج الاستفهام
لرسوله ومعناه ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبي

قوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة قال ابن عباس لم يكن
اتاه حديثهم فاخبره عنهم فقال وجوه يومئذ اي يوم القيمة خاشعة قال سفيان اي
ذليلة بالعذاب وكل متضايل ساكن خاشع يقال خشع في صلاته اذا تذلل ونكس
راسه وخشع الصوت خفي قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن والمراد بالوجوه اصحاب
الوجوه وقال قتادة وابن زيد خاشعة اي في النار والمراد وجوه الكفار كلهم قال يحيى
ابن سلام وقيل اراد وجوه اليهود والنصارى قاله ابن عباس ثم قال عاملة ناصبة فهذا
في الدنيا لان الاخرة ليست دار عمل فالمعنى وجوه عاملة ناصبة في الدنيا خاشعة في الاخرة
قال اهل اللغة يقال للرجل اذا داب في سيره قد عمل يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه
قد عمل يعمل عملا وذا سحاب عمل قال الهذلي
حتى شاها كليل موهنا عمل باتت ضرابا وبات الليل لم ينم
ناصبة اي تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا تعب ونصبا ايضا وانصبه غيره
فروى الضحاك عن ابن عباس قال هم الذين انصبوا انفسهم في الدنيا على معصية الله جل وعز وعلى
الكفر مثل عبدة الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله جل ثناوه منهم الا
ما كان خالصا له وقال سعيد عن قتادة عاملة ناصبة قال تكبرت في الدنيا عن طاعة الله عز وجل
فاعملها الله وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف عراة حفاة
في العرصات في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله
في الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها في جهنم وقال الكلبي يجرون على وجوههم في النار
وعنه وعن غيره يكلفون ارتقا جبل من حديد في جهنم فينصبون فيها اشد ما يكون
من النصب بمعالجة السلاسل والاغلال والخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل
وارتقاها في صعود من نار وهبوطها في حدور منها الى غير ذلك من عذابها وقاله
ابن عباس وقرا ابن محيصن وعيسى وحميد ورواها عبيد عن شبل عن ابن كثير
ناصبة بالنصب على الحال وقيل على الذم الباقون بالرفع على الصفة او على اضمار

متنا فيه قف علي خاشعه ومن حمل المعنى في الاخره جاز ان يكون خبرا بعد خبر عن وجوه
فلا يوقف علي خاشعه وقيل عامله ناصبه اي عامله في الدنيا ناصبه في الاخره وعلى هذا الاحتمال
وجوه يومئذ عامله في الدنيا ناصبه في الاخره خاشعه قال عكرمه والسدي عملت في الدنيا
بالمعاصي وقال سعيد بن اسلم هم الرهبان اصحاب الصوامع وقاله ابن عباس وقد تقدم
في روايه الضحاك عنه وروي عن الحسن قال لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام
اتاه راهب شيخ كبير متقهل عليه سواد فلما راه عمر بكى فقيل له يا امير المومنين ما يبكيك
فقال هذا المسكين طلب امرا فلم يصبه ورجا رجا فاخطاه وقرا قول الله عز وجل
وجوه يومئذ عامله ناصبه وعن علي رضي الله عنه انهم اهل حرورا يعني الخوارج
الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع
صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه الحديث
قوله تعالى تصلى نارا حاميه اي يصيبها صلاها وهو هنا حاميه شديده الحر
اي قد اوقدت واحميت المده الطويله ومنه حمي النهار بالكسر وحمي التنور حميا فيهما اي
اشتد حره وحكى الكسائي اشتد حمي الشمس وحموها بمعنى وقرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب
تصلى بضم التا الباقون بفتحها وقرئ تصلى بالتشديد وقد تقدم القول فيها في اذا
السما انشقت الماوردي فان قيل فما معنى صفتها بالحمي وهي لا تكون الا حاميه
وهو اقل احوالها فما وجه المبالغه بهذه الصفه الناقصه قيل قد اختلف في المراد
بالحاميه هنا على اربعه اوجه احدها ان المراد بذلك انها دايمة الحمي وليست كنار الدنيا
التي ينقطع حميها بانطفايها الثاني ان المراد بالحاميه انها حمى من ارتكاب
المحظورات وانتهاك المحارم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله
محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه الثالث انها تحمي نفسها عن

ان تطاق ملامستها او ترام مماستها كما يحمي الاسد عرينه ومثله قول النابغه

تعدو الذياب على من لا كلاب له ... وتتقي صوله المستاسد الحامي

الرابع انها حاميه حمي غيظ وغضب مبالغه في شده الانتقام ولم يرد حمي جرم
وذات كما يقال قد حمي فلان اذا اغتاظ وغضب عند اراده الانتقام وقد بين الله تعالى
بقوله هذا المعنى فقال تكاد تميز من الغيظ **قوله تعالى** تسقى من عين
آنيه الآني الذي قد انتهى حره من الايناء بمعنى التاخير ومنه آنيت وانيت وتانى
بوثبه انا اي اخره وحبسه وابطاه ومنه يطوفون بينها وبين حميم ان وفي التفاسير
من عين آنيه اي تناهى حرها فلو وقعت نقطه منها على جبال الدنيا لذابت وقال
الحسن آنيه اي حرها ادرك اوقدت عليها جهنم مذ خلقت فدفعوا اليها وردا
عطاشا وعن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال بلغت اناها وحان شربها **قوله تعالى**
ليس لهم طعام الا من ضريع لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم قال عكرمه
ومجاهد الضريع نبت ذو شوك لاصق بالارض تسميه قريش الشبرق اذا كان رطبا
فاذا يبس فهو الضريع لا تقربه دابه ولا بهيمه ولا ترعاه وهو سم قاتل وهو اخبث
الطعام واشنعه على هذا عامه المفسرين الا ان الضحاك روى عن ابن عباس قال شي
يرمي به البحر يسمى الضريع من اقوات الانعام لا الناس فاذا وقعت فيه الابل لم تشبع
وهلكت هزلا والصحيح ما قاله الجمهور انه نبت قال ابو ذويب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ... وعاد ضريعا بان عنه النحايص

وقال الهذلي وذكر ابلا وسو مرعاها ٥

وحبسن في هزم الضريع فكلها ... حدبا دامية اليدين حرود

وقال الخليل الضريع نبات اخضر منتن الريح يرمي به البحر وقال الوالبي عن ابن عباس

هو شجر من نار ولو كانت في الدنيا لاحرقت الارض وما عليها وقال سعيد بن جبير
هو الحجارة وقال عكرمة والاظهر انه شجر ذو شوك حسب ما هو في الدنيا وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريع شي يكون في النار يشبه الشوك اشد مرارة
من الصبر وانتن من الجيفة واحر من النار سماه الله ضريعا وقال خالد بن زياد
سمعت المتوكل بن حمدان يسال عن هذه الاية ليس لهم طعام الا من ضريع قال بلغني ان
الضريع شجرة من نار جهنم حملها القيح والدم اشد مرارة من الصبر فذلك طعامهم وقال
الحسن هو بعض ما اخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون
عنه ويذلون ويتضرعون منه الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك لان اكله
يضرع في ان يعفا عنه لكراهته وخشونته قال ابو جعفر النحاس قد يكون مشتقا
من الضارع وهو الذليل ذو ضراعة اي من شربه ذليل تلحقه ضراعة وعن الحسن
ايضا هو الزقوم وقيل هو واد في جهنم والله اعلم وقد قال الله تعالى في موضع اخر فليس له
اليوم هاهنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال هنا الا من ضريع وهو غير الغسلين ووجه
الجمع ان النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من
طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قال الكلبي الضريع
في درجة ليس فيها غيره والزقوم في درجة اخرى ويجوز ان تحمل الايتان على حالتين
كما قال يطوفون بينها وبين حميم ان قال العتبي ويجوز ان يكون الضريع وشجرة الزقوم
نبتين من النار او من جوهر لا تاكله النار وكذلك سلاسل النار واغلالها وعقاربها
وحياتها ولو كانت على ما نعلم ما بقيت على النار قال وانما دلنا الله على الغائب
عنه بالحاضر عندنا فالاسما متفقة الدلالة والمعاني مختلفة وكذلك ما في الجنة من
شجرها وفرشها القشيري واشار من قول العتبي ان يقول ان الذي يبقى

الكافرين في النار ليدوم عليهم العذاب ببقي النبات وشجرة الزقوم في النار ليعذب
بها الكفار وزعم بعضهم ان الضريع بعينه لا ينبت في النار ولا انهم ياكلونه فالضريع
من اقوات الانعام لا من اقوات الناس واذا وقعت الابل فيه لم تشبع وهلكوا هزلا
فاراد ان هولا يقتاتون بما لا يشبعهم وضرب الضريع له مثلا انهم يعذبون بالجوع
كما يعذب من قوته الضريع قال الترمذي الحكيم وهذا نظر سقيم من اهله
وتاويل دني كانه يدل انهم تحيروا في قدرة الله وان الذي انبت في هذا التراب
هذا الضريع قادر ان ينبته في حريق النار كما جعل لنا في الدنيا من الشجر الاخضر
نارا فلا النار تحرق الشجر ولا رطوبة الما في الشجر يطفي النار فقال الذي جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون وكما قال حين نزلت ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم فقالوا الذي امشاهم على ارجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم فلا يتحير
في مثل هذا الا ضعيف القلب اوليس قد اخبرنا انه كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها وقال سرابيلهم من قطران وقال ان لدينا انكالا اي قيودا وطعاما
ذا غصة قيل ذا شوك فانما يتلون عليهم العذاب بهذه الاشيا **قوله تعالى**
لا يسمن ولا يغني من جوع يعني الضريع لا يسمن اكله وكيف يسمن من ياكل الشوك قال
المفسرون لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن
ولا يغني من جوع وكذبوا فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لم تاكله وقيل
اشتبه عليهم امره فظنوه كغيره من النبت النافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه
لا يشبع ولا يغني من جوع **قوله تعالى** وجوه يومئذ ناعمة اي ذات نعمة
وهي وجوه المؤمنين نعمت بما عاينت من عاقبة امرها وعملها الصالح لسعيها اي لعملها
التي عملته في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها ومجازه لثواب
سعيها راضية وفيها واو مضمر المعنى ووجوه يومئذ ليفصل بينها وبين

بينها وبين الوجوه المتقدمة والوجوه عبارة عن الأنفس في جنة عالية أي مرتفعة لأنها فوق السموات
حسب ما تقدم وقيل عالية القدر لأن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها
خالدون قوله تعالى لا تسمع فيها لاغية أي كلاماً ساقطاً غير مرضي وقال لاغية
واللغو واللغا واللاغية بمعنى واحد قال عن اللغا ورفث التكلم قال الفرا
والأخفش أي لا تسمع فيها كلمة لغو وفي المراد بها ستة أوجه أحدها يعني كذباً وبهتاناً
وكفراً بالله تعالى قاله ابن عباس الثاني أي لا باطل ولا إثم قاله قتادة الثالث
أنه الشتم قاله مجاهد الرابع المعصية قاله الحسن الخامس لا تسمع فيها حالف
يحلف بكذب قاله الفرا وقال الكلبي لا تسمع في الجنة حالف بيمين برة ولا فاجرة
السادس لا تسمع في كلامهم كلمة تلغى لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله تعالى
على ما رزقهم من النعيم الدائم قاله الفرا أيضاً وهو أحسنها لأنه يعم ما ذكر وقرأ أبو عمرو
وابن كثير لا يسمع بالياء غير مسمى الفاعل وكذلك نافع إلا أنه بالتاء المضمومة لأن
اللاغية اسم مؤنث فأنث الفعل لتأنيثه ومن قرأ بالياء فلأنه حال بين الاسم
والفعل الجار والمجرور وقرأ الباقون بالتاء مفتوحة لاغية نصباً على إسناد ذلك
للوجوه أي لا تسمع الوجوه فيها لاغية قوله تعالى فيها عين جارية أي بماء مندفق
وأنواع الأشربة اللذيذة على وجه الأرض من غير أخدود وقد تقدم في سورة الإنسان
أن فيها عيوناً فعين بمعنى عيون والله أعلم فيها سرر مرفوعة أي عالية وروي
أنه كان ارتفاعها قدر ما بين السماء والأرض ليرى ولي الله ملكه حوله
٥ وأكواب موضوعة أي أباريق وأواني والإبريق هو ما له عروة وخرطوم
والكوب إناء ليس له عروة ولا خرطوم وقد تقدم هذا في سورة الزخرف
وغيرها ونمارق أي وسائد الواحدة نمرقة مصفوفة أي واحدة إلى جنب الأخرى
قال الشاعر

وإنا لنجري بالكأس بين شروبنا وبين أبي قابوس فوق النمارق

وقال آخر كهول وشبان حسان وجوههم

على سرر مصفوفة ونمارق وفي الصحاح النمرق النمرقة وسادة صغيرة وكذلك
النمرقة بالكسر لغة حكاها يعقوب وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل
نمرقة عن أبي عبيد ٥ وزرابي مبثوثة قال أبو عبيد الزرابي الطنافس التي لها خمل
رقيق واحدتها زربية وقاله الكلبي والفرا والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقيل بعضها
فوق بعض قاله عكرمة وقيل كثيرة قاله الفرا وقيل متفرقة في المجالس قاله
القتبي قلت هذا أصوب وهي كثيرة متفرقة ومنه وبث فيها من كل دابة وقال
أبو بكر الأنباري وحدثنا أحمد بن الحسين قال حدثنا حسين بن عرفة قال حدثنا
عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرأ هل أتاك حديث الغاشية وقرأ
فيها وزرابي مبثوثة متكئين فيها ناعمين قوله تعالى أفلا ينظرون إلى الإبل كيف
خلقت قال المفسرون لما ذكر الله عز وجل أمر أهل الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوا وأنكروا
فذكرهم الله عز وجل صنعته وقدرته وأنه قادر على كل شيء كما خلق الحيوانات والسماء
والأرض ثم ذكر الإبل أولاً لأنها كثيرة في العرب ولم يروا الفيلة فنبههم الله جل ثناؤه على
عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل
وهو بارك فينهض بثقل حمله وليس ذلك في شيء من الحيوان غيره فأراهم عظيماً من خلقه
يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته ● وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير
وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا إبل فيها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الأعناق
وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى إن إظماءها لترتفع
إلى العشر فصاعداً وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا ترعاه سائر
البهائم وقيل لما ذكر السرر المرفوعة قالوا كيف نصعدها فأنزل الله هذه الآية وبين
أن الإبل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذلك تلك السرر تتطامن ثم ترتفع
قال معناه قتادة ومقاتل وغيرهما وقال الإبل هنا القطع العظيمة من السحاب

قاله المبرد وقال الثعلبي وقيل في الابل ها السحاب ولم اجد لذلك اصلا في كتب
الايمه قلت قد ذكر الاصمعي ابو سعيد عبد الملك بن قريب قال ابو عمرو
من قراها افلا ينظرون الي الابل كيف خلقت بالتخفيف عني به البعير لانه من ذوات
الاربع يبرك فتحمل عليه الحموله وغيره من ذوات الاربع لا تحمل عليه الا وهو قايم ومن قراها
بالتثقيل فقال الابل عني بها السحاب التي تحمل الما للمطر وقال الماوردي وفي
الابل وجهان احدهما وهو اظهرهما واشهرهما انها الابل من النعم الثاني انها السحاب
فان كان المراد بها السحاب فلما فيها من الايات الداله علي قدرته والمنافع العامه
بجميع خلقه وان كان المراد بها الابل من النعم فلان الابل اجمع للمنافع من ساير
الحيوان لان ضروبه اربعه حلوبه وركوبه واكوله وحموله والابل تجمع هذه
الخلال الاربع فكانت النعمه بها اعم وظهور القدره فيها اتم وقال الحسن انما
خصها بالذكر لانها تاكل النوي والقت وتخرج اللبن وسيل الحسن ايضا عنها وقالوا الفيل
اعظم في الاعجوبه فقال العرب بعيده العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يوكل
لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره وكان شريح يقول اخرجوا بنا الي الكناسه
حتي ننظر الي الابل كيف خلقت والابل لا واحد لها من لفظها وهي مونثه لان اسما
الجموع التي لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الادميين فالتانيث لها لازم واذا
صغرتها دخلتها الها فقلت ابيله وغنيمه ونحو ذلك وربما قالوا للابل ابل
بسكون البا للتخفيف والجمع اابال **قوله تعالي** والي السما كيف رفعت اي
رفعت من الارض بلا عمد وقيل رفعت فلا ينالها شي والي الجبال كيف نصبت اي
نصبت علي الارض بحيث لا تزول وذلك ان الارض لما دحيت مادت فارساها
بالجبال كما قال وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم والي الارض كيف سطحت
اي بسطت ومدت وقال انس صليت خلف علي رضي الله عنه فقال كيف خلقت
ورفعت ونصبت وسطحت بضم التا اضاف الضمير الي الله وبه كان يقرا محمد
ابن السميفع وابو العاليه والمفعول محذوف والمعني خلقتها وكذلك سايرها

وقرا الحسن وابو حيوه وابو رجا سطحت بتشديد الطا واسكان التا وكذلك قرا
الجماعه الا انهم خففوا الطا وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيرها لجاز قال القشيري
وليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمه وقد قيل هو اقرب الي الناس في حق العرب لكثرتها
عندهم وهم من اعرف الناس بها وايضا مرافق الابل اكثر من مرافق الحيوانات الاخر وهي
ماكوله ولبنها مشروب وتصلح للحمل والركوب وقطع المسافات البعيده والصبر
علي العطش وقلة العلف وكثرة الحمل وهي معظم اموال العرب وكانوا يسيرون
علي الابل منفردين مستوحشين عن الناس ومن هذا حاله تفكر فيما يحضره فقد ينظر في
مركوبه ثم يمد نظره الي السما ثم الي الارض فامروا بالنظر في هذه الايات فانها ادل
دليل علي الصانع المختار القادر **قوله تعالي** فذكر اي فعظهم يا محمد انما انت مذكر
واعظ لست عليهم بمصيطر اي بمسلط فتقتلهم ثم نسختها ايه السيف وقرا هرون
الاعور بمسيطر بفتح الطا والمسيطرون وهي لغه تميم وفي الصحاح والمسيطر والمصيطر
المسلط علي الشي ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان معني السطر
لا يتجاوز فالكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت
علينا وقال تعالي لست عليهم بمسيطر وسطره اي صرعه الا من تولي وكفر استثنا
منقطع اي لكن من تولي عن الوعظ والتذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهي جهنم
الدايم عذابها وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والاسر والقتل
ودليل هذا التاويل قراه ابن مسعود الا من تولي وكفر فانه يعذبه الله وقيل هو
استثنا متصل والمعني لست بمسلط الا علي من تولي وكفر فانت مسلط عليه بالجهاد
والله يعذبه بعد ذلك العذاب الاكبر فلا نسخ في الايه علي هذا التقدير وروي ان
عليا اتي برجل ارتد فاستتابه ثلاثة ايام فلم يعاود الاسلام فضرب عنقه وقرا
الا من تولي وكفر وقرا ابن عباس وقتاده الا علي الاستفتاح والتنبيه كقول امري القيس
الا رب يوم صالح لك منهما ومن علي هذا للشرط والجواب فيعذبه الله والمبتدا

نعبد الكافرين والتقدير فهو يعذبه الله لانه لو ارتد الجواب فالفعل الذي بعد الكاف كان
الامر تغلب وكونه يعذبه الله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت يقال آب يؤوب
اي رجع قال عبيد وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب
وقرا ابو جعفر ايابهم بالتشديد قال ابو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز مثله في
الصيام والقيام وقيل هما لغتان بمعنى قال الزمخشري قال ابو جعفر
المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب وان
يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل ما فعل
باصل سيد

تفسير سورة الفجر مكية

وهي سبع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
والفجر اقسم بالفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر اقسام خمسة واختلف
في الفجر فقال الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله علي وابن الزبير وابن عباس
رضي الله عنهم وعن ابن عباس ايضا انه النهار كله وعبر عنه بالفجر لانه اوله وقال ابن
محيصن عن عطية عن ابن عباس يعني فجر المحرم ومثله قال قتادة قال هو فجر اول يوم
المحرم منه تنفجر السنة وعنه ايضا صلاة الصبح وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس
قال الفجر يريد صبيحة يوم النحر لان الله جل ثناؤه جعل لكل يوم ليلة قبله الا يوم
النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده لان يوم عرفة له ليلتان ليلة قبله وليلة بعده
فمن ادرك الموقف ليلة بعد عرفة فقد ادرك الحج الى طلوع الفجر فجر يوم النحر وهذا قول
مجاهد وقال عكرمة والفجر قال انشقاق الفجر من يوم جمع وعن محمد بن كعب القرظي والفجر
قال آخر ايام العشر اذا دفعت من جمع وقال الضحاك فجر ذي الحجة لان الله تعالى قرن الايام
به فقال وليال عشر اي ليال عشر من ذي الحجة وكذا قال مجاهد والسدي والكلبي في
قوله وليال عشر هو عشر ذي الحجة وقاله ابن عباس وقال مسروق هي العشر
التي ذكرها الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واتممناها بعشر وهي افضل ايام السنة

وروى ابو الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والفجر وليال عشر قال
عشر الاضحى فهي ليال العشر على هذا القول لان ليلة يوم النحر داخلة فيه اذ قد خصها الله
بان جعلها موقفا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على
غيرها فلو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير فنكرت من بين ما اقسم به للفضيلة
التي ليست لغيرها والله اعلم وعن ابن عباس ايضا هي العشر الاواخر من رمضان وقاله
الضحاك وقال ابن عباس ايضا والطبري هو العشر الاول من المحرم التي عاشرها يوم
عاشوراء وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليالي ايام عشر
قوله تعالى والشفع والوتر الشفع الاثنان والوتر الفرد واختلف في ذلك
فروي مرفوعا عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشفع والوتر
الصلاة منها شفع ومنها وتر وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم والفجر
وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وهو قول ابن
عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم عرفة وتر لانه تاسعها
ويوم النحر شفع لانه عاشرها وعن ابي ايوب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
والشفع والوتر قال الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد
وابن عباس ايضا الشفع خلقه قال الله تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله عز وجل
فقيل لمجاهد اترويه عن احد قال نعم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وابو صالح وقتادة قالوا الشفع الخلق قال الله
تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والايمان والشقاوة والسعادة والهدى
والضلال والنور والظلمة والليل والنهار والحر والبرد والشمس والقمر والصيف والشتاء
والسماء والارض والجن والانس والوتر هو الله عز وجل قال الله عز ثناؤه
قل هو الله احد الله الصمد وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين

اسما والله وتر يحب الوتر وعن ابن عباس ايضا الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب
وقال الربيع بن انس وابو العاليه هي صلاة المغرب الشفع فيها ركعتان والوتر الثالثه
وقال ابن الزبير الشفع يوما منى الحادي عشر والثاني عشر والثالث الوتر
قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وقال
الضحاك الشفع عشر ذي الحجه والوتر ايام منى الثلاثه وهو قول عطا وقيل ان
الشفع والوتر ادم وحوا لان ادم كان فردا فشفع بزوجه حوا فصار شفعا بعد
وتر رواه ابن ابي نجيح وحكاه القشيري عن ابن عباس وفي روايه الشفع ادم وحوا
والوتر هو الله تعالى وقيل الشفع والوتر الخلق لانهم شفع ووتر فكانه اقسم بالخلق وقد
يقسم الله تعالى باسمايه وصفاته لعلمه ويقسم بافعاله لقدرته كما قال وما خلق الذكر
والانثى ويقسم بمفعولاته لعجايب صنعته كما قال والشمس وضحاها والسما وما بناها
والسما والطارق وقيل الشفع درجات الجنه وهي ثمان والوتر دركات النار
لانها سبعه وهذا قول الحسين بن الفضل كانه اقسم بالجنه والنار وقيل الشفع الصفا
والمروه والوتر الكعبه وقال مقاتل ابن حيان الشفع الايام والليالي الوتر
والوتر اليوم الذي لا ليله بعده وهو يوم القيمه وقال سفين بن عيينه الوتر هو الله
وهو الشفع ايضا لقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثه الا هو رابعهم وقال ابو بكر الوراق الشفع
تضاد اوصاف المخلوقين العز والذل والقدره والعجز والقوه والضعف والعلم والجهل
والحياه والموت والبصر والعمى والسمع والصمم والكلام والخرس والوتر انفراد صفات الله
تعالى عز بلا ذل وقدره بلا عجز وقوه بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياه بلا موت
وبصر بلا عمى وكلام بلا خرس وسمع بلا صمم وما واراها وقال الحسن المراد بالشفع
والوتر العدد كله لا يخلو عنهما وهو اقسام بالحساب وقيل الشفع مسجد مكه والمدينه
وهما الحرمان والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع القران بين الحج والعمره
او التمتع بالعمره الى الحج والوتر الافراد فيه وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر

وانثى والوتر الجماد وقيل الشفع ما ينمي والوتر ما لا ينمي وقيل غير هذا وقرا
ابن مسعود واصحابه والكسايي وحمزه وخلف والوتر بكسر الواو والباقون بفتح الواو
وهما لغتان بمعنى واحد وفي الصحاح الوتر بالكسر الفرد والوتر بفتح الواو الذحل
هذه لغه اهل العاليه فاما لغه اهل الحجاز فبالضد منهم فاما تميم فبالكسر
فيهما قوله تعالى والليل اذا يسري وهذا قسم خامس بعدما اقسم بالليالي
العشر على الخصوص اقسم بالليل على العموم ومعنى يسري فيه كما يقال ليل نايم
ونهار صايم قال لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم
ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار هذا قول اكثر اهل المعاني وهو قول
القتيبي والاخفش وقال اكثر المفسرين معنى يسري سار فذهب وقال
قتاده وابو العاليه جا واقبل وروي عن ابراهيم والليل اذا يسري قال
اذا استوى وقال عكرمه والكلبي ومجاهد ومحمد بن كعب في قوله والليل هي ليله المزدلفه
خاصه لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعه الله وقيل ليله القدر لسرايه الرحمه فيها
واختصاصها بزيادة الثواب فيها وقيل انه اراد عموم الليل كله قلت وهو الاظهر كما
تقدم والله اعلم وقرا ابن كثير وابن محيصن ويعقوب يسري باثبات اليا في الحالين على
الاصل لانها ليست بمجزومه فثبتت فيها اليا وقرا نافع وابو عمرو باثباتها في الوصل
وحذفها في الوقف وروي عن الكسايي قال ابو عبيده كان الكسايي يقول مره باثبات
اليا في الوصل وبحذفها في الوقف اتباعا للمصحف ثم رجع الى حذف اليا في الحالين جميعا
لانه راس ايه وهي قراه اهل الشام والكوفه واختيار ابي عبيد اتباعا للخط لانها
وقعت في المصحف بغير يا وقال الخليل تسقط اليا منها اتفاقا لرووس الاي قال
الفرا قد تحذف العرب اليا وتكتفي بكسر ما قبلها وانشد بعضهم
كفاك كف ما يليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف الدما
يقال فلان ما يليق درهما من جوده اي ما يمسكه ولا يلصق به وقال المورج
سالت الاخفش عن العله في اسقاط اليا من يسر فقال لا اجيبك حتى تبيت

على باب داري سنة فبت على باب داره سنة فقال الليل لا تبرين والا تبري فيه فهو
مصروف وكلما صرفته عن جهته بخسته من اعرابه الا ترى الى قوله تعالى وما كانت امك
بغيا ولم يقل بغية لانها صرفها من باغية قال محتمل ويا يسر يحذف في الدرج
اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وهذه الاسماء كلها مجروره بالقسم
والجواب محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك الى قوله
تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب وقال ابن الانباري هو ان ربك لبالمرصاد
وقال مقاتل هل هنا في موضع ان تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع
جواب القسم وقيل هل على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير كقوله الم انعم
عليك اذا كنت تريد ان تنعت وقيل المراد بذلك التوكيد لما اقسم به واقسم عليه والمعنى
بل في ذلك مقنع لذي حجر والجواب على هذا ان ربك لبالمرصاد او مضمر محذوف
ومعنى لذي حجر اي لذي لب وعقل قال الشاعر

وكيف يرجى ان تتوب وانما يرجى من الفتيان من كان ذا حجر

كذا قاله عامة المفسرين الا ان ابا مالك قال لذي حجر لذي ستر من الناس وقال الحسن لذي
حلم قال الفراء الكل يرجع الى معنى واحد لذي حجر ولذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل
بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمي الحجر لامتناعه
لصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه ضبطه عن التصرف ولذلك سميت الحجرة
حجرة لامتناع ما فيها بها وقال الفراء العرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه
ضابطا لها كانه اخذ من حجرت على الرجل **قوله تعالى** الم تر كيف فعل ربك بعاد
ارم قراه العامة بعادٍ منونا وقرا الحسن وابو العالية بعادِ ارمَ مضافا فمن لم يضف
جعل ارم اسمه ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم وارم اسم القبيلة وجعله
بدلا منه او عطف بيان ومن قراه بالاضافة ولم يصرفه جعله اسم امهم او اسم بلدتهم
وتقديره بعادٍ اهل ارم كقوله واسال القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا
للتعريف والتانيث وقراءة العامة إرم بكسر الهمزة وعن الحسن ايضا بعاد ارم

مفتوحتين وقرئ بعادِ ارْمَ بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورْقكم وقرئ بعاد ارمَ ذاتَ
العماد بالاضافة اي ذات العماد وارم العلم اي بعاد اهل ذات العلم وقرئ بعاد ارمّ
ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما وقرا مجاهد والضحاك وقتادة ارم بفتح الهمزة
قال مجاهد من قرا بفتح الهمزة شبههم بالآرام التي هي الاعلام واحدها ارم وفي
الكلام تقديم وتاخير اي والفجر وكذا وكذا ان ربك لبالمرصاد الم تر اي الم ينته علمك
الى ما فعل ربك بعاد وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
عام وكان امر عاد وثمود عندهم مشهورا اذ كانوا في بلاد العرب وحجر ثمود موجود اليوم
وامر فرعون كان يسمعونه من جيرانهم من اهل الكتاب واستفاضت به الاخبار وبلاد
فرعون متصلة بارض العرب وقد تقدم هذا المعنى في سورة البروج وغيرها بعاد اي بقوم
هود وروى شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من
حجارة ولو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم يستطيعوا ان يقلّوه وان كان احدهم ليدخل
قدمه في الارض فتدخل فيها ارم قيل هو سام بن نوح قاله ابن اسحق وروى عطاء عن
ابن عباس وحكي عن ابن اسحق ايضا قال عاد بن ارم فارم على هذا ابو عاد وعاد بن ارم
ابن عوص بن سام بن نوح وعلى القول الاول اسم جد عاد قال ابن اسحق كان
سام بن نوح له اولاد منهم ارم بن سام وارفخشذ بن سام فمن ولد ارم بن سام
العمالقة والفراعنة والجبابرة والملوك الطغاة والعصاة وقال مجاهد ارم امة من الامم
وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة ورواه ابن ابي نجيح عن مجاهد ايضا ان معناها القوية
وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاولى هي ارم قال الله عز وجل وانه
اهلك عادا الاولى فقيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح كما يقال
لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن
بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اولهم ادرك عادا وقبله ارما
وقال معمر ارم اليه يجمع عاد وثمود وكان يقال عاد ارم وعاد ثمود وكانت
القبائل تنسب اليهم اي الى ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال

ابن عباس في رواية عطا كان الرجل منهم طوله خمسمايه ذراع والقصير منهم طوله ثلثمايه
ذراع بذراع نفسه وروي عن ابن عباس ايضا ان طول الرجل منهم كان سبعون ذراعا
قال ابن العربي وهو باطل لان في الصحيح ان الله خلق ادم طوله ستون ذراعا في
الهوي فلم تزل الخلق تنقص الي الان وزعم قتاده ان طول الرجل منهم اثنى عشر ذراعا قال
ابو عبيده ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ونحوه عن ابن عباس ومجاهد
وعن قتاده ايضا كانوا عمادا لقومهم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم وعنه
ايضا قيل لهم ذلك لانهم كانوا ينتقلون بابيانهم للانتجاع فكانوا اهل خيام واعمده ينتجعون
الغيوث ويطلبون الكلا ثم يرجعون الي منازلهم وقيل ذات العماد ذات الابنية المرفوعة
علي العمد وكانوا ينصبون الاعمده فيبنون عليها القصور قال ابن زيد ذات
العماد يعني احكام البنيان بالعمد وفي الصحاح والعماد الابنية الرفيعة تذكر وتونث
قال عمرو بن كلثوم ونحن اذا عماد الحي خرت علي الاحفاض نمنع من يلينا
والواحده عماده وفلان طويل العماد اذا كان منزله معلما لزايريه والاحفاض جمع حفض
بالتحريك وهو متاع البيت اذا هيي ليحمل اي خرت علي المتاع ويروي عن الاحفاض
اي خرت عن الابل التي تحمل خرثي البيت وقال الضحاك ذات العماد ذات القوه والشده
ماخوذه من قوه الاعمده دليله قوله تعالي وقالوا من اشد منا قوه وروي عوف عن خالد
الربعي ارم ذات العماد هي دمشق وهو قول عكرمه وسعيد المقبري ورواه ابن وهب واشهب
عن مالك وقال محمد بن كعب القرظي هي الاسكندريه **قوله تعالي**
التي لم يخلق مثلها في البلاد الضمير في مثلها يرجع الي القبيله اي لم يخلق مثل القبيله في البلاد
قوه وشده وعظم اجساد وطول قامه عن الحسن وغيره وفي حرف عبد الله التي لم يخلق
مثلهم في البلاد وقيل يرجع للمدينه والاول اظهر وعليه الاكثر حسب ما ذكرناه ومن
جعل ارم مدينه قدر حذفا المعني كيف فعل ربك بمدينه عاد ارم او بعاد صاحبه
ارم وارم علي هذا موننه معرفه واختار ابن العربي انها دمشق لانه ليس في البلاد
مثلها ثم ذكر مياهها وخيراتها ثم قال وان في الاسكندريه لعجايبا لو

لم يكن الا المنار فانها مبنيه الباطن والظاهر علي العمد ولكن لها امثال فاما دمشق
فلا مثل لها وقد روي معن عن مالك ان كتابا وجد بالاسكندريه فلم يدر ما هو فاذا
فيه انا شداد بن عاد الذي رفع العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت قال مالك
ان كان لتمر بهم مايه سنه لا يرون فيها جنازه وذكر عن ثور بن يزيد انه قال انا شداد
ابن عاد وانا رفعت العماد وانا الذي سددت بذراعي بطن الواد وانا الذي كنزت
كنزا علي سبعه اذرع لا يخرجه الا امه محمد صلي الله عليه وسلم وروي انه كان لعاد ابنان
شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له
ملوكها فسمع بذكر الجنه فقال ابني مثلها فبني ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمايه سنه
وكان عمره تسع مايه سنه وهي مدينه عظيمه قصورها من الذهب والفضه واساطينها من
الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطرده ولما تم بناوها سار اليها
باهل مملكته فلما كان منها علي مسيره يوم وليله بعث الله عليهم صيحه من السما فهلكوا وعن عبد الله بن
قلابه انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه وبلغ خبره معاويه فاستحضره
فقص عليه فبعث الي كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير علي حاجبه خال وعلي عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابه
فقال هذا والله ذلك الرجل وقيل اي لم يخلق مثل ابنية عاد المعروفه بالعمد
فالكنايه للعماد والعماد علي هذا جمع عمد وقيل الارم الهلاك يقال ارم ذات
العماد اي اهلكهم فجعلهم رميما **قوله تعالي** وثمود الذين جابوا
الصخر بالواد ثمود هم قوم صالح وجابوا قطعوا ومنه فلان يجوب البلاد اي
يقطعها وانما سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع قال الشاعر وكانت
نزلت علي ابن الزبير بمكه فكتبت له بيتين تشكو فيهما باخيها بالكوفه فقال

راحت رواحا قلوصي وهي حامده ال الزبير ولم تعدل بهم احدا
راحت بستين وسقا في حقيبتها ما حملت حملها الادني ولا السددا

ما ان رايت قلوصا قبلها حملت ستين وسقا ولا جابت به بلدا

اي قطعته قال المفسرون اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود فبنوا من المداين الفا وسبع مايه مدينه كلها من الحجاره ومن الدور والمنازل الفا الف وسبع مايه الف كلها من الحجاره وقد قال تعالى وينحتون من الجبال بيوتا امنين وكانوا الفوا ينحتون الصخر وينقبون الجبال ويجعلونها بيوتا لانفسهم بالوادي اي بوادي القرى قاله محمد بن اسحق وروى ابو الاشهب عن ابي نضره قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاه تبوك على وادي ثمود وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا السير فانكم في واد ملعون وقيل الوادي بين جبال وكانوا ينقبون في تلك الجبال بيوتا ودورا واحواضا وكل منفرج بين جبال او تلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد **قوله تعالى** وفرعون ذي الاوتاد اي الجنود والعساكر والجموع والجيوش الذين يشدون ملكه قاله ابن عباس وقيل كان يعذب بالناس بالاوتاد ويشدهم بها الى ان يموتوا بجزانه وعتوا وهكذا فعل بامراته اسية وماشطة ابنته حسب ما تقدم في اخر سورة التحريم وقال عبد الرحمن بن زيد كانت له صخرة ترفع بالبكرات ثم يوخذ الانسان فتوتد له اوتاد الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه فتشدخه وقد مضى في سورة ص من ذكر اوتاده ما فيه كفايه والحمد لله **قوله تعالى** الذين طغوا في البلاد يعني عادا وثمود وفرعون طغوا اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان فاكثروا فيها الفساد اي الجور والاذى والذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فصب عليهم ربك سوط عذاب اي افرغ عليهم والقى يقال صب على فلان خلعة اي القاها عليه قال النابغه

فصب عليه الله احسن صنعه وكان له بين البريه ناصر

سوط عذاب اي نصيب عذاب ويقال شدته لان السوط كان عندهم نهاية ما يعذب به قال الشاعر

الم تر ان الله اظهر دينه وصب على الكفار سوط عذاب

وقال الفرا هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو

عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يخالط اللحم والدم من قولهم ساطه يسوطه سوطا اي خلطه فهو سايط فالسوط خلط الشي بعضه ببعض ومنه سمي المسواط وساطه اي خلطه واكثر ذلك يقال سوط فلان اموره قال الشاعر

فسطها ذميم الراي غير موفق فلست على تسويطها بمعان

قال ابو زيد يقال اموالهم سويطة بينهم اي مختلطة حكاه عنه يعقوب وقال الزجاج اي جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب يقال ساط دابته يسوطها اي ضربها بسوطه وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الايه قال ان عند الله اسواطا كثيره فاخذهم بسوط منها وقال قتاده كل شي عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب **قوله تعالى** ان ربك لبالمرصاد اي يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه به قاله الحسن وعكرمه وقيل اي عليه طريق العباد لا يفوته احد والرصد والرصاد الطريق وقد مضى في سوره براه والحمد لله وروى الضحاك عن ابن عباس قال ان على جهنم سبع قناطر يسال الانسان عند اول قنطره عن الايمان فان جا به تاما جاز الى القنطره الثانيه ثم يسال عن الصلوه فان جا بها جاز الى الثالثه ثم يسال عن الزكاه فان جا بها جاز الى الرابعه ثم يسال عن صوم شهر رمضان فان جا به جاز الى الخامسه ثم يسال عن الحج والعمره فان جا بها جاز الى السادسه ثم يسال عن صله الرحم فان جا بها جاز الى السابعه ثم يسال عن المظالم وينادي مناد الا من كانت له مظلمه فلياتِ فيقتص للناس منه ويقتص له من الناس فذلك قوله عز وجل ان ربك لبالمرصاد وقال الثوري لبالمرصاد يعني جهنم عليها ثلاث قناطر قنطره فيها الرحم وقنطره فيها الامانه وقنطره فيها الرب تبارك وتعالى قلت اي حكمه وارادته والله اعلم وعن ابن عباس ايضا لبالمرصاد يسمع ويرى قلت هذا قول حسن يسمع اقوالهم ونجواهم ويرى اي يعلم اعمالهم واسرارهم فيجازي كلا بعمله وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرا هذه السوره عند المنصور حتى بلغ

هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر قال انه مخبري عرض لي في هذا النداء بانه يعصي من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي استفزاز كان يثبت تثبيته بيدف الظلمه بانكاره ونفع اهل الاهوا والبدع باحتجاجه **قوله تعالى**

فاما الانسان يعني الكافر قال ابن عباس يريد عتبة بن ربيعة وابا حذيفة بن المغيرة وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه ربه اي امتحنه واختبره بالنعمة وما ابتليه صلة فاكرمه بالمال ونعمه بما اوسع عليه فيقول ربي اكرمن فيفرح بذلك ولا يحمده واما اذا ما ابتلاه اي امتحنه بالفقر واختبره فقدر اي ضيق عليه رزقه على مقدار البلغة فيقول ربي اهانن اي اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث انما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته فاما المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه الله بطاعته وتوفيقه المؤدي الى الحظ الآخر وان وسع عليه في الدنيا حمده وشكره قلت الآية نصفه كل كافر وكثير من المسلمين يظن ان ما اعطاه لاكرامته وفضيلته عند الله وربما يقول بجهله لو لم استحق هذا لم يعطنه الله وكذا ان قدر عليه يظن ذلك لهوانه على الله وقراءة العامة فقدر بتخفيف الدال وقرا ابن عامر مشددا وهما لغتان والاختيار التخفيف لقوله ومن قدر عليه رزقه قال ابو عمرو وقدر اي قتر وقدر مشددا هو ان يعطيه ما يكفيه ولو فعل به ذلك ما قال ربي اهانن وقرا اهل الحرمين وابو عمرو ربي بفتح اليا في الموضعين واسكن الباقون واثبت البزي وابن محيصن ويعقوب اليا من اكرمن واهانن في الحالين لانها اسم فلا تحذف واثبتها المدنيون في الوصل دون الوقف اتباعا للمصحف وخير ابو عمرو في اثباتها في الوصل وحذفها لانها راس آية وحذفها في الوقف بخط المصحف الباقون بحذفها لانها وقعت في الموضعين بغير يا والسنة ان لا يخالف خط

المصحف لانه اجماع الصحابة **قوله تعالى** كلا ردا اي ليس الامر كما يظن فليس الغنى لفضله ولا الفقر لهوانه وانما الفقر من تقديري وقضائي وقال الفراء كلا في هذا الموضع بمعنى لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا ولكن يحمد الله عز وجل على الغنى والفقر وفي الحديث يقول الله عز وجل كلا اني لا اكرم من اكرمت بكثرة الدنيا ولا اهين من اهنت بقلتها انما اكرم من اكرمت بطاعتي واهين من اهنت بمعصيتي **قوله تعالى** بل لا تكرمون اليتيم اخبار عما يصنعونه من منع اليتيم الميراث واكل ماله اسرافا وبدارا ان يكبروا وقرا ابو عمرو ويعقوب يكرمون باليا ويحضون ويأكلون ويحبون باليا لانه تقدم ذكر الانسان والمراد به الجنس فعبر عنه بلفظ الجمع الباقون بالتا في الاربعة على الخطاب والمواجهة كانه قال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وترك اكرام اليتيم بدفعه عن حقه واكل ماله كما ذكرنا قال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف ولا يحضون على طعام المسكين اي لا يامرون اهليهم باطعام مسكين يجيئهم وقرا الكوفيون ولا تحاضون بفتح التا والف اي يحض بعضهم بعضا واصله تتحاضون فحذف احدى التاءين لدلالة الكلام عليها وهو اختيار ابي عبيد عن ابراهيم واليزيدي عن الكسائي والسلمي تحاضون بضم التا وهو تفاعلون من الحظ وهو الحث وياكلون التراث اي ميراث اليتامى واصله الوراث من ورثت فابدلوا الواو تا كما قالوا في تجاه وتخمة وتكاة وتالله ونحو ذلك وقد تقدم اكلا لما اي شديدا قاله السدي وقيل لما جمعا من قولهم لممت الطعام لما اذا اكلته جمعا قاله الحسن وابو عبيدة واصل اللم في كلام العرب الجمع يقال لممت الشي المه لما جمعته ومنه يقال لم الله شعثه اي جمع ما تفرق من اموره قال النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

ومنه قولهم انا ارى الموم اي تلم الناس وتجمعهم وقال المرار في الطاي يمدح علقمة بن سيف

واحبني حب الصبي ولمني لم الهدي الى الكريم الماجد

وقال الليث اللمّ الجمع الشديد ومنه حجر ملموم وكتيبة ملمومة فالآكل
يلمّ الثريد فيجمعه لقمًا ثم يأكله وقال مجاهد يسفّه سفًّا وقال الحسن يأكل
نصيبه ونصيب غيره قال الحطيئة

إذا كان لمًّا يتبع الذمّ ربّه فلا قدّس الرحمن تلك الطواحنا

يعني أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم وقال ابن زيد هو أنه إذا أكل
ماله ألمّ بمال غيره فأكله ولا يفكر فيما أكل من خبيث وطيب قال وكان أهل
الشرك لا يورّثون النساء ولا الصبيان بل يأكلون ميراثهم مع تراثهم وقيل
يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلمّ في الأكل بين حرامه وحلاله
ويجوز أن يذمّ الوارث الذي ظفر بالمال سهلًا مهلًا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف
في إنفاقه ويأكله أكلًا واسعًا جامعًا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه
كما يفعل البطالون وتحبون المال حبًّا جمًّا أي كثيرًا حلاله وحرامه والجمّ الكثير يقال جمّ
الشيء يجمّ جمومًا فهو جمّ وجامّ ومنه جمّ الماء في الحوض إذا اجتمع وكثر وقال الشاعر

إن تغفر اللهم تغفر جمّا وأيّ عبد لك لا ألمّا

والجمّة المكان الذي يجتمع فيه ماؤه والجموم البئر الكثيرة الماء والجموم بالضم المصدر
يقال جمّ الماء يجمّ جمومًا إذا كثر في البئر واجتمع بعدما استقي ما فيها ن ع

كلا أي ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر فهو رد لانكبابهم على
الدنيا وجمعهم لها فإن من فعل ذلك يندم يوم تدكّ الأرض ولا ينفعه الندم والدكّ
الكسر والدقّ وقد تقدم أي زلزلت الأرض وحرّكت تحريكًا بعد تحريك وقال
الزجاج أي زلزلت فدكّ بعضها بعضًا وقال المبرد الصفت وذهاب ارتفاعها
يقال ناقة دكّاء أي لا سنام لها والجمع دكّ وقد تقدم في سورة الأعراف والحاقة
القول في هذا ويقولون دكّ الشيء أي هدم قال

هل غير غار دكّ غارًا فانهدم

دكًّا دكًّا أي مرة بعد مرة زلزلت
فكسر بعضها بعضًا فتكسّر كل شيء على ظهرها وقيل دكّت جبالها وأنشازها حتى

استوت وقيل دكّت استوت في الانفراش فذهب دورها وقصورها وجبالها وسائر
أبنيتها ومنه سمّي الدكّان لاستوائه في الانفراش والدكّ المرتفع من الأرض بالبسط وهو
معنى قول ابن مسعود وابن عباس تمدّ الأرض مدّ الأديم **قوله تعالى** وجاء
ربك أي أمره وقضاؤه قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف وقيل أي جاءهم
الرب بالآيات العظيمة وهو كقوله تعالى إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام أي بظلل وقيل
جعل مجيء الآيات مجيئًا له تفخيمًا لشأن تلك الآيات ومنه قوله تعالى في الحديث يا ابن آدم
مرضت فلم تعدني واستسقيتك فلم تسقني استطعمتك فلم تطعمني وقيل وجاء ربك أي
زال الشبه ذلك اليوم وصارت المعارف ضرورية كما تزول الشبه والشك عند
مجيء الشيء الذي كان يشك فيه وقال أهل الإشارة ظهرت قدرته واستولت والله جل
ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان وأنّى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان
ولا يجري عليه وقت ولا زمان لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات ومن فاته
شيء فهو عاجز **قوله تعالى** والملك أي الملائكة صفًّا صفًّا أي صفوفًا وجيء يومئذ
بجهنم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين
ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل
زمام سبعون ألف ملك يجرونها وقال أبو سعيد الخدري لما نزلت وجيء يومئذ بجهنم
تغيّر لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه ثم قال
أقرأني جبريل كلا إذا دكت الأرض دكًّا دكًّا الآية وجيء يومئذ بجهنم قال علي
رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها قال يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام
يقود بكل زمام سبعون ألف ملك فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع
ثم تعرض لي جهنم فتقول ما لي ولك يا محمد إن الله قد حرم لحمك علي فلا يبقى
أحد إلا قال نفسي نفسي إلا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يقول رب أمتي أمتي
قوله تعالى يومئذ يتذكر الإنسان أي يتعظ ويتوب وهو الكافر

او من همته معظم الدنيا فانى له الذكرى اي ومن اين له الاتعاظ والتوبه وقد فرط فيها في الدنيا ونقل اي ومن اين له منفعه الذكرى فلا بد من تقدير حذف المضاف والاقيس يوم يتذكر ويتوب ابن لها الذكرى تنافي قاله الزمخشري

يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي لحياتي فاللام بمعنى في قيل اي وقت حياتي في الدنيا ليس موت فيها وقيل حيا اهل النار ليست هنيه فكانهم لم يحيوا لهم فالمعنى يا ليتني قدمت من الخير لنجاتي من النار فاكون فيمن له حياه هنيه

فيوميذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد والكنايه ترجع الى الله تعالى وهو قول ابن عباس والحسن وقرا الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثا اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الله الكافر يوميذ ولا يوثق كما لا يوثق الكافر والمراد ابليس لان الدليل قام على انه اشد الناس عذابا لاجل اجرامه فاطلق الكلام لاجل ما صحبه من التفسير وقيل انه اميه بن خلف حكاه الفرا يعني انه لا يعذب كعذاب هذا الكافر المعين احد ولا يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه احد لتناهيه في كفره وعناده وقيل اي لا يعذب مكانه احد فلا يوخذ منه فدا والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق ومنه قول الشاعر

وبعد عطايك الماية الرتاعا وقيل لا يعذب احد ليس بكافر عذاب الكافر واختار ابو عبيد وابو حاتم فتح الذال والثا وتكون الهاء ضمير الكافر لان ذلك معروف انه لا يعذب احد كعذاب الله وقد روى ابو قلابه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا بفتح الذال والثا وروي ان ابا عمرو رجع الى قراه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو علي يجوز ان يكون الضمير للكافر على قراه الجماعه اي لا يعذب احد احدا مثل تعذيب هذا الكافر فيكون الها للكافر والمراد باحد الملايكه الذين يتولون تعذيب اهل النار رحمه

يا ايتها النفس المطمينه لما ذكر حال من كانت همته الدنيا فاتهم الله في ابتلايه واقتاره ذكر حال من كانت همته الدنيا فاتهم الله في اغنايه واقتاره ذكر حال من اطمانت نفسه الى الله فسلم لامره

فاتكل عليه وقيل هو من قول الملايكه لاوليا الله عز وجل والمطمينه الساكنه الموقنه ايقنت ان الله ربها فاجيبت لذلك قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس اي المطمينه بثواب الله وعنه المومنه وقال الحسن المومنه الموقنه وعن مجاهد ايضا الراضيه بقضا الله التي علمت ان ما اخطاها لم يكن ليصيبها وان ما اصابها لم يكن ليخطيها وقال مقاتل الامنه من عذاب الله وفي حرف ابي بن كعب يا ايتها النفس الامنه المطمينه وقيل التي عملت على يقين بما وعد الله في كتابه وقال ابن كيسان المطمينه هنا المخلصه وقال ابن عطا العارفه التي لا تصبر عنه طرفه عين وقيل المطمينه بذكر الله بيانه الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله تعالى وقيل المطمينه بالايمان المصدقه بالبعث والثواب وقال ابن زيد المطمينه لانها بشرت بالجنه عند الموت وعند البعث ويوم الجمع وروى عبد الله بن بريده عن ابيه قال يعني نفس حمزه والصحيح انها عامه في كل نفس مومن مخلص طايع قال الحسن البصري ان الله تعالى اذا اراد ان يقبض روح عبده المومن اطمانت النفس الى الله واطمان الله اليها وقال عمرو بن العاص اذا توفي المومن ارسل الله اليه ملكين وارسل معهما تحفه من الجنه فيقولان لها اخرجي ايتها النفس المطمينه راضيه مرضيه ومرضيا عنك اخرجي الى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كاطيب ريح المسك وجد احد من انفه على ظهر الارض وذكر الحديث وقال سعيد بن زيد قرا رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ايتها النفس المطمينه فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف فجا طاير لم ير على خلقته طاير قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الايه على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمينه ارجعي الى ربك راضيه مرضيه وروى الضحاك انها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف بير رومه وقيل نزلت في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكه وجعلوا وجهه الى المدينه فحول الله وجهه نحو القبله والله اعلم ومعنى الى ربك الى صاحبك

وحده لك قاله ابن عباس وعكرمه وعطا واختاره الطبري ودليله قراءة
ابن عباس فادخلي في عبدي على التوحيد فيامر الله تعالى الارواح غدا ان ترجع الى
الاجساد وقرا ابن مسعود في جسد عبدي وقال الحسن ارجعي الى ثواب ربك وكرامته
وقال ابو صالح المعني ارجعي الى الله وهذا عند الموت فادخلي في عبادي اي في
اجساد عبادي دليله قراه ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس هذا يوم القيمه وقال
الضحاك والجمهور على ان الجنه هي دار الخلود التي هي مسكن الابرار ودار الصالحين
والاخيار ومعنى في عبادي اي في الصالحين من عبادي كما قال ولندخلنهم في الصالحين وقال
الاخفش في عبادي اي في حزبي والمعنى واحد اي انتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم

تفسير سورة البلد مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد يجوز ان تكون لا زايده كما تقدم في لا اقسم بيوم
القيمه قاله الاخفش اي اقسم لانه قال وهذا البلد وقد اقسم به في قوله وهذا البلد الامين
فكيف يجحد القسم به وقد اقسم به وقال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابه وكاد ضمير القلب لا يتقطع

اي يتقطع ودخل حرف لا صله ومنه قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك
بدليل قوله في ص ما منعك ان تسجد وقرا الحسن والاعمش وابن كثير
لاقسم من غير الف بعد اللام اثباتا واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعنى الا وقيل
ليست بنفي القسم وانما هو كقول العرب لا والله لا فعلت كذا ولا والله ما كان
كذا ولا والله لافعلن كذا وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد
اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي ورواه ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا رد
عليهم وهذا اختيار ابن العربي لانه قال واما من قال انها رد فهو قول ليس له
رد لانه يصح به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد فهو رد الكلام من انكر البعث ثم ابتدا

القسم وقال القشيري قوله لا رد لما توهم الانسان المذكور في هذه السوره
المغرور بالدنيا اي ليس الامر كما يحسبه من انه لن يقدر عليه احد ثم ابتدا القسم والبلد مكه
اجمعوا عليه اي اقسم بالبلد الحرام الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي لك وقال
الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا
يعني المدينه والاول اصح لان السوره نزلت بمكه باتفاق
وانت حل بهذا البلد يعني في المستقبل مثل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع
في كلام العرب تقول لمن تعده الاكرام والحبا انت مكرم محبو وهو في كلام الله واسع لان الاحوال
المستقبله عنده كالحاضره المشاهده وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره
بالحال محال ان السوره بالاتفاق مكيه قبل الفتح فروى منصور عن مجاهد وانت حل قال
ما صنعت فيه من شي فانت في حل وكذا قال ابن عباس احل له يوم دخل مكه ان يقتل
من شا الله فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابه وغيرهما ولم يحل لاحد من الناس ان يقتل
بها احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى السدي قال انت في حل ممن قاتلك ان
تقتله وروى ابو صالح عن ابن عباس قال احلت له ساعه من نهار ثم اطبقت وحرمت
الى يوم القيمه وذلك يوم فتح مكه وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكه
يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعه فلم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد
من بعدي ولم تحل لي الا ساعه من نهار الحديث وقد تقدم في سوره المايده قال ابن زيد لم
يكن بها احد حلالا غير النبي صلى الله عليه وسلم وقيل وانت مقيم فيه وهو
محلك وقيل انت فيه محسن وانا عنك فيه راض وذكر اهل اللغه انه يقال رجل
حل وحلال ومحل ورجل حرام ومحرم وحرم وقال قتاده انت حل به لست
باثم وقيل هو ثنا على النبي صلى الله عليه وسلم اي انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم
عليك ارتكابه معرفه منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه
اي اقسم بهذا البيت المعظم الذي قد عرفت حرمته فانت مقيم فيه معظم له غير مرتكب
فيه ما يحرم عليك وقال شرحبيل بن سعد وانت حل بهذا البلد اي حلال اي هم

يجيئون مكة ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرا ثم هم هنا يستحلون اخراجك
وقتلك في **ووالد وما ولد** قال مجاهد وقتاده والضحاك والحسن وابو صالح
ووالد ادم عليه السلام وما ولد اي وما تناسل من ولده اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله تعالى
على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير وفيهم الانبيا والدعاة الى الله وقيل
هو اقسام بادم والصالحين من ذريته واما الطالحون فكانهم بهايم وقيل الوالد ابرهيم
وما ولد ذريته قاله ابو عمران الجوني ثم يحتمل انه يريد المسلمين من ذريته قال الفرا
وصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم وقوله وما خلق الذكر والانثى وهو الخالق
للذكر والانثى وقيل ما مع ما بعدها في معنى المصدر اي ووالد وولادته كقوله تعالى
والسما وما بناها وقال عكرمه وسعيد بن جبير ووالد يعني الذي يولد له وما
ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وقاله ابن عباس وما على هذا نفي وهو بعيد ولا
يصح الا باضمار الموصول اي ووالد والذي ما ولد وذلك لا يجوز عند البصريين وقيل
هو عموم في كل والد وكل مولود قاله عطيه العوفي وروي معناه عن ابن
عباس ايضا وهو اختيار الطبري الماوردي ويحتمل ان الوالد النبي صلى الله عليه وسلم
لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله عليه السلام انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم
فاقسم به وبامته بعدما اقسم ببلده مبالغة في تشريفه عليه السلام
لقد خلقنا الانسان في كبد الى هنا انتهى القسم وهذا جوابه ولله ان يقسم بما شا
من مخلوقاته لتعظيمها كما تقدم والانسان هنا ابن ادم في كبد اي في شده وعنا
من مكابدة الدنيا واصل الكبد الشده ومنه تكبد اللبن غلظ وخثر
واشتد ومنه الكبد لانه دم تغلظ واشتد ويقال كابدت هذا الامر
قاسيت شدته قال لبيد

يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد

قال ابن عباس والحسن في كبد اي شده ونصب وعن ابن عباس ايضا
في شده من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وغير ذلك من احواله وروي عكرمه

عنه فكان منتصبا في بطن امه والكبد الاستوا والاستقامه فهذا امتنان عليه في الخلقه
ولم يخلق الله جل ثناؤه دابه في بطن امه الا منكبه على وجهها الا ابن ادم فانه
منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما قال ابن كيسان منتصبا
راسه في بطن امه فاذا اذن الله ان يخرج من بطن امه قلب راسه الى رجلي امه وقال
الحسن يكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخره وعنه ايضا يكابد الشكر على
السرا ويكابد الصبر على الضرا لانه لا يخلو من احدهما ورواه ابن عمر وقال يمان
لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال علماونا
اول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد
الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت اسنانه وتحرك لسانه ثم يكابد الفطام الذي هو
اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمودب
وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل به والتزويج
ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدور وبنا القصور ثم
الكبر والهرم وضعف الركبه والقدم في مصايب يكثر تعدادها ونوايب يطول ايرادها
من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن والم الاذن
ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه
شده ولا يكابد الا مشقه ثم الموت بعد ذلك كله ثم مسايلة الملك وضغطة القبر
وظلمته ثم البعث والعرض على الله الى ان يستقر به القرار اما في جنه واما
في نار قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد فلو كان الامر اليه لما اختار
هذه الشدايد ودل هذا على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل
امره وقال ابن زيد الانسان هنا ادم وقوله في كبد اي في وسط السما
وقال الكلبي ان هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له ابو الاشدين
وكان ياخذ الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من ازالني عنه

فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه وكان من اعدا النبي صلى الله عليه وسلم
وفيه نزل أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يعني لقوته وروي عن ابن عباس ومعنى
في كبد أي شديدا يعني شديد الخلق وكان من أشد رجال قريش وكذلك ركانة بن هاشم
ابن عبد المطلب وكان مثلا في البأس والشدة وقيل في كبد أي جريء القلب
غليظ الكبد مع ضعف خلقته ومهانة مادته قال ابن عطاء في ظلمة وجهل قال
الترمذي مضيعا ما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه أيحسب أن
لن يقدر عليه أحد أي أيظن ابن آدم أن لن يعاينه الله عز وجل يقول أهلكت أي أنفقت
مالا لبدا أي كثيرا مجتمعا أيحسب أي أيظن أن لم يره أي لم يعاينه أحد علم الله عز وجل
ذلك منه وكان كاذبا في قوله أهلكته ولم يكن أنفقه وروى أبو هريرة قال
يوقف العبد فيقال ماذا عملت في المال الذي رزقتك فيقول أنفقته وزكيته فيقال
كأنك إنما فعلت ذلك ليقال سخي فقد قيل ذلك ثم يؤمر به إلى النار وعن سعيد عن
قتادة انك مسؤول عن مالك من أين جمعته وكيف أنفقته وعن ابن عباس قال كان أبو
الأسد بن يقول أنفقت في عداوة محمد مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب وقال
مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل أذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن
يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد وهذا القول
منه يحتمل أن يكون استطالة بما أنفق فيكون طغيانا منه أو أسفا عليه فيكون ندما
منه وقرأ أبو جعفر مالا لبدا بتشديد الباء مفتوحة على جمع لابد مثل راكع
وركع وساجد وسجد وشاهد وشهد ونحوه وقرأ مجاهد وحميد بضم الباء
واللام مخففا جمع لبود الباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء مخففا جمع لبدة ولبدة
وهو ما تلبد يريد الكثرة وقد مضى في سورة الجن القول فيه وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال كان يقرأ أيحسب بضم السين في الموضعين وقال الحسن يقول
أتلفت مالا كثيرا فمن يحاسبني به دعني أحسبه ألم يعلم أن الله قادر على محاسبته

وان الله جل وعز يرى صنيعه ثم عدد عليه نعمه فقال ألم نجعل له عينين يبصر بهما
ولسانا ينطق به وشفتين يستر بهما ثغره والمعنى نحن فعلنا ذلك ونحن نقدر على
أن نبعثه ونحصي عليه ما عمله وقال أبو حازم قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله
تعالى قال يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين
فأطبق وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق
والشفة أصلها شفهة حذفت منها الهاء وتصغيرها شفيهة والجمع شفاه ويقال
شفهات وشفوات والهاء أقيس والواو أعم تشبيها بالسنوات وقال الأزهري
يقال هذه شفة في الوصل وشفه بالتاء والهاء وقال قتادة نعم الله ظاهرة
يقررك بها حتى تشكر قوله تعالى وهديناه النجدين يعني الطريقين طريق
الخير وطريق الشر أي بينا ما له بما أرسلناه من الرسل والنجد الطريق في ارتفاع
وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وروى قتادة قال ذكر
لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا أيها الناس إنما هما النجدان نجد الخير ونجد
الشر فلم تجعل نجد الشر أحب إليك من نجد الخير وروي عن عكرمة قال النجدان
الثديان وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك وروي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما
لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه فالنجد العلو وجمعه نجود ومنه سميت نجد
لارتفاعها عن انخفاض تهامة فالنجدان الطريقان العاليان قال امرؤ القيس

فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب

فلا اقتحم العقبة أي فهلا أنفق ماله الذي يزعم أنه أنفقه في عداوة
محمد هلا أنفقه لاقتحام العقبة فيأمن والاقتحام الرمي بالنفس في شيء من غير روية
يقال منه قحم في الأمر قحوما أي رمى بنفسه فيه من غير روية وقحم الفرس فارسه
تقحيما على وجهه إذا رماه وتقحيم النفس في الشيء إدخالها فيه من غير روية
والقحمة بالضم المهلكة والسنة الشديدة يقال أصابت الأعراب القحمة إذا أصابهم

فخط فدخلوا الريف والفحم صعاب الطرق وقال الفرا والزجاج وذكر لا مرة واحدة
والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يعيدوها في كلام
اخر كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانما افردوها
لدلالة اخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله ثم كان من الذين امنوا قايم مقام التكرير
كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن وقيل هو جار مجرى الدعا كقوله لا نجا ولا سلم وما
ادراك ما العقبة قال سفين بن عيينة كل شي قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل
شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقال سفين فلا اقتحم العقبة اي فلم
يقتحم العقبة كقول زهير

وكان طوى كشحا على مستكنة فلا هو ابداها ولم يتقدم

اي فلم يبدها ولم يتقدم وكذا قال المبرد وابو علي لا بمعنى لم وذكره البخاري عن مجاهد
اي فلم يقتحم العقبة في الدنيا فلا يحتاج الى التكرير ثم فسر العقبة وركوبها فقال
فك رقبة وكذا وكذا فبين وجوها من القرب المالية وقال ابن زيد وجماعة من
المفسرين معنى الكلام الاستفهام الذي معناه الانكار تقديره افلا اقتحم العقبة او
هلا اقتحم العقبة تقول هلا لا تنفق ماله في فك الرقاب واطعام السغبان
فيكون خيرا من انفاقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قيل اقتحام العقبة
هاهنا ضرب مثل اي هلا تحمل عظام الامور في انفاق ماله في طاعة الله والايمان
به وهذا انما يليق من حمل فلا اقتحم العقبة على الدعا اي فلا نجا ولا سلم من لم
ينفق ماله في كذا وكذا وقيل شبه عظم الذنوب وثقلها وشدتها بعقبة
فاذا اعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب
الذي تضره وتوذيه وتثقله وقال ابن عمر هذه العقبة جبل في جهنم
وعن ابي رجا قال بلغنا ان العقبة مصعدها سبعة الاف سنة
ومهبطها سبعة الاف سنة وقال الحسن وقتادة وهي عقبة شديدة في

النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط
يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلثة الاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا واقتحامه
على المومن كما بين صلاة العصر الى العشا وقيل اقتحامه على المومن كما بين ما يصلي
صلاة مكتوبة وروي عن ابي الدردا انه قال ان ورانا عقبة لا يجاوزها الا اخفهم حملا وقيل النار نفسها هي العقبة فروى ابو رجا عن الحسن
قال بلغنا انه ما من مسلم يعتق رقبة الا كانت فداه من النار وعن
عبد الله بن عمر قال من اعتق رقبة اعتق الله عز وجل بكل عضو منها عضوا منه
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا من اعضايه من النار حتى فرجه بفرجه
وفي الترمذي عن ابي امامة وغيره من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما
امرى مسلم اعتق امرا مسلما كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوا منه
وايما امراة مسلمة اعتقت امراة مسلمة كان فكاكها من النار يجزي كل عضو منها
عضوا منها قال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل العقبة خلاصه من هول
العرض وقال قتادة وكعب هي نار دون الحشر وقال الحسن هي والله عقبة شديدة
مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وانشد بعضهم

اني بليت باربع يرمينني بالنبل قد نصبوا علي شراكا
ابليس والدنيا ونفسي والهوى من اين ارجوا بينهن فكاكا
يا رب ساعدني بعفو انني اصبحت لا ارجو لهن سواكا

وما ادراك ما العقبة فيه حذف اي وما ادراك ما اقتحام
العقبة وهذا تعظيم لالتزام امر الدين والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه
اقتحام العقبة قال القشيري وحمل العقبة على عقبة جهنم بعيد اذ احد
في الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم الا ان يحمل على ان المراد فهلا صير نفسه بحيث يمكنه اقتحام
عقبة جهنم غدا واختار البخاري قول مجاهد انه لم يقتحم العقبة

في الدنيا قال ابن العربي وانا اختار ذلك لاجل انه قد قال في الاية الثالثة فك رقبة وفي الاية الرابعة او اطعام في يوم ذي مسغبة ثم قال في الاية الخامسة يتيما ذا مقربة ثم قال في الاية السادسة او مسكينا ذا متربة وهذه الاعمال انما تكون في الدنيا المعنى فلم ياتي في الدنيا بما يسهل عليه سلوك العقبة في الاخرة

قوله تعالى فك رقبة فكها خلاصها فك رقبة فيه ثلثة مسايل الاولى

من الاسر قيل من الرق وفي الحديث وفك الرقبة ان تعين في ثمنها من حديث البرا وقد تقدم في سورة براة والفك هو حل القيد والرق قيد وسمي المرقوق رقبة لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وسمي عتقها فكا كفك الاسير من الاسر

قال حسان

كم من اسير فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها

وروى عقبة بن عامر الجهني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مومنة كانت فداه من النار قال الماوردي ويحتمل ثانيا انه اراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمتنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه بالصواب الثانية قوله تعالى رقبة اعلى الرقبة الكافرة ذات الثمن افضل في العتق من الرقبة المومنة القليلة الثمن لقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سيل اي الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها **ابن العربي** والمراد في هذا الحديث من المسلمين بدليل قوله عليه السلام من اعتق امرا مسلما ومن اعتق رقبة مومنة وما ذكره اصح وهله وانما نظر الى تنقيص المال والنظر الى تجريد المعتق للعبادة وتفريغه للتوحيد اولى الثالثة العتق والصدقة من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية دليل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار

او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والسغب الجوع والساغب الجايع وقرا الحسن او اطعام في يوم ذا مسغبة بالالف ذا وانشد ابو عبيدة

فلو كنت جارا يا ابن قيس بن عاصم لما بت شبعانا وجارك ساغبا

واطعام الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل وقال النخعي في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة قال في يوم عزيز فيه الطعام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من موجبات الرحمة اطعام المسلم السغبان

يتيما ذا مقربة اي قرابة يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي يعلمك ان الصدقة على القرابة افضل منها على غير القرابة كما ان الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له افضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله واهل اللغة يقولون سمي يتيما لضعفه يقال يتم الرجل يتما اذا ضعف وذكروا ان اليتيم في الناس من قبل الاب وفي البهايم من قبل الامهات الاب وفي البهايم من قبل الامهات وقد مضى في سورة البقرة مستوفى وقال بعض اهل اللغة اليتيم الذي يموت ابواه وقال قيس بن الملوح

الى الله اشكو فقد ليلى كما شكى الى الله فقد الوالدين يتيم

او مسكينا ذا متربة اي لا شي له حتى كانه قد لصق بالتراب من الفقر ليس له ماوى الا التراب وقال ابن عباس هو المطروح على الطريق الذي لا بيت له قال مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال قال عكرمة المديون ابو سنان ذو الزمانة ابن جبير الذي ليس له احد وروى عكرمة عن ابن عباس ذو المتربة البعيد التربة يعني الغريب البعيد عن وطنه قال ابو حامد الخارزنجي المتربة هنا من التريب وهي شدة الحال يقال ترب اذا افتقر قال الهذلي

وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا سفكنا دما البدن في تربة الحال

وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك بنصب الكاف على الفعل

الفعل
الماضي رقبةً نصباً لكونها مفعولاً او اطعم بفتح الهمزة ونصب الميم من غير الف على
الماضي ايضا لقوله ثم كان من الذين امنوا ليشاكل بفكّ واطعم وقرا الباقون فكُّ رفعاً
على انه مصدر وكذلك رقبةٍ خفضاً بالاضافة او اطعام بكسر الهمزة والف ورفع الميم
وتنوينها على المصدر ايضا واختارها ابو عبيد وابو حاتم لانه تفسير لقوله تعالى
وما ادراك ما العقبة ثم اخبره فقال فك رقبة او اطعام المعنى اقتحام العقبة فك رقبة
او اطعام ومن قراه بالنصب فهو محمول على المعنى اي ولا فك رقبة ولا اطعم في يوم ذي
مسغبة فكيف يجاوز العقبة وقرا الحسن وابو رجاء ذا مسغبة بالنصب على انه
مفعول باطعام اي يطعمون ذا مسغبة وبيتيما بدل منه والباقون مسغبة فهو صفة ليوم
ويجوز ان يكون قراءة النصب صفة لموضع الجار والمجرور لان قوله في يوم ظرف منصوب
الموضع فيكون وصفاً له على المعنى دون اللفظ ثم كان من
الذين امنوا يعني انه لا يقتحم العقبة من فك رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة حتى يكون
من الذين امنوا اي صدقوا فان شرط قبول الطاعات الايمان بالله فالايمان بعد الانفاق
لا ينفع بل يجب ان يكون الطاعة مصحوبة بالايمان قال الله تعالى في المنافقين
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وقالت عايشة
يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم الطعام ويفك العاني
ويعتق الرقاب ويحمل على ابله لله فهل ينفعه ذلك شيئا قال لا انه لم يقل يوما رب
اغفر لي خطيئتي يوم الدين وقيل ثم كان من الذين امنوا اي فعلوا هذه الاشياء وهو
مؤمن ثم بقي على ايمانه حتى الوفاة نظيره قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا ثم اهتدى وقيل المعنى ثم كان من الذين يؤمنون بان هذا نافع لهم عند الله
تعالى وقيل اتى بهذه القرب لوجه الله ثم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قال
حكيم بن حزام بعدما اسلم يا رسول الله انا كنا نتحنث باعمال في الجاهلية فهل لنا منها
شي فقال اسلمت على ما تقدمت من الخير وقيل ان ثم بمعنى الواو اي وكان هذا

المعنى الرقبة والمطعم في المسغبة من الذين امنوا وتواصوا اي اوصى بعضهم بعضا
بالصبر على طاعة الله والنهي عن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلايا والمصايب وتواصوا
بالمرحمة اي بالرحمة على الخلق فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين اولئك اصحاب
الميمنة الذين يؤتون كتبهم بايمانهم قاله محمد بن كعب القرظي وغيره وقال
يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايمن
وقيل لان منزلتهم من اليمين قاله ميمون بن مهران والذين كفروا باياتنا اي القران
هم اصحاب المشئمة اي ياخذون كتبهم بشمايلهم قاله محمد بن كعب يحيى بن سلام
لانهم مشائيم على انفسهم ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايسر ميمون
لان منزلتهم من اليسار قلت ويجمع هذه الاقوال ان يقال ان اصحاب
الميمنة اصحاب الجنة واصحاب المشئمة اصحاب النار قال الله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب
اليمين في سدر مخضود وقال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم
وما كان مثله ومعنى مؤصدة اي مطبقة مغلقة قال
تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصده
وقيل مبهمة لا يدري ما داخلها واهل اللغة يقولون اوصدت الباب وآصدته
اي اغلقته فمن قال اوصدت قال لاسم الوصاد ومن قال اصدته قال لاسم الاصاد
وقرا ابو عمرو وحفص وحمزة ويعقوب والشيزري عن الكسائي مؤصدة
بالهمز هنا وفي الهمزة الباقون بلا همز وهما لغتان وعن ابي بكر ابن عياش لنا
امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته

بسم الله الرحمن الرحيم
والشمس وضحاها قال مجاهد وضحاها اي ضوءها واشراقها
وهو قسم ثان واضاف الضحى الى الشمس لانه انما يكون بارتفاع الشمس وقال قتادة
بهاؤها قال السدي حرها وروى الضحاك عن ابن عباس وضحاها

قال جعل فيها الضوء وجعلها حاره وقال اليزيدي هو انبساطها وقيل ما
ظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم بها وبمخلوقات الارض كلها حكاه الماوردي والضحى مؤنثه
يقال ارتفعت الضحى فوق الضحور وقد تذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب
الى انه اسم على فعل نحو صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى اذا
اردت به ضحى يومك لم تنونه وقال الفرا الضحى هو النهار كقول قتادة
والمعروف عند العرب ان الضحى اذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحاء
بالمد ومن قال الضحى النهار كله فذلك لدوام نور الشمس ومن قال انه نور الشمس وحر
الشمس فنور الشمس لا تكون الا مع الشمس وقد استدل من قال ان الضحى حر الشمس
بقوله تعالى ولا تضحى اي لا يؤذيك الحر وقال المبرد اصل الضحى من الضح
وهو نور الشمس والالف مقلوبة من الواو الثانية تقول ضحوة وضحوات وضحوات وضحى
قال ومن ضحوة مقلوبة من الواو الثانية والالف في ضحى مقلوبة عن الواو وقال
ابو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الارض واصله الضحى فاستثقلوا
الياء مع سكون الواو فقلبوها الفا **والقمر اذا تلاها** اي
تبعها وذلك اذا سقطت رأى الهلال يقال تلوت فلانا اذا اتبعته قاله قتادة
انما ذلك ليلة الهلال اذا سقطت الشمس رؤي الهلال وقال ابن زيد اذا غربت
الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي اخر الشهر يتلوها بالغروب
قال الفرا تلاها اخذ منها يذهب الى ان القمر ياخذ من ضوء الشمس وقال
قوم والقمر اذا تلاها حين استوى واستدار فكان مثلها في الضياء والنور قاله الزجاج
والنهار اذا جلاها اي كشفها قال قوم جلى الظلمة وان لم يجر
لها ذكر كما تقول اصبحت باردة تريد اصبحت غداتنا باردة وهذا قول الفرا والكلبي
وغيرهما وقال قوم الضمير في جلاها للشمس والمعنى انه يبين بضوئها جرمها ومنه
قول قيس بن الخطيم تجلت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

تجلت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها وضنت بحاجب
وقيل جلا ما في الارض من حيوانها حتى ظهر لاستتاره ليلا وانتشاره نهارا وقيل
جلا الدنيا وقيل الارض وان لم يجر لهما ذكر ومثله قوله تعالى حتى توارت
بالحجاب على ما تقدم انفا **قوله تعالى** والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس
فيذهب بضوئها عند سقوطها قاله مجاهد وغيره وقيل يغشى الدنيا بالظلم
فتظلم الافاق فالكناية ترجع الى غير مذكور **قوله تعالى** والسما
وما بناها اي وبنيانها فما مصدرية كما قال بما غفر لي ربي اي بغفران ربي
قاله قتادة واختاره المبرد وقيل المعنى ومن بناها قاله الحسن ومجاهد
وهو اختيار الطبري اي ومن خلقها ورفعها وهو الله تعالى وحكي عن اهل
الحجاز سبحان ما سبحت له اي سبحان من سبحت له **قوله تعالى** والارض
وما طحاها اي وطحوها وقيل ومن طحاها على ما ذكرناه انفا اي بسطها كذا
قال عامة المفسرين مثل دحاها قال مجاهد والحسن وغيرهما طحاها ودحاها
واحد اي بسطها من كل جانب والطحو البسط طحا يطحو طحوا وطحي يطحى طحيا
وطحيت اضطجعت عن ابي عمرو وعن ابن عباس طحاها قسمها وقيل خلقها
قال الشاعر وما تدري جذيمة من طحاها ولا من ساكن العرش الرفيع
الماوردي ويحتمل انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لانه حياة لما
خلق عليها ويقال في بعض ايمان العرب لا والقمر الطاحي اي المشرق
المرتفع قال ابو عمرو وطحا الرجل اذا ذهب في الارض يقال ما ادري
اين طحا ويقال طحا به قلبه اذا ذهب به في كل شيء قال علقمة
طحا بك قلب في الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب
قوله تعالى ونفس وما سواها قيل المعنى وتسويتها فما بمعنى

المصدر وقيل المعنى ومن سواها وهو الله عز وجل وفي النفس قولان احدهما
ادم الثاني كل نفس منفوسه وسوى بمعنى هيا وقال مجاهد سواها سوا
خلقها وعدل وهذه الاسما كلها مجروره على القسم اقسم جل ثناؤه بخلقه
لما فيه من عجايب الصنعه الداله عليه **قوله تعالى** فالهمها اي عرفها
كذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد اي عرفها طريق الفجور والتقوى وقاله
ابن عباس وعن مجاهد ايضا عرفها الطاعه والمعصيه وعن محمد بن كعب قال
اذا اراد الله عز وجل بعبده خيرا الهمه الخير فعمل به واذا اراد به السوء الهمه الشر
فعمل به وقال الفرا فالهمها قال عرفها طريق الخير وطريق الشر كما قال تعالى
وهديناه النجدين وروى الضحاك عن ابن عباس قال الهم المومن المتقي تقواه
والهم الكافر فجوره وعن سعيد عن قتاده قال بين لها فجورها وتقواها
والمعنى متقارب وروي عن ابي هريره قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالهمها فجورها وتقواها فقال اللهم ات نفسي تقواها زكها انت خير
من زكاها انت وليها ومولاها ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الايه فالهمها فجورها وتقواها
رفع صوته بها وقال اللهم ات نفسي تقواها انت وليها ومولاها وانت خير
من زكاها وفي صحيح مسلم عن ابي الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين
ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشي قضي ومضى عليهم
من قدر قد سبق اوفيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم وتثبت الحجه
عليهم فقلت بل شي قضي عليهم ومضى عليهم قال فقال افلا يكون
ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شي خلق الله
وملك يده فلا يسال عما يفعل وهم يسالون فقال لي يرحمك الله اني لم ارد

بما سالتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من مزينه اتيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون
فيه اشي قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق اوفيما يستقبلون مما اتاهم
به نبيهم وتثبت الحجه عليهم فقال لا بل شي قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق
ذلك في كتاب الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها والفجور
والتقوى مصدران في موضع المفعول به **قوله تعالى** قد افلح من
زكاها هذا جواب القسم بمعنى لقد افلح قال الزجاج اللام حذفت
لان الكلام طال فصار طوله عوضا منها وقيل الجواب محذوف
اي والشمس وكذا لتبعثن الزمخشري تقديره ليدمدمن الله عليهم
اي على اهل مكه لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود
لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها
فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شي وقيل
هو على التقديم والتاخير بغير حذف والمعنى قد افلح من زكاها وقد خاب
من دساها والشمس وضحاها افلح فاز من زكاها اي من زكى الله نفسه
بالطاعه وقد خاب من دساها اي خسرت نفس دسها الله جل ثناؤه بالمعصيه
وقال ابن عباس خابت نفس اضلها الله واغواها وقيل افلح من زكى
نفسه بطاعه الله وصالح الاعمال وخاب من دس نفسه في المعاصي قاله
قتاده وغيره واصل الزكاه النمو والزياده ومنه زكا الزرع اذا كثر
ريعه ومنه تزكيه القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل وذكر الجميل
وقد تقدم هذا المعنى في اول سوره البقره مستوفى فمصطنع المعروف
والمبادر الى اعمال البر شهر نفسه ورفعها وكانت اجواد العرب تنزل الربا

وارتفاع الارض ليشتهر مكانها للمعتفين وتوقد النيران في الليل للطارقين
وكانت اللئام تنزل الاولاج والاطراف والاهضام ليخفى مكانها عن الطالبين
فاولئك علوا انفسهم وزكوها وهولاء اخفوا انفسهم ودسوها وكذا الفاجر
ابدا خفي المكان زمر المروءة غامض الشخص ناكس الراس بركوب المعاصي
وقيل دساها اغواها قال الشاعر

وانت الذي دسيت عمرا فاصبحت حلائله منه اراملا ضيعا

قال اهل اللغة والاصل دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشي في
الشي فابدلت سينه ياء كما يقال قصيت اظفاري واصله قصصت اظفاري
ومثله قولهم في تقضض تقضى وقال ابن الاعرابي وقد خاب من دساها
اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها
اي بطغيانها وهو خروجها عن الحد في العصيان قاله مجاهد وقتادة
وغيرهما وعن ابن عباس بطغواها اي بعذابها الذي وعدت به قال
وكان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى لانه طغى عليهم وقال محمد بن كعب
بطغواها باجمعها وقيل هو مصدر وخرج على هذا المخرج لانه اشكل برؤس
الاي وقيل الاصل بطغياها الا ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء ابدلت
في الاسم واوا ليفصل بين الاسم والوصف وقراه العامة بفتح الطاء وقرا
الحسن والجحدري وحماد بن سلمة بضم الطاء على انه مصدر كالرجعى والحسنى
وشبههما في المصادر وقيل هما لغتان ٥ اذ انبعث اشقاها
اي نهض اشقاها لعقر الناقة واسمه قدار بن سالف وقد مضى في
الاعراف بيان هذا وهل كان واحدا او جماعة وفي البخاري عن
عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر

الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث
اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة وذكر
الحديث خرجه مسلم ايضا وروى الضحاك عن علي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال له اتدري من اشقى الاولين قلت الله ورسوله اعلم قال
عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صالحا ناقة الله ناقة منصوب
على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي والجدار الجدار اي احذروا
ناقة الله اي عقرها وقيل ذروا ناقة الله كما قال هذه ناقة الله لكم اية فذروها
تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وسقياها اي
ذروها وشربها وقد مضى في سورة الشعراء بيانه والحمد لله وايضا في
سورة اقتربت الساعة فانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة
جعل لهم شرب يوم من بئرهم ولها شرب يوم مكان ذلك فشق ذلك عليهم
فكذبوه اي كذبوا صالحا عليه السلام في قوله انكم تعذبون
ان عقرتموها فعقروها اي عقرها الاشقى واضيف الى الكل لانهم
رضوا بفعله وقال قتادة ذكر لنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم
وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول
هذان افضل الناس وهذان خير الناس وهذه المراة اشقى القوم فلهذا
لم يقل اشقياها قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم اي اهلكهم
واطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وروى
الضحاك عن ابن عباس قال دمدم عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال الفراء دمدم
اي ارجف وحقيقته الدمدمة تضعيف العذاب وترديده ويقال
دممت على الشي اي اطبقت عليه ودمم عليه القبر اي اطبقه وناقة مدمومة
اي البسها الشحم فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت والدمدمة الهلاك

باستيصالهم قاله المؤرج وفي الصحاح ودمدمت الشيء اذا الزقته بالارض
وطحطحته وقيل دمدمت على الميت التراب اي سويت عليه فقوله
فدمدم عليهم اي اهلكهم فجعلهم تحت التراب ۝ فسواها اي سوى عليهم
الارض وعلى الاول فسواها اي فسوى الدمدمة والاهلاك عليهم وذلك ان
الصيحة اهلكتهم فاتت على صغيرهم وكبيرهم وقال ابن الانباري دمدم
اي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل وقال بعض اللغويين
الدمدمة الادامة تقول العرب ناقة مدمومة اي سمينة وقيل
فسواها اي فسوى الامة في انزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم ووضيعهم
وشريفهم ذكرهم وانثاهم وقرا ابن الزبير فدهدم وهما لغتان كما قالوا
امتقع لونه وانتقع **قوله تعالى** ولا يخاف عقباها
اي فعل الله ذلك بهم غير خائف ان تلحقه تبعة الدمدمة من احد قاله
ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والهاء في عقباها ترجع الى الفعلة كقوله
من اغتسل يوم الجمعة فبها ونعمت اي بالفعلة والخصلة وقال
السدي والضحاك والكلبي ترجع الى العاقر اي لم يخف الذي عقرها عقبى ما
صنع وقال ابن عباس ايضا وفي الكلام تقديم وتاخير مجازه اذ انبعث اشقاها
ولا يخاف عقباها وقيل لا يخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عاقبة
اهلاك قومه ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم لانه قد انذرهم
ونجاه الله تعالى حين اهلكهم وقرا نافع وابن عامر فلا بالفاء وهو
الاجود لانه يرجع الى المعنى الاول اي فلا يخاف الله عاقبة اهلاكهم
والباقون بالواو وهي اشبه بالمعنى الثاني اي ولا يخاف الكافر عاقبة ما
صنع وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال اخرج الينا مالك مصحفا
لجده زعم انه كتبه في ايام عثمان بن عفان حين كتب المصاحف

وفيه ولا يخاف بالواو وكذا هي في مصاحف اهل مكة والعراقيين
بالواو واختاره ابو عبيد وابو حاتم اتباعا لمصحفهم ۝

تفسير سورة والليل مكية

وقيل مدنية وهي احدى وعشرون اية باجماع

بسم الله الرحمن الرحيم ۝

قوله تعالى والليل اذا يغشى اي يغطي ولم يذكر معه مفعولا للعلم به
فقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل الخلائق وقيل يغشى كل شيء بظلمته
وروى سعيد عن قتادة قال اول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما
فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنور نهارا مضيئا مبصرا ۝ والنهار اذا تجلى
اي انكشف ووضح وظهر وبان بضوئه عن ظلمة الليل ۝ وما خلق الذكر
والانثى قال الحسن معناه والذي خلق الذكر والانثى فيكون
قد اقسم بنفسه جل وعز وقيل معناه وخلق الذكر والانثى فما مصدرية
على ما تقدم واهل مكة يقولون للرعد سبحان ما سبح له فما على هذا
بمعنى من وهو قول ابي عبيدة وغيره وقد تقدم وقيل المعنى
وما خلق من الذكر والانثى فتكون من مضمرة ويكون القسم منه باهل
طاعته من اوليائه وانبيائه ويكون قسمه بهم تكرمة لهم وتشريفا وقال ابو عبيدة
وما خلق اي ومن خلق وكذلك قوله والسماء وما بناها ونفس وما سواها
ما في هذه المواضع بمعنى من وروي عن ابن مسعود انه كان يقرا والنهار اذا
تجلى والذكر والانثى ويسقط وما خلق وفي صحيح مسلم عن علقمة قال قدمنا
الشام فاتانا ابو الدرداء فقال افيكم احد يقرا على قراءة عبد الله فقلت نعم انا قال
فكيف سمعت عبد الله يقرا هذه الاية والليل اذا يغشى قال سمعته يقرا والليل
اذا يغشى والذكر والانثى قال وانا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقروها

ولكن هؤلاء يريدون ان قرا وما خلق فلا تتابعهم قال ابو بكر الانباري
وحدثنا محمد بن يحيى المروزي قال حدثنا محمد قال حدثنا ابو احمد الزبيري قال ثنا
اسرائيل عن ابي اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال اقرأني رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق ذو القوة المتين قال ابو بكر كل من هذين
الحديثين مردود بخلاف الاجماع له وان حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله بن مسعود
ما عليه جماعة المسلمين والبناء على سندين يوافقان الاجماع اولى من الاخذ بواحد
يخالفه الاجماع والامة وما يبنى على رواية واحد اذا حاذاه رواية جماعة
تخالفه يبنى احد برواية الجماعة وابطل نقل الواحد لما يجوز عليه من النسيان
والاغفال ولو صح الحديث عن ابي الدرداء وكان باسناده مقبولا معروفا
ثم كان ابو بكر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم يخالفونه لكان الحكم
العمل بما رواه الجماعة ورفض ما يحكيه الواحد المنفرد الذي يسرع
اليه من النسيان ما لا يسرع الى الجماعة وجميع اهل الملة وفي المراد بالذكر
والانثى قولان احدهما ادم وحوى قاله ابن عباس والحسن والكلبي الثاني
يعني جميع الذكور والاناث من بني ادم والبهائم لان الله تعالى خلق جميعهم
وقيل كل ذكر وانثى من الادميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية
الله وطاعته ان سعيكم لشتى هو جواب القسم والمعنى ان عملكم لمختلف قال
عكرمة وسائر المفسرين السعي العمل فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها
يدل عليه قوله عليه السلام الناس غاديان فبايع نفسه فمعتقها او موبقها
وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما
بين بعضه بعض اي ان اعمالكم لمتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلالة
وبعضه هدى اي فمنكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى
اي لمختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل اي لمختلف

الاخلاق فمنهم راحم وقاس وحليم وطايش وجواد وبخيل **قوله تعالى**
فاما من اعطى واتقى الاية فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فاما من اعطى
واتقى قال ابن مسعود يعني ابا بكر رضي الله عنه وقاله عامة المفسرين
فروي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان ابو بكر يعتق على الاسلام عجائز
ونساء قال فقال له ابوه ابو قحافة اي بني لو انك اعتقت رجالا جلدا يمنعونك
ويقومون معك فقال يا ابه انما اريد ما اريد وعن ابن عباس في قوله
تعالى فاما من اعطى واتقى اي بذل واتقى اي محارم الله التي نهي عنها وصدق
بالحسنى اي بالخلف من الله على عطائه فسنيسره لليسرى وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه
الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر
اللهم اعط ممسكا تلفا وروي من حديث ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من يوم غربت شمسه الا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق
الله كلهم الا الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وانزل الله تعالى
في ذلك من القرآن فاما من اعطى واتقى الايات وقال اهل التفسير
فاما من اعطى المعسرين وقال قتادة اعطى حق الله الذي عليه وقال
الحسن اعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى اي بلا اله الا الله قاله الضحاك والسلمي
وابن عباس ايضا وقال مجاهد بالجنة دليله قوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة الاية وقال قتادة بموعود الله الذي وعده ان يثيبه
زيد بن اسلم بالصلاة والزكاة والصوم الحسنى بالخلف من عطائه وهو
اختيار الطبري وتقدم عن ابن عباس وكله متقارب المعنى اذ يرجع كله الى الثواب
الذي هو الجنة **قوله تعالى** فسنيسره لليسرى اي نرشده لاسباب
الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن اسلم لليسرى للجنة وفي

الصحيحين والترمذي عن علي رضي الله عنه قال كنا في جنازة في البقيع
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا معه ومعه عود ينكت به الارض
فرفع راسه الى السما فقال ما من نفس منفوسة الا كتب مدخلها فقال القوم
يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فمن كان من اهل السعادة فانه يعمل للسعادة
ومن كان من اهل الشقا فانه يعمل للشقا قال بل اعملوا فكل ميسر اما من
كان من اهل السعادة فانه ييسر لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل
الشقا فانه ييسر لعمل الاشقيا ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
لفظ الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح وسال غلامان شابان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالا العمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير
ام في شي يستانف قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم
العمل قال اعملوا فكل ميسر لعمله الذي خلق له قالا فالان نجد ونعمل
الثانية قوله تعالى واما من بخل واستغنى اي ضن بما عنده فلم
يبذل خيرا وقد تقدم بيانه وثمرته في الدنيا في سورة العمران ومن الاخرة
ماله النار كان في هذه الاية روى الضحاك عن ابن عباس فسوف نيسره للعسرى
قال سوف احول بينه وبين الايمان بالله وبرسوله وعنه عن ابن عباس قال
نزلت في امية بن خلف وروى عكرمة عن ابن عباس واما من بخل
واستغنى يقول بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اي بالخلف وروى
ابن ابي نجيح عن مجاهد وكذب بالحسنى قال بالجنة وباسناده عنه بالحسنى
بلا اله الا الله فسنيسره اي نسهل طريقه للعسرى اي للعسر وعن ابن مسعود
للنار وقيل اي نعسر عليه اسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه
فعلها وقد تقدم ان الملك ينادي صباحا ومسا اللهم اعط منفقا خلفا

واعط ممسكا تلفا رواه ابو الدردا الثالثة قال العلما ثبت بهذه الاية
وبقوله ومما رزقناهم ينفقون وقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية الى غير ذلك من الايات ان الجود من مكارم الاخلاق والبخل من
ارذلها وليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطا ولا البخيل الذي يمنع
في موضع المنع لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطا والبخيل الذي يمنع
في موضع العطا فكل من استفاد بما يعطي اجرا وحمدا فهو الجواد ومن استحق بالمنع
ذما او عقابا فهو البخيل ومن لم يستفد بالعطا اجرا ولا حمدا وانما استوجب
به ذما فليس بجواد انما هو مسرف مذموم وهو من المبذرين الذين جعلهم الله
اخوان الشياطين واوجب الحجر عليهم ومن لم يستوجب بالمنع عقابا ولا ذما واستوجب
به حمدا فهو من اهل الرشد الذين يستحقون القيام على اموال غيرهم بحسن
تدبيرهم وسداد رايهم الرابعة قال الفرا يقول القايل كيف قال فسنيسره
للعسرى وهل في العسرى تيسير فقال في الجواب هذا في اجازته بمنزلة قوله
عز وجل فبشرهم بعذاب اليم والبشارة في الاصل على الفرح والسرور فاذا جمعت
في كلامين هذا خير وهذا شر جات البشارة فيهما وكذلك التيسير في الاصل
على الفرح فاذا جمع في كلامين هذا خير وهذا شر جا التيسير فيهما جميعا قال
الفرا وقوله فسنيسره سنهيئه والعرب تقول قد يسرت الغنم اذا ولدت
او تهيات للولادة قال هما سيدانا يزعمان وانما يسودانا ان يسرت غنماهما
قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى اي مات يقال ردي الرجل
يردى ردى اذا هلك قال صرفت الهوى عنهن من خشية الردى
وقال ابو صالح وزيد بن اسلم اذا تردى اي سقط في جهنم ومنه المتردية
ويقال ردي في البير وتردى اذا سقط في بير او تهور من جبل يقال ما ادري
اين ردي اي اين ذهب وما يحتمل ان يكون جحدا اي ولا يغني عنه ماله

شيئاً ويحتمل ان يكون استفهاما معناه التوبيخ اي اي شيء يغني عنه ماله اذا هلك ووقع في جهنم ﴿ان علينا للهدى﴾ اي ان علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال الهدى بمعنى بيان الاحكام قاله الزجاج اي على الله البيان بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقال قتاده وقال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقوله وعلى الله قصد السبيل يقول من اراد الله فهو على السبيل القاصد وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال كقوله سرابيل تقيكم الحر وهي تقي البرد عن الفراء وقيل اي ان علينا ثواب هداه الذي هديناه ﴿وان لنا للآخرة والاولى﴾ الدنيا وكذى روي عطاء عن ابن عباس اي الدنيا والآخرة لله تعالى وروى ابو صالح عن ابن عباس قال ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فمن طلبها من غير مالكها فقد اخطأ الطريق

قوله تعالى ﴿فانذرتكم﴾ اي حذرتكم وخوفتكم ﴿نارا تلظى﴾ اي تلهب وتتوقد واصله تتلظى وفي قراءة عبيد بن عمير ويحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف تتلظاها ﴿لا يصلاها﴾ اي لا يجد صلاها وهو حرها ﴿الا الاشقى﴾ اي الشقي ﴿الذي كذب﴾ نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وتولى﴾ اي اعرض عن الايمان وروى مكحول عن ابي هريرة قال كل يدخل الجنة الا من ابى قالوا يا ابا هريرة ومن يابى ان يدخل الجنة قال الذي كذب وتولى وقال مالك صلى بنا عمر بن عبد العزيز المغرب فقرأ والليل اذا يغشى فلما بلغ فانذرتكم نارا تلظى وقع عليه البكاء فلم يقدر يتعداها من البكاء فتركها وقرأ سورة اخرى وقال الفراء الا الاشقى الا من كان شقيا في علم الله جل ثناؤه وروى الضحاك عن ابن عباس قال لا يصلاها الا الاشقى امية ونظراؤه الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال قتاده كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله وقال الفراء لم يكن كذب برد ظاهر ولكنه قصر عما امر به من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول لقي فلان

العدو فكذب اذا نكل ورجع عن اتباعه قال وسمعت ابا ثروان يقول ان بني نمير ليس لجدهم مكذوبه يقول انهم اذا لقوا صدقوا القتال ولم يرجعوا وكذلك قوله جل ثناؤه ليس لوقعتها كاذبة يقول هي حق وسمعت سلم بن الحسن يقول سمعت ابا اسحق الزجاج يقول هذه الآية التي من اجلها قال اهل الارجاء بالارجاء فزعموا انه لا يدخل النار الا كافر لقوله جل ثناؤه لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وليس الامر كما ظنوا هذه نار موصوفة بعينها لا يصلى هذه النار الا الذي كذب وتولى ولاهل النار منازل فمنها ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والله سبحانه كلما وعد عليه بجنس من العذاب فجائز ان يعذب به وقال جل ثناؤه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب لم يكن في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فائده وكان يغفر ما دون ذلك فائده لا معنى له الزمخشري الاية وارده في الموازنه بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المومنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر الصديق رضي الله عنه

قوله تعالى ﴿وسيجنبها﴾ اي يكون بعيدا منها ﴿الاتقى﴾ اي التقي الخائف قال ابن عباس هو ابو بكر رضي الله عنه يزحزح عن دخول النار ثم وصف الاتقى فقال ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا ولا يطلب بذلك رياء ولا سمعة بل يتصدق به مبتغيا به وجه الله وقال بعض اهل المعاني اراد بقوله الاتقى والاشقى اي التقي والشقي كقول طرفة

تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد

اي واحد ووحيد وتوضع افعل موضع فعيل نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وهو اهون عليه بمعنى هين

قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى اي ليس يتصدق ليجازي
على نعمة وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اي المتعالي ولسوف يرضى اي بالجزاء قد روى
عطا والضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به
النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر يا ابا بكر
ان بلالا يعذب في الله فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له
اتبيعني بلالا فقال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر
الا ليد كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزى اي عند
ابي بكر من نعمة اي من يد ومنة تجزى بل ابتغى بما فعل وجه ربه الاعلى وقيل
اشترى ابو بكر من امية وابي بن خلف بلالا ببردة وعشر اواقي فاعتقه لله فنزلت
ان سعيكم لشتى وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي
بكر حين قال له ابو بكر اتبيعنه فقال نعم ابيعه بنسطاس وكان نسطاس
عبدا لابي بكر صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان
مشركا فحمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون له ماله فابى فباعه ابو بكر به
فقال المشركون ما فعل ابو بكر ببلال هذه الا ليد كانت لبلال عنده فنزلت
وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء اي لكن ابتغاء وهو استثناء منقطع
فلذلك نصب كقولك ما في الدار احد الا حمارا ويجوز الرفع وقرا يحيى بن وثاب
الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول يجوز الرفع في المستثنى وانشد في
اللغتين قول بشر بن ابي خازم يقول

اضحت خلاء قفارا لا انيس بها الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول [illegible]

وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس

وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل منهم وقد تقدم وجه ربه الاعلى اي مرضاته

وما يقرب منه والاعلى من نعت الرب الذي استحق صفات العلو ويجوز ان يكون
ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء
وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى اي سوف يعطيه في الجنة ما يرضى وذلك
انه يعطيه اضعاف ما انفق وروى ابو حيان التيمي عن ابيه عن علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى
دار الهجرة واعتق بلالا من ماله ولما اشتراه ابو بكر قال له بلال هل اشتريتني لعملك
او لعمل الله قال بل لعمل الله قال فذرني وعمل الله فاعتقه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا رضي الله عنه وقال عطا وروي
ابن عباس ان السورة نزلت في ابي الدحداح في النخلة التي اشتراها بحائط له
فيما ذكر الثعلبي عن عطا وقال القشيري عن ابن عباس باربعين نخلة ولم يسم الرجل
قال عطا كان لرجل من الانصار نخلة يسقط من بلحها في دار جار له فيتناول
صبيانه فشكى ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبيعها بنخلة في الجنة فابى فخرج فلقيه ابو الدحداح فقال هل تبيعنيها بحسنى
حائط له فقال هي لك فاتى ابو الدحداح الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
يا رسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده قال هي لك يا رسول الله
فدعا النبي صلى الله عليه وسلم جار الانصاري فقال خذها فنزلت والليل اذا
يغشى الى اخر السورة في بستان ابي الدحداح وصاحب النخلة فاما من اعطى واتقى
يعني ابا الدحداح وصدق بالحسنى اي بالثواب فسنيسره لليسرى يعني الجنة واما
من بخل واستغنى يعني الانصاري وكذب بالحسنى اي الثواب فسنيسره للعسرى
يعني جهنم وما يغني عنه ماله اذا تردى اي مات الى قوله لا يصلاها الا الاشقى
يعني بذلك الخزرجي وكان منافقا فمات على نفاقه وسيجنبها الاتقى يعني ابا
الدحداح الذي يؤتي ماله يتزكى في ثمن تلك النخلة وما لاحد عنده من نعمة

بحائط يكافئه عليها يعني أبا الدحداح ولسوف يرضى إذا أدخله الله الجنة والأكثر أن
السورة نزلت في أبي بكر رضي الله عنه روي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس
وعبد الله بن الزبير وغيرهم وقد ذكرنا أخبار أبي الدحداح في سورة البقرة
عند قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله الموفق للصواب

تفسير سورة والضحى مكية
باتفاق وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والضحى والليل إذا سجى قد تقدم القول في الضحى
والمراد به النهار لقوله والليل إذا سجى فقابله بالليل وفي سورة الأعراف
أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن
يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أي نهارا وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق
أقسم بالضحى الذي كلم الله فيه موسى وبليلة المعراج وقيل هي الساعة التي
خر فيها السحرة سجدا بيانه قوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقال أهل المعاني
فيه وجها إضمار مجازه ورب الضحى وسجى معناه سكن قاله قتادة ومجاهد
وابن زيد وعكرمة يقال ليلة ساجية أي ساكنة ويقال للعين إذا
سكن طرفها ساجية أي ساكنة يقال سجى الشيء يسجو سجوا إذا سكن
والبحر إذا سجى سكن قال الأعشى

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج ما يواري الدعامصا

وقال آخر يا حبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج

وقال جرير

ولقد رمينك يوم رحن بأعين ينظرن من خلل الستور سواجي

وقال الضحاك سجى غطى كل شيء قال الأصمعي سجو الليل تغطيته

النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب وقال الحسن غشى بظلامه وقاله
ابن عباس وعنه إذا ذهب وعنه أيضا إذا أظلم وقال سعيد بن جبير
أقبل وروي عن قتادة أيضا وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سجى استوى
والقول الأول أشهر في اللغة سجى سكن أي سكن الناس فيه كما يقال نهار صائم
وليل قائم وقيل سكونه استقرار ظلامه واستواؤه ويقال والضحى والليل
إذا سجى يعني عباده الذين يعبدونه في وقت الضحى وعباده الذين يعبدونه
بالليل إذا أظلم ويقال الضحى يعني نور الجنة إذا تنور والليل إذا سجى يعني ظلمة
النار إذا أظلم ويقال والضحى يعني النور الذي في قلوب العارفين كهيئة
النهار والليل إذا سجى يعني السواد الذي في قلوب الكافرين كهيئة الليل
فأقسم الله عز وجل بهذه الأشياء ما ودعك ربك هذا جواب القسم وكان جبريل
عليه السلام أبطأ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قلاه الله وودعه
فنزلت الآية وقال ابن جريج احتبس عنه الوحي اثني عشر يوما وقال
ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقال مقاتل أربعين
يوما فقال المشركون إن محمدا ودعه ربه وقلاه ولو كان أمره من الله لتابع
عليه كما كان يفعل بمن قبله من الأنبياء وفي البخاري عن جندب بن سفيان قال
اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت
يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث
فأنزل الله عز وجل والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وفي
الترمذي عن جندب البجلي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت
أصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
قال وأبطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فأنزل الله تبارك
وتعالى ما ودعك ربك وما قلى قال هذا حديث حسن صحيح لم يذكر الترمذي

فلم يقم ليلتين او ثلاثا اسقطه الترمذي وذكره البخاري وهو اصح ما قيل في
ذلك والله اعلم وقد ذكره الثعلبي ايضا عن جندب بن سفيان البجلي قال رمي النبي
صلى الله عليه وسلم في اصبعه بحجر فدميت فقال

هل انت الا اصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت

فمكث ليلتين او ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له ام جميل امراة ابي لهب ما ارى
شيطانك الا قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث فنزلت والضحى
وروي عن ابي عمران الجوني قال ابطا جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى شق
عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو فنكت بين كتفيه وانزل عليه
ما ودعك ربك وما قلى وقالت خولة وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم
ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم
اياما لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيتي جبريل لا ياتيني قالت خولة
فقلت لو هيأت البيت وكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا هو جرو
ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي الله ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه
الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل الله هذه السورة ولما نزل
جبريل ساله النبي صلى الله عليه وسلم عن التاخر فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا
فيه كلب ولا صورة وقيل لما سالته اليهود عن الروح وذي القرنين
واصحاب الكهف قال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى ان
نزل جبريل بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره
بما سئل عنه وفي هذه القصة نزلت ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان
المسلمين قالوا يا رسول الله ما لك لا ينزل عليك الوحي فقال وكيف ينزل علي وانتم
لا تنقون رواجبكم وفي رواية براجمكم ولا تقصون اظفاركم ولا تاخذون
من شواربكم فنزل جبريل بهذه السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما جئت

حتى اشتقت اليك فقال جبريل وانا كنت اشد اليك شوقا ولكني عبد مامور
ثم انزل عليه وما نتنزل الا بامر ربك ٥ ودعك بالتشديد قراءة العامة من
التوديع وذلك كتوديع المفارق وروي عن ابن عباس وابن الزبير انهما قراه
ودعك بالتخفيف ومعناه تركك قال وثم ودعنا آل عمرو وعامر
فرائس اطراف المثقفة السمر   واستعمله قليل يقال هو يدع كذا اي يتركه
قال المبرد محمد بن يزيد لا يكادون يقولون ودع ولا وذر لضعف
الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك قوله تعالى وما قلى اي ما
ابغضك ربك منذ احبك وترك الكاف لانه راس اية والقلى البغض
فان فتحت القاف مددت تقول قلاه يقليه قلى وقلاء كما تقول قريت الضيف
اقريه قرى وقراء ويقلاه لغة طيء وانشد ثعلب   ايا رب ام العمرو لا تقلاها
اي لا تبغضها ويقلي اي تبغض وقال

ايبتي بنا واحسبي لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

وقال امرؤ القيس   ولست بمقلي الخلال ولا قال   وتاويل
الاية ما ودعك ربك وما قلاك فترك الكاف لانه راس اية كما قال عز وجل
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي والذاكرات الله كثيرا ٥ ٥
قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى فروي سلمة عن ابن اسحق
قال وللاخرة خير لك من الاولى اي ما عندي في مرجعك الي يا محمد خير لك مما عجلت
لك من الكرامة في الدنيا وقال ابن عباس اري النبي صلى الله عليه وسلم ما
يفتح الله على امته بعده فسر بذلك فنزل جبريل بقوله وللاخرة خير لك من الاولى
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ابن اسحق الفلج في الدنيا والثواب في
الاخرة وقيل الحوض والشفاعة وعن ابن عباس الف قصر من لؤلؤ ابيض
ترابه المسك رفعه الاوزاعي قال حدثني اسماعيل بن عبيد الله عن علي بن عبد الله
ابن عباس عن ابيه قال اري النبي صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على امته

فسترضى لك فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى الى قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى فاعطاه جل ثناوه الف قصر في الجنه ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي
له من الازواج والخدم وعن ذلك قال رضي محمد الا يدخل احد من اهل بيته النار
وقال السدي وقيل هي الشفاعه في جميع المومنين وعن علي رضي الله عنه قال
يشفعني الله في امتي حتى يقول الله سبحانه ارضيت يا محمد فاقول يا رب رضيت
وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى قول الله
تعالى في ابرهيم فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى
ان تعذبهم فانهم عبادك فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى
لجبريل عليه السلام اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتى جبريل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فسال له فاخبره فقال الله تعالى لجبريل اذهب الى محمد فقل له
ان الله يقول لك انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال علي رضي الله عنه
لاهل العراق انكم تقولون ان ارجى ايه في كتاب الله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمه الله قالوا انا نقول ذلك قال ولكنا اهل
البيت نقول ان ارجى ايه في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
وفي الحديث لما نزلت هذه الايه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا والله لا ارضى وواحد
من امتي في النار **قوله تعالى** الم يجدك يتيما فاوى عدد سبحانه مننه
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال الم يجدك يتيما فاوى يتيما لا اب لك فقد مات
ابوك فاوى اي جعل لك ماوى تاوي اليه عند عمك ابي طالب فكفلك وقيل
جعفر بن محمد الصادق لم اوتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون
لمخلوق عليه حق وعن مجاهد هو من قول العرب دره يتيمه اذا لم يكن لها
مثل فمجاز الايه الم يجدك واحدا في شرفك لا نظير لك فاواك الله باصحاب يحفظونك
ويحوطونك **قوله تعالى** ووجدك ضالا فهدى اي غافلا عما يراد
بك من امر النبوه فهداك اي ارشدك والضلال هنا بمعنى الغفله كقوله عز وجل

لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يغفل وقال في حق نبيه وان كنت من قبله لمن
الغافلين وقال قوم ضالا لم تكن تدري القران والشرايع فهداك الله الى القران
وشرايع الاسلام عن الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما وهو معنى قوله تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان على ما بيناه في سورة الشورى وقال قوم ووجدك
ضالا اي في قوم ضلال فهداهم الله بك هذا قول الكلبي والفرا وعن السدي
نحوه اي ووجد قومك في ضلال فهداك الى ارشاده وقيل ووجدك ضالا عن
الهجره فهداك اليها وقيل ضالا اي ناسيا شان الاستثنا حين سئلت عن اصحاب
الكهف وذي القرنين والروح فاذكرك كما قال تعالى ان تضل احداهما وقيل ووجدك
طالبا للقبله فهداك اليها بيانه قد نرى تقلب وجهك في السماء الايه ويكون الضلال
بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل ووجدك متحيرا عن بيان ما نزل عليك فهداك
اليه فيكون الضلال بمعنى التحير لان الضال متحير وقيل ووجدك ضايعا في قومك
فهداك اليه ويكون الضلال بمعنى الضياع وقيل ووجدك محبا للهدايه فهداك
اليها ويكون الضلال بمعنى الحب المحبه ومنه قوله تعالى تالله انك لفي ضلالك
القديم اي في محبتك قال الشاعر

هذا الضلال اشاب مني المفرقا والعارضين ولم اكن متحققا
عجبا لعزه في اختيار قطيعتي بعد الضلال فحبلها قد اخلقا

وقيل ضالا في شعاب مكه فهداك ورد ك الى جدك عبد المطلب قال ابن عباس
ضل النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير في شعاب مكه فراه ابو جهل منصرفا عن اغنامه
فرده الى جده عبد المطلب فمن الله عليه بذلك حين رده الى جده على يدي عدوه
وقال سعيد بن جبير خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في سفر فاخذ
ابليس بزمام الناقه في ليله ظلما فعدل بها عن الطريق فجا الامين جبريل عليه السلام
فنفخ في ابليس نفخه وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافله فمن الله عليه
بذلك وقال كعب ان حليمه لما قضت حق الرضاع جات برسول الله صلى الله عليه وسلم

لترده الى عبد المطلب فسمعت عند باب الكعبة مكة هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد
اليك النور والدين والبهاء والجمال قالت فوضعته لاصلح ثيابي فسمعت هدة
شديدة فالتفت فلم اره فقلت معشر الناس اين الصبي فقالوا لم نر شيئا فصحت
وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصى فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء ان
يرده عليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك
على قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب هبل
على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا ايها الشيخ هلاكنا على يدي
محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه قالت فخبرت
قريش الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة
وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا
وتضرع الى الله تعالى ان يرده وقال

يا رب رد ولدي محمدا اردده واتخذ عندي يدا

يا رب ان محمدا لم يوجدا فشمل قومي كلهم تبددا

فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله
ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب
هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بها
يعني باغصانها وبالورق وقيل ووجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف
عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال
ابو بكر الوراق وغيره ووجدك ضالا تحب ابا طالب فهداك الى محبة ربك
وقال بسام بن عبد الله ووجدك ضالا بنفسك لا تدري من
انت فعرفك بنفسك وحالك وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان

الكتاب فعلمك البيان بيانه لتبين للناس ما نزل الاية لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة
في فلاة من الارض لا شجرة معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله
تعالى لنبيه ووجدك ضالا اي لا احد على دينك وانت وحيد ليس معك احد
فهديت بك الخلق الي قلت هذه الاقوال كلها حسان ثم منها ما هو معنوي
ومنها ما هو حسي والقول الاخير اعجب الي لانه يجمع الاقوال المعنوية وقال قوم
انه كان على جملة ما كان القوم عليه لا يظهر لهم خلافا في ظاهر الحال فاما الشرك فلا
يظن به بل كان على مراسم القوم في الظاهر اربعين سنة وقال الكلبي
والسدي هذا على ظاهره اي وجدك كافرا والقوم كفار فهداك وقد مضى هذا
القول والرد عليه في سورة الشورى وقيل ووجدك مغمورا باهل الشرك
فميزك عنهم يقال ضل الماء في اللبن ومنه ائذا ضللنا في الارض اي لحقنا بالتراب
عند الدفن حتى كانا لا نتميز من جملته وفي قراءة الحسن ووجدك ضال فهدى اي
وجدك الضال فاهتدى بك وهذه قراءة على التفسير وقيل ووجدك لا
يهتدي اليك قومك ولا يعرفون قدرك فهدى المسلمين اليك حتى امنوا بك

قوله تعالى ووجدك عائلا اي فقيرا لا مال لك فاغنى اي فاغناك
بخديجة رضي الله عنها يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر قال احيحة بن الجلاح

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

اي يفتقر وقال مقاتل فرضاك بما اعطاك من الرزق وقال
الكلبي قنعك بالرزق وقال ابن عطا ووجدك فقير النفس فاغنى قلبك وقال
الاخفش ووجدك ذا عيال دليله فاغنى ومنه قول جرير

الله انزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العايل
وقيل وجدك فقيرا من الحجج والبراهين فاغناك بها وقيل اغناك بما فتح لك
من الفتوح وافاء عليك من اموال الكفار القشيري وفي هذا نظر
لان السورة مكية وانما فرض الجهاد بالمدينة وقراءة العامة عايلا وقرا
ابن السميقع عيّلا بالتشديد مثل طيّب وطيّن قوله تعالى فاما
اليتيم فلا تقهر الى اخر السورة فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فاما اليتيم
فلا تقهر اي لا تسلط عليه بالظلم ادفع اليه حقه واذكر يتمك قاله الاخفش
وقيل هما لغتان بمعنى وعن مجاهد فلا تقهر فلا تحتقر وقرا النخعي
والاشهب العقيلي تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف ابن مسعود فعلى
هذا يحتمل ان يكون نهيا عن قهره بظلمه واخذ ماله وخص اليتيم لانه لا ناصر له
غير الله تعالى فغلظ في امره بتغليظ العقوبة على ظالمه والعرب تعاقب بين
الكاف والقاف النحاس وهذا غلط انما يقال كهره اذا اشتد عليه
وغلظ وفي صحيح مسلم من حديث معوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلوة
برد السلام قال فبابي هو وامي ما رايت معلما قبله ولا بعده احسن تعليما
منه يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما كهرني ولا ضربني الحديث
وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر الثانية ودلت الاية على اللطف
باليتيم وبره والاحسان اليه حتى قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم
وروي عن ابي هريرة ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه
فقال ان اردت ان يلين فامسح راس اليتيم واطعم المسكين
وفي الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا
وكافل اليتيم له او لغيره كهاتين واشار بالسبابة والوسطى

ومن حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اليتيم اذا بكى اهتز
لبكايه عرش الرحمن فيقول الله تعالى يا ملايكتي من ذا الذي ابكى هذا اليتيم
الذي غيبت اباه في التراب فتقول الملايكة ربنا انت اعلم فيقول الله تعالى
للملايكة يا ملايكتي اشهدوا ان من اسكته وارضاه ان ارضيه يوم القيمة
فكان ابن عمر اذا راى يتيما مسح براسه واعطاه شيا وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما فكان في نفقته وكفاه مونته كان
له حجابا من النار يوم القيمة ومن مسح راس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال
اكثم بن صيفي الاذلاء اربعة النمام والكذاب والمديون واليتيم الثالثة
قوله تعالى واما السايل فلا تنهر اي لا تزجره فهو نهي عن اغلاظ القول
ولكن رده ببذل يسير او رد جميل واذكر فقرك قاله قتادة وغيره
وروي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يمنعن احدكم السايل
وان يعطيه اذا سال ولو راى في يده قلبين من ذهب وقال ابرهيم
ابن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابرهيم
النخعي السايل بريد الاخرة يجي الى باب احدكم فيقول هل تبعثون الى اهليكم
بشي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ردوا السايل ببذل يسير او رد جميل
فانه ياتيكم من ليس من الانس ولا من الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله وقيل
المراد بالسايل هنا الذي يسال عن الدين اي فلا تنهره بالغلظة والجفوة واجبه
برفق ولين قاله سفيان قال ابن العربي واما السايل عن الدين
فجوابه فرض على العالم على الكفاية كاعطاء سايل البر سوا وقد كان ابو
الدردا ينظر الى اصحاب الحديث ويبسط رداه لهم ويقول مرحبا باحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هرون العبدي عن ابي
سعيد الخدري قال كنا اذا اتينا ابا سعيد يقول مرحبا بوصية

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لكم تبع وان
رجالا يأتونكم من اقطار الارض يتفقهون فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وفي
رواية يأتيكم رجال من قبل المشرق فذكره واليتيم والسائل منصوبان بالفعل الذي بعده
وحق المنصوب ان يكون بعد الفاء والتقدير مهما يكن من شيء فلا تقهر
اليتيم ولا تنهر السائل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي
مسألة وددت اني لم اسأله قلت يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما
وسخرت مع داود الجبال يسبحن واعطيت فلانا كذا فقال عز وجل الم اجدك يتيما
فآويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم اشرح لك
صدرك الم اوتك ما لم اوت احدا قبلك خواتيم سورة البقرة الم اتخذك
خليلا كما اتخذت ابرهيم خليلا قلت بلى يا رب الرابعة

قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث اي انشر ما انعم الله عليك بالشكر
والثناء والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر وروى ابن ابي نجيح عن
مجاهد واما بنعمة ربك قال بالقرآن وعنه قال بالنبوة اي بلغ ما ارسلت
به والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والحكم عام له ولغيره وعن الحسن بن علي
رضي الله عنهما قال اذا اصبت خيرا او عملت خيرا فحدث به الثقة من اخوانك وعن
عمرو بن ميمون قال اذا لقي الرجل من اخوانه من يثق به يقول له رزق الله من
الصلاة البارحة كذا وكذا وكان ابو فراس عبد الله بن غالب اذا اصبح يقول لقد
رزقني الله البارحة كذا قرأت كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا وفعلت كذا
فيقال له يا ابا فراس ان مثلك لا يقول هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث وتقولون انتم لا تحدثون بنعمة الله ونحوه عن ايوب السختياني
وابي رجاء العطاردي رضي الله عنهم وقال بكر بن عبد الله المزني قال
النبي صلى الله عليه وسلم من اعطي خيرا فلم ير عليه سمي بغيض الله معاديا

لنعم الله وروى الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
بالنعم شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب وروى النسائي
عن مالك بن نضلة الجشمي قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
فرآني رث الثياب فقال الك مال فقلت نعم يا رسول الله من كل المال قال اذا آتاك
الله مالا فلير اثره عليك وروى ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده

فصل يكبر القارئ في رواية البزي عن ابن كثير وقد رواه مجاهد عن ابن عباس عن ابي
ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغ آخر الضحى كبر بين كل سورة تكبيرة
الى ان يختم القرآن ولا يصل آخر السورة بتكبيرة بل يفصل بينهما بسكتة وكان
المعنى في ذلك ان الوحي تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من
المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال الله اكبر قال
مجاهد قرأت على ابن عباس فامرني به واخبرني به عن ابي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يكبر في قراءة الباقين لانها ذريعة الى الزيادة في القرآن قلت القرآن
ثبت نقلا متواترا سوره وآيه وحروفه لا زيادة ولا نقصان فالتكبير على هذا
ليس بقرآن واذا كان بسم الله الرحمن الرحيم المكتوب في المصحف بخط المصحف ليس
بقرآن فكيف بالتكبير الذي ليس بمكتوب اما انه ثبت سنة بنقل الآحاد
فاستحبه ابن كثير لا انه اوجبه فخطأ من تركه ذكر الحاكم ابو عبد الله محمد بن
عبد الله الحافظ في كتاب المستدرك له على البخاري ومسلم حدثنا ابو يحيى
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ الامام بمكة في المسجد الحرام
قال نا ابو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ قال نا احمد بن محمد بن القاسم
ابن ابي بزة سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسماعيل

ابن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال لي كبر عند خاتمة كل سورة
حتى تختم فاني قرأت على عبد الله بن كثير انه قرأ على مجاهد فاخبره مجاهد
ان ابن عباس امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي بن كعب اخبره بذلك واخبره
ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره بذلك هذا حديث صحيح ولم يخرجاه

تفسير سورة الم نشرح مكية
في قول الجميع وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم نشرح لك صدرك شرح الصدر فتحه اي الم نفتح لك
صدرك للاسلام وروى ابو صالح عن ابن عباس قال الم نلين لك قلبك
وروى الضحاك عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله ايشرح الصدر قال نعم
وينفسح قالوا يا رسول الله ايشرح الصدر قال نعم وينفسح قالوا يا رسول الله ايشرح
الصدر قال نعم وينفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة قال نعم التجافي عن
دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاعداد للموت قبل نزول الموت وقد
مضى هذا المعنى في الزمر عند قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
وروي عن الحسن قال الم نشرح لك صدرك قال ملئ حكما وعلما وفي الصحيح
عن انس عن مالك بن صعصعة رجل من قومه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال فبينا انا عند البيت بين النائم واليقظان اذ سمعت قائلا يقول احد
الثلاثة فاتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري الى كذا وكذا
قال قتادة قلت ما يعني قال الى اسفل بطني قال فاستخرج قلبي
فغسل قلبي بماء زمزم ثم اعيد مكانه ثم حشي ايمانا وحكمة وفي الحديث
قصة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني ملكان في صورة طائر
معهما ماء وثلج فشرح احدهما صدري وفتح الآخر بمنقاره فيه فغسله

وفي حديث آخر قال جاءني ملك فشق عن قلبي فاستخرج منه عذرة وقال
قلبك وكيع وعيناك بصيرتان واذناك سميعتان انت محمد رسول الله لسانك
صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قثم وانت قيم قال اهل اللغة قوله
وكيع اي يحفظ ما يوضع فيه يقال سقاء وكيع اي قوي يحفظ ما فيه واستوكعت
معدته اذا قويت وقوله قثم اي جامع يقال رجل قثوم للخير اي جامع له
ومعنى الم نشرح قد شرحنا الدليل على ذلك في النسق عليه ووضعنا عنك
وزرك فهذا عطف على التأويل لا على التنزيل لانه لو كان على التنزيل لقال
ونضع عنك وزرك فدل هذا على ان معنى الم نشرح قد شرحنا ولم جحد وفي
الاستفهام طرف من الجحد واذا وقع جحد على جحد رجع الى التحقيق كقوله تعالى
اليس الله باحكم الحاكمين ومعناه الله احكم الحاكمين وكذا اليس الله بكاف عبده
ومثله قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان

الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

المعنى انتم كذا **قوله تعالى** ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك
ذنبك وقرأ انس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك
وهذه الآية مثل قوله ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قيل الجميع
كان قبل النبوة والوزر الذنب اي وضعنا عنك ما كنت فيه من امر
الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وسلم في كثير من مذاهب قومه وان لم
يكن عبد صنما ولا وثنا قال قتادة والحسن والضحاك كانت للنبي صلى الله عليه
وسلم ذنوب اثقلته فغفرها الله له الذي انقض ظهرك اي اثقله
حتى سمع نقيضه اي صوته واهل اللغة يقولون انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمعت
له صريرا من شدة الحمل وكذلك سمعت نقيض الرحل اي صريره قال
جميل وحتى تداعت بالنقيض حباله وهمت بواني زوره ان تحطما
فالوزر الحمل الثقيل قال المحاسبي يعني ثقل الوزر لو لم يعفه

الله عنه ان النبي انقض ظهرك اي اوهنه واثقله وداهنه قال وانما وصفت
ذنوب الانبيا بهذا الثقل مع كونها مغفورة لشده اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم
عليها وقال السدي ووضعنا عنك وزرك اي وحططنا عنك ثقلك وهي
في قراه عبد الله بن مسعود وحططنا عنك وزرك وقيل اي حططنا عنك
ثقل اثام الجاهليه قال الحسين بن الفضل يعني الخطا والسهو وقيل ذنوب
امتك اضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقال عبد العزيز بن يحيي وابو
عبيده خففنا عنك اعبا النبوه والقيام بها حتي لا يثقل عليك وقيل
كان في الابتدا يثقل عليه الوحي حتي كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل
الي ان جاه جبريل واراه نفسه وازيل عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل
عصمناك عن احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوه في الاربعين من الادناس
حتي نزل عليك الوحي وانت مطهر من الادناس قوله تعالى ورفعنا
لك ذكرك قال مجاهد يعني بالتاذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغرّ عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي صلى الله عليه وسلم الي اسمه اذا قال المؤذن اشهد
ان لا اله الا الله فمن محمد وروي عن الضحاك عن ابن عباس قال يقول له
لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامه والتشهد ويوم الجمعه
علي المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحي ويوم التشريق ويوم عرفه وعند
الجمار وعلي الصفا والمروه وفي خطبه النكاح وفي مشارق الارض
ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله جل ثناوه وصدق بالجنه والنار
وكل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشي وكان كافرا
وقيل اي اعلينا ذكرك وذلك في الكتب المنزله علي الانبيا
وامرناهم بالبشاره بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل

وقيل رفعنا ذكرك عند الملايكه في السما وفي الارض عند المومنين ونرفع
في الاخره ما نعطيك من المقام المحمود وكرايم الدرجات قوله تعالى
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اي سعه وغني ثم كرر
فقال ان مع العسر يسرا فقال قوم هذا التكرير تاكيد للكلام
كما يقال ارم ارم اعجل اعجل قال الله تعالى كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون ونظيره في تكرار الجواب بلي بلي لا لا وذلك للاطناب
والمبالغه قاله الفرا ومنه قول الشاعر

هممت لنفسي بعض الهموم فاولي لنفسي اولي لها

وقال قوم ان من عاده العرب اذا ذكروا اسما معرفا ثم كرروه فهو هو
واذا نكروه ثم كرروه فهو غيره وهما اثنان ليكونا اقوي للامل وابعث
علي الصبر قاله ثعلب وقال ابن عباس يقول الله تعالي خلقت عسرا واحدا
وخلقت يسرين ولن يغلب عسر يسرين وجا في الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم في هذه السوره انه لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود
والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتي يدخل عليه ولن
يغلب عسر يسرين وكتب ابو عبيده بن الجراح الي عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر رضي الله عنه
اما بعد فانه مهما ينزل بعبد مومن من منزل شده يجعل الله بعده فرجا وانه
لن يغلب عسر يسرين وان الله تعالي يقول في كتابه يا ايها الذين امنوا
اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال
قوم منهم الجرجاني هذا قول مدخول لانه يجب علي هذا التدريج اذا قال
الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا ان يكون الفارس واحدا
والسيف اثنان والصحيح ان يقال ان الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم مقلا مخفا فعيره المشركون بفقره حتي قالوا له نجمع لك مالا فاغتمّ

وظن انهم كذبوه لفقره فعزاه الله وعدد عليه نعمه ووعده الغنى بقوله
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اي لا يحزنك ما عيروك به من الفقر فان مع
ذلك يسرا عاجلا اي في الدنيا فانجز له ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز
واليمن ووسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المائتين من الابل ويهب
الهبات السنيه ويعد لاهله قوت سنه فهذا الفضل كله في امر الدنيا
وان كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد يدخل فيه بعض امته ان شا الله
ثم ابتدا فصلا اخر من امر الاخره وفيه تاسيه وتعزيه له صلى الله عليه وسلم
فقال مبتديا ان مع العسر يسرا فهو شي اخر والدليل على ابتدايه تعريه
من فا او واو وغيرهما من حروف النسق التي تدل على العطف فهذا وعد عام
لجميع المومنين لا يخرج احد منه اي ان مع العسر في الدنيا للمومنين يسرا في الاخره
لا محاله وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الاخره والذي في الخبر لن يغلب عسر
يسرين يعني العسر الواحد لن يغلبهما وانما يغلب احدهما ان غلب وهو
يسر الدنيا فاما يسر الاخره فكاين لا محاله ولن يغلبه شي ويقال ان مع العسر
وهو اخراج اهل مكه النبي صلى الله عليه وسلم من مكه يسرا وهو دخوله يوم فتح
مكه مع عشره الاف رجل مع عز وشرف **قوله تعالى** فاذا
فرغت فانصب فيه مسلتان الاولى قوله تعالى فاذا فرغت قال ابن عباس
وقتاده فاذا فرغت من صلاتك فانصب اي بالغ في الدعا وسله حاجتك
وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل قال الكلبي
اذا فرغت من تبليغ الرساله فانصب اي استغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
وقال الحسن وقتاده ايضا اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعباده
ربك وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك ونحوه عن
الجنيد اذا فرغت من امر الخلق فاجتهد في عباده الحق قال ابن العربي

ومن المبتدعه من قرا هذه الايه فانصب بكسر الصاد والهمزه في اوله وقالوا
معناه انصب الامام الذي تستخلفه وهذا باطل في القراه باطل في المعنى لان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احدا وقراها بعض الجهال فانصب بتشديد
البا معناه اذا فرغت لقوله صلى الله عليه وسلم السفر قطعه من العذاب يمنع
احدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى احدكم نهمته فليعجل الرجوع الى
اهله فاشد الناس عذابا واسواهم مثابا ومآبا من اخذ معنى صحيحا فركب
عليه من قبل نفسه قراه او حديثا فيكون كاذبا على الله كاذبا على رسوله
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المهدوي وروي عن ابي جعفر
المنصور انه قرا الم نشرح لك بفتح الحا وهو بعيد وقد تاول على تقدير النون
الخفيفه ثم ابدلت النون الفا للوقف ثم حمل الوصل على الوقف ثم حذفت
الالف وانشد عليه اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسوط قونس الفرس
اراد اضربن وروي عن ابي السمال فاذا فرغت بكسر الرا وهي لغه فيه
وقرى فرغب اي رغب الناس الى ما عنده الثانيه قال ابن العربي روي عن
شريح انه مر بقوم يلعبون يوم عيد فقال ما بهذا امر الشارع وفيه
نظر فان الحبش كانوا يلعبون بالدرق والحراب في المسجد يوم العيد والنبي صلى الله
عليه وسلم ينظر ودخل ابو بكر رضي الله عنه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عايشه وعندها جاريتان من جواري الانصار تغنيان فقال ابو بكر امزمور
الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما يا ابا بكر فانه يوم عيد
وليس يلزم الدوب على العمل بل هو مكروه للخلق ولله الحمد والمنه

تفسير سوره والتين مكيه في قول الاكثرين

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتاده رحمه الله
عنه هي مدنيه وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والتين والزيتون فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى
والتين والزيتون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمه وابرهيم النخعي
وعطا بن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تاكلون
وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قال الله تعالى وشجرة تخرج من طور سينا
تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وقال ابو ذر اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم
سل من تين فقال كلوا واكل منه ثم قال لو قلت ان فاكهه انزلت من الجنه
بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن معاذ انه
استاك بقضيب زيتون وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك
الزيتون من الشجره المباركه يطيب الفم ويذهب بالحفر وهي سواكي وسواك
الانبيا من قبلي وروي عن ابن عباس ايضا التين مسجد نوح عليه السلام
الذي بني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين
المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وقال ابن زيد التين مسجد
دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس قتاده التين الجبل الذي عليه
دمشق والزيتون الذي عليه بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين
مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال كعب الاحبار وقتاده
ايضا وعكرمه وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهذا
اختيار الطبري وقال الفرا سمعت رجلا من اهل الشام يقول التين جبال
ما بين حلوان الى همذان والزيتون جبال الشام وقيل هما جبلان بالشام يقال
لهما طور زيتا وطور تينا بالسريانيه سميا بذلك لانهما ينبتانهما وكذا روى ابو
مكين عن عكرمه قال التين والزيتون جبلان بالشام وقال زهير
اتين التين عن عرض وهذا اسم موضع ويجوز ان يكون ذلك على حذف مضاف
اي ومنابت التين والزيتون ولكن لا دليل على ذلك من ظاهر التنزيل

ولا من قول من لا يجوز خلافه قاله النحاس الثانيه اصح هذه الاقوال
القول الاول لانه الحقيقه ولا يعدل عن الحقيقه الى المجاز الا بدليل وانما اقسم
الله بالتين لانه كان ستر ادم في الجنه لقوله تعالى يخصفان عليهما من ورق
الجنه وكان ورق التين وقيل اقسم به ليبين وجه المنه العظمى فيه فانه
جميل المنظر طيب المخبر نشر الرايحه سهل الجني على قدر المضغه وقد احسن
القايل فيه

انظر الى التين في الغصون ضحى ممزق الجلد مايل العنق
كانه رب نعمه سلبت فعاد بعد الجديد في الخلق
اصغر ما في النهود اكبره لكن ينادي عليه في الطرق

وقال اخر

التين يعدل عندي كل فاكهه اذا انثنى مايلا في غصنه الزاهي
مخمش الوجه قد سالت حلاوته كانه راكع من خشيه الله

واقسم بالزيتون لانه مثل به ابرهيم في قوله تعالى يوقد من شجره مباركه زيتونه
وهو اكثر ادم اهل الشام والمغرب يصطبغون به ويستعملونه في طبيخهم ويستصبحون
به ويداوي به ادوا الجوف والقروح والجراحات وفيه منافع كثيره وقال عليه
السلام كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجره مباركه وقد مضى في سوره المومنين
القول فيه الثالثه قال ابن العربي ولامتنان الباري سبحانه وتعظيم المنه
في التين وانه مقتات مدخر قلنا بوجوب الزكاه فيه وانما فر كثير من العلما
من التصريح بوجوب الزكاه فيه تقيه جور الولاه فانهم يتحاملون في الاموال
الزكاتيه فياخذونها مغرما حسب ما انذر به الصادق صلى الله عليه وسلم فكره العلما
ان يجعلوا لهم سبيلا الى مال اخر يتشططون فيه ولكن ينبغي للمرء ان يخرج عن نعمه ربه
باداء حقه وقد قال الشافعي لهذه العله وغيرها لا زكاه في الزيتون والصحيح
وجوب الزكاه فيهما **قوله تعالى** وطور سينين روى ابن ابي نجيح عن مجاهد

وطور قال جبل سينين قال المبارك بالسريانية وعن عكرمة عن ابن عباس قال طور جبل وسينين حسن وقال قتادة سينين هو المبارك الحسن وعن عكرمة قال الجبل الذي نادى الله منه موسى عليه السلام وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط وعن عمرو بن ميمون قال صليت مع عمر بن الخطاب العشاء بمكة فقرا والتين والزيتون وطور سينا وهذا البلد الامين قال وهكذا هي في قراءة الله ورفع صوته تعظيمًا للبيت وقرا في الركعة الثانية بالم تر كيف فعل ربك ولايلاف قريش جمع بينهما ذكره ابن الانباري والنحاس وفي قراءة عبد الله سينا بكسر السين وفي حديث عمرو بن ميمون عن عمر بفتح السين وقال الاخفش طور جبل وسينين شجر واحدته سينينة وقال ابو علي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه كما كررت في خطليل لمكان الزلق وكريت للقطعة من التمر وحنتيف للطويل ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سينا لانه جعل اسمًا لبقعة او ارض ولو جعل اسمًا للمكان او للمنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرًا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام والارض المقدسة وقد بارك الله فيهما كما قال الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله

قوله تعالى وهذا البلد الامين يعني مكة سماه امينًا لانه امن كما قال انا جعلنا حرمًا امنًا فالامين بمعنى الامن قاله الفراء وغيره قال

الم تعلمي يا اسم ويحك انني حلفت يمينًا لا اخون اميني

يعني امني وبهذا احتج من قال انه اراد بالتين دمشق وبالزيتون بيت المقدس فاقسم الله بجبل دمشق لانه ماوى عيسى عليه السلام وبجبل بيت المقدس لانه مقام الانبيا عليهم السلام وبمكة لانها اثر ابرهيم ودار محمد صلى الله عليهما وسلم

قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل

سافلين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان هذا جواب القسم واراد بالانسان الكافر قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد فعلى هذا نزلت في منكري البعث وقيل المراد بالانسان ادم وذريته في احسن تقويم وهو اعتداله واستواء شبابه كذا قال عامة المفسرين وهو احسن ما يكون فيه لانه خلق كل شي منكبًا على وجهه وخلقه هو مستويًا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها وقال ابو بكر بن طاهر مزينًا بالعقل مودبًا بالامر مهذبًا بالتمييز مديد القامة يتناول ماكوله بيده ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيًا عالمًا قادرًا مريدًا متكلمًا سميعًا بصيرًا مدبرًا حكيمًا وهذه صفات الرب سبحانه وعنها عبر بعض العلماء ووقع البيان بقوله ان الله تعالى خلق ادم على صورته يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن اين يكون للرحمن صورة متشخصة فلم يبق الا ان تكون معاني وقد اخبرنا المبارك بن عبد الجبار الازدي قال حدثنا القاضي ابو القاسم علي بن ابي علي القاضي المحسن عن ابيه كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبًا شديدًا فقال لها يومًا انت طالق ثلثًا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني وبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره بالخبر واظهر للمنصور جزعًا عظيمًا فاستحضر الفقها واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلًا واحدًا من اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتًا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال له الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المومنين فالانسان احسن الاشيا ولا شي احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل ابو جعفر المنصور الى زوجته ان اطيعي زوجك ولا تعصيه

فالمقصود هنا يدل على ان الانسان احسن خلق الله جمال هيبته وبديع تركيب الراس
بما فيه والصدر بما جمعه والبطن بما حواه والفرج وما طواه واليد وما بطشتاه
والرجلان وما احتملتاه ولذلك قالت الفلاسفه انه العالم الاصغر اذ كل
ما في المخلوقات اجتمع فيه الى نبيه **قوله تعالى** ثم رددناه اسفل سافلين
اي الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوه حتى يصير كالصبي في
الحال الاول قاله الضحاك والكلبي وغيرهما وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد ثم رددناه
اسفل سافلين الى النار يعني الكافر وقاله ابو العاليه وقيل لما وصفه بتلك الصفات
الجليله التي ركب الانسان عليها طغى وعلا حتى قال انا ربكم الاعلى وحين علم الله هذا
من عبده وقضاوه صادر من عنده رده الى اسفل سافلين بان جعله مملوا
قذرا مشحونا نجاسه واخرجها على ظاهره اخراجا منكرا على وجه
الاختيار تاره وعلى وجه الغلبه اخرى حتى اذا شاهد ذلك من امره رجع الى
قدره وقرا عبد الله اسفل السافلين **قوله تعالى** الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات فانه يكتب لهم حسناتهم ويمحى عنهم سيئاتهم قاله ابن عباس وهم
الذين ادركهم الكبر لا يواخذون بما عملوه في كبرهم روي الضحاك عنه قال
اذا كان العبد في شبابه كثير الصلوه كثير الصيام والصدقه ثم ضعف عما كان يعمل
في شبابه اجرى الله عز وجل له ما كان يعمل في شبابه وفي الحديث قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا سافر العبد او مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل فيها صحيحا وقيل
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانه لا يخرف ولا يهرم ولا يذهب عقله من كان عالما
عاملا به وعن عاصم الاحول عن عكرمه قال من قرا القران لم يرد الى ارذل
العمر وروي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لمن طال عمره
وحسن عمله وروي ان العبد المومن اذا مات امر الله ملكيه ان يتعبدا على
قبره الى يوم القيمه ويكتب له ذلك وقال اسفل سافلين على الجمع
الانسان في معنى جمع ولو قال اسفل سافل جاز لان لفظ الانسان واحد
ونقول هذا افضل قايم ولا نقول افضل قايمين لانك تضمر لواحد فان كان الواحد

٢٣١

غير مقصود له رجع اسمه بالتوحيد والجمع كقوله والذي جا بالصدق وصدق به
اولئك هم المتقون وقوله تعالى واذا اذقنا الانسان منا رحمه فرح بها وان تصبهم سيئه وقد
قيل ان معنى رددناه اسفل سافلين رددناه الى الضلال كما قال تعالى ان الانسان لفي
خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الا هولاء فلا يردوا الى ذلك والاستثنا على
قول من قال اسفل سافلين النار متصل ومن قال انه الهرم فهو منقطع فلهم اجر غير ممنون
قال الضحاك اجر بغير عمل وقيل غير مقطوع **قوله تعالى** فما يكذبك بعد بالدين قيل
الخطاب للكافر توبيخا والزاما للحجه اي اذا عرفت ايها الانسان ان الله خلقك في احسن
تقويم وانه يردك الى ارذل العمر وينقلك من حال الى حال فما يحملك على ان تكذب بالبعث
والجزا وقد اخبرك محمد صلى الله عليه وسلم به وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم اي استيقن مع ما جاءك من الله عز وجل انه احكم الحاكمين روي معناه عن
قتاده وقال قتاده ايضا والفرا المعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد
هذا البيان بالدين واختاره الطبري كانه قال فمن يقدر على ذلك اي على
تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الانسان والدين
والجزا قال الشاعر دنا هم كما دانوا ... في سالف الدهر
قوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين اي اتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق
وقيل باحكم الحاكمين قضا بالحق وعدلا بين الخلق وفيه تقدير لمن اعترف من الكفار
بصانع قديم والف الاستفهام اذا دخلت على النفي وفي الكلام معنى التوقيف صار ايجابا كما قال
الستم خير من ركب المطايا وقيل فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين منسوخه
بايه السيف وقيل هي ثابته لانه لا تنافي بينهما وكان ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم
اذا قرا اليس الله باحكم الحاكمين قالا بلى وانا على ذلك من الشاهدين فيختار ذلك والله اعلم
ورواه الترمذي عن ابي هريره قال من قرا سوره والتين والزيتون فقرا اليس الله باحكم
الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين

تفسير سوره العلق وهي مكيه باجماع وهي اول ما نزل من القران في قول ابي موسى وعايشه
رضي الله عنهم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق هذه السوره اول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين نزل بها جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قايم على حرا فعلمه خمس ايات من هذه السوره وقيل انه اول ما نزل يا ايها المدثر قاله جابر بن عبد الله وقد تقدم وقيل فاتحة الكتاب اول ما نزل قاله ابو ميسرة والهمذاني وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول ما نزل من القرآن قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم والصحيح الاول قالت عايشه اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا الصادقة فجاه الملك فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم خرجه البخاري في الصحيحين عنها قالت اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا يرى رويا الا جات مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو بغار حرا يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجه رضي الله عنها فيتزود لمثلها حتى فجيه الحق وهو في غار حرا فجاه الملك فقال له اقرا فقلت ما انا بقاري قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فغطني الثانيه ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فغطني الثالثه حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الحديث بكماله وقال ابو رجا العطاردي وكان ابو موسى الاشعري رضي الله عنه يطوف علينا في هذا المسجد مسجد البصره فيقعد حلقا فيقرينا القرآن فكاني انظر اليه بين ثوبين له ابيضين وعنه اخذت هذه السوره اقرا باسم ربك الذي خلق وكانت اول سورة انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم وروت عايشه رضي الله عنها انها اول سوره نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها ن والقلم ثم بعدها يا ايها المدثر ثم بعدها والضحى ذكره الماوردي وعن الزهري اول ما نزلت سورة اقرا باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل انك نبي الله فرجع الى خديجه رضي الله عنها وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر ومعنى اقرا باسم ربك اي اقرا ما انزل اليك من القرآن مفتتحا باسم ربك وهو ان تذكر التسميه في ابتدا كل سورة فمحل الباء من باسم ربك النصب على الحال وقيل الباء بمعنى على اي اقرا على اسم ربك يقال افعل كذا بسم الله وعلى اسم الله وعلى هذا فالمقدر محذوف اي افتتح القرآن واقرا بسم الله وقال قوم اسم ربك هو القرآن فهو يقول اقرا اسم ربك اي اسم ربك والبا زايده كقوله تعالى تنبت بالدهن وكما قال سود المحاجر لا يقران بالسور اراد لا يقران السور وقيل معنى اسم ربك اي اذكر اسمه امره ان يبتدي القراة باسم الله **قوله تعالى** خلق الانسان يعني ابن آدم من علق اي من دم جمع علقه والعلقه الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقال من علق فذكره بلفظ الجمع لانه اراد بالانسان الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة والعلقه قطعه من دم رطب سميت بذلك لانها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه فاذا جفت لم تكن علقه وقال الشاعر

تركناه يخر على يديه يمج عليهما علق الوتين

وخص الانسان بالذكر تشريفا له وقيل اراد ان يبين قدر نعمته عليه بان خلقه من علقه مهينه حتى صار بشرا سويا وعاقلا مميزا **قوله تعالى** اقرا تاكيد وتم الكلام ثم استانف فقال وربك الاكرم اي الكريم وقال الكلبي اي الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم والاول اشبه بالمعنى لانه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على كرمه وقيل اقرا وربك اي اقرا يا محمد وربك يعينك ويفهمك وان كنت غير القاري والاكرم بمعنى المتجاوز عن جهل العباد **قوله تعالى** الذي علم بالقلم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم يعني الخط والكتابه اي علم الانسان الخط بالقلم وروى سعيد عن قتادة قال القلم

نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه
سبحانه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه
على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو
وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم
ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور
الدين والدنيا وسمي قلما لانه يقلم اي يقطع ومنه تقليم الظفر وقال بعض
شعراء المحدثين يصف القلم فقال

وكأنه والحبر يخضب رأسه ... شيخ لوصل خريدة يتصنع
لم لا الاحظه بعين جلالة ... وبه الى الله الصحائف ترفع

وعن عبد الله بن عمرو قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب
ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله علم بالقلم وروى
مجاهد عن ابن عمر قال خلق الله عز وجل اربعة اشياء بيده ثم قال
لسائر الحيوان كن فكان القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه السلام
وفيمن علمه بالقلم ثلاثة اقاويل احدها انه ادم عليه السلام لانه اول
من كتب قاله كعب الاحبار الثاني انه ادريس عليه السلام وهو اول
من كتب قاله الضحاك الثالث انه ادخل كل من كتب بالقلم لانه
ما علم الا بتعليم الله سبحانه وجمع بذلك نعمته عليه في تعليمه استكمالا للنعمة عليه
الثانية صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة قال
لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو عنده فوق العرش ان رحمتي
تغلب غضبي وثبت عنه عليه السلام ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب

فكتب ما يكون الى يوم القيامة فهو عنده في الذكر فوق عرشه الثالثة وفي الصحيح من حديث
ابن مسعود سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان
واربعون ليلة بعث الله تعالى اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها
ولحمها وعظمها ثم يقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب
الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول
الملك يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة
في يده فلا يزيد على ما امر ولا ينقص وقال تعالى وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين قال علماؤنا فالاقلام في الاصل ثلاثة القلم الاول الذي خلقه
بيده وامره ان يكتب والقلم الثاني قلم الملائكة جعله الله بايديهم يكتبون
بها المقادير والكوائن والاعمال والقلم الثالث اقلام الناس
جعلها الله بايديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها مآربهم وفي الكتابة
فضائل جمة والكتابة من جملة البيان والبيان مما اختص به الادمي
الرابعة قال علماؤنا كانت العرب اقل الخلق معرفة بالكتابة واقل
العرب به معرفة المصطفى صلى الله عليه وسلم صرف عن علمه ليكون ذلك
اثبت لمعجزته واقوى في حجته وقد مضى هذا مبينا في سورة العنكبوت
وروى حماد بن سلمة عن الزبير بن عبد السلام عن ايوب بن عبد الله الفهري
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم
الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال علماؤنا وانما حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك لان في اسكانهن الغرف تطلعا الى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا
ستر وذلك لانهن لا يملكن انفسهن حتى يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة
والبلاء فحذرهم ان يجعلوا لهن غرفا ذريعة الى الفتنة وهو كما قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس للنساء خير لهن من ان لا يرين الرجال ولا يرين
الرجال وذلك انها خلقت من الرجل فنهمتها في الرجل والرجل ظلفت فيه الشهوه
وجعلت سكنا له فغير مامون كل واحد منهما في صاحبه وكذلك تعليم الكتابه
ربما كانت سببا للفتنه وذلك اذا علمت الكتابه كتبت الى من تهوى والكتابه
عين من العيون به يبصر الشاهد الغايب والخط هو اثار يده وفي ذلك تعبيره
عن الضمير بما لا ينطلق به اللسان فهو ابلغ من اللسان فاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينقطع عنهن اسباب الفتنه تحصينا لهن وطهاره لقلوبهن

قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم قيل الانسان ههنا ادم عليه السلام
علمه اسما كل شي حسبما جا به القرآن في قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها ولم يبق
شي الا وعلم سبحانه وتعالى ادم اسمه بكل لغه وذكره ادم للملايكه كما علمه وبذلك
ظهر فضله وتبين قدره وثبتت نبوته وقامت حجه الله على الملايكه وحجته
واستثلت الملايكه للامر لما رات من شرف الحال ورات من جلال القدره وسمعت
من عظيم الامر ثم توارثت ذلك ذريته خلفا بعد سلف وتناقلوه قوما
عن قوم وقد مضى هذا في سوره البقره مستوفى والحمد لله وقيل الانسان
ههنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وعلى هذا فالمراد بعلمه المستقبل فان هذا من اوايل ما نزل وقيل هو
عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا

قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السوره قيل انه نزل في ابي جهل
وقيل نزلت السوره كلها في ابي جهل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلوه فامر
الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في المسجد ويقرا باسم الرب وعلى هذا فليست
السوره من اوايل ما نزل ويجوز ان يكون خمس ايات من اولها اول ما
نزلت ثم نزلت البقيه في شان ابي جهل وامر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك

الى اول السوره لان تاليف السور جرى بامر من الله الا ترى ان قوله تعالى واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله اخر ما نزل وكتب قبله بزمان طويل وكلا بمعنى حقا اذ ليس
قبله شي والانسان ههنا ابو جهل والطغيان مجاوزه الحد في العصيان ان راه اي
لان راى نفسه استغنى اي صار ذا مال وثروه وقال ابن عباس في روايه
ابي صالح عنه قال لما نزلت هذه الايه وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال يا
محمد تزعم انه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكه ذهبا لعلنا ناخذ منها
فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال
يا محمد خيرهم في ذلك فان شاوا فعلنا بهم ما ارادوه وان لم يسلموا فعلنا بهم ما
فعلنا باصحاب المايده فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القوم لا يقبلون
ذلك فكف عنهم ابقا عليهم وقيل انه راه استغنى بالعشيره والانصار والاعوان
وحذف اللام من قوله ان راه كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم وقال الفرا
لم يقل راى نفسه كما قيل قتل نفسه لان راى من الافعال التي تريد اسما
وخبرا نحو الظن والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد والعرب تطرح النفس
من هذا الجنس تقول رايتني وحسبتني ومتى تراك خارجا ومتى تظنك خارجا
وقرا مجاهد وحميد وقنبل عن ابن كثير ان راه استغنى بقصر الهمزه الباقون
راه بمدها وهو الاختيار **قوله تعالى** ان الى ربك الرجعى اي المرجع من
هذا وصفه فنجازيه والرجعى والرجع والرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعا
ومرجعا ورجعى على وزن فعلى **قوله تعالى** ارايت الذي ينهى وهو ابو جهل
عبدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم فان ابا جهل قال ان رايت محمدا يصلي لاطان
على عنقه قاله ابو هريره فانزل الله تعالى هذه الايات تعجبا منه وقيل
في الكلام حذف والمعنى امن هذا الناهي عن الصلاه من العقوبه

قوله تعالى ارايت ان كان على الهدى اي ارايت يا ابا جهل

اذ كان محمد صلى الله عليه وسلم على هذه الصفة اليس ناهيه عن التقوى والصلاة هالكا

قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى يعني ابا جهل كذب بكتاب الله عز وجل واعرض عن الايمان وقال الفراء المعنى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر اي فما اعجب هذا ثم يقول ويله الم يعلم ابو جهل بان الله يرى اي يراه ويعلم فعله فهو تقرير وتوبيخ وقيل كل واحد من ارايت بدل من الاول والم يعلم بان الله يرى الخبر

قوله تعالى كلا لئن لم ينته اي ابو جهل عن ذاك يا محمد لنسفعا اي لناخذن بالناصية فلنذلنه وقيل لناخذن بناصيته يوم القيامة ونطويها مع قدميه ويطرح في النار كما قال تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام فالاية وان كانت في ابي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمتنع او يمنع غيره من الطاعة واهل اللغة يقولون سفعت بالشيء اذا قبضت عليه وجذبته جذبا شديدا ويقال سفع بناصية فرسه وقال

قوم اذا كثر الصياح رايتهم من بين ملجم مهره او سافع

وقيل ماخوذ من قولهم سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد قال

اثافي سفعا في معرس مرجل ونؤي كجذم الحوض اثلم خاشع

والناصية شعر مقدم الراس وقد يعبر بها عن جملة الانسان كما يقال هذه ناصية مباركة اشارة الى جميع الانسان وخص الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن ارادوا اذلاله واهانته اخذوا بناصيته وقال المبرد السفع الجذب بشدة اي لنجرن بناصيته الى النار وقيل السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وكله متقارب المعنى ان يجمع عليه الضرب عند الاخذ ثم يجر الى النار

ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطئة اي ناصية ابي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها والخاطئ معاقب ماخوذ والمخطئ غير ماخوذ ووصف الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر في قوله تعالى الى ربها ناظرة وقيل اي صاحبها كاذب خاطئ كما يقال نهاره صائم وليله قائم اي هو صائم في نهاره قائم في ليله

قوله تعالى فليدع ناديه اي اهل مجلسه وعشيرته وليستنصر بهم سندع الزبانية اي الملائكة الغلاظ الشداد عن ابن عباس وغيره واحدهم زبني قاله الكسائي والاخفش وقال ابو عبيدة زبنية وقيل زباني وقيل هو اسم للجمع كالابابيل والعباديد وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب وهو ماخوذ من الزبن وهو الدفع ومنه المزابنة في البيع وقيل انما سموا الزبانية لانهم يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم حكاه ابو الليث السمرقندي رحمه الله قال وروي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال ابو جهل انا ادعو قومي حتى يمنعوا عني ربك فقال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما سمع ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه فقال لا ولكن رايت عنده فارسا فهددني بالزبانية فلا ادري ما الزبانية ومال الي الفارس فخشيت ان ياكلني وفي الاخبار ان الزبانية رؤوسهم في السماء وارجلهم في الارض فهم يدفعون الكفار في جهنم وقيل انهم اعظم الملائكة خلقا واشدهم بطشا والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه قال الشاعر

مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى زبانية غلب عظام حلومها

وعن عكرمة عن ابن عباس سندع الزبانية قال قال ابو جهل لئن رايت محمدا يصلي لاطان على عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن فعل لاخذته الملائكة عيانا قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وروى عكرمة عن ابن عباس قال مر ابو جهل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند المقام فقال الم انهك عن هذا يا محمد فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال ابو جهل باي شي تهددني يا محمد والله اني لاكثر اهل الوادي ناديا فانزل
الله عز وجل فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس والله لو دعا ناديه
لاخذته زبانية العذاب من ساعته خرجه الترمذي بمعناه وقال
حسن غريب والنادي في كلام العرب المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي
يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير
لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير
وفيهم مقامات حسان وجوههم وقال اخر
واستب بعدك يا كليب المجلس وقد ناديت الرجل اناديه اذا جالسته قال زهير
وجار البيت والرجل المنادي امام الحي عقدهما سواء

قوله تعالى كلا اي ليس الامر على ما يظنه ابو جهل لا تطعه فيما دعاك اليه
من ترك الصلوة واسجد اي صل لله واقترب اي تقرب الى الله جل ثناؤه بالطاعة
والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت فاقترب من الله بالدعا روى عطا عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه واحبه اليه جبهته
في الارض ساجدا لله قال علماؤنا وانما ذلك لانها نهاية العبودية
والذلة ولله غاية العزة وله العزة التي لا مقدار لها فكلما بعدت من صفته
قربت من جنته ودنوت من جواره في داره وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعا فقمن ان يستجاب لكم
ولقد احسن من قال
واذا تذللت الرقاب تواضعا منا اليك فعزها في ذلها
وقال زيد بن اسلم اسجد انت يا محمد مصليا واقترب انت يا ابا جهل من
النار **قوله تعالى** واسجد هنا السجود يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلاة

ويحتمل ان يكون سجود التلاوة في هذه السورة قال ابن العربي والظاهر انه سجود
الصلوة لقوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله تعالى كلا لا تطعه واسجد
واقترب لولا ما ثبت في الصحيح من رواية مسلم وغيره من الائمة عن ابي هريرة
انه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السما انشقت وفي اقرا باسم
ربك الذي خلق سجدتين فكان هذا ايضا نصا على ان المراد سجود التلاوة
وقد روى ابن وهب عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال عزائم السجود اربع الم وحم تنزيل من الرحمن
الرحيم والنجم واقرا باسم ربك قال ابن العربي وهذا ان صح يلزم عليه السجود
الثاني من سورة الحج وان كان مقترنا بالركوع لانه يكون معناه اركعوا في
موضع الركوع واسجدوا في موضع السجود وقد قال ابن نافع ومطرف وكان
مالك يسجد في خاصة نفسه بخاتمة هذه السورة من اقرا باسم ربك وابن وهب يراها
من العزايم قلت وقد روينا من حديث مالك بن انس عن ربيعة بن ابي
عبد الرحمن عن نافع عن ابن عمر قال لما انزل الله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ اكتبها يا معاذ فاخذ معاذ اللوح والقلم والنون
وهي الدواة فكتبها معاذ فلما بلغ كلا لا تطعه واسجد واقترب سجد اللوح وسجد
القلم وسجدت النون وهم يقولون اللهم ارفع به ذكرا اللهم احطط به وزرا
اللهم اغفر به ذنبا قال معاذ سجدت واخبرت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسجد ختمت والحمد لله على ما فتح ومنح واعطى وله الحمد والمنة

تفسير سورة القدر وهي مدنية
في قول اكثر المفسرين

ذكره الثعلبي وحكى الماوردي عكسه قلت وهي مدنية في قول الضحاك وهي خمس ايات

وذكر الواقدي انها اول سوره نزلت بالمدينه وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا انزلناه في ليله القدر يعني القران وان لم يجر لها ذكر
في هذه السوره لان المعنى معلوم والقران كله كالسوره الواحده وقد قال
شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقال حم والكتاب المبين انا انزلناه
في ليله مباركه يريد ليله القدر وقال الشعبي انا ابتدانا انزاله في ليله القدر
وقيل بل نزل به جبريل عليه السلام جمله واحده في ليله القدر من اللوح المحفوظ
الى سما الدنيا الى بيت العزه واملاه جبريل على السفره ثم كان جبريل عليه السلام
ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما وكان بين اوله واخره ثلاث وعشرون
سنه قاله ابن عباس وقد تقدم في سوره البقره وحكى الماوردي عن ابن عباس قال
نزل القران في شهر رمضان وفي ليله القدر وفي ليله مباركه جمله واحده
من عند الله تعالى من اللوح المحفوظ الى السفره الكرام الكاتبين في السما الدنيا
فنجمته السفره الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنه ونجمه جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم عشرين سنه قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل
وبين الله عز وجل واسطه ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم واسطه ٥

قوله تعالى وما ادراك ما ليله القدر قال مجاهد في ليله الحكم وما ادراك ما
ليله القدر قال ليله الحكم والمعنى ليله التقدير سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها
ما يشا من امره الى مثلها من السنه القابله من امر الموت والاجل والرزق وغيره
ويسلمه الى مدبرات الامور وهم اربعه من الملايكه اسرافيل وميكائيل وعزرائيل
وجبرائيل عليهم السلام وعن ابن عباس قال يكتب من ام الكتاب ما يكون في
السنه من رزق ومطر وحياه وموت حتى الحاج قال عكرمه

يكتب حاج بيت الله تعالى في ليله القدر باسمايهم واسما ابايهم ما يغادر منهم احد
ولا يزاد فيهم وقاله سعيد بن جبير وقد مضى في اول سوره الدخان هذا المعنى
وعن ابن عباس ايضا ان الله تعالى يقضي الاقضيه في ليله نصف شعبان ويسلمها الى
اربابها في ليله القدر وقيل انما سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها من قولهم
لفلان قدر اي شرف ومنزله قاله الزهري وغيره وقيل سميت بذلك
لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقال ابو بكر الوراق
سميت بذلك لان من لم يكن له قدر ولا خطر يصير في هذه الليله ذا قدر
اذا احياها وقيل سميت بذلك لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي
قدر على امه ذات قدر وقيل لانه ينزل فيها ملايكه ذوي قدر وخطر
وقيل لان الله تعالى ينزل فيها الخير والبركه والمغفره وقال سهل سميت
بذلك لان الله قدر فيها الرحمه على المومنين وقال الخليل لان الارض تضيق
فيها بالملايكه كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه اي ضيق **قوله تعالى**
وما ادراك ما ليله القدر قال الفرا كل ما في القران من قوله تعالى وما
ادراك فقد ادراه وما كان من قوله وما يدريك فلم يدره وقاله سفيان وقد
تقدم ليله القدر خير من الف شهر بين فضلها وعظمها وفضيله الزمان انما
تكون بكثره ما يقع فيه من الفضايل وفي تلك الليله يقسم الخير الكثير الذي لا
يوجد مثله في الف شهر والله اعلم وقال كثير من المفسرين اي العمل فيها خير من
العمل في الف شهر ليس فيها ليله القدر وقال ابو العاليه ليله القدر
خير من الف شهر رمضان لا تكون فيه ليله القدر وقيل عني بالف شهر
جميع الدهر لان العرب تذكر الالف في غايه الاشيا كما قال يود احدهم
لو يعمر الف سنه يعني جميع الدهر وقيل ان العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا

حتى يعبد الله الف شهر ثلثا وثمانين سنه واربعه اشهر فجعل الله تعالى لامه محمد صلى الله عليه
وسلم عباده ليله خيرا من الف شهر كانوا يعبدونها وقال ابو بكر الوراق كان
ملك سليمان عليه السلام خمسمايه شهر وملك ذي القرنين خمسمايه شهر فصار
ملكهما الف شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليله لمن ادركها خيرا من ملكهما
وقال ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرايل لبس
السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزلت انا انزلناه في
ليله القدر وما ادراك ما ليله القدر ليله القدر خير من الف شهر التي لبس الرجل
فيها سلاحه في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس قال وهب بن منبه ان ذلك الرجل
كان مسلما وان امه جعلته نذرا لله وكان من قريه قوم يعبدون الاصنام
وكان سكن قريبا منها فجعل يغزو وهو وحده ويقتل ويسبي ويجاهد وكان لا يلقاهم
الا بلحيي بعير وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فعطش انفجر له من اللحيين ما عذب
فيشرب منه وكان قد اعطي قوه في البطش لا يوجعه حديد ولا غيره وكان
اسمه شمسون وقال كعب الاحبار كان رجلا ملكا في بني اسرايل
يفعل خصله واحده فاوحى الله الى نبي زمانهم قل لفلان يتمنى فقال يا رب
اتمنى ان اجاهد بمالي وولدي ونفسي فرزقه الله الف ولد وكان يجهز الولد بماله
في عسكره ويخرجه مجاهدا في سبيل الله فيقوم شهرا ويقتل ذلك الولد
ثم يجهز اخر في عسكر فصار كل ولد يقتل في الشهر والملك مع ذلك قايم
الليل صايم النهار فقتل الالف ولد في الف شهر ثم تقدم فقاتل فقتل فقال
الناس لا احد يدرك منزله هذا الملك فانزل الله تعالى
ليله القدر خير من الف شهر من شهور ذلك الملك في القيام والصيام والجهاد
بالمال والنفس والاولاد في سبيل الله وقال علي بن عروه ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم اربعه من بني اسرايل فقال عبدوا الله ثمانين سنه لم يعصوا الله طرفه

عين فذكر ايوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون فعجب اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل فقال يا محمد عجبت امتك من عباده هولا
النفر لم يعصوا الله طرفه عين فقد انزل الله عليك خيرا من ذلكم ثم قرا انا انزلناه في
ليله القدر فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك في الموطا
من روايه ابن القاسم وغيره سمعت من اثق به يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اري اعمار الناس قبله فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ
غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليله القدر وجعلها خيرا من الف شهر وفي الترمذي
عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري بني اميه على منبره
فساه ذلك فنزلت انا اعطيناك الكوثر نهرا في الجنه ونزلت انا انزلناه
في ليله القدر وما ادراك ما ليله القدر ليله القدر خير من الف شهر يملكها بعدك
بنو اميه قال القسم بن الفضل الحداني فعددناها فاذا هي الف شهر لا تزيد
يوما ولا تنقص يوما قال حديث غريب قوله تعالى تنزل الملايكه
اي تهبط من كل سما ومن سدره المنتهى ومسكن جبريل على وسطها فينزلون
الى الارض ويومنون على دعا الناس الى وقت طلوع الفجر فلذلك قوله تعالى تنزل
الملايكه والروح اي جبريل عليه السلام وحكى القشيري ان الروح صنف من
الملايكه لا يرونهم كما لا نرى نحن الملايكه وقال مقاتل هم اشرف الملايكه
واقربهم من الله تعالى وقيل انهم جند من جند الله عز وجل من غير الملايكه رواه
مجاهد عن ابن عباس مرفوعا ذكره الماوردي وحكى القشيري قيل هم صنف من خلق
الله ياكلون الطعام ولهم ايدي وارجل وليسوا ملايكه وقيل الروح خلق عظيم
يقوم صفا والملايكه كلهم صفا وقيل الروح الرحمه ينزل بها جبريل مع الملايكه
في هذه الليله على اهلها دليله تنزل الملايكه والروح من امره على من يشا من عباده
اي بالرحمه فيها اي في ليله القدر باذن ربهم اي بامره من كل امر اي بكل امر

ثمانين سنه

قدره الله وقضاه في تلك السنة الى قابل قاله ابن عباس كقوله تعالى يحفظونه
من امر الله وقراءة العامة تنزل بفتح التاء الا ان البزي شدد التاء وقرأ
طلحة بن مصرف وابن السميقع بضم التاء على الفعل المجهول وقرأ علي وابن
عباس وعكرمة والكلبي من كل امرئ وروي عن ابن عباس ان معناه
من كل ملك وتاولها الكلبي على ان جبريل ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل
امرئ مسلم فمن بمعنى على وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة
القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل
عبد مسلم قائم او قاعد يذكر الله تعالى **قوله تعالى** سلام قيل ان
تمام الكلام من كل امر ثم قال سلام روي ذلك عن نافع وغيره اي ليلة القدر
سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى مطلع الفجر اي الى طلوع الفجر قال الضحاك لا يقدر الله
تعالى في تلك الساعة الا السلامة وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة وقيل
اي هي سلام اي ذات سلامة من ان يؤثر فيها شيطان في مؤمن ومؤمنة وكذلك
قال مجاهد هي ليلة سالمة فلا يستطيع الشيطان فيها ان يعمل سوءا ولا اذى
وروي مرفوعا وقال الشعبي هو تسليم الملائكة على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى
ان يطلع الفجر يمرون على كل مؤمن ويقولون السلام عليك ايها المؤمن وقيل يعني
سلام الملائكة بعضهم على بعض فيها وقال قتادة سلام هي خير هي حتى
مطلع الفجر اي الى مطلع الفجر وقرأ الكسائي وابن محيصن مطلع بكسر اللام الباقون
بالفتح والفتح والكسر لغتان في المصدر والفتح الاصل في فعل يفعل نحو المقتل
والمخرج والكسر على انه مما شذ عن قياسه نحو المشرق والمغرب والمنبت والمسكن
والمنسك والمحشر والمسقط والمجزر حكي في ذلك كله الفتح والكسر
على ان يراد به المصدر لا الاسم وهنا ثلاث مسائل الاولى في تعيين
ليلة القدر وقد اختلف العلماء في ذلك والذي عليه المعظم انها ليلة سبع وعشرين

سلام وكان بعض
العلماء يقول الوقف
على سلام على معنى تنزل
الملائكة بالسلام اي بجزء
تقديره على كل امرئ من
من المسلمين سلام من
الملائكة كتقديره مع ونصرناه
من القوم الذين كذبوا
[illegible]

لحديث زر بن حبيش قال قلت لابي بن كعب ان اخاك عبد الله بن مسعود يقول
من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن لقد علم انها في العشر
الاواخر من رمضان وانها ليلة سبع وعشرين ولكنه اراد ان لا يتكل الناس
ثم حلف لا يستثني انها ليلة سبع وعشرين قال قلت بأي شيء تقول ذلك يا ابا
المنذر قال بالآية التي اخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم او بالعلامة ان الشمس
تطلع يومئذ لا شعاع لها قال الترمذي حديث حسن صحيح وخرجه
مسلم وقيل هي في شهر رمضان دون سائر العام قاله ابو هريرة وغيره وقيل
هي في ليالي السنة كلها فمن علق طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر لم يقع
الطلاق والعتق الى مضي سنة من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك
ولم يثبت اختصاصها بوقت فلا ينبغي وقوع الطلاق الا بمضي حول وكذلك
العتق وما كان مثله من يمين وغيره وقال ابن مسعود قال من يقم الحول
يصبها فبلغ ذلك ابن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر
رمضان ولكنه اراد ان لا يتكل الناس والى هذا القول ذهب ابو حنيفة
انها في جميع السنة وقيل عنه انها رفعت يعني ليلة القدر وانها انما كانت مرة
واحدة والصحيح انها باقية وروي عن ابن مسعود ايضا انها اذا كانت في
يوم من هذه السنة كانت في العام المقبل في يوم اخر والجمهور على انها في كل عام في
رمضان ثم قيل انها الليلة الاولى من الشهر قاله ابو رزين العقيلي وقال
الحسن وابن اسحق وعبد الله بن الزبير هي ليلة سبع عشرة من رمضان وهي الليلة
التي كانت صبيحتها وقعة بدر كانهم نزعوا بقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا
يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وكان ذلك ليلة سبع عشرة وقيل هي ليلة
التاسع عشر والصحيح المشهور انها في العشر الاواخر من رمضان وهو قول
مالك والشافعي والاوزاعي وابي ثور واحمد ثم قال قوم هي ليلة الحادي والعشرين

ومال اليه الشافعي رضي الله عنه لحديث الماء والطين رواه ابو سعيد الخدري
وصححه مالك وغيره وقيل هي ليلة الثالث والعشرين لما رواه ابن عمر ان رجلا
قال يا رسول الله اني رايت ليلة القدر في سابعة تبقى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارى رؤياكم قد تواطات على ثلاث وعشرين فمن اراد ان يقوم من الشهر شيئا فليقم
ليلة ثلاث وعشرين قال معمر فكان ايوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين
ويمس طيبا وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني رايت اني اسجد
في صبيحتها في ماء وطين قال عبد الله بن انيس فرايته صبيحة ثلاث وعشرين
في الماء والطين كما اخبر صلى الله عليه وسلم وقيل ليلة خمس وعشرين لحديث ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر في تاسعة
تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى رواه مسلم قال مالك يريد بالتاسعة
ليلة احدى وعشرين والسابعة ليلة ثلاث وعشرين والخامسة ليلة خمس وقيل ليلة
سبع وعشرين وقد نص عليه وهو قول علي رضي الله عنه وعايشة ومعاوية
وابي بن كعب وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان متحريا
ليلة القدر فليتحرها ليلة سبع وعشرين وقال ابي بن كعب سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ليلة القدر ليلة سبع وعشرين وقال ابو بكر
الوراق ان الله تعالى قسم ليالي هذا الشهر شهر رمضان على كلمات هذه السورة
فلما بلغ السابعة والعشرين اشار اليها فقال هي وايضا فان ليلة القدر
كرر ذكرها ثلاث مرات وهي تسعة احرف فتجي سبعا وعشرين وقيل تسع
وعشرين لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر تاسعة وعشرون
او السابعة والعشرون وان الملايكة تلك الليلة بعدد الحصا وقد قيل
انها في الاشفاع قال الحسن ارتقبت الشمس ليلة اربع وعشرين عشرين سنة

سبع

خامسة

فانها تطلع بيضاء لا شعاع لها يعني من كثرة الانوار في تلك الليلة وقيل
انها مستورة في جميع السنة ليجتهد المرء في احياء جميع الليالي وقيل ان اخفاها
في جميع شهر رمضان ليجتهدوا في العمل والعبادة ليالي رمضان طمعا في ادراكها
كما اخفى الصلوة الوسطى في الصلوات واسمه الاعظم في اسمائه الحسنى
وساعة الاجابة في ساعات الجمعة وساعات الليل وغضبه في المعاصي
ورضاه في الطاعات وقيام الساعة في الاوقات والعبد الصالح بين العباد
رحمة منه وحكمة الثانية في علاماتها منها ان الشمس تطلع في صبيحة
يومها بيضاء لا شعاع لها وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم
في ليلة القدر ان من اماراتها انها ليلة سمحة بلجة لا حارة ولا باردة تطلع
الشمس صبيحتها ليس لها شعاع وقال عبيد بن عمير كنت ليلة السابع والعشرين
في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسلا الثالثة في فضائلها
وحسبك بقوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر وقوله تعالى تنزل الملائكة
والروح فيها وفي الصحيحين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما
تقدم من ذنبه رواه ابو هريرة وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى
منهم جبريل ومعهم الويه ينصب منها لواء على بيت المقدس ولواء على المسجد
الحرام ولواء على طور سيناء ولا تدع فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا تسلم عليه الا
مدمن خمر او آكل لحم الخنزير او المتضمخ بالزعفران وفي الحديث
ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع احد ان
يصيب فيها احدا بخبل ولا بشيء من الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر وقال
الشعبي وليلها كيومها ويومها كليلها وقال الفراء لا يقدر الله في ليلة
القدر الا السعادة والنعم ويقدر في غيرها البلايا والنقم وقد تقدم [illegible]

علامة

[illegible]

مطلب

ومثله لا يقال من جهة الراي فهو مرفوع وقد روى عبد الله بن عامر عن دبيجة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة المغرب والعشاء لآخرة من ليلة
القدر في جماعة فقد اخذ بحظه من ليلة القدر ذكره الثعلبي في تفسيره
وقالت عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان وافقت ليلة القدر
فما اقول قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني تم تفسير القدر

تفسير سورة لم يكن وهي مكية

في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول ابن عباس والجمهور وهي ثمان ايات
وقد جا في فضلها حديث لا يصح رويناه عن محمد بن عبد الله الحضرمي قال قال لي
ابو عبد الرحمن بن نمير اذهب الى ابي الهيثم الخشاب فاكتب عنه فانه قد
كتب فذهبت اليه فقال حدثنا مالك بن انس عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن
المسيب عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس
ما في لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب لعطلوا الاهل والمال وتعلموها
فقال رجل من خزاعة وما فيها من الاجر يا رسول الله قال لا يقروها منافق
ابدا ولا عبد في قلبه شك في الله والله ان الملايكة المقربين يقرونها منذ
خلق الله السموات والارض ما يفترون من قراتها وما من عبد يقروها
الا بعث الله اليه ملايكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له
بالمغفرة والرحمة قال الحضرمي فجيت الى ابي عبد الرحمن بن نمير فالقيت
هذا الحديث عليه فقال هذا قد كفانا مونته فلا تعد اليه قال
ابن العربي روى اسحق بن بشر الكاهلي عن مالك بن انس عن يحيى بن سعيد
عن ابن المسيب عن ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في
لم يكن الذين كفروا لعطلوا الاهل والمال وتعلموها وهذا حديث باطل

وانما الحديث الصحيح ما روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي
ابن كعب ان الله امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني لك قال
نعم فبكى قلت خرجه البخاري ومسلم وفيه من الفقه قراة
العالم على المتعلم قال بعضهم انما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس
التواضع ليلا يانف احد من اهل التعلم والقراة على من دونه في المنزلة
وقيل لان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاراد بقراته عليه ان ياخذ الفاظه ويقرا كما سمع منه ويعلم غيره وفيه
فضيلة عظيمة لابي اذ امر الله رسوله ان يقرا عليه قال ابو بكر الانباري
وحدثنا احمد بن الهيثم بن خالد قال نا علي بن الجعد قال نا عكرمة
عن عاصم عن زر قال في قراة ابي بن كعب ابن ادم لو اعطي واديا من مال
لالتمس ثانيا ولو اعطي واديين من مال لالتمس ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم
الا التراب ويتوب الله على من تاب قال عكرمة قرا علي عاصم لم يكن
ثلاثين اية هذا فيها قال ابو بكر هذا باطل عند اهل العلم لان قراتي ابن كثير
وابي عمرو متصلتان بابي بن كعب لا يقرا فيهما هذا المذكور في لم يكن مما هو معروف
في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه من كلام الرسول صلى الله عليه
وسلم لا يحكيه عن رب العالمين في القران وما رواه اثنان معهما الاجماع اثبت
مما يحكيه واحد مخالفا مذهب الجماعة بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لم يكن الذين كفروا كذا قراة العامة وخط المصحف
وقرا ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وهذه
قراة على التفسير قال ابن العربي وهي جايزة في معرض البيان لا
في معرض التلاوة فقد قرا النبي صلى الله عليه وسلم في رواية الصحيح فطلقوهن
لقبل عدتهن وهو تفسير فان التلاوة هو ما كان في خط المصحف

قوله تعالى من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى والمشركين

في موضع جر عطفا على اهل الكتاب قال ابن عباس اهل الكتاب اليهود
الذين كانوا بيثرب وهم النضير وقريظة وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها
والمدينة والذين حولها وهم مشركو قريش منفكين اي منتهين عن كفرهم زائلين عنه حتى
تاتيهم البينة اي اتتهم البينة اي محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الانتهاء بلوغ الغاية اي لم
يكونوا ليبلغوا نهاية اعمارهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة فالانفكاك على هذا بمعنى الانتهاء
وقيل منفكين زائلين اي لم تكن مدتهم لتزول حتى ياتيهم رسول والعرب تقول ما انفككت
افعل كذا اي ما زلت وما انفك فلان قائما اي ما زال قائما واصل الفك الفتح
ومنه فك الكتاب وفك الخلخال وفك السالم قال طرفه

فآليت لا ينفك كشحي بطانة لعضب رقيق الشفرتين مهند

وقول ذي الرمه

حراجيج ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا

يريد ما تنفك مناخة فزاد الا وقيل منفكين بارحين اي لم يكونوا
ليبرحوا ويفارقوا الدنيا حتى تاتيهم البينة وقال ابن كيسان اي لم
يكن اهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم حتى بعث
فلما بعث حسدوه وجحدوه وهو كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولهذا
قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الاية وعلى هذا فقوله والمشركين
اي ما كانوا يسيئون القول في محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعث فانهم كانوا يسمونه
الامين حتى اتتهم البينة على لسانه وبعث اليهم فحينئذ عادوه وقال
بعض اللغويين منفكين هالكين من قولهم انفك صلا المرأة عند الولادة
وهو ان ينفصل فلا يلتئم فتهلك المعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين
الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب وقال قوم في المشركين
انهم من اهل الكتاب فمن اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه

ومنهم من قال ثالث ثلاثة وقيل اهل الكتاب كانوا مؤمنين ثم كفروا بعد انبيائهم
والمشركون ولدوا على الفطرة فكفروا حين بلغوا فلهذا قال والمشركين وقيل
المشركون وصف اهل الكتاب ايضا لانهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد والنصارى
مثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاءني العقلاء والظرفاء
وانت تريد اقواما بعينهم تصفهم بالامرين فالمعنى من اهل الكتاب
المشركين وقيل ان الكفر هنا هو الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم اي لم
يكن الذين كفروا بمحمد من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم
يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم
كتاب منفكين قال القشيري وفيه بعد لان الظاهر من قوله حتى تاتيهم
البينة رسول من الله ان هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فيبعد ان
يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى ياتيهم محمد
الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد وقد كانوا من قبل معظمين له
منتهين عن هذا الكفر الى ان بعث الله محمدا اليهم وبين لهم الايات فحينئذ
يؤمن قوم وقرا الاعمش وابرهيم والمشركون رفعا عطفا على الذين
والقراءة الاولى بينة لان الرفع يصير فيه الصنفان كانهم من غير اهل الكتاب
وفي حرف ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وقد
نعقد حتى تاتيهم البينة قيل حتى اتتهم والبينة محمد صلى الله عليه وسلم رسول من الله
اي بعث من الله جل ثناؤه قال الزجاج رسول رفع على البدل من
البينة وقال الفراء اي هي رسول من الله او هو رسول من الله لان البينة قد
تذكر فيقال بينتي فلان وفي حرف ابي وابن مسعود رسولا بالنصب على
القطع يتلو اي يقرا يقال تلا يتلو تلاوة صحفا جمع صحيفة وهي ظرف
المكتوب مطهرة قال ابن عباس من الزور والشك والنفاق
والضلالة وقال قتادة من الباطل وقيل من الكذب والشبهات

والكتب والمعنى واحدا اي بين اما تتضمن الصحف من المكتوب ويدل عليه
انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب لانه كان اميا لا يكتب ولا يقرا
ومطهرة من نعت الصحف وهو كقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة
مطهرة فالمطهرة نعت للصحف في الظاهر وهي نعت لما في الصحف من القرآن
وقيل مطهرة اي ينبغي ان لا يمسها الا المطهرون كما قال في سورة الواقعة
حسب ما تقدم بيانه وقيل الصحف المطهرة هي التي عند الله تعالى في ام الكتاب
الذي منه نسخ ما انزل على الانبياء من الكتب كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد
في لوح محفوظ قال الحسن يعني بالصحف المطهرة في السماء فيها كتب
فيه اي مستقيمة مستوية محكمة في قول العرب قام يقوم اذا استوى وصح
قال بعض اهل التفسير الصحف هي الكتب فكيف قال في صحف فيها
كتب فالجواب ان الكتب هنا بمعنى الاحكام قال الله عز وجل كتب الله لاغلبن انا ورسلي
بمعنى حكم وقال صلى الله عليه وسلم والله لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى
بالرجم وليس ذكر الرجم مسطورا في الكتاب فالمعنى لاقضين بينكما بحكم الله
وقال وما الولا بالبلاد علمه وما ناك قال الله اذ هو يكتب وقيل الكتب
هي القرآن فجعله كتبا لانه يشتمل على انواع من البيان قوله تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى يخص اهل
الكتاب بالتفريق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم مظنون
بهم علم فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل في هذا الوصف
الا من بعد ما جاءتهم البينة اي الحجة والمعني به محمد صلى الله عليه وسلم اي
بالقرآن موافقا للذي في ايديهم من الكتاب بنعته وصفته
وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث جحدوا نبوته وتفرقوا
فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن كقوله تعالى وما تفرقوا الا من

بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل البينة البيان الذي في كتبهم انه نبي مرسل
قال العلماء من اول السورة الى قوله فيها كتب قيمة حكمها فيمن آمن من اهل الكتاب
والمشركين وقوله وما تفرق حكمه فيمن لم يؤمن من اهل الكتاب بعد
قيام الحجج قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وما امروا اي وما امر هؤلاء الكفار
في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله اي ليوحدوه واللام في ليعبدوا بمعنى
ان كقوله يريد الله ليبين لكم اي ان يبين ويريدون ليطفئوا نور الله
بافواههم وفي حرف عبد الله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
اي العبادة ومنه قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وفي
هذا دليل على وجوب النية في العبادات فان الاخلاص من عمل القلب
وهو ان يراد به وجه الله تعالى لا غير الثانية قوله تعالى
حنفاء اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وكان ابن عباس يقول
حنفاء على دين ابراهيم عليه السلام وقيل الحنيف من اختتن
وحج قاله سعيد بن جبير قال اهل اللغة واصله انه تحنف الى الاسلام
اي مال اليه الثالثة قوله تعالى ويقيموا الصلوة اي يؤدونها
في اوقاتها ويؤتوا الزكاة اي يعطوها عند محلها وذلك دين القيمة اي
ذلك الدين الذي امروا به دين القيمة اي الدين المستقيم وقال
الزجاج اي ذلك دين الملة المستقيمة والقيمة نعت لموصوف محذوف او يقال
دين الامة القيمة بالحق اي القائمة به بالحق وفي حرف عبد الله وذلك الدين
القيم قال الخليل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد وقال
الفراء اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وعنه ايضا هو
من باب اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح والمبالغة وقيل
الهاء راجعة الى الملة او الشريعة وقال محمد بن الاشعث

الطائفتين المعينة سيا الكتب التي ذكرها والدين خالدين فيها
قوله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والمشركين معطوف
على الذين او يكون مجرورا معطوفا على اهل في نار جهنم خالدين فيها اولئك
هم شر البرية قرا نافع وابن ذكوان بالهمز على الاصل في الموضعين من قولهم
برا الله الخلق وهو البارئ الخالق وقال من قبل ان نبراها الا فوت
بغير همز وشدد الباقون منه قال الفرا ان اخذت البرية من البرا وهو
التراب قال لا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة وقيل البرية من بريت القلم
اي قدرته فتدخل فيه الملائكة ولكنه قول ضعيف لانه يجب منه تخطيه
من همز وقوله شر البرية اي شر الخليقة فقيل يحتمل ان يكون على
التعميم وقال قوم اي هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال تعالى واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانكم ولا يبعد ان
يكون في كفار الامم قبل هذا من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة
صالح وكذا خير البرية اما على التعميم او خير برية عصرهم وقد استدل بقراءة
الهمز من فضل بني ادم على الملائكة وقد مضى في سورة البقرة القول
فيه وقال ابو هريرة رضي الله عنه المؤمن اكرم على الله من بعض الملائكة
الذين عنده **قوله تعالى** جزاؤهم اي ثوابهم عند ربهم اي خالقهم
ومالكهم جنات عدن تجري اي بساتين عدن اي اقامة والمفسرون
يقولون جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها تقول عدن بالمكان
يعدن عدونا اقام ويعدن الشيء مركزه ومستقره قال الاعشى
وان يستضافوا الى حكمه يضافوا الى راجح قد عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لا يظعنون ولا يموتون رضي الله عنهم
اي رضي اعمالهم كذا قال ابن عباس ورضوا عنه اي رضوا بثواب الله

عز وجل اي ذلك الجنة لمن خشي ربه اي خاف ربه فتناهى عن المعاصي

تفسير سورة الزلزلة مدنية
في قول ابن عباس وقتادة ومكية

في قول ابن مسعود وعطا وجابر وهي تسع ايات قال العلما وهذه السورة
فضلها كبير وتحتوي على عظيم روى الترمذي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت
له بربع القرآن ومن قرا قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن قال حديث غريب
وفي الباب عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله وروى عبد الله بن
عمرو بن العاصي قال لما نزلت اذا زلزلت بكى ابو بكر فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لولا انكم تخطئون وتذنبون وتستغفرون ويغفر الله لكم لخلق الله
امة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها اي حركت من اصلها كذا
روى عكرمة عن ابن عباس وكان يقول في النفخة الاولى يزلزلها وقاله
مجاهد لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ثم تزلزل ثانية
فتخرج موتاها وهي الاثقال وذكر المصدر للتاكيد ثم اضيف الى
الارض كقوله لاعطينك عطيتك اي عطيتي لك وحسن ذلك لموافقة
رؤوس الاي بعدها وقراءة العامة بكسر الزاي من الزلزال وقرا الجحدري
وعيسى بن عمرو بفتحها وهو مصدر ايضا كالوسواس والقلقال والجرجار وقيل

وقيل الكسر المصدر والفتح الاسم **قوله تعالى** وأخرجت الأرض أثقالها
قال أبو عبيدة والأخفش إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها وإذا كان
فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد أثقالها أمواتها تخرجهم في
النفخة الثانية ومنه قيل للإنس والجن الثقلان وقالت الخنساء

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها

تقول لما دفن عمرو صار حلية لأهل القبور من شرفه وسودده وذكر
بعض أهل العلم قال كانت العرب تقول إذا كان الرجل سفاكا للدماء كان ثقلا على
ظهر الأرض فلما مات حطت الأرض عن ظهرها ثقلها وقيل أثقالها
كنوزها ومنه الحديث تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من
الذهب والفضة **قوله تعالى** وقال الإنسان أي ابن آدم الكافر
فروى الضحاك عن ابن عباس قال هو الأسود بن عبد الأسد وقيل
أراد كل إنسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الأولى من مؤمن
وكافر وهذا قول من جعلها في الدنيا من أشراط الساعة لأنهم لا يعلمون جميعا
من أشراط الساعة في ابتداء أمرها حتى يتحققوا عمومها فلذلك سأل بعضهم بعضا
عنها وعلى قول من قال إن المراد بالإنسان الكفار خاصة جعلها زلزلة
لأن المؤمن معترف بها فهو لا يسأل عنها والكافر جاحد لها فلذلك يسأل
عنها ومعنى ما لها أي ما لها زلزلت وقيل ما لها أخرجت أثقالها وهي كلمة
تعجيب أي لأي شيء زلزلت ويجوز أن يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة
الأولى ثم تتحرك الأرض فتخرج الموتى وقد رأوا الزلزلة وانشقاق الأرض عن الموتى أحياء
فيقولون من الهول ما لها **قوله تعالى** يومئذ تحدث أخبارها
يومئذ منصوب بقوله إذا زلزلت وقيل بقوله تحدث أخبارها أي تخبر الأرض

بما عمل عليها من خير أو شر يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول
الإنسان أي يقول الإنسان ما لها تحدث أخبارها متعجبا وفي الترمذي عن أبي
هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال
أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل
عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا قال فهذه أخبارها
قال هذا حديث حسن صحيح غريب قال الماوردي قوله يومئذ تحدث
أخبارها فيه ثلاثة أقاويل أحدها تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها
قاله أبو هريرة ورواه مرفوعا وهو قول من زعم أنها زلزلة القيامة الثاني
تحدث أخبارها بما أخرجت من أثقالها قاله يحيى بن سلام وهو قول من
زعم أنها زلزلة أشراط الساعة قلت وفي هذا المعنى حديث رواه ابن
مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان أجل العبد بأرض أثبتته
الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله فتقول الأرض يوم القيامة رب
هذا ما استودعتني خرجه ابن ماجه في سننه وقد تقدم الثالث أنها
تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها قاله ابن مسعود فتخبر أن
أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى فيكون ذلك منها جوابا لهم عند سؤالهم
ووعيدا للكافر وإنذارا للمؤمن وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقاويل
أحدها أن الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك الثاني أن الله تعالى
يحدث فيها الكلام الثالث أنه يكون منها بيانا يقوم مقام الكلام
الطبري تبين أخبارها بالرجفة والزلزلة وإخراج الموتى
بأن ربك أوحى لها أي إنها تحدث أخبارها بوحي الله لها أي إليها والعرب تضع لام الصفة
موضع إلى قال العجاج يصف الأرض

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت
ومنه قول أبي عبيدة أوحى لها أي ألهمها وقيل أوحى لها أي أمرها
قاله مجاهد وقال السدي أوحى لها أي قال لها أي أمرها قاله
مجاهد وقيل سخرها وقيل المعنى يوم تكون الزلزلة وإخراج الأرض أثقالها
تحدث الأرض أخبارها بما كان عليها من الطاعات والمعاصي وما عمل على ظهرها
من خير وشر وروي ذلك عن الثوري وغيره ٥ يومئذ يصدر الناس
أشتاتا أي فرقا جمع شتت قيل عن موقف الحساب فريق يأخذ جهة اليمين
إلى الجنة وفريق آخر يأخذ جهة الشمال إلى النار كما قال تعالى يومئذ يتفرقون
يومئذ يصدعون وقيل يرجعون عن الحساب بعد فراغهم من الحساب
أشتاتا يعني فرقا فرقا ليروا أعمالهم يعني ثواب أعمالهم وهذا كما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يوم القيامة إلا ويلوم نفسه فإن
كان محسنا يقول لم لا ازددت إحسانا وإن كان غير ذلك يقول لم لا
نزعت عن المعاصي وهذا عند معاينة الثواب والعقاب وكان ابن عباس
يقول أشتاتا متفرقين على قدر أعمالهم أهل الإيمان على حدة وأهل كل دين على
حدة وقيل هذا الصدور إنما هو عند النشور يصدرون أشتاتا من
القبور فيصار بهم إلى موقف الحساب ليروا أعمالهم في كتبهم أو ليروا جزاء
أعمالهم فكأنهم وردوا القبور ثم دفنوا فيها ثم صدروا عنها والوارد الجائي
والصادر المنصرف أشتاتا أي يبعثون من أقطار الأرض وعلى القول
الأول فيه تقديم وتأخير مجازه تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم
واعترض قوله يومئذ يصدر الناس أشتاتا متفرقين عن موقف الحساب
وقرأه العامة ليروا بضم الياء أي ليريهم الله أعمالهم وقرأ الحسن والزهري
وقتادة والأعرج ونصر بن عاصم وطلحة بفتحها وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه

وسلم **قوله تعالى** فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
فيه ثلاث مسائل الأولى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره كان
ابن عباس يقول من يعمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الآخرة ومن
يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات
ويتجاوز عنه وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ويضاعف له في الآخرة إذا مات
وفي بعض الحديث أن الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى أنه لا يغفل من عمل
ابن آدم صغيرة ولا كبيرة وهو مثل قوله تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم
الكلام هناك في الذر وأنه لا وزن له وذكر بعض أهل اللغة أن الذر أن
يضرب الرجل بيده على الأرض فما علق بها من التراب فهو الذر وكذا قال ابن عباس إذا
وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب ذرة وقال
محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه
وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة
من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه وأهله وولده حتى يخرج
من الدنيا وليس له عند الله شر دليله ما رواه العلماء الأثبات من حديث أنس أن هذه
الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يأكل فأمسك وقال يا رسول الله
وإنا لنرى ما عملنا من خير وشر قال ما رأيت مما تكره فهو مثاقيل ذر الشر ويدخر لكم
مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال أبو إدريس إن مصداقه من كتاب الله
وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال مقاتل نزلت في رجلين
وذلك أنه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه كان أحدهم يأتيه السائل فيستقل
أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة
والغيبة والنظرة ويقول إنما أوعد الله النار على الكبائر فنزلت ترغيبهم في القليل من
الخير أن يعطوه فإنه يوشك أن يكثر وقاله سعيد بن جبير والإثم الصغير في عين صاحبه

يوم القيامة اعظم من الجبال وجميع محاسنه اقل في عينيه من كل شي الثانية
قراءة العامة يره بفتح اليا فيهما وقرا الجحدري والسلمي وعيسى بن عمر وابان عن عاصم
يُره بضم اليا اي يريه الله اياه والاولى الاختيار لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا الايه وسكن الهاء في قوله يره في الموضعين هشام وكذلك
رواه الكسايي عن ابي بكر وابو حيوه والمغيره واختلس يعقوب والزهري
والجحدري وشيبه واشبع الباقون وقيل يره اي يرى جزاه لان ما عمله
قد مضى وعدم فلا يرى وانشدوا

ان من يعتدي ويكسب اثما وزن مثقال ذرة سيراه
ويجازى بفعله الشر شرا وبفعل الجميل ايضا جزاه
هكذا قوله تبارك ربي في اذا زلزلت وجل ثناه

الثالثة قال ابن مسعود هذه احكم ايه في القرآن وصدق وقد
اتفق العلما على عموم هذه الايه القايلون بالعموم ومن لم يقل به وروى
كعب الاحبار انه قال لقد انزل الله على محمد ايتين احصتا ما في التوراه والانجيل
والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره شرا يره
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الايه الايه الجامعه الفاذه كما في الصحيح
لما سيل عن الحمر وسكت عن البغال والجواب فيهما واحد لان البغل
والحمار لا كر فيهما ولا فر فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما في الخيل من
الاجر الدايم والثواب المستمر سال السايل عن الحمر لانهم لم يكن عندهم بغل
ولا دخل الحجاز منها الا بغله النبي صلى الله عليه وسلم الدلدل التي اهداها له
المقوقس فافتاه في الحمر بعموم الايه وان في الحمار مثاقيل ذر كثيره
قاله ابن العربي وفي الموطا ان مسكينا استطعم عايشه ام المومنين
وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبه فاعطه اياها فجعل ينظر اليها

ويعجب فقالت عايشه اتعجب كم ترى في هذه الحبه من مثقال ذره وروي عن سعد
ابن ابي وقاص انه تصدق بتمرتين فقبض السايل يده فقال للسايل ويقبل الله منا
مثاقيل الذر وفي التمرتين مثاقيل كثيره وروى المطلب بن حنطب ان اعرابيا سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقرؤها فقال يا رسول الله امثقال ذره قال نعم فقال
الاعرابي واسوأتاه مرارا ثم قام وهو يقولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل
قلب الاعرابي الايمان وقال الحسن قدم صعصعه عم الفرزدق
على النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع مثقال ذره الايات قال لا ابالي الا اسمع من
القرآن غيرها حسبي فقد انتهت الموعظه ذكره الثعلبي ولفظ الماوردي وروي
ان صعصعه بن ناجيه جد الفرزدق اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستقريه فقرا
عليه هذه الايه فقال صعصعه حسبي حسبي ان عملت مثقال ذره شرا
رايته وروى معمر عن زيد بن اسلم ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
علمني مما علمك الله فدفعه الى رجل يعلمه فعلمه اذا زلزلت حتى اذا بلغ فمن يعمل مثقال
ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره شرا يره قال حسبي فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال دعوه فانه قد فقه ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل قدمت الخير
على الشر فقال

خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق

تفسير سورة العاديات

وهي مكيه في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمه وعطا ومدنيه في قول ابن
عباس وانس بن مالك وقتاده وهي احدى عشرة ايه بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والعاديات ضبحا اي الافراس تعدو كذا قال عامه
المفسرين واهل اللغه اي تعدو في سبيل الله فتضبح قال قتاده تضبح اذا عدت
اي تحمحم وقال الفرا الضبح الصوت صوت انفاس الخيل اذا عدون ابن عباس

ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وقيل كانت تكعم لئلا تصهل
فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة قال ابن العربي اقسم الله
بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يس والقرآن الحكيم واقسم بحياته فقال لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها النار من
الحجر فقال والعاديات ضبحا الآيات الخمس وقال اهل اللغة

وطعنة ذات رشاش واهية طعنتها عند صدور العاديه

يعني الخيل وقال اخر

والعاديات اسابي الدماء بها كان اعناقها انصاب ترجيب

يعني الخيل وقال عنترة

والخيل تعلم حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وقال اخر لست بالتبع اليماني ان لم تضبح الخيل في سواد العراق
قال اهل اللغة واصل الضبح والضباح للثعالب فاستعير للخيل وهو من قول العرب
ضبحته النار اذا غيرت لونه ولم تبالغ فيه وقال الشاعر

فلما ان تلهوجنا شواء بدا اللهبان منهورا ضبيحا

وانضبح لونه اذا تغير الى السواد قليلا وقال علقتها قبل انضباح لوني
واما تضبح هذه الحيوانات اذا تغيرت حالها من فزع او تعب او طمع ونصب
ضبحا على المصدر اي والعاديات تضبح ضبحا والضبح ايضا الرماد وقال
البصريون ضبحا نصب على الحال وقيل مصدر في موضع الحال قال ابو عبيدة ضبحت
الخيل ضبحا مثل ضبعت وهو السير وقال ابو عبيدة الضبح والضبع بمعنى
العدو والسير وكذا قال المبرد الضبح مد اضباعها في السير وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى اناس من بني كنانة فابطا عليه
خبرها وكان استعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فقال

المنافقون انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها
وبشارة له باغارتها على القوم الذين بعث اليهم وممن قال ان المراد بالعاديات
الخيل قال ابن عباس وانس والحسن ومجاهد والمراد الخيل التي يغزو عليها المؤمنون
وفي الخبر من لم يعرف حرمة فرس الغازي ففيه شعبة من النفاق وقول ثان
انها الابل قال مسلم نازعت فيها عكرمة فقال عكرمة قال ابن عباس هي الخيل
وقلت قال علي هي الابل في الحج ومولاي اعلم من مولاك وقال الشعبي
تمارى علي وابن عباس في العاديات فقال علي هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل فبلغ عليا
قوله فقال هل ابن به نقعا وهل تثير الا حوافرها وهل تضبح الابل فقال علي ليس كما
قلت لقد رايتنا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق للمقداد وفرس لمرثد بن ابي مرثد
ثم قال له علي اتفتي الناس بما لا تعلم والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام وما
معنا الا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف تكون العاديات ضبحا انما
العاديات الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى عرفة قال ابن
عباس فرجعت الى قول علي وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب
والسدي ومنه قول صفية بنت عبد المطلب

فلا والعاديات غداة جمع بايديها اذا سطع الغبار

يعني الابل وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو وهو تباعد الارجل في
سرعة المشي وقال اخر

رأى صاحبي في العاديات نجيبة وامثالها في الواضعات القوامس

ومن قال هي الابل فقوله ضبحا يعني ضبعا فالحاء عنده مبدلة من العين لانه يقال
ضبعت الابل وهو ان تمد اعناقها في السير وقال المبرد الضبع مد اضباعها
في السير والضبح اكثر ما يستعمل في الخيل والضبع في الابل وقد تبدل الحاء من
العين ابو صالح الضبح من الخيل الحمحمة ومن الابل التنفس وقال عطاء
ليس شيء من الدواب تضبح الا الثعلب والفرس والكلب وروي عن ابن عباس

وقد تقدم عن اهل اللغة ان العرب تقول ضبح الثعلب وضبح في غير ذلك ايضا
قال توبة ولو ان ليلى الاخيلية سلمت علي ودوني جلمد وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدى من جانب القبر صائح
فالموريات قدحا قال عكرمة وعطاء والضحاك هي الخيل حين توري النار
بحوافرها وهي سنابكها وروي عن ابن عباس وعنه ايضا اورت بحوافرها
غبارا وهذا يخالف سائر ما روي عنه في قدح النار وانما هذا في الابل وروي
عن ابن ابي نجيح عن مجاهد والعاديات ضبحا فالموريات قدحا قال قال ابن عباس هو
في القتال وهو في الحج ابن مسعود هي الابل تطأ الحصا فيخرج منها النار واصل
القدح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الماء الفاسد واقتدحت
الزند تمرته وركي قدوح يغرف باليد والقديح ما يبقى في اسفل القدر
يغرف بجهد والمقدحة ما تقدح به النار والقداحة والقداح الحجر الذي
يوري النار فقال وري الزند بالفتح وريا اذا خرجت ناره وفيه لغة اخرى
وري الزند بالكسر يري فيهما وقد مضى في سورة الواقعة وقدحا انتصب بما
انتصب به ضبحا وقيل هذه الآيات في الخيل ولكن ايراءها ان تهيج الحرب
بين اصحابها وبين عدوهم ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس ومنه قوله
تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وروي معناه عن ابن عباس ايضا وقاله
قتادة وعن ابن عباس ايضا ان المراد بالموريات قدحا مكر الرجال في الحرب
وقاله مجاهد وزيد بن اسلم والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه والله
لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون
بالليل نيرانهم لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت نارها
ارهابا وكل من قرب من العدو يوقد نيرانا كثيرة ليظنهم العدو كثيرا فهذا اقسام بذلك
قال محمد بن كعب هي النار تجمع وقيل هي افكار الرجال توري نار المكر والخديعة
وقال عكرمة هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به ويظهر بها من اقامة الحجج

واقامة الدلائل وايضاح الحق وابطال الباطل وروى ابن جريج عن بعضهم قال فالمنجحات
امرا وعملا كنجاح الزند اذا اوري قلت هذه الاقوال مجاز ومنه قولهم فلان يوري
زناد الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال
مقاتل العرب تسمي تلك النار نار ابي حباحب وكان ابو حباحب شيخا من مضر في
الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نارا لخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد
نويرة تقد مرة وتخمد اخرى فاذا استيقظ لها احد اطفاها كراهية ان ينتفع بها
احد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف
على البيضة فاقتدحت نارا فكذلك يسمونها قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

قوله تعالى فالمغيرات صبحا الخيل تغير على العدو عند الصبح عن ابن
عباس واكثر المفسرين وكانوا اذا ارادوا الغارة سروا ليلا ويأتون العدو
صبحا لان ذلك وقت غفلة الناس ومنه قوله تعالى فساء صباح المنذرين
وقيل لعزتهم اغاروا نهارا وصبحا على هذا اي علانية تشبيها بظهور الصبح وقال
ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما هي الابل تدفع بركبانها يوم النحر من منى الى جمع والسنة
ان لا تدفع حتى تصبح وقاله القرظي والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير
كيما نغير قوله تعالى فاثرن به نقعا اي غبارا يعني الخيل تثير الغبار
بشدة العدو في المكان الذي اغارت به قال عبد الله بن رواحة

عدمت بنيتي ان لم تروها تثير النقع من كنفي كداء

والكناية في به ترجع الى المكان او الى الموضع الذي تقع فيه الاغارة
واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر له ذكر بالتصريح كما قال
حتى توارت بالحجاب وقيل فاثرن به اي بالعدو نقعا وقد تقدم ذكر

العدو وقيل النقع ما بين مزدلفة الى منى قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انه طريق الوادي ولعله يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع وفي الصحاح النقع الغبار والجمع نقاع والنقع محبس الما وكذلك ما اجتمع في البير منه وفي الحديث انه نهى ان يمنع نقع البير والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الما والجمع نقاع وانقع مثل بحار وابحر قلت وقد يكون النقع رفع الصوت ومنه حديث عمر حين قيل له ان النسا قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد فقال وما على نسا بني المغيرة ان يسفكن من دموعهن وهن جلوس على ابي سليمان ما لم يكن نقع ولا لقلقة قال ابو عبيد يعني بالنقع رفع الصوت على هذا رايت قول الاكثر من اهل العلم ومنه قول لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق يجلبوها ذات جرس وزجل

ويروى يحلبوها ايضا يقول متى سمعوا صراخا اجلبوا الحرب اي جمعوا لها وقوله صراخ يعني رفع الصوت وقال الكسائي قوله نقع ولا لقلقة النقع يعني صنعة الطعام من المآتم يقال منه نقعت انقع نقعا قال ابو عبيد ذهب بالنقع الى النقيعة وانما النقيعة عند غيره من العلما صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا في المآتم وقال بعضهم يريد عمر بالنقع وضع التراب على الراس يذهب الى ان النقع هو الغبار ولا احسب عمر ذهب الى هذا ولا خافه منهن وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهن القيام فقال يسفكن من دموعهن وهن جلوس قال بعضهم النقع شق الجيوب وهو الذي لا ادري ما هو من الحديث ولا اعرفه وليس النقع عندي في هذا الحديث الا الصوت الشديد واما اللقلقة فشدة الصوت ولم اسمع فيه اختلافا وقرا ابو حيوة فاثرن بالتشديد اي ارت اثارا ومن خفف فهو من اثار اذا حرك ومنه واثاروا الارض **قوله تعالى** فوسطن به جمعا مفعول فوسطن اي

فوسطن بركبانهن العدو اي الجمع الذين اغاروا عليهم وقال ابن مسعود فوسطن به جمعا يعني مزدلفة وسميت جمعا لاجتماع الناس بها ويقال وسطت القوم اسطهم وسطا وسطة اي صرت وسطهم وقرا علي رضي الله عنه فوسطن بالتشديد وهي قراة قتادة وابن سيرين وابو رجا لغتان بمعنى يقال وسطت القوم بالتشديد والتخفيف وتوسطتهم بمعنى واحد وقيل معنى التشديد جعلنا الجمع قسمين والتخفيف صرن في وسط الجمع وهما يرجعان الى معنى الجمع **قوله تعالى** ان الانسان لربه لكنود هذا جواب القسم اي طبع الانسان على كفران النعمة قال ابن عباس وغيره لكنود لكفور جحود لنعم الله وكذلك قال الحسن وقال يذكر المصايب وينسى النعم اخذه الشاعر فنظمه

يا ايها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم

الى متى انت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

وروى ابو امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنود الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وروى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده خرجهما الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد روي عن ابن عباس ايضا انه قال الكنود بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل السي الملكة وقاله مقاتل وقال الشاعر

كنود لنعما الرجال ومن يكن كنودا لنعما الرجال يبعد

اي كفور ثم قيل هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير وقال الحسن الجاحد للحق وقيل انما سميت كندة كندة لانها جحدت اباها وقال ابرهيم بن هرمة الشاعر

دع البخلا ان شمخوا وصدوا وذكرى بخل غانية كنود

وقيل الكنود من كند اذا قطع كانه يقطع ما ينبغي ان يواصله من الشكر

ويقال كند الحبل اذا قطعه قال الاعشى

أميطي تميطي بصلب الفؤاد وصول حبال وكنادها

وهذا يدل على القطع ويقال كند يكند كنودا اي كفر النعمة وجحدها فهو كنود
وامرأة كنود ايضا وكند مثله قال الاعشى

احدث لها تحدث لوصلك انها كند لوصل الزائر المعتاد

اي يكفر للمواصلة وقال ابن عباس الانسان هنا الكافر يقول انه لكفور ومنه
الارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال الضحاك نزلت في الوليد بن المغيرة
المبرد الكنود المانع لما عليه وانشد لكثير

احرس لها تحدث لوصلك انها كند لوصل الزائر المعتاد

وقال ابو بكر الواسطي الكنود الذي ينفق نعم الله في معاصي الله وقال
ابو بكر الوراق الكنود الذي يرى النعمة من نفسه واعوانه وقال الترمذي
الذي يرى النعمة ولا يرى المنعم وقال ذو النون المصري الهلوع والكنود الذي
اذا مسه الشر جزوع واذا مسه الخير منوع وقيل هو الحقود الحسود وقيل
الجهول لقدره وفي الحكمة من جهل قدره هتك ستره قلت هذه الاقوال
كلها ترجع الى قول معنى الكفران والجحود وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم معنى الكنود
بخصال مذمومة واحوال غير محمودة فان صح فهو اعلى ما يقال ولا يبقى لاحد معه
مقال **قوله تعالى** وانه على ذلك لشهيد اي وان الله جل ثناؤه على ذلك من
ابن آدم لشهيد كذا روى منصور عن مجاهد وهو قول اكثر المفسرين وهو قول
ابن عباس وقال الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وانه اي وان الانسان لشاهد
على نفسه بما يصنع وروي عن مجاهد ايضا **قوله تعالى** وانه اي الانسان من
غير خلاف لحب الخير اي المال ومنه قوله تعالى ان ترك خيرا وقال عدي

ماذا ترجي النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاذبها

لشديد اي لقوي في حبه للمال وقيل لشديد لبخيل ويقال للبخيل شديد

ومتشدد قال طرفة

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

يقال يعتامه ويعتميه اي يختاره والفاحش البخيل ايضا ومنه قوله تعالى ويأمركم
بالفحشاء اي البخل قال ابن زيد سمى الله المال خيرا وعسى ان يكون شرا وحراما
ولكن الناس يعدونه خيرا فسماه الله خيرا لذلك وسمى الجهاد سوءا فقال
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء على ما تسميه الناس قال الفراء نظم الاية
ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قال لشديد وحذف من آخره ذكر
الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤوس الاي كقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف للريح
لا الايام فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرح من آخره ذكر الريح كانه قال في يوم عاصف الريح
قوله تعالى أفلا يعلم ابن آدم اذا بعثر اي اثير وقلب وبحث فاخرج ما
فيها قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله اعلاه وعن محمد بن كعب قال
ذلك حين يبعثون قال الفراء سمعت بعض اعراب بني اسد يقرأ بحثر بالحاء مكان
العين وحكاها الماوردي عن ابن مسعود وهما بمعنى وحصل ما في الصدور اي ميز
ما فيها من خير وشر وكذا قال المفسرون وقال ابن عباس ابرز وقرأ عبيد بن
عمير وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وحصل بفتح الحاء وتخفيف الصاد
وفتحها اي ظهر ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي عالم لا يخفى عليه منهم خافية وهو
عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم وقوله
اذا بعثر العامل فيه اذا بعثر ولا يعمل فيه خبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والعامل
في يومئذ خبير وان فصلت اللام بينهما لان موضع اللام الابتداء وانما دخلت في
الخبر لدخولها ان على المبتدا ويروى ان الحجاج قرأ هذه السورة على المنبر يحضهم على
الغزو فجرى على لسانه ان ربهم بفتح الالف ثم استدركها فقال خبير بغير لام
ولولا اللام لكانت مفتوحة لوقوع العلم عليها وقرأ ابو السمال ان ربهم
بهم يومئذ خبير تم تفسير السورة

تفسير سورة القارعة

وهي مكية باجماع وهي عشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى القارعة ما القارعة اي القيمة والساعة كذا قال عامة المفسرين وذلك انها تقرع الخلايق باهوالها وافزاعها واهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم القارعة وفقرتهم الفاقرة اذا وقع بهم امر فضيع قال ابن احمر

وقارعة من الايام لولا سبيلهم لزاحت عنك حينا

وقال اخر

متى تقرع بمروتكم نسؤكم ولم توقد لنا في القدر نار

وقال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وهي الشديدة من شدايد الدهر قوله تعالى ما القارعة استفهام اي اي شي القارعة وكذا وما ادراك ما القارعة كلمة استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشانها كما قال الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة على ما تقدم قوله تعالى يوم يكون الناس يوم منصوب على الظرف تقديره تكون القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة وقاله ابو عبيدة وقال الفرا انه الهمج الطاير من بعوض وغيره ومنه الجراد ويقال هو اطيش من فراشة قال

طويش من نفر اطايش الطيش من طايرة الفراش

وقال اخر

وقد كان اقوام رددت قلوبهم عليهم وكانوا كالفراش من الجهل

وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون من يدي وفي الباب عن ابي هريرة والمبثوث المتفرق وقال في موضع اخر جراد منتشر فاول حالهم كالفراش لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكونون كالجراد لان لها وجها تقصده والمبثوث المتفرق

المنتشر وانما ذكر على اللفظ كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر ولو قال المبثوثة كقوله اعجاز نخل خاوية لجاز قال ابن عباس والفرا كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضها بعضا كذلك الناس يجول بعضهم في بعض اذا بعثوا قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي الصوف الذي ينفش باليد اي يصير هبا ويزول كما قال جل ثناؤه في موضع اخر هبا منبثا واهل اللغة يقولون العهن الصوف المصبوغ وقد مضى في سورة سال سايل قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية قد تقدم القول في الميزان في الاعراف والكهف والانبيا وان له كفة ولسانا توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيات ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل يزن اعمال بني ادم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين كما قال

فلكل حادثة لها ميزان

وقد ذكرناه فيما تقدم وذكرناه ايضا في كتاب التذكرة وقيل ان الموازين الحجج والدلايل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر

قد كنت قبل لقايكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه

ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي يرضاه صاحبه وقيل عيشة راضية اي فاعلة للرضى وهو اللين والانقياد لاهلها فالفعل للعيشة لانها اعطت الرضى من نفسها وهو اللين والانقياد فالعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفرش المرفوعة وارتفاعها مقدار مائة عام فاذا دنا منها ولي الله اتضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع كهيئتها ومثل الشجرة فرعها كذلك ايضا من الارتفاع فاذا اشتهى ولي الله ثمرتها تدلت حتى يتناولها ولي الله قاعدا وقايما وذلك قوله تعالى قطوفها دانية وحيثما مشى او ينتقل من مكان الى مكان تجري معه نهر حيث شا علوا وسفلا وذلك قوله يفجرونها تفجيرا فيروى في الخبر انه يشير بقضيبه فيجري من غير اخدود حيثما شا من قصوره وفي مجالسه

وهذه الأشياء كلها عبث قد أعطيت الرضى من نفسها لمن فاعله للرضى وهي
انذلت وانقادت بذلا وسماحة ومعنى فأمه هاوية يعني جهنم وسماها
أمًّا لأنها يأوي إليها كما يأوي إلى أمه قاله ابن زيد ومنه قول أمية بن الصلت

فالأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد

وسميت النار هاوية لأنها يهوي فيها مع بعد قعرها ويروى أن الهاوية
اسم الباب الأسفل من النار وقال قتادة معنى فأمه هاوية لمصيره
عكرمة لأنه يهوي فيها على أم رأسه الأخفش أمه مستقره والمعنى
متقارب وقال الشاعر

يا عمرو لو نالتك أرماحنا كنت كمن تهوي به الهاوية

والهاوية المهواة وتقول هوت أمه فهي هاوية أي ثاكلة قال
كعب بن سعد الغنوي

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب

والمهوى والمهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك وتهاوى القوم في المهواة إذا سقط
بعضهم في إثر بعض وما أدراك ما هيه الأصل ما هي فدخلت الهاء للسكت
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابن محيصن ما هي نار بغير هاء
في الوصل ووقفوا بها وقد مضى في سورة الحاقة بيانه نار حامية أي شديدة
الحرارة وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ناركم
هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله إن كانت لكافية
يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها
وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال إنما ثقلت موازين من ثقلت
موازينه لأنه وضع فيه الحق وحق لميزان يكون فيه الحق أن يكون
ثقيلا وإنما خفت موازين من خفت موازينه لأنه وضع فيه الباطل وحق لميزان
أن يكون فيه الباطل أن يكون خفيفا وفي الخبر عن أبي هريرة

نساويهم وشمل ذل اليتم أولادهم واشتد عزهم طربهم وتلادهم وليتذكر
ترددهم في المآرب وحرصهم على نيل المطالب وانخداعهم لمواتاة الأسباب
وركونهم إلى الصحة والشباب وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم وغفلته عما بين
يديه من الموت والهلاك المريح كغفلتهم وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم وليحضر بقلبه
ذكر من كان مترددا في أغراضه وكيف تهدمت رجلاه وكان يتلذذ بالنظر إلى ما
خوله وقد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه ويضحك
لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه وليتحقق أن حاله كحاله وأن ماله كماله
وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ويقبل على الأعمال
الأخروية فيزهد في الدنيا ويرغب في طاعة مولاه ويلين قلبه وتخشع جوارحه

قوله تعالى كلا قال الفراء أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر
والتمام على هذا كلا سوف تعلمون أي سوف تعلمون عاقبة هذا ثم كلا سوف تعلمون
وعيد بعد وعيد قاله مجاهد ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ
وهو قول الفراء وقال ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من
العذاب في القبر ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة إذا حل بكم العذاب
فالأول في القبر والثاني في الآخرة فالتكرار للحالتين وقيل كلا سوف تعلمون
عند المعاينة أن ما دعوتكم إليه حق ثم كلا سوف تعلمون عند البعث أن ما وعدتكم
به صدق وروى زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك
في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فأشار إلى أن قوله كلا سوف تعلمون
يعني في القبور وقيل كلا سوف تعلمون إذا نزل بكم الموت وجاءتكم
رسل لتنزع أرواحكم ثم كلا سوف تعلمون إذا دخلتم قبوركم وجاءكم
منكر ونكير وحاط بكم هول السؤال وانقطع منكم الجواب قلت
فتضمنت السورة القول في عذاب القبر وقد ذكرنا في كتاب
التذكرة أن الإيمان به واجب والتصديق به لازم حسب ما أخبر
به الصادق وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة إليه
ويجعل له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل

عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له في قبره من كرامة وهوان
وهذا هو مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة وقد ذكرناه
هنالك مستوفى والحمد لله وقيل كلا سوف تعلمون هنا النشور أنكم
مبعوثون ثم كلا سوف تعلمون في القيامة أنكم معذبون وعلى هذا
تضمنت أحوال القيامة من بعث وحشر وسؤال وعرض إلى غير ذلك من أهوالها
وأفزاعها حسب ما ذكرناه في كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة
وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون
قال المؤمنون وكذلك كان يقرأها الأولى بالتاء والثانية بالياء
قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين أعاد كلا وهو زجر وتنبيه
لأنه عقب كل واحد بشيء آخر كأنه قال لا تفعلوا فإنكم تندمون لا
تفعلوا فإنكم تستوجبون العقاب وإضافة العلم إلى اليقين
كقوله تعالى إن هذا لهو حق اليقين وقيل اليقين هنا الموت قاله
قتادة وعنه أيضا البعث لأنه إذا جاء زال الشك أي لو تعلمون علم البعث
وجواب لو محذوف أي لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه إذا
جاءتكم نفخة الصور وانشقت اللحود عن جثثكم كيف يكون
حشركم لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا وقيل كلا لو تعلمون علم
اليقين أي لو قد تطايرت الصحف فشقي وسعيد وقيل إن كلا في هذه
المواضع الثلاثة بمعنى ألا قاله ابن أبي حاتم وقال الفراء هي بمعنى
حقا وقد تقدم الكلام فيها مستوفى قوله تعالى لترون الجحيم
هذا وعيد آخر وهو على إضمار القسم أي لترون الجحيم في الآخرة والخطاب
للكفار الذين وجبت لهم النار وقيل هو عام كما قال وإن منكم
إلا واردها فهي للكفار دار وللمؤمن ممر وفي الصحيح فيمر أولهم كالبرق
ثم كالريح ثم كالطير الحديث وقد مضى في سورة مريم وقرأ
الكسائي وابن عامر لتُرون بضم التاء من أريته الشيء أي تحشرون
إليها فترونها وعلى فتح التاء هي قراءة الجماعة أي لترون الجحيم بأبصاركم

على البعد ثم لترونها عين اليقين أي مشاهدة وقيل هو إخبار عن دوام
مقامهم في النار أي هي رؤية دائمة متصلة والخطاب على هذا للكفار وقيل
معنى لو تعلمون علم اليقين أي لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين بما أمامكم
مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فإن علم اليقين يريك الجحيم بعين
فؤادك وهو أن تتصور لك تارات القيامة وقطع مسافاتها ثم لترونها
عين اليقين أي عند المعاينة بعين الرأس فتراها يقينا لا تغيب عن
عينك ثم لتسألن يومئذ عن النعيم في موقف السؤال والعرض قوله تعالى
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر
وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله فقال
وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا فقاموا معه فأتى رجلا من
الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا من الماء إذ جاء
الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله
ما أحد أكرم أضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب
فقال كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك والحلوب
فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن نعيم
هذا اليوم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا
النعيم خرجه الترمذي وقال فيه هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي
تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وكنى اسم الرجل
مالك أبو الهيثم بن التيهان وذكر قصته قلت اسم هذا
الرجل الأنصاري مالك بن التيهان ويكنى أبا الهيثم وفي هذه القصة يقول
عبد الله بن رواحة يمدح بها أبا الهيثم بن التيهان

فلم أر كالإسلام عزًّا لأمةٍ ولا مثل أضيافِ الإراشيّ معشرا
نبيٌّ وصدّيقٌ وفاروقُ أمةٍ وخيرُ بني حوّاءَ فرعًا وعنصرا
فوافوا لميقاتٍ وقدرِ قضيّةٍ وكان قضاءُ الله قدرًا مقدّرا
إلى رجلٍ نجدٍ يباري بجوده شموسَ الضحى جودًا ومجدًا ومفخرا
وفارسِ خلقِ الله في كلِّ غارةٍ إذا لبس القومُ الحديدَ المسمّرا
ففدّى وحيّا ثم أدنى قِراهمُ فلم يقرِهم إلا سمينًا مسمّنا

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلًا فمرّ بي فدعاني فخرجت إليه، ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه، ثم مرّ بعمر فدعاه فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطًا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط: أطعمنا بسرًا، فجاء بعذق فوضعه فأكلوا، ثم دعا بماء فشرب فقال: لتسألنّ عن هذا يوم القيامة. قال: وأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر نحو وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: نعم، إلا من ثلاث: كسرة يسدّ بها جوعته، أو ثوب يستر به عورته، أو جحر يأوي فيه من الحرّ والقرّ. واختلف أهل التأويل في النعيم المسؤول عنه على عشرة أقوال: أحدها الأمن والصحة، قاله ابن مسعود. الثاني: الصحة والفراغ. الثالث: الإدراك بحواسّ السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسؤولًا. وفي الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالًا وولدًا، الحديث، خرّجه الترمذي وقال فيه: حديث حسن صحيح. الرابع: ملاذّ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبد الله الأنصاري، وحديث أبي هريرة يدل عليه. الخامس: أنه الغداء والعشاء، قاله الحسن. السادس: قول

أبي هريرة يدل عليه. الخامس: أنه الغداء والعشاء، قاله الحسن. السادس: قول

مكحول الشامي: أنه شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم. ورواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتسألنّ يومئذ عن النعيم، يعني شبع البطون، فذكره الماوردي. وقال: وهذا السؤال يعمّ المؤمن والكافر، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وسؤال الكافر تقريع لأنه قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية. وقال قوم: هذا السؤال عن كل نعمة إنما يكون في حق الكفار، فقد روي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال: يا رسول الله، أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنّب وماء عذب، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه؟ فقال عليه السلام: ذلك للكفار، ثم قرأ: ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾. ذكره القشيري أبو نصر. وقال الحسن: لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار. وقال القشيري: والجمع بين الأخبار أن الكل يسألون، ولكن سؤال الكفار توبيخ لأنه قد ترك الشكر، وسؤال المؤمن سؤال تشريف لأنه شكر. وهذا النعيم في كل نعمة. قلت: هذا القول حسن لأن اللفظ يعم. ذكر الفريابي قال: حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال: كل شيء من لذة الدنيا. وروى أبو الأحوص عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى ليعدّد نعمه على العبد يوم القيامة حتى يعدّ عليه: سألتني فلانة أن أنكحكها فسمّيتها باسمها فزوّجتكها. وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال الناس: يا رسول الله، عن أي النعيم نسأل؟ فإنما هما الأسودان، والعدو حاضر، وسيوفنا على عواتقنا. قال: إن ذلك سيكون. وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة، يعني العبد، أن يقال له: ألم نصحّ لك جسمك ونرويك من الماء البارد. قال: حديث غريب. وروي من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول الله إذا كان نعيم الجنة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه
كما يسأله عن ماله والجاه من نعيم الدنيا لا محالة وقال مالك رحمه الله إنه صحة
البدن وطيب النفس وهو القول الرابع وقيل النوم مع الأمن والعافية وقال
سفيان بن عيينة إن ما سد الجوع وستر العورة من خشن الطعام واللباس لا يسأل عنه
المرء يوم القيامة وإنما يسأل عن النعيم قال والدليل عليه أن الله تعالى أسكن آدم الجنة فقال
إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فكانت هذه الأشياء
الأربعة ما يسد به الجوع وما يدفع به العطش وما يستكن من الحر ويستر به عورته
لآدم عليه السلام بالإطلاق لا حساب عليه فيها لأنه لا بد له منها قلت
ونحو هذا ذكر القشيري أبو نصر قال إنها لا يسأل عنه العبد لباس يواري سوءته وطعاما
يقيم صلبه ومكانا يكنه من الحر والبرد قلت وهذا منتزع من قوله
عليه السلام ليس لابن آدم حق في هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته
وجلف الخبز والماء خرجه الترمذي وقال النضر بن شميل جلف الخبز ليس معه إدام
وقال محمد بن كعب النعيم هو ما أنعم الله علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي التنزيل لقد
من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم وقال الحسن أيضا والمفضل
هو تخفيف الشرائع وتيسير القرآن قال الله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج
وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت وكل هذه نعم فيسأل العبد
عنها هل شكر ذلك أم كفر والأقوال المتقدمة أظهر والله عز وجل أعلم

تفسير سورة والعصر

وهي مكية وقال قتادة مدنية وروي عن ابن عباس وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والعصر فيه مسألتان الأولى قوله تعالى والعصر
أي الدهر قاله ابن عباس وغيره فالعصر مثل الدهر ومنه قول
الشاعر سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر

جل يصعد إليه الصعود عز نبيي

أي عصر أقسم الله عز وجل به لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها وما
فيها من الدلائل على الصانع وقيل العصر الليل والنهار قال حميد بن ثور

ولن يلبث العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

والعصران أيضا الغداة والعشي قال

وأمطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

يقول إذا جاءني أول النهار وعدته آخره وقيل إنه العشي وهو ما بين زوال
الشمس وغروبها قاله الحسن وقتادة ومنه قول الشاعر

تروح بنا عمرو وقد قصر العصر وفي الروحة الأولى الغنيمة والأجر

وعن قتادة أيضا هو آخر ساعة من ساعات النهار وقيل هو قسم بصلاة العصر
وهي الوسطى لأنها أفضل الصلوات قاله مقاتل يقال أذن للعصر أي للصلاة للعصر
وصلينا العصر أي صلاة العصر وفي الخبر الصحيح الصلاة الوسطى صلاة العصر
وقد مضى في سورة البقرة بيانه وقيل هو قسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم لفضله
بتجديد النبوة فيه وقيل معناه ورب العصر الثانية قال مالك من حلف
ألا يكلم رجلا عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربي إنما حمل مالك يمين الحالف
ألا يكلم امرأ عصرا على السنة لأنه أكثر ما قيل فيه وذلك على أصله في تغليظ
المعنى في الأيمان وقال الشافعي يبر بساعة إلا أن تكون له نية وبه
أقول إلا أن يكون الحالف عربيا فيقال له ما أردت فإذا فسره بما يحتمله قبل
منه إلا أن يكون الأقل ويجيء على مذهب مالك أن يحمل على ما يفسر والله أعلم

قوله تعالى إن الإنسان لفي خسر هذا جواب القسم والمراد به الكافر قاله
ابن عباس في رواية أبي صالح وروى الضحاك عنه قال يريد جماعة من المشركين
الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد
العزى والأسود بن عبد يغوث وقيل يعني بالإنسان جنس الناس لفي خسر
لفي غبن وقال الأخفش هلكة الفراء عقوبة ومنه قوله
تعالى وكان عاقبة أمرها خسرا ابن زيد لفي شر وقيل لفي نقص والمعنى

منتقا دب ودوي عن سلام والعصر بكسر الصاد وقرا الاعرج وطلحة وعيسى
الثقفي خسر بضم السين وروي ذلك هرون عن ابن كثير عن عاصم والوجه فيهما
الاتباع ويقال خُسْر وخُسُر وعسر وعسر وكان علي يقرؤها والعصر
ونوايب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى اخر الدهر وقال ابرهيم
ان الانسان اذا عُمِّر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع الا المومنين
فانه تكتب لهم اجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم نظيره قوله تعالى
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين قال وقراتنا
والعصر ان الانسان لفي خسر وانه في اخر الدهر والصحيح ما عليه الامة والمصاحف
وقد مضى الرد في مقدمة الكتاب على من خالف مصحف عثمان وان هذا ليس
بقران يتلى فتامله هناك الا الذين امنوا استثنى من الانسان اذ هو بمعنى الناس
على الصحيح وعملوا الصالحات اي ادوا الفرائض المفروضة عليهم وهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب قرات على النبي صلى الله عليه وسلم والعصر
ثم قلت ما تفسيرها يا نبي الله قال والعصر قسم من الله اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان
لفي خسر ابو جهل الا الذين امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان
وتواصوا بالصبر علي رضي الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا
عليه ومعنى تواصوا اي تحابوا اوصى بعضهم بعضا وحث بعضهم بعضا بالحق
اي بالتوحيد كذا روي الضحاك عن ابن عباس وقال قتادة بالحق اي القران
وقال السدي الحق هنا الله عز وجل وتواصوا بالصبر على طاعة الله عز وجل
والصبر عن معاصيه وقد تقدم

تفسير سورة الهمزة مكية

باجماع وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة وقد تقدم القول في الويل في غير
موضع ومعناه الخزي والعذاب والهلكة وقيل واد في جهنم لكل
همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة
الباغون للبرا العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال النبي صلى الله عليه وسلم

توهمه الكفار اي لا يخلد ولا يبقى له مال وقد مضى القول في كلا مستوفى وقال
عمرو بن عبد الله مولى عفرة اذا سمعت الله عز وجل يقول كلا فانه يقول كذبت
لينبذن اي ليطرحن وليلقين وقرا الحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم
ومجاهد وحميد وابن محيصن لينبذان بالتثنية اي هو وماله وعن الحسن
ايضا لينبذنه على معنى لينبذن ماله وعنه ايضا بالنون لننبذنه على اخبار الله
تعالى عن نفسه انه ينبذ صاحب المال وعنه ايضا لينبذن على ان المراد
الهمزة واللمزة والمال وجامعه في الحطمة وهي نار الله سميت بذلك لانها تكسر كل
ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه قال الراجز

انا حطمنا بالقضيب مصعبا يوم كسرنا انفه ليغضبا

وهي الطبقة السادسة من طبقات جهنم حكاه الماوردي عن الكلبي
وحكى القشيري عنه الحطمة الدركة الثانية من درج النار وقال
الضحاك هي الدرك الرابع ابن زيد اسم من اسماء جهنم وما ادراك ما الحطمة على
التعظيم لشانها والتفخيم لامرها ثم فسرها ما هي فقال نار الله الموقدة
اي التي اوقد عليها الف عام والف عام والف عام فهي غير خامدة اعدها الله تعالى
للعصاة التي تطلع على الافئدة قال محمد بن كعب تاكل النار جميع ما في
جسده حتى اذا بلغت الى الفؤاد خلقوا خلقا جديدا فرجعت تاكلهم وكذا
روى خالد بن ابي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى
اذا اطلعت على افئدتهم انتهت ثم انا صدد وانحود فذلك قوله تعالى نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة وخص الافئدة لان الالم اذا صار الى الفؤاد
مات صاحبه اي انه في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال لا يموت
فيها ولا يحيى فهم اذا احياء في معنى الاموات وقيل معنى تطلع على الافئدة
اي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب وذلك بما استبقاه الله
تعالى من الامارة الدالة عليه يقال اطلع فلان على كذا اي علمه وقد قال الله

تعالى تدعو من أدبر وتولى وقال تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا فوصفها بهذا فلا يبعد أن توصف بالعلم **قوله تعالى** إنها
عليهم موصدة أي مطبقة قاله الحسن والضحاك وقد تقدم في سورة البلد القول
فيه وقال يغلقه بلغة قريش يقولون أوصد فلان الباب إذا أغلقه قال
مجاهد ومنه قول عبد الله بن قيس بن الرقيات
إن في القصر لو دخلنا غزالا مصفقا موصدا عليه الحجاب
في عمد ممددة الفاء بمعنى الباء قاله ابن مسعود وهي في قراءته بعمد ممددة
وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن الله تعالى يبعث إليهم
ملائكة بأطباق من نار وعمد من نار ومسامير من نار فتطبق عليهم بتلك
الأطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه
روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم
ولا يستغيثون أبدا وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله
تعالى إنها عليهم موصدة في عمد ممددة وقال قتادة عمد يعذبون
بها واختاره الطبري وقال ابن عباس إن العمد الممددة أغلال في أعناقهم
وقيل قيود في أرجلهم قاله أبو صالح وقال القشيري والمعظم على أن العمد
أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار وتشد تلك الأطباق بالأوتاد حتى
يرجع عليهم غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح وقيل أبواب النار مطبقة عليهم
وهم في عمد أي في سلاسل وأغلال مطولة وهي أحكم وأرسخ من القصيرة وقيل
هم في عمد ممددة أي في عذابها وآلامها يضربون بها وقيل المعنى في دهر
ممدود أي لا انقطاع له وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر في عُمُد بضم العين
والميم جمع عمود وكذلك عمد أيضا قال الفراء والعمد والعُمُد جميعا
صحيحان لعمود مثل أديم وأدم وأفيق وأفق أبو عبيدة عُمُد جمع
عماد مثل إهاب وأهب واختار أبو عبيدة عَمَد بفتحتين وكذلك أبو
حاتم اعتبارا بقوله تعالى رفع السموات بغير عمد وأجمعوا على فتحها قال
الجوهري العمود عمود البيت وجمع القلة أعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد

وقرئ بها قوله تعالى في عمد ممددة وقال أبو عبيدة العمود كل مستطيل
من خشب أو حديد وهو أصل للبناء مثل العماد عمدت الشيء فانعمد أي أقمته
بعماد يعتمد عليه وأعمدته جعلت تحته عمدا

تفسير سورة الفيل وهي مكية

بإجماع وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل فيه خمس مسائل الأولى
قوله تعالى ألم تر أي ألم تخبر وقيل أي ألم تعلم وقال ابن عباس ألم تسمع
واللفظ استفهام والمعنى تقرير والخطاب للرسول ولكنه عام أي ألم تروا
ما فعلت بأصحاب الفيل أي قد رأيتم ذلك وعرفتم موضع منتي عليكم فما لكم
لا تؤمنون وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر كيف من معنى الاستفهام
الثانية **قوله تعالى** بأصحاب الفيل الفيل معروف والجمع أفيال
وفيول وفيلة قال ابن السكيت ولا تقل أفيلة وصاحبه فيال قال سيبويه
يجوز أن يكون أصل فيل فعل فكسر من أجل الياء كما قالوا أبيض وبيض
وقال الأخفش هذا لا يكون في الواحد إنما يكون في الجمع ورجل فيل الرأي
أي ضعيف الرأي والجمع أفيال ورجل فال أي ضعيف الرأي مخطئ الفراسة
وقد فال الرأي يفيل فيولة وفيل رأيه تفييلا أي ضعفه فهو فيل الرأي
الثالثة في قصة أصحاب الفيل وذلك أن أبرهة بنى القليس بصنعاء وهي
كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض وكان نصرانيا ثم كتب إلى
النجاشي إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست
بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي
غضب رجل من النسأة فخرج حتى أتى الكنيسة فقعد فيها أي أحدث ثم
خرج فلحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة فقال من صنع هذا فقيل صنعه رجل من
أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك أصرف إليها

حج العرب غضب رجل فقعد فيها اي انها ليست لذلك باهل فغضب عند ذلك ابرهه
وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه وبعث رجلا كان عنده الى بني كنانه يدعوهم
الى حج تلك الكنيسه فقتلت بنو كنانه ذلك الرجل فزاد ابرهه ذلك غضبا
وحنقا ثم امر الحبشه فتهيات وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت
بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به وراوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا انه يريد هدم
الكعبه بيت الله الحرام فخرج اليه رجل من اشراف اهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر
فدعا قومه ومن اجابه من ساير العرب الى حرب ابرهه وجهاده عن بيت الله تعالى
وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه من اجابه الى ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر
واصحابه واخذ له ذو نفر فاتي به اسيرا فلما اراد قتله قال له ذو نفر ايها الملك لا تقتلني
فانه عسى ان يكون بقاي معك خيرا لك فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق
وكان ابرهه رجلا حليما ثم مضى ابرهه على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان
بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم شهران وناهس ومن تبعه
من قبايل العرب فقاتله فهزمه ابرهه واخذ له نفيل اسيرا فاتي به فلما هم بقتله
قال له نفيل ايها الملك لا تقتلني فاني دليلك بارض العرب وهاتان يداي لك
على قبيلتي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعه فخلى سبيله وخرج به معه يدله
حتى اذا مر بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقالوا له
ايها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس
بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذي بمكه ونحن
نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم وبعثوا معه ابا رغال حتى انزله المغمس فلما
انزله به مات ابو رغال هناك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرجم الناس
بالمغمس وفيه يقول الشاعر

وارجم قبره في كل عام ... كرجم الناس قبر ابي رغال

فلما نزل ابرهه بالمغمس بعث رجلا من الحبشه يقال له الاسود بن مقصود على
خيل له حتى انتهى الى مكه فساق اليه اموال اهل تهامه من قريش وغيرهم

واصاب فيها مايتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يوميذ كبير قريش
وسيدها فهمت قريش وكنانه وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله
ثم عرفوا انهم لا طاقه لهم به فتركوا ذلك وبعث ابرهه حناطه الحميري الى مكه وقال له
سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قل لهم ان الملك يقول اني لم ات لحربكم انما جيت لهدم
هذا البيت فان لم تعرضوا له بحرب فلا حاجه لي بدمايكم فان هو لم يرد حربي فاتني
به فلما دخل حناطه مكه سال عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن
هاشم فجاءه فقال له ما امره به ابرهه فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا
بذلك منه طاقه وهذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابرهيم عليه السلام او كما قال
فان يمنعه منه فهو حرمته وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع
عنه فقال له حناطه فانطلق اليه فانه امرني ان اتيه بك فانطلق
معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى اتى العسكر فسال عن ذي نفر وكان
صديقا له حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما
نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل اسير بيدي ملك ينتظر ان يقتله غدوا
او عشيا والله ما عندي غناء في شي مما نزل بك الا ان انيسا سايس الفيل صديق
لي فارسل اليه واوصيه بك واعظم عليه حقك واساله ان يستاذن لك على
الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبي فبعث ذو نفر
الى انيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكه يطعم الناس بالسهل
والوحوش في روس الجبال وقد اصاب له الملك مايتي بعير فاستاذن
له عليه وانفعه عنده بما استطعت فقال افعل فكلم انيس ابرهه فقال له ايها
الملك هذا سيد قريش ببابك يستاذن عليك وهو صاحب عير مكه يطعم الناس في السهل
والوحوش في روس الجبال فاذن له عليك فليكلمك في حاجته قال فاذن له
ابرهه وكان عبد المطلب اوسم الناس واجمله واعظمه فلما راه ابرهه اجله
واعظمه عن ان يجلسه تحته فنزل ابرهه عن سريره فجلس على بساطه واجلسه

معه عليه الجنبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان
فقال حاجتي ان يرد علي الملك مايتي بعير اصابها لي فلما قال له ذلك قال ابرهه
لترجمانه قل له لقد كنت اعجبتني حين رايتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني
اتكلمني في مايتي بعير اصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين ابايك لقد جيت
لهدمه لا تكلمني فيه قال له عبد المطلب اني انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه
قال ما كان ليمتنع مني قال انت وذاك فرد عليه ابله وانصرف عبد المطلب الي
قريش فاخبرهم الخبر وامرهم بالخروج من مكه والتحرز في شعف الجبال والشعاب
تخوفا عليهم معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبه وقام معه
نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه علي ابرهه وجنده فقال عبد المطلب
وهو اخذ بحلقة باب الكعبه

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
ان يدخلوا البلد الحرام فامر ما بدا لك

يقول اي شي ما بدا لك لم تكن تفعله بنا والحلال جمع حل والمحال القوه وقيل
ان عبد المطلب لما اخذ بحلقة باب الكعبه قال

يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا انهم ان يقهروا قواكا

وقال عكرمه بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي

لاهم اخز الاسود بن مقصود الاخذ الهجمه فيها التقليد
بين حراء وثبير فالبيد تحبسها وهي اولات التطريد
تضمها الي طماطم سود قد اجمعوا ان لا يكون معبود
ويهدموا البيت الحرام المعمود والمروتين والمشاعر السود

اخفره يا رب وانت محمود قال ابن اسحق ثم ارسل عبد المطلب حلقه
باب الكعبه ثم انطلق هو ومن معه من قريش الي شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون
ما ابرهه فاعل بمكه اذا دخلها فلما اصبح ابرهه تهيا لدخول مكه

وهيا فيله وعبا جيشه وكان اسم الفيل محمودا وابرهه مجمع لهدم البيت
ثم الانصراف الي اليمن فلما وجهوا الفيل الي مكه اقبل نفيل بن حبيب حتي
قام الي جنب الفيل ثم اخذ باذنه فقال له ابرك محمود او ارجع راشدا من حيث جيت
فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد
حتي صعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فابي فضربوا راسه بالطبرزين
ليقوم فابي فادخلوا محاجن لهم في مراقه فنزعوه بها ليقوم فابي فوجهوه
راجعا الي اليمن فقام يهرول ووجهوه الي الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه
الي مكه فبرك وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل
طاير منها ثلثه احجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه امثال الحمص والعدس
لا تصيب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون
الطريق الي اليمن فقال نفيل بن حبيب حين راي ما انزل الله بهم من نقمته

اين المفر والاله الطالب والاشرم المغلوب ليس الغالب

وقال ايضا

حمدت الله اذ ابصرت طيرا وخفت حجارة تلقي علينا
فكل القوم يسال عن نفيل كان علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون علي كل منهل واصيب ابرهه
في جسده وخرجوا به معهم يسقط انمله انمله كلما سقطت منه انمله اتبعتها
منه مده تمث قيحا ودما حتي قدموا به صنعا وهو مثل فرخ الطاير فما
مات حتي انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون وقال الكلبي ومقاتل
ابن سليمان يزيد احدهما وينقص سبب الفيل ما روي ان فتيه من قريش
خرجوا تجارا الي ارض النجاشي فنزلوا علي ساحل البحر الي بيعه للنصاري تسميها

النصارى الهيكل فاوقدوا نارا لطعامهم ونزلوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف
على النار فاضطرمت البيعة نارا فاحترقت فاتى الصريخ الى النجاشي فاخبره فاستشاط
غيظا فاتاه ابرهه بن الصباح وحجر بن شراحيل وابو يكسوم الكنديون وضمنوا
له احراق الكعبه وسبي مكه وكان النجاشي هو الملك وابرهه صاحب الجيش
وابو يكسوم نديم وقيل وزير وحجر بن شراحيل من قواده وقال مجاهد
ابو يكسوم هو ابرهه بن الصباح فساروا ومعهم الفيل قال الاكثرون
هو فيل واحد وقال الضحاك هي ثمانيه فيله ونزلوا بذي المجاز واستاقوا
سرح مكه وفيها ابل عبد المطلب فاتى الراعي نذيرا وكان داوا صباحاه ثم
اخبر الناس بمجي الجيش والفيل فخرج عبد المطلب وتوجه الى ابرهه وساله
في ابله واختلف في النجاشي هل كان معهم فقال قوم كان معهم وقال
الاكثرون لم يكن وبصر اهل مكه بالطير قد اقبلت من ناحيه البحر فقال
عبد المطلب ان هذه الطير غريبه بارضنا ما هي بنجديه ولا تهاميه ولا
حجازيه وانها اشباه اليعاسيب وكان في مناقيرها وارجلها حجاره فلما اظلت
على القوم القتها عليهم حتى هلكوا قال عطا بن ابي رباح جات الطير
عشيه فباتت ثم صبحتهم بالغداه فرمتهم وقال الكلبي في مناقيرها حصا
كحصى الخذف امام كل فرقه طاير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل
العنق فلما جات عسكر القوم وتوافت اهالت ما في مناقيرها على من
تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه المقتول به وقيل كان
على كل حجر مكتوب من اطاع الله نجا ومن عصاه غوا ثم انصاعت راجعه
من حيث جات وقال العوفي سالت عنها ابا سعيد الخدري فقال
حمام مكه منها وقيل كان يقع الحجر على بيضه احدهم فيخرقها ويبزل في دماغه ويخرق
الفيل والدابه ويغيب الحجر في الارض من شده وقعه وكان اصحاب
الفيل ستين الفا لم يرجع منهم احد الا اميرهم رجع ومعه شرذمه

لطيفه فلما اخبروا بما راوا هلكوا وقال الواقدي ابرهه جد النجاشي الذي
كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابرهه هو الاشرم سمي بذلك لانه
تقاتل مع ارياط حتى تناحا ثم اتفقا على ان يلتقيا بشخصيهما فمن غلب فله
الامر فتبارزا وكان ارياط جسيما عظيما في يده حربه وابرهه قصيرا حادرا
حليما ذا دين في النصرانيه ومع ابرهه وزير له يقال له عتود فلما دنوا
ضرب ارياط بحربته راس ابرهه فوقعت على جبينه فشرمت عينه وانفه
وجبينه وشفته فلذلك سمي الاشرم وحمل عتود على ارياط فقتله فاجتمعت
الحبشه لابرهه فغضب النجاشي وحلف ليجزن ناصيه ابرهه ويطا بلاده
فجز ابرهه ناصيته وملا مزودا من تراب ارضه وبعث بهما الى النجاشي
وقال انما كان عبدك فانا عبدك وانا اقوم بامر الحبشه وقد جززت راسي وبعثت
اليك بتراب ارضي لتطاه وتبر في يمينك فرضي عنه النجاشي ثم بنا ابرهه
كنيسه بصنعا ليصرف اليها حج العرب لما تقدم الرابعه قال
مقاتل كان عام الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنه وقال
الكلبي وعبيد بن عمير كان من قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث وعشرين سنه
والصحيح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ولدت عام الفيل وروي
انه قال يوم الفيل وحكاه الماوردي في التفسير له وقال في كتاب اعلام
النبوه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان
بعد الفيل بخمسين يوما ووافق من شهور الروم العشرين من اسباط في السنه
الثانيه عشر من ملك هرمز بن انوشروان قال وحكى ابو جعفر الطبري ان
مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين سنه من ملك انوشروان وقد قيل
انه عليه السلام حملت به امه امنه في يوم عاشورا المحرم وقيل انه ولد يوم عاشورا
من شهر المحرم حكاه ابن شاهين ابو حفص في فضايل يوم عاشورا وولد يوم الاثنين

لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فكان مدة حمله ثمانية اشهر كذا ذكره
من التاسع ابن الجوزي قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الفيل وقال قيس بن مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل
وقد روي اناسي عن مالك من مروءة الرجل ان لا يخبر بسنه لانه ان كان صغيرا
استحقروه وان كان كبيرا استهرموه وهذا قول ضعيف لان مالكا لا يخبر
بسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكتم سنه وهو من اعظم العلما قدوة
فلا باس بان يخبر الرجل بسنه كان كبيرا او صغيرا وقال عبد الملك
ابن مروان لعتاب بن اسيد انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا اسن منه وولد النبي صلى الله عليه وسلم
عام الفيل وانا ادركت سائسه وقائده اعميين مقعدين يستطعمان الناس
وقيل لبعض القضاة كم سنك قال سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة وكان سنه يوميذ دون العشرين الخامسة
قال العلماء وكانت قصة الفيل فيما بعد من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وان كانت
قبله وقبل التحدي لانها كانت توكيدا لامره وتمهيدا لشانه ولما تلا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كان بمكة عدد كثير ممن شهد تلك
الوقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد راى قائد الفيل وسائقه
اعميين يتكففان الناس وقالت عائشة رضي الله عنها مع حداثة
سنها لقد رايت قائد الفيل وسائقه اعميين يستطعمان وقال ابو صالح
رايت في بيت ام هاني بنت ابي طالب نحوا من قفيزين من تلك الحجارة سودا
مخططة بحمرة **قوله تعالى** الم يجعل كيدهم في تضليل في ابطال
وتضييع لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبي والبيت الحرام
بالتخريب والهدم فحكي عن عبد المطلب انه بعث ابنه عبد الله على فرس له

ينظر ما لقوا من تلك الطير فاذا القوم مشدخين جميعا فرجع يركض فرسه كاشفا
عن فخذه فلما راى ذلك ابوه قال ان ابني هذا افرس العرب وما كشف عن فخذه
الا بشيرا او نذيرا فلما دنا من ناديهم بحيث يسمعهم الصوت قالوا وما وراك قال هلكوا
جميعا فخرج عبد المطلب واصحابه واخذوا اموالهم وكانت اموال بني عبد المطلب
منها وبها تكاملت رياسة عبد المطلب لانه احتمل من صفراء وبيضاء ثم خرج
اهل مكة بعده ونهبوا وقيل ان عبد المطلب حفر حفرتين فملاهما من الذهب
والجوهر ثم قال لابي مسعود الثقفي وكان خليلا لعبد المطلب اختر ايهما شئت
ثم اصاب الناس من اموالهم حتى ضاقوا ذرعا فقال عبد المطلب عند ذلك

انت منعت الحبش والافيالا … وقد رعوا بمكة الاجبالا
وقد خشينا منهم القتالا … وكل امر لهم معضالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

قال ابن اسحق ولما رد الله الحبشة
من مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة
عدوهم وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم في قصة اصحاب الفيل

انت الجليل ربنا لم تدنس … انت حبست الفيل بالمغمس
من بعد ما هم بشر مبلس … حبسته في هيئة المكركس
وما لهم من فرج ومنفس

والمكركس المنكوس المطروح

قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل قال سعيد بن جبير كانت
طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السماء والارض تعشعش
وتفرخ وعن ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب
وقال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع ولم
تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عائشة رضي الله عنها هي اشبه شيء بالخطاطيف

وقيل بل كانت اشباه الوطاويط حمرا وسودا وعن سعيد بن جبير ايضا هي طيور
سود بحرية في مناقيرها واظافيرها الحجارة وقيل انها العنقاء المغرب
التي تضرب بها الامثال قال عكرمة ابابيل اي مجتمعة وقيل اي
متتابعة بعضها في اثر بعض قاله ابن عباس ومجاهد وقيل مختلفة متفرقة
تجيء من كل ناحية من ههنا وههنا قاله ابن مسعود وابن زيد والاخفش قال
النحاس وهذه الاقوال متفقة وحقيقة المعنى انها جماعات عظام يقال
فلان يوبل على فلان اي يعظم عليه ويكثر وهو مشتق من الابل واختلف
في واحد ابابيل فقال الجوهري قال الاخفش يقال جاءت ابلك ابابيل
اي فرقا وطير ابابيل قال وهذا يجيء في معنى التكثير وهو من الجمع الذي لا واحد له
وقد قال بعضهم واحده إبّول مثل عجّول وقال بعضهم إبّيل مثل سكّين قال ولم
اجد العرب تعرف له واحدا في غير الصحاح وقيل في واحده إبّال وقال
رؤبة بن العجاج في الجمع يقول

ولعبت طير بهم ابابيل فصيروا مثل كعصف مأكول

وقال الاعشى

طريق وجبار رواء اصوله عليه ابابيل من الطير تنعب

وقال اخر

كادت تهد من الاصوات راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

وقال اخر

تراهم الى الداعي سراعا كانهم ابابيل طير تحت دجن مسخن

قال الفراء لا واحد له من لفظه وزعم الرؤاسي وكان ثقة انه سمع في واحدها
إبّالة مشددا وحكى الفراء إبالة مخففا قال وسمعت بعض العرب
يقول ضغث على إبالة يريد خصبا على خصب قال ولو قال قائل إيبالة
كان صوابا مثل دينار ودنانير وقال اسحق بن عبد الله بن الحارث

ابن نوفل الابابيل مأخوذ من الابل المؤبلة وهي الاقاطيع **قوله تعالى**
ترميهم بحجارة من سجيل في الصحاح حجارة من سجيل قالوا حجارة من طين طبخت
بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم لقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة من طين وقال
عبد الرحمن بن ابزى من سجيل من السماء وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل
من الجحيم وهي سجين ثم ابدلت اللام نونا كما قالوا في اصيلان اصيلال
قال ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجينا وقال الزجاج من
سجيل اي مما كتب عليهم ان يعذبوا به مشتق من السجل وقد مضى القول
في سجيل في هود مستوفى قال عكرمة كانت ترميهم بحجارة معها
فاذا اصاب احدهم حجر منها خرج به الجدري لم ير قبل ذلك اليوم وكان
الحجر كالحمصة وفوق العدسة وقال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على
احدهم نفط جلده فكان ذلك اول الجدري وقراءة العامة ترميهم
بالتاء لتأنيث جماعة الطير وقرأ الاعرج وطلحة يرميهم بالياء اي يرميهم الله دليله قوله
ولكن الله رمى ويجوز ان يكون راجعا الى الطير لخلوها من علامات
التانيث ولان تانيثها غير حقيقي **قوله تعالى** فجعلهم كعصف
مأكول اي جعل الله اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكلته الدواب
فرمت به من اسفل شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزائه روي معناه عن ابن
زيد وغيره وقد مضى القول فيه اي في العصف في سورة الرحمن ومما يدل
على انه ورق الزرع قول علقمة

تسقي مذانب قد مالت عصيفتها حدورها من اتي الماء مطموم

وقال رؤبة بن العجاج

ومسهم ما مس اصحاب الفيل ترميهم حجارة من سجيل
ولعبت طير بهم ابابيل فصيروا مثل كعصف مأكول

العصف جمع واحدته عصفة وعصافة وعصيفة وادخل الكاف
في كعصف للتشبيه مع مثل نحو قوله تعالى ليس كمثله شيء ومعنى مأكول

فيه كما يقال فلان حسن اي حسن وجهه وقال ابن عباس فجعلهم كعصف
ماكول المادبه قشر البر يعني الغلاف الذي يكون فيه حبه الزرع
القمح وروي ان الحجر كان يقع على احدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى
كقشر الحنطه اذا اخرجت منه الحبه وقال ابن مسعود لما رمت
الطير بالحجاره بعث الله ريحا فضربت الحجاره فزادتها شده فكانت لا
تقع على احد الا اهلكته ولم يسلم منهم الا رجل من كنده فقال

وانك لو رايت ولو تراه لدى جنب المغمس ما لقينا
خشيت الله اذ قد بث طيرا وظل سحابه تمور علينا
وباتت كلهم تدعو بحق كان لها على الحبشان دينا

وروي انها لم تصبهم كلهم لانها اصابت من شا الله منهم وقد تقدم ان
ابرهم رجع وشرذمه لطيفه معه فلما اخبروا بما راوا هلكوا والله اعلم
وقال ابن اسحق لما رد الله الحبشه من مكه عظمت العرب قريشا
وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنه عدوهم فكان ذلك نعمه من الله عليهم

تفسير سوره قريش مكيه

في قول الجمهور ومدنيه في قول الضحاك والكلبي وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لايلاف قريش قيل ان هذه السوره متصله بالتي قبلها في
المعنى يقول اهلكت اصحاب الفيل لايلاف قريش اي لتاتلف قريش او
لتتفق قريش او لكي تامن قريش فتولف رحلتيها وممن عد السورتين
واحده ابي بن كعب ولا فصل بينهما في مصحفه وقال سفين بن عيينه
كان لنا امام لا يفصل بينهما ويقروهما معا وقال عمرو بن
ميمون الاودي صلينا المغرب خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرا في الاولى
والتين والزيتون وفي الثانيه الم تر ولايلاف قريش وقال

الفرا هذه السوره متصله بالسوره الاولى لانه ذكر اهل مكه عظيم
نعمته عليهم فيما فعل بالحبشه ثم قال لايلاف قريش اي فعلنا ذلك باصحاب
الفيل نعمه منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار
عليها ولا تقرب في الجاهليه يقولون هم اهل بيت الله جل وعز حتى جا صاحب
الفيل ليهدم الكعبه وياخذ حجارتها فيبني بها بيتا في اليمن يحج الناس اليه
فاهلكهم الله جل وعز فذكرهم نعمته اي فجعل الله ذلك لايلاف قريش اي ليالفوا
الخروج ولا يجترا عليهم وهو قول مجاهد وابن عباس في روايه سعيد
ابن جبير عنه ذكره النحاس حدثنا احمد بن شعيب قال اخبرني عمرو بن علي
قال حدثني عامر بن ابرهيم وكان ثقه من خيار الناس قال حدثني خطاب بن جعفر
ابن ابي المغيره قال حدثني ابي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
في قوله تعالى لايلاف قريش قال نعمتي على قريش ايلافهم رحله الشتا
والصيف قال كانوا يشتون بمكه ويصيفون بالطايف وعلى هذا القول
يجوز الوقف على روس الاي وان لم يكن الكلام تاما على ما بينه اثنا
السوره وقيل ليست متصله لان بين السورتين بسم الله الرحمن الرحيم وذلك
دليل على انقضا السوره وافتتاح الاخرى وان اللام متعلقه بقوله تعالى
فليعبدوا اي فليعبدوا هولا رب هذا البيت لايلافهم رحله الشتا
والصيف للامتياز قال الخليل ليست متصله كانه قال الف الله
قريشا ايلافا فليعبدوا رب هذا البيت وعمل ما بعد الفا فيما قبلها لانها
زايده غير عاطفه كقوله وربك فاصبر وقيل اللام في قوله تعالى لايلاف
قريش لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش قاله الكسايي والاخفش
وقيل بمعنى الى وقرا ابن عامر لالاف مهموزا مختلسا بلا يا وقرا
ابو جعفر والاعرج ليلاف بلا همز طلبا للخفه الباقون لايلاف بالياء
مهموزا مشبعا من الفت اولف ايلافا قال

المنعمين اذا النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الايلاف
ويقال الفته الفا والافا وقرا ابو جعفر ليلاف قريش
وقد جمعهما من قال
زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف
قال الجوهري وفلان قد الف هذا الموضع بالكسر يالف الفا
والفه اياه غيره ويقال ايضا الفت الموضع اولفته ايلافا وكذلك الفت
الموضع اولفته مؤالفة والافا فصار صورة افعل وفاعل في الماضي واحد
وقرا عكرمة ليالف بفتح اللام على الامر وكذلك هو في مصحف ابن مسعود
وفتح لام الامر لغة حكاها ابن مجاهد وغيره وكان عكرمة يعيب على من
يقرا لايلاف قريش وقرا بعض اهل مكة الاف قريش واستشهد
بقول ابي طالب يوصي اخاه ابا لهب برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا تتركنه ما حييت لمعظم وكن رجلا ذا نجدة وعفاف
تذود العدى عن عصبة هاشمية الافهم في الناس خير الاف
واما قريش فهم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر
فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون بني كنانة ومن فوقه وربما
قالوا قريشي وهو القياس قال الشاعر
بكل قريشي عليه مهابة فان اردت بقريش الحي صرفته وان اردت به
القبيلة لم تصرفه قال الشاعر
وكفى قريش المعضلات وسادها والتقريش الاكتساب وتقرشوا
اي تجمعوا وقد كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى
اتخذوه مسكنا قال الشاعر
ابونا قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبايل من فهر
وقد قيل ان قريشا بنو فهر بن مالك بن النضر فمن لم يلد فهر

فليس بقرشي والاول اصح واثبت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال انا ولد النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا وقال
واثلة بن الاسقع قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد
اسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم صحيح ثابت خرجه البخاري ومسلم وغيرهما واختلف
في تسميتهم قريشا على اقوال احدها لتجمعهم بعد التفرق والتقرش التجمع
والالتيام قال ابو خلدة اليشكري
اخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرهم وقديم
الثاني لانهم كانوا تجارا ياكلون من مكاسبهم والتقرش التكسب وقد
قرش يقرش قرشا اذا كسب وجمع قال الفرا وبه سميت قريش والثالث
لانهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلة فيسدون خلته والقرش
التفتيش قال الشاعر
ايها الشامت المقرش عنا عند عمرو فهل له ابقاء
الرابع ما روي ان معوية سال ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال
لدابة في البحر من اقوى دوابه يقال لها القرش تاكل ولا توكل وتعلو
ولا تعلى وانشد قول تبع
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا
قوله تعالى ايلافهم قرا مجاهد وحميد الفهم ساكنة اللام
بغير يا وروي نحوه عن ابن كثير وكذلك روت اسما انها سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا الفهم وروي عن ابن عباس وغيره

وقرأ أبو جعفر والوليد عن أهل الشام وأبو حيوة إلافهم مهموزًا مختلسًا
بلا ياء وقرأ أبو بكر عن عاصم إأْلافهم بهمزتين الأولى مكسورة والثانية ساكنة
والجمع بين الهمزتين في الكلمتين شاذ والباقون إيلافهم بالمد والهمز وهو الاختيار
وهو بدل من الإيلاف الأول للبيان وهو مصدر آلف إذا جعلته يألف وألف
هو العامل عليها تقدم ذكره من القراءة أي وما قد ألفوه من رحلة الشتاء
والصيف روى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى إيلافهم رحلة الشتاء
والصيف قال لا يشق عليهم رحلة شتاء ولا صيف منة منه على
قريش وقال الهروي وغيره وكان أصحاب الإيلاف أربعة إخوة هاشم
وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف فأما هاشم فإنه كان يؤلف
ملك الشام أي أخذ منه حبلًا وعهدًا يأمن به في تجارته إلى الشام وأخوه
عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس
ومعنى يؤلف يجير فكان هؤلاء الإخوة يسمون المجيرين وكان تجار قريش
يختلفون إلى الأمصار بحبل هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم قال
الأزهري الإيلاف شبه الإجارة يقال ألف يؤلف وألف يؤلف إذا أجار
الحمائل بالخفارة والحمائل جمع حمولة قال والتأويل أن قريشًا كانوا سكان
الحرم ولم يكن لهم زرع ولا ضرع وكانوا يمتارون في الشتاء والصيف
آمنين والناس يتخطفون من حولهم فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا
نحن أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وذكر أبو الحسين أحمد بن فارس
ابن زكريا في تفسيره حدثنا سعيد بن محمد عن بكر بن سهل الدمياطي
بإسناده إلى ابن عباس في قول الله عز وجل لإيلاف قريش إيلافهم رحلة
الشتاء والصيف وذلك أن قريشًا كانوا إذا أصابت واحدًا منهم مخمصة
جرى هو وعياله إلى موضع معروف فضربوا على أنفسهم خباء فماتوا حتى كان
عمرو بن عبد مناف وكان سيدًا في زمانه وله ابن يقال له أسد وكان
له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه فقال له نحن

غدا نعتفد قال ابن فارس هذه لفظة في هذا الخبر لا أدري
بالدال هي أم بالراء فإن كانت بالراء فلعلها من العفر وهو التراب وإن
كانت بالدال فما أدري معناها وتأويله على ما أظنه ذهابهم إلى
ذلك الخباء وموتهم واحدًا بعد واحد قال فدخل أسد على أمه يبكي
وذكر ما قاله تربه قال فأرسلت أم أسد إلى أولئك بشحم ودقيق
فعاشوا به أيامًا ثم إن تربه أتاه أيضًا فقال نحن غدا نعتفد فدخل
أسد على أبيه يبكي وأخبره خبر تربه فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف
فقام خطيبًا في قريش وكانوا يطيعون أمره فقال إنكم أحدثتم حدثًا تقلون
فيه وتكثر العرب وتذلون وتعز العرب وأنتم أهل حرم الله جل وعز
وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع ويكاد هذا الاعتفاد يأتي عليكم
فقالوا نحن لك تبع قال ابتدئوا بهذا الرجل يعني أبا ترب أسد فأغنوه
عن الاعتفاد ففعلوا ثم إنه نحر البدن وذبح الكباش والمعز
ثم هشم الثريد وأطعم الناس فسمي هاشمًا فقال الشاعر

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

ثم جمع كل بني أب على رحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام
للتجارات فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم
فجاء الإسلام وهم على هذا فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالًا ولا أعز
من قريش وهو قول شاعرهم

والخالطين فقيرهم بغنيهم ... حتى يصير فقيرهم كالكافي

فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم فقال فليعبدوا
رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أن تكثر العرب
ويقلوا **قوله تعالى** رحلة الشتاء والصيف رحلة نصب بالمصدر
أي ارتحالهم رحلة أو بوقوع إيلافهم عليه أو على الظرف ولو جعلتها
في محل الرفع على هما رحلة الشتاء والصيف لجاز والأول أولى والرحلة

مطلب في الوقف

الارتحال وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتا لانها بلاد حاميه
والرحله الاخري في الصيف الى الشام لانها بلاد بارده وعن ابن عباس ايضا
قال كانوا يشتون بمكه لدفايها ويصيفون في الطايف لهوايها وهذه
من جل النعم ان يكون للقوم ناحيه حر تدفع عنهم برد الشتا وناحيه بارده
تدفع عنهم حر الصيف فذكرهم الله تعالى هذه النعمه وقال الشاعر
تشتي بمكه نعمةً ومصيفها بالطايف وهنا اربع مسايل
المساله الاولى اختار القاضي ابو بكر بن العربي وغيره من العلما ان قوله
تعالى لايلاف متعلق بما قبله ولا يكون ان يكون متعلقا بما بعده وهو
قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت قال واذا ثبت انه متعلق
بالسوره الاخري وقد قطع عنه بكلام مبتدا واستيناف بيان وسطر
بسم الله الرحمن الرحيم فقد تبين جواز الوقف في القراه للغا قبل تمام الكلام
وليست المواقف التي تنتزع بها القرا شرعا عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرويا وانما ارادوا به تعليم الطلبه المعاني فاذا علموها وقفوا حيث
شاوا فاما الوقف عند انقطاع النفس فلا خلاف فيه ولا تعد ما
قبله اذا اعتراك ذلك ولكن ابدا من حيث وقف بك نفسك هذا راي
فيه ولا دليل على ما قاله بحال ولكني اعتمد الوقف على التمام كراهيه
الخروج عنهم قلت ومن الدليل على صحه هذا قراه النبي صلى الله عليه
وسلم الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وقد مضى في
مقدمة الكتاب واجمع المسلمون ان الوقف عند قوله كعصف ماكول
ليس بقبيح وكيف يقال انه قبيح وهذه السوره تقرا في الركعه الاولى
والتي بعدها في الركعه الثانيه فيتخللها مع قطع القراه اركان وليس احد
من العلما يكره ذلك وما كانت العله فيه الا ان قوله تعالى فجعلهم
كعصف ماكول انتهاء ايه فالقياس على ذلك ان لا يمتنع الوقف

عند انقضاء الايات سواكان الكلام يتم والغرض ينتهي او لا يتم
ولا ينتهي وايضا فان الفواصل حليه وزينه للكلام المنظوم ولولاها
لم يتبين المنظوم من المنثور ولا خفا ان الكلام المنظوم احسن فثبت
بذلك ان الفواصل من محاسن الكلام المنظوم فمن اظهر فواصله بالوقوف
عليها فقد ابدى محاسنه وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن ويشبه
المنظوم بالمنثور وذلك اخلال بحق المقروء الثانيه قال
مالك الشتا نصف السنه والصيف نصفها ولم ازل اري ربيعه بن ابي
عبد الرحمن ومن معه يخلعون عمايمهم حين تطلع الثريا وهو يوم التاسع عشر
من بشنس وهو يوم خمسه وعشرين من عدد الروم او الفرس واراد
بطلوع الثريا ان يخرج السعاه ويسير الناس بمواشيهم الى مياههم
وان طلوع الثريا اول الصيف ودبر الشتا وهذا مما لا خلاف فيه
بين اصحابه عنه وقال عنه اشهب وحده اذا سقطت الهقعه
نقص الليل فمن جعل الثريا اول الصيف وجب ان يكون له في مطلق
السنه سته اشهر ثم يستقبل الشتا من بعد ذهاب الصيف سته اشهر وقد
سيل محمد بن الحكم عمن حلف ان لا يكلم امراه حتى يدخل الشتا فقال
لا يكلمه حتى يمضي سبعه عشر من هتور ولو قال حتى يدخل الصيف لم
يكلمه حتى يمضي سبعه عشر من بشنس قال القرطبي اما ذكر هذا عن
محمد في بشنس فهو سهو انما هو تسعه عشر من بشنس لما ذكرناه اذا حسبت
المنازل على ما هي عليه من ثلاث عشره ليله كل منزله علمت ان ما بين تسعه
عشر من هتور لا تنقضي منازله الا بدخول تسعه عشر من بشنس والله اعلم
الثالثه قال قوم الزمان اربعه اقسام شتا وربيع وصيف وخريف
وقال قوم هو شتا وصيف وقيظ وخريف والذي قاله مالك
اصح لان الله قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالث الرابعه

لما امتن الله عز وجل على قريش برحلتين شتا وصيفا على ما تقدم كان
فيه دليل على جواز تصرف الرجل في الزمانين بين محلين يكون حالهما في كل
زمان انعم من الاخر كالجلوس في المجلس البحري في الصيف وفي القبلي في الشتا
وفي اتخاذ الباذهنجات والخيش للتبريد واللبد واليانوسه للدفو
قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت امرهم تعالى بعبادته
وتوحيده لاجل ايلافهم رحلتين ودخلت الفا لاجل ما في الكلام من معنى
الشرط لان الشرط اما ليعبدوا ولايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم
لا تحصى وان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لشان هذه الواحده
التي هي نعمه ظاهره والبيت الكعبه وفي تعريف نفسه لهم بانه رب هذا البيت
وجهان احدهما لانه كانت لهم اوثان فميز نفسه عنها الثاني
لانهم بالبيت شرفوا على سائر العرب فذكر لهم ذلك تذكيرا لنعمه وقيل
فليعبدوا رب هذا البيت اي ليالفوا عباده رب الكعبه كما كانوا يالفون
الرحلتين **قال** عكرمه كانت قريش قد الفوا رحله الى بصرى ورحله
الى اليمن فقيل لهم فليعبدوا رب هذا البيت اي يقيموا بمكه رحله الشتا
الى اليمن والصيف الى الشام **قوله تعالى** الذي اطعمهم من جوع اي
بعد جوع وامنهم من خوف **قال** ابن عباس وذلك بدعوه ابرهيم
صلى الله عليه وسلم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا وارزقهم من الثمرات
وقال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها من
بعض فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم وقرا اولم نمكن لهم حرما امنا
يجبى اليه ثمرات كل شي وقيل شق عليهم السفر في الشتا والصيف فالقى
الله في قلوب الحبشه ان حملوا اليهم طعاما في السفن فحملوه فخافت
قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين فاذاهم قد
جلبوا اليهم الطعام واغاثوهم بالاقوات فكان اهل مكه يخرجون

الى جده بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيره ليلتين **وقيل**
هذا الاطعام هو انهم لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد
ادع الله لنا فانا مومنون فدعا فاخصبت تباله وجرش من بلاد اليمن
فحملوا الطعام الى مكه واخصب اهلها **وقال** الضحاك والربيع وشريك
وسفيان وامنهم من خوف اي من خوف الحبشه مع الفيل وقال علي رضي الله عنه
وامنهم من ان تكون الخلافه الا فيهم وقيل اي كفاهم اخذ الايلاف
من الملوك والله اعلم والفضل بيد الله ولله الحمد والمنه

تفسير سوره الماعون وهي مكيه

في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنيه في قول له
اخر وهو قول قتاده وغيره وهي سبع ايات
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
ارايت الذي يكذب بالدين الى اخر السوره فيها ست مسائل **الاولى**
قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين اي بالجزا والحساب في الاخره وقد
تقدم في الفاتحه وارايت بثبات الهمزه الثانيه اذ لا يقال في ارايت
ريت ولكن الف الاستفهام سهلت الهمزه الفا ذكره الزجاج وفي الكلام
حذف والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو او مخطي واختلف
فيمن نزل هذا فيه فذكر ابو صالح عن ابن عباس قال نزلت في العاص بن
وايل السهمي وقاله الكلبي ومقاتل وروى الضحاك عنه قال نزلت
في رجل من المنافقين وقال السدي نزلت في الوليد بن المغيره
وقيل في ابي جهل وقال الضحاك في عمرو بن عايذ وقال ابن
جريج في ابي سفيان وكان ينحر في كل اسبوع جزورا فطلب منه يتيم

شيئا فزجره بعصاه فانزل الله هذه السورة ويدعّ اي يدفع كما قال
يوم يدعّون الى نار جهنم دعّا وقد تقدم وقال الضحاك عن ابن عباس
فذلك الذي يدعّ اليتيم اي يدفعه عن حقه وقال قتادة يقهره ويظلمه والمعنى
متقارب وقد تقدم في سورة النساء انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار
ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد وجبت
له الجنة وقد مضى هذا المعنى في غير موضع الثانية قوله تعالى
ولا يحض على طعام المسكين اي لا يامر به لاجل بخله وتكذيبه بالجزاء وهو
مثل قوله تعالى في سورة الحاقة ولا يحض على طعام المسكين وقد تقدم
وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون
لانفسهم يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه فنزلت هذه الاية فيهم وتوجه
الذم عليهم فيكون معنى الكلام لا يفعلونه ان قدروا ولا يحثون عليه
ان عسروا الثالثة قوله تعالى فويل للمصلين اي عذاب لهم
وقد تقدم في غير موضع الذين هم عن صلاتهم ساهون فروى
الضحاك عن ابن عباس قال هو المصلي الذي ان صلى لم يرج لها ثوابا وان
تركها لم يخش عليها عقابا وعنه ايضا الذين يؤخرونها عن اوقاتها
وكذا روى المغيرة عن ابراهيم قال ساهون اضاعوا الوقت وعن ابي العالية
لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها قلت ويدل على
هذا قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة حسبما تقدم بيانه
في سورة مريم عليها السلام وروي عن ابراهيم ايضا انه الذي اذا سجد
قال براسه هكذا ملتفتا وقال قطرب هو انه لا يقرا ولا يذكر الله
وفي قراءة عبد الله الذين هم عن صلاتهم لاهون وقال سعد بن ابي وقاص
قال النبي صلى الله عليه وسلم فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون

اعلم به منا فيقول لهم ابو لهب انه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه
فاتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه
فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا فاخبر بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكتأب لذلك فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب
السورة وقيل ان ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر
فمنعه الله من ذلك فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب للمنع الذي وقع به
ومعنى تبت خسرت قاله قتادة وقيل خابت قاله ابن عباس وقيل
ضلت قاله عطا وقيل هلكت قاله ابن جبير وقال يمان بن رئاب
صفرت من كل خير حكى الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان
رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول

لقد خلوك وانصرفوا فما ابوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم فيا تبا لما صنعوا

وخص اليدين بالتباب لان العمل اكثر ما يكون بهما اي خسرتا وخسر هو وقيل
المراد باليدين نفسه وقد يعبر باليد عن النفس كما قال الله تعالى بما قدمت
يداك اي نفسك وهذا مهيع كلام العرب تعبر ببعض الشيء عن كله تقول
اصابته يد الدهر ويد الرزايا والمنايا اي اصابه كل ذلك قال الشاعر

لما اكبت يد الرزايا عليه نادى الا مجير

وتب قال الفراء التب الاول دعاء والثاني خبر كما يقال اهلكه
الله وقد هلك وفي قراءة عبد الله وابي وقد تب وابو لهب اسمه عبد العزى
وهو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامراته العوراء ام جميل
اخت ابي سفيان بن حرب وكلاهما كان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم
قال طارق بن عبد الرحمن المحاربي اني بسوق ذي المجاز اذا بانسان
يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه

فتاي سابقه وعرقوبيه ويقول ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت
من هذا فقالوا محمد زعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وروى
عطا عن ابن عباس قال قال ابو لهب سحركم محمد ان احدنا لياكل الجذعة
ويشرب العس من اللبن فلا يشبع وان محمدا قد اشبعكم من فخذ شاة وارواكم
من عس لبن المسالة الثانية قوله تعالى ابي لهب قيل سمي باللهب لحسنه
واشراق وجهه وقد ظن قوم ان في هذه الاية دليلا على جواز تكنية المشرك
وهو باطل وانما كناه الله بابي لهب عند العلما لمعان احدها ان اسمه الاول انه كان
اسمه عبد العزى والعزى صنم ولم يضف الله العبودية في كتابه لصنم الثاني
انه كان بكنيته اشهر منه باسمه فصرح به الثالث ان الاسم
اشرف من الكنية فحطه الله عز وجل عن الاشرف الى الانقص اذ لم يكن
بد من الاخبار عنه ولذلك دعا الله تعالى الانبيا باسمائهم ولم يكن باحد منهم
ويدلك على شرف الاسم على الكنية ان الله تعالى يسمى ولا يكنى وان كان
ذلك لظهوره وبيانه واستحالة نسبة الكنية اليه لتقدسه عنها الرابع
ان الله تعالى اراد ان يحقق نسبته بان يدخله النار فيكون ابا لها تحقيقا للنسب
وامضا للفال والطيرة التي اختار لنفسه وقد قيل اسمه كنيته فكان
اهله يسمونه ابا لهب لتلهب وجهه وحسنه فصرفهم الله عن ان يقولوا ابو
نور وابو الضيا الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه واجرى على
السنتهم ان يضيفوه الى ابي لهب الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم وهو
النار ثم حقق ذلك بان يجعلها مقره وقرا مجاهد وحميد وابن كثير
وابن محيصن ابي لهب باسكان الهاء ولم يختلفوا في ذات لهب انها مفتوحة
لانهم راعوا فيها رووس الاي الثالثة قال ابن عباس لما خلق الله جل
وعز القلم قال له اكتب ما هو كاين وكان فيما كتب تبت يدا ابي لهب
وقال منصور سيل الحسن عن قوله تبت يدا ابي لهب هل كان في

ام الكتاب وهل كان ابو لهب يستطيع ان لا يصلى النار فقال والله ما كان
يستطيع الا ان يصلاها وانها لفي كتاب الله من قبل ان يخلق ابو لهب وابواه ويويده
قول موسى لادم انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك
ملايكته اغويت الناس واخرجتهم من الجنة قال ادم وانت موسى
الذي اصطفاك الله بكلامه واعطاك التوراة تلومني على امر كتبه علي قبل
ان يخلق الله السموات والارض قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى
وقد تقدم هذا وفي حديث همام عن ابي هريرة ان ادم قال لموسى بكم
وجدت الله كتب التوراة قبل ان يخلقني قال باربعين عاما قال فهل وجدت فيها
وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على امر كتبه الله علي ان افعله
قبل ان اخلق باربعين عاما فحج ادم موسى وفي حديث طاووس وابن هرمز
والاعرج عن ابي هريرة باربعين عاما قوله تعالى ما اغنى عنه
ماله وما كسب اي ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب
من جاه وقال مجاهد من ولد وولد الرجل من كسبه وقرا الاعمش
وما اكتسب ورواه عن ابن مسعود وقال ابو الطفيل جا بنو ابي
لهب يختصمون عند ابن عباس فاقتتلوا فقام ليحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع
على الفراش فغضب ابن عباس وقال اخرجوا عني الكسب الخبيث يعني ولده
وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب
ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه خرجه ابو داود وقال
ابن عباس لما انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار قال ابو لهب
ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي بمالي وولدي فنزل
ما اغنى عنه ماله وما كسب وما في قوله ما اغنى يجوز ان يكون
مع الفعل مصدرا اي ما اغنى عنه ماله وكسبه قوله تعالى
سيصلى نارا ذات لهب اي ذات اشتعال وتلهب وقد مضى في سورة المرسلات

النوافيه وقراه العامه سيصلى بفتح اليا وقرا ابو رجا والاعمش
بضم اليا ورواها محبوب عن اسماعيل عن ابن كثير وحسين عن ابي بكر
عن عاصم وروبت عن الحسن وقرا اشهب العقيلي وابو سماك العدوي
ومحمد بن السميقع سيصلى بضم اليا وفتح الصاد وتشديد اللام ومعناها
سيصليه الله من قوله وتصليه جحيم والثانيه من الاصلا اي يصليه الله
من قوله سنصليه نارا والاولى هي الاختيار لاجماع الناس عليها وهي من قوله
الا من هو صال الجحيم **قوله تعالى** وامراته ام جميل وقال ابن العربي العورا
ام قبيح وكانت عورا حماله الحطب قال ابن عباس ومجاهد وقتاده
والسدي كانت تمشي بالنميمه بين الناس تقول العرب فلان يحطب على فلان
اذا ورش عليه قال الشاعر   ان بني الادرم حمالوا الحطب
هم الوشاه في الرضى وفي الغضب   عليهم اللعنه تترى والحرب
وقال اخر
من البيض لم تصطد على ظهر لامه   ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب
يعني لم تمش بالنمايم وجعل الحطب رطبا ليدل على التدخين الذي هو زياده
في الشر وقال اكثم بن صيفي لبنيه اياكم والنميمه فانها نار
محرقه وان النمام ليعمل في ساعه ما لا يعمله الساحر في شهر اخذه بعض
الشعراء فقال
ان النميمة نار وهي محرقة   تعدو عنها وجانب من تعاطاها
ولذلك قيل نار الحقد لا تخبو وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة نمام وقال ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقال
من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه
وقال كعب الاحبار اصاب بني اسرايل قحط فخرج بهم موسى عليه السلام
ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا فقال موسى الهي عبادك فاوحى الله اليه اني

لا استجيب لك ولا لمن معك لان بينهم رجلا نماما قد اصر على النميمه فقال موسى يا
رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمه واكون نماما
قال فتابوا جميعهم فسقوا والنميمه من الكباير لا خلاف في ذلك حتى
قال الفضيل بن عياض ثلاث تهد العمل الصالح ويفطرن الصايم وينقضن
الوضو الغيبه والنميمه والكذب وقال عطا بن السايب ذكرت
للشعبي قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل مكه سافك دم ولا مشا بنميمه
ولا تاجر يربي فقلت يا ابا عمرو قرن النمام بالقاتل واكل الربا فقال
وهل تسفك الدما وتنتهب الاموال وتهيج الامور العظام الا من اجل النميمه
وقال قتاده وعكرمه كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر
ثم كانت مع كثره مالها تحتطب الحطب على ظهرها لشده بخلها فعيرت بالبخل
وقال ابن زيد والضحاك كانت تحمل العضاه والشوك فتطرحه بالليل
على طريق النبي صلى الله عليه وسلم وقاله الربيع فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يطاه كما يطا الحرير وقال مره الهمداني كانت ام جميل تاتي كل
يوم باباله من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات يوم حامله حزمه
اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها وقال
سعيد بن جبير حماله الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره دليله
قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل المعنى حماله الحطب
في النار وفيه بعد وقراه العامه حماله بالرفع على ان يكون خبرا
وامراته مبتدا ويكون في جيدها حبل من مسد جمله في موضع الحال من المضمر
في حماله او خبرا ثانيا او يكون حماله الحطب نعتا لامراته والخبر في جيدها
حبل من مسد فيوقف على هذا على ذات لهب ويوقف على امراته وتكون حماله الحطب

خبر ابتدا محذوف وقرا عاصم حمالة الحطب بالنصب على الذم كأنها
اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص كقوله تعالى ملعونين
أينما ثقفوا وقرا أبو قلابة حاملة الحطب قوله تعالى في جيدها
أي عنقها قال امرؤ القيس

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل

حبل من مسد أي من ليف قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها له صريف صريف القعو بالمسد

وقال الراجز يا مسد الخوص تعوذ مني إن كنت لدنا لينا فإني
ما شئت من أشمط مقسئن وقد يكون من جلود الإبل ومن أوبارها
قال ومسد أمر من أيانق لسن بأنياب ولا حقائق
وجمع الجيد أجياد والمسد أمساد أبو عبيدة هو حبل يكون من صوف
الحسن هو حبال من شجر تنبت باليمن تسمى المسد وكانت تفتل قال
الضحاك وغيره هذا في الدنيا فكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر
وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به فأهلكها
وهو في الآخرة حبل من نار وقال ابن عباس في رواية أبي صالح في
جيدها حبل من مسد قال سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وقال مجاهد
وعروة بن الزبير تدخل من فيها وتخرج من أسفلها وتلوى سائرها على عنقها
وقال قتادة حبل من مسد قال قلادة من ودع الحسن إنما كان خرزا في
عنقها سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات
والعزى لأنفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة
وقيل إن ذلك إشارة إلى الخذلان يعني أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق
لها من الشقاء كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال

مسد حبله أي يفتله مسدا أي أجاد فتله قال يمسد أعلى لحمه ويأرمه ويقول
إن البقل يقوي ظهر هذا الحمار ومسيده ودابة ممسودة الخلق إذا كانت شديدة
الأسر قال الشاعر ومسد أمر من أيانق

صهب عتاق ذات مخ زاهق لسن بأنياب ولا حقائق

ويروى ولا ضعاف مخهن زاهق قال الفراء هو مرفوع والشعر
مكفأ يقول بل مخهن مكتنز رفعه على الابتداء قال ولا يجوز أن يريد ولا ضعاف [ولا ضعاف مخهن زاهق مخهن]
كما لا يجوز أن تقول مررت برجل أبوه قائم بالخفض وقال غيره الزاهق هنا
بمعنى الذاهب كأنه قال ولا ضعاف مخهن ثم رد الزاهق على الضعاف ورجل ممسود
أي مجدول الخلق وجارية حسنة المسد والعصب والجدل والأرم وهي ممسودة
ومعصوبة ومجدولة ومأرومة والمساد على فعال لغة في المساب وهو نحي
السمن وسقاء العسل قال حجة الجوهري وقد اعترض فقال إن كان
ذلك حبلها الذي تحتطب به فكيف يبقى في النار وأجيب عنه بأن الله
جل وعز قادر على تجديده كلما احترق والحكم ببقاء أبي لهب وامرأته في النار
مشروط ببقائهما على الكفر إلى الوفاة فلما ماتا على الكفر صدق الإخبار عنهما
ففيه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فامرأته خنقها الله تعالى بحبلها وأبو لهب رماه
الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال بعد أن شجته أم الفضل وذلك أنه لما قدم
الحيسمان مكة بخبر بدر فقال له أبو لهب أخبرني خبر الناس قال نعم والله ما هو
إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يضعون السلاح منا حيث شاؤوا
ومع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق لا والله ما يليق منا تقول
ما تبقي شيئا قال أبو رافع وكنت غلاما أنحت الأقداح في صفة زمزم
وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر فرفعت طنب الحجرة
فقلت تلك والله الملائكة قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة منكرة
وثاورته وكنت رجلا ضعيفا فاحتملني وضرب بي الأرض وبرك على صدري

وتقدمت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته وتقول استضعفته ان غاب عنه سيده وتضربه بالعمود على راسه فتفلقه شجة منكرة فقام يجر رجليه ذليلا ورماه الله بالعدسة فمات واقام ثلثة ايام لم يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسلوه بالما قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما يتقى الطاعون ثم احتملوه الى اعلا مكة فاسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة تم تفسير السورة ولله الحمد والمنه

تفسير سورة الاخلاص مكية

في قول ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطا وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل هو الله احد اي الواحد الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك واصل احد وحد قلبت الواو همزة ومنه قول النابغة على مستانس وحد وقد تقدم في سورة البقرة الفرق بين واحد واحد وفي كتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى ايضا والحمد لله واحد مرفوع على معنى هو احد وقيل المعنى قل الامر والشان الله احد وقيل احد بدل من قوله الله وقرا جماعة احد الله بلا تنوين طلبا للخفة وفرارا من التقا الساكنين ومنه قول الشاعر ولا ذاكر الله الا قليلا الله الصمد اي الذي يصمد اليه في الحاجات كذا روى الضحاك عن ابن عباس قال الذي يصمد اليه في الحاجات كما قال جل وعز ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون قال اهل اللغة الصمد السيد الذي يصمد اليه في النوازل والحوائج قال

الا بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال قوم الصمد الدايم الباقي الذي لم يزل وقيل تفسيره ما بعده لم يلد ولم يولد قال ابي بن كعب الصمد الذي لا يلد ولا يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس شي يموت الا يورث وقال علي وابن عباس ايضا وابو وايل وشقيق وسفيان الصمد الذي قد انتهى سودده في انواع الشرف والسودد ومنه قول الشاعر

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فانت السيد الصمد

وقال ابو هريرة انه المستغني عن كل احد وقال السدي انه المقصود في الرغايب والمستعان به في المصايب وقال الحسين بن الفضل انه الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وقال مقاتل انه الكامل الذي لا عيب فيه ومنه قول الزبرقان

سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا ولا رهينة الا سيد صمد

وقال الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير الصمد المصمت الذي لا جوف له قال الشاعر

شهاب حروب لا تزال جياده عوابس يعلكن الشكيم المصمدا

قلت قد اتينا على هذه الاقوال مبينة في الصمد في كتاب الاسنى وان الصحيح منها ما شهد له الاشتقاق وهو القول الاول ذكره الخطابي وقد اسقط من هذه السورة من ابعده الله واخزاه وجعل النار مقامه ومثواه وقرا الله الواحد الصمد في الصلوة والناس يسمعون فاسقط قل هو وزعم انه ليس من القران وغير لفظ احد وادعى ان هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل والمحال فابطل معنى الاية لان اهل التفسير قالوا نزلت الاية جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك امن ذهب ام من نحاس ام من صفر فقال الله عز وجل ردا عليهم قل هو الله احد ففي هو دلالة على موضع الرد ومكان الجواب فاذا سقط بطل معنى الاية وصح الافترا على الله عز وجل والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب

لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد
لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله تعالى لا يموت
ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء
وروي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك
قال فاتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة قل هو الله احد فذكر نحوه ولم يذكر
فيه عن ابي بن كعب وهذا اصح قاله الترمذي قلت ففي هذا الحديث
اثبات لفظ قل هو الله احد وتفسير الصمد وقد تقدم وعن عكرمة نحوه
وقال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وعزير رد على
النصارى وعلى من قال عزير ابن الله ولم يكن له كفوا احد اي لم يكن له مثلا احد
وفيه تقديم وتاخير تقديره ولم يكن له احد كفوا فقدم خبر كان على اسمها لينساق
اواخر الاي على نظم واحد وقرئ كفؤا بضم الفاء وسكونها وقد تقدم في البقرة
ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان
الا قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا لعلة تقدمت وقرا حفص كفوا
مضموم الفاء غير مهموز وكلها لغات فصيحة القول
الاحاديث الواردة في فضل هذه السورة وفيه ثلاث مسائل الاولى ثبت في صحيح
البخاري عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما
اصبح جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم
ان يقرا ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله
فقال الله الواحد الصمد ثلث القرآن خرجه مسلم من حديث
ابي الدرداء بمعناه وخرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم احشدوا فاني سأقرا عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله
صلى الله عليه وسلم فقرا الله احد ثم دخل فقال بعضنا لبعض اني ارى هذا
خبرا جاءه من السماء فذاك الذي ادخله ثم خرج فقال اني قلت لكم سأقرا عليكم
ثلث القرآن الا انها تعدل ثلث القرآن قال بعض العلماء انها عدلت ثلث
القرآن لاجل هذا الاسم الذي هو الصمد فانه لا يوجد في غيرها من السور وكذلك
احد وقيل ان القرآن انزل اثلاثا ثلثا منه احكام وثلثا منه وعد ووعيد
وثلثا منه اسما وصفات وقد جمعت قل هو الله احد احد الاثلاث وهو الاسما
والصفات ودل على هذا التاويل ما في صحيح مسلم من حديث ابي الدرداء عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله
احد جزءا من اجزاء القرآن وهذا نص وبهذا المعنى سميت سورة الاخلاص والله اعلم
الثانية روى مسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
رجلا على سرية وكان يقرا لاصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا
ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسالوه فقال
انها صفة الرحمن وانا احب ان اقراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه
ان الله عز وجل يحبه وروى الترمذي عن انس بن مالك قال كان رجل من
الانصار يؤمهم في مسجد قبا وكان كلما افتتح سورة يقرا بها لهم في الصلاة فقرا بها
افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرا سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في
كل ركعة فكلمه اصحابه فقالوا انك تقرا بهذه السورة ثم لا ترى انها
تجزيك حتى تقرا بسورة اخرى قال ما انا بتاركها ان احببتم ان اؤمكم
بها فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرونه افضلهم وكرهوا ان يؤمهم غيره
فلما اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك مما يامرك
به اصحابك وما يحملك ان تقرا هذه السورة في كل ركعة فقال يا رسول الله

اني احبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حبها ادخلك الجنة قال
حديث حسن غريب صحيح قال ابن العربي وهذا نص دليل على انه يجوز تكرار
سورة في كل ركعة وقد رايت على باب الاسباط فيها من يسمنه اماما من
جملة الثمانية والعشرين اماما كان يصلي التراويح في رمضان بالانام
فيقرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد حتى يتم التراويح تخفيفا عليه
ورغبة في فضلها وليس من السنة ختم القرآن في رمضان قلت هذا نص
قول مالك وليس ختم القرآن في المساجد بسنة الثالثة روى الترمذي
عن انس بن مالك قال اقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت ما وجبت قال الجنة
قال هذا حديث حسن صحيح قال الترمذي حدثنا محمد بن مرزوق
البصري قال نا حاتم بن ميمون ابو سهل عن ثابت البناني عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا كل يوم مايتي مرة قل هو الله احد محي عنه
ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد
مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب يا عبدي ادخل على يمينك الجنة
قال هذا حديث غريب من حديث ثابت عن انس وفي مسند ابي محمد
الدارمي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد
خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة قال وحدثنا عبد الله بن يزيد
قال حدثنا حيوة قال اخبرني ابو عقيل انه سمع سعيد بن المسيب يقول
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد عشر مرات بني له قصر
في الجنة ومن قراها عشرين مرة بني له قصران في الجنة ومن قراها ثلثين مرة
بني له ثلثة قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله اذن
لنكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك قال

قال ابو محمد بن عقيل وزهرة بن معبد وزعموا انه كان من الابدال وذكر
ابو نعيم الحافظ من حديث ابي العلا يزيد بن الشخير عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره
وامن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة باكفها حتى تجيزه من الصراط
الى الجنة قال هذا حديث غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي
وذكر ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الحافظ عن عيسى بن ابي فاطمة الرازي قال
سمعت مالك بن انس يقول اذا نقس بالناقوس اشتد غضب الرحمن فتنزل
الملائكة فياخذون باقطار الارض فلا يزالون يقرؤون قل هو الله احد حتى
يسكن غضبه عز وجل وخرج من حديث محمد بن خالد الجندي عن مالك عن
نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل يوم الجمعة المسجد
فصلى اربع ركعات يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمسين مرة قل هو الله
احد فذلك مايتا مرة في اربع ركعات لم يمت حتى يرى منزله من الجنة او يرى
له وقال ابو عمرو مولى جرير بن عبد الله البجلي عن جرير قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد حين يدخل منزله نفت الفقر
عن اهل ذلك المنزل وعن الجيران وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا قل هو الله احد مرة بورك عليه ومن قراها مرتين بورك عليه
وعلى اهله ومن قراها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن
قراها اثنى عشر مرة بنى الله له اثني عشر قصرا في الجنة وتقول
الحفظة انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا فان قراها مايه مرة كفر الله
عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والاموال فان قراها اربع
مايه مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة او يرى له وعن سهل بن
سعد الساعدي قال شكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفقر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت البيت فسلم ان كان

فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على واقرا قل هو الله احد مرة واحدة فيفعل ذلك الرجل فادر الله عليه الرزق حتى فاض على جيرانه وقال انس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فطلعت الشمس يوما لها شعاع ونور لم ارها فيما مضى طلعت قط كذلك فاتى جبريل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل مالي ارى الشمس طلعت بيضا بشعاع لم ارها طلعت كذلك فيما مضى قط فقال ذلك لان معاوية بن معاوية الليثي توفي بالمدينة اليوم فبعث الله اليه سبعين الف ملك يصلون عليه قال ومم ذلك قال لانه كان يكثر قراءة قل هو الله احد انا الليل وانا النهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول الله ان اقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع ذكره الثعلبي

تفسير سورة الفلق وهي مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة وهي خمس ايات ومعنى السورة وسورة الناس والاخلاص نزلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهود على ما ياتي وقيل ان المعوذتين كان يقال لهما المقشقشتان اي تبريان من النفاق وقد تقدم وزعم ابن مسعود رضي الله عنه انهما دعا يتعوذ به وليستا من القران خالف به الاجماع من الصحابة واهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما فقدر انهما بمنزلة اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال ابو بكر الانباري وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين واعيذكما بكلمات الله التامة من قول البشر بين وكلام الخالق الذي هو اية لمحمد

صلى الله عليه وسلم ومعجزة له باقية على جماعة الكافرين لا يلتبس بكلام الادميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف باجناس الكلام وافانين القول وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه امن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وما يشك في حفظه واتقانه لها فرد هذا القول على قايله واحتج عليه بانه قد كتب اذا جا نصر الله وانا اعطيناك الكوثر وقل هو الله احد وهن يجرين مجرى المعوذتين في انهن غير طوال والحفظ اليهن اسرع ونسيانهن مامون وكلهن تخالف فاتحة الكتاب اذ الصلاة لا تتم الا بقراتها وسبيل كل ركعة ان تكون المقدمة فيها قبل ما يقرا بعدها فاسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقا حفظها والامن من نسيانها صحيح وليس من اسقط ما يجري في هذا المعنى مجراها ولا يسلك به طريقها وقد مضى هذا المعنى في سورة الفاتحة والحمد لله على نعمه وحسن توفيقه ن

لب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق الى اخر السورة فيها تسع مسايل

الاولى روى النسائي عن عقبة بن عامر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت اقريني سورة اقريني سورة يوسف فقال لي لن تقرا شيا ابلغ عند الله من قل اعوذ برب الفلق وعنه قال بينا انا اسير مع النبي صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابوا اذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ باعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما قال وسمعته يقرا بهما في الصلاة وروى النسائي عن عبد الله قال

قال اصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر كلاما معناه فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قل فقلت ما اقول قال قل هو الله احد والمعوذتين حين
تمسي وحين تصبح ثلاثا تكفك كل شيء وعن عقبة بن عامر الجهني قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قلت ما اقول قال قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ
برب الناس فقراهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لم يتعوذ الناس بمثلهن
او لا نعوذ الناس بمثلهن وفي حديث ابن عباس قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الناس هاتين السورتين وفي صحيح مسلم البخاري ومسلم عن عايشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد
وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها النفث النفخ ليس معه ريق
الثانية ثبت في الصحيحين من حديث عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
سحره يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى يخيل اليه انه
كان يفعل الشي ولا يفعله فمكث كذلك ما شاء الله ان يمكث وفي غير الصحيح
سنة ثم قال يا عايشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني ملكان
جلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي قال ما شان الرجل قال مطبوب قال ومن
طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر
تحت راعوفة في بير ذي اروان فجا البير واستخرجه انتهى الصحيح وقال
ابن عباس اما شعرت يا عايشة ان الله تعالى اخبرني بدايي ثم بعث عليا
والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ما تلك البير كانه نقاعة الحنا ثم رفعوا
الصخرة وهي الراعوفة صخرة تترك اسفل البير يقوم عليها الماتح واخرجوا
الجف فاذا مشاطة راس انسان واسنان من مشط واذا وتر معقود فيه
احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فانزل الله تعالى هاتين السورتين وهما احدى

اية على عدد تلك العقد وامران يتعوذ بهما فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد
النبي صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة فكانما انشط من
عقال وقام كانه ما به باس وجعل جبريل يرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة فيقول بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك
من شر حاسد وعين والله يشفيك فقالوا يا رسول الله الا نقتل الخبيث فقال
اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا وذكر القشيري في تفسيره
انه ورد في الصحاح ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم
فدنت اليه اليهود ولم يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم والمشاطة
بضم الميم ما يسقط من الشعر عند المشط واخذ عدة من اسنان مشطه فاعطاها
اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الاعصم اليهودي وذكر
نحو ما تقدم عن ابن عباس الثالثة تقدم في البقرة القول في الساحر وحقيقته
وما ينشا عنه من الالام والمفاسد وحكم الساحر فلا معنى لاعادته الرابعة
قوله تعالى الفلق اختلف فيه فقيل سجن في جهنم قاله ابن عباس وقال ابي بن
كعب بيت في جهنم اذا فتح صاح اهل جهنم من حره وقال الحبلي ابو
عبد الرحمن هو اسم من اسما جهنم وقال الكلبي واد في جهنم وقال
عبد الله بن عمر شجرة في النار سعيد بن جبير جب في النار النحاس يقال لما
اطمان من الارض فلق فعلى هذا يصح هذا القول وقال جابر بن عبد الله
والحسن وسعيد بن جبير ايضا ومجاهد وقتادة والقرظي وابن زيد الفلق الصبح
وقاله ابن عباس تقول العرب هو ابين من فلق الصبح وفرق الصبح
وقال الشاعر

يا ليلة لم انمها بت مرتقبا ارعى النجوم الى ان نور الفلق

وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه اي تتشقق وقيل هو التفلين بين
الجبال لانها تتشقق من خوف الله عز وجل قال زهير

ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي الركاب بهم من راكس فلقا

الراكس بطن الوادي وكذلك هو قول النابغة

ودون راكس فالضواجع والراكس ايضا الهادي وهو الثور وسط البيدر
تدور عليه الثيران في الدياسة وقيل الرحم تنفلق بالحيوان وقيل انه
كلما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شي من نبات
وغيره قال الضحاك الفلق الخلق كله قال وسوس يدعو مخلصا رب الفلق
سرا وقد اذن بادٍ من عقوه ذهب قلت هذا القول يشهد له الاشتقاق
فان الفلق الشق فلقت الشي فلقا شققته شقا والتفليق مثله يقال
فلقته فانفلق وتفلق فكلما انفلق عن شي من حيوان وصبح وحب ونوى
وما فهو فلق قال الله تعالى فالق الاصباح وفالق الحب والنوى وقال
ذو الرمة يصف الثور الوحشي

حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق هاديه في اخريات الليل منتصب

يعني بالفلق هنا الصبح بعينه والفلق ايضا المطمئن من الارض بين الربوتين
وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا مثل ذلك بفالق كذا وكذا ابو يريدون
المكان المنحدر بين الربوتين والفلق ايضا مقطرة السجان فاما الفِلق بالكسر
فالداهية والامر العجيب تقول افلق الرجل وافتلق وشاعر مفلق وقد جا
بالفلق والفلق ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل واحد
منهما فلق وقولهم جا بعلق فلق وهي الداهية لا يجري يقال منه اعلقت
وافلقت اي جيت بعلق فلق ومر يفتلق في عدوه اي ياتي بالعجب من شدته
وقوله تعالى من شر ما خلق قيل هو ابليس وذريته وقيل جهنم وقيل هو عام

اي من شر كل ذي شر خلقه الله عز وجل الخامسة قوله تعالى ومن شر غاسق
اذا وقب اختلف فيه فقيل هو الليل والغسق هو اول ظلمة الليل يقال منه غسق
الليل يغسق اي اظلم قال قيس بن الرقيات

ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والارقا

وقال اخر يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا اذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا
هذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ووقب على هذا التفسير
اظلم قاله ابن عباس الضحاك دخل قتادة ذهب قال يمان بن رياب
سكن وقيل نزل يقال وقب العذاب على الكافر نزل قال الشاعر

وقب العذاب عليهم فكانهم لحقتهم نار السموم فاحصدوا

وقال الزجاج قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد
والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من اجامها والهوام من اماكنها
وينبعث اهل الشر على العبث والفساد وقيل الغاسق الثريا وذلك
انها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفعت ذلك قاله
قاله عبد الرحمن بن زيد وقيل هو الشمس اذا غربت قاله ابن شهاب وقيل
هو القمر قال القتبي اذا وقب القمر اذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف
اذا خسف به وكل شي اسود فهو غسق وقال قتادة اذا وقب
اذا غاب وهو اصح لان في الترمذي عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر
الى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق
اذا وقب قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقال احمد بن يحيى ثعلب عن
ابن الاعرابي في تاويل هذا الحديث وذلك ان اهل الريب يتحينون
وجبة القمر وانشد

اراحني الله من اشيا اكرهها منها العجوز ومنها الكلبة الورِهْ
هذا يبوح وهذا يستصاب به ومنه صموت قوامة السحَرِ

وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وكان الغاسق نابها لان السم يغسق منه اي يسيل
ووقبنا بها اذا دخل في اللديغ وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائنا ما كان
من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها السادسة قوله تعالى ومن
شر النفاثات في العقد يعني الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين
يرقين عليها شبه النفخ كما يعمل من يرقي قال الشاعر

اعوذ بربي من النافثات ومن عضه العاضه المعضه

وقال متمم ابن نويرة

نفثت في الخيط شبيه الرقى من خشية الجنة والحاسد

وقال عنترة

فان يبرا فلم انفث عليه وان يفقد فحق له الفقود

السابعة روى النسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئا
وكل اليه واختلف في النفث عند الرقى فمنعه قوم واجازه اخرون
قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقال
ابرهيم كانوا يكرهون النفث في الرقى وقال بعضهم دخلت على الضحاك
وهو وجع فقلت الا اعوذك يا ابا محمد فقال بلى ولكن لا تنفث فعوذته
بالمعوذتين وقال ابن جريج قلت لعطا القرآن ينفخ به او ينفث قال لا
شي من ذلك ولكن تقروه هكذا ثم قال بعد انفث ان شئت وسيل
محمد بن سيرين عن الرقية ينفث فيها فقال لا اعلم بها باسا واذا اختلفوا
فالحاكم بينهم السنة روت عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث
في الرقية ابراد الايه وقد ذكرناه اول السوره وفي سجان وعن محمد بن حاطب
ان يده احترقت فاتت به امه للنبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها
ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وقال محمد بن الاشعث ذهب بي الى

عايشة رضي الله عنها وفي عيني سوء فرقتني ونفثت واما ما روي عن عكرمة
من قوله لا ينبغي للراقي ان ينفث فكانه ذهب فيه الى ان الله تعالى جعل النفث
في العقد مما يستعاذ به فلا يكون بنفسه عوذة وليس هذا هكذا لان النفث في
العقد اذا كان مذموما لم يجب ان يكون النفث بلا عقد مذموما ولان النفث
في العقد انما اريد به السحر المضر بالارواح وهذا النفث لاستصلاح الابدان
فلا يقاس ما ينفع بما يضر واما كراهة عكرمة المسح فخلاف السنة قال
علي رضي الله عنه اشتكيت فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقول اللهم ان كان
اجلي قد حضر فارحني وان كان متاخرا فاشفني وعافني وان كان بلاء فصبرني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف قلت فقلت له فمسحني بيده ثم قال اللهم
اشفه فما عاد لي ذلك الوجع بعد وقرا عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط
وعيسى بن عمر ورويس عن يعقوب ومن شر النافثات في وزن فاعلات
وروينا عن عبد الله بن القاسم مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وروي ان
لبيدا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة فانزل الله المعوذتين احدى
عشرة اية قال ابن زيد كن من اليهود يعني السواحر المذكورات وقيل هن
بنات لبيد بن الاعصم الثامنة قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد قد تقدم
في سورة النساء معنى الحسد وانه تمني زوال نعمة المحسود وان لم يصر للحاسد مثلها
والمنافسة هي تمني مثلها وان لم تزل والحسد شر مذموم والمنافسة مباحة
وهي الغبطة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن يغبط والمنافق
يحسد وفي الصحيحين لا حسد الا في اثنتين يريد لا غبطة وقد مضى في سورة
النساء والحمد لله التاسعة قال العلماء الحاسد لا يضر الا اذا ظهر حسده
بفعل او قول وذلك بان يحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود فيتبع مساويه
ويطلب عثراته قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا حسدت فلا تبغ الحديث

وقد تقدم ان الحسد اول ذنب عصي الله به في السما واول ذنب عصي الله به في الارض
فحسد ابليس ادم وحسد قابيل هابيل والحاسد مبغوض ممقوت مطرود
ملعون ولقد احسن من قال

قل للمحسود اذا تنفس طعنة يا ظالما وكانه مظلوم

الناسعه هذه السوره داله على ان الله سبحانه خالق كل شر وامر نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ من جميع الشرور فقال من شر ما خلق وجعل خاتمه
ذلك الحسد تنبيها على عظمه وكثره ضرره والحاسد عدو نعمه الله قال بعض
الحكما بارز الحاسد ربه من خمسه اوجه احدها انه ابغض كل نعمه ظهرت
على غيره وثانيها انه ساخط لقسمه ربه كانه يقول لم قسمت هذه القسمه
وثالثها انه ضاد فعل الله اي ان فضل الله يوتيه من يشا وهو يبخل بفضل الله
ورابعها انه خذل اوليا الله او يريد خذلانهم وزوال النعمه عنهم وخامسها انه
اعان عدوه ابليس وقيل الحاسد لا ينال في المجالس الا ندامه ولا ينال عند الملايكه
الا لعنه وبغضا ولا ينال في الخلوه الا جزعا وغما ولا ينال في الاخره الا حزنا واحتراقا
ولا ينال من الله الا بعدا ومقتا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يستجاب
دعاوهم آكل الحرام ومكثر الغيبه ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين

تفسير سورة الناس

مثل الفلق لانها احدى المعوذتين وروى الترمذي من حديث عقبه بن عامر
الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قد انزل الله علي ايات لم ير مثلهن
قل اعوذ برب الناس الى اخر السوره وقل اعوذ برب الفلق الى اخر السوره
قال هذا حديث حسن صحيح ورواه مسلم بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى قل اعوذ برب الناس اي مالكهم ومصلح امورهم
وانما ذكر انه رب الناس وان كان ربا لجميع الخلق لامرين احدهما

لان الناس معظمون فاعلم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا الثاني لانه امر
بالاستعاذه من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيذ منهم وانما قال
ملك الناس اله الناس لان في الناس ملوكا فذكر انه ملكهم وفي الناس من
يعبد غيره فذكر انه الههم ومعبودهم وانه الذي يجب ان يستعاذ به ويلجا اليه
دون الملوك والعظما قوله تعالى من شر الوسواس الخناس يعني الشيطان
والمعنى من شر ذي الوسواس فحذف المضاف قاله الفرا وهو بفتح الواو بمعنى
الاسم اي الموسوس وبكسر الواو المصدر يعني الوسوسه وكذا الزلزال والزلزال
والوسوسه حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسه ووسوسه
بكسر الواو ويقال لهمس الصايد والكلاب واصوات الحلي وسواس قال ذو الرمه

ويسمعه تذوب النزح والوسواس والهضب

وقال الاعشى

للحلي تسمع وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

ويقال ان الوسواس الخناس ابن لابليس جا به الى حوا ووضعه بين يديها
وقال اكفليه فجا ادم فقال ما هذا قالت جا عدونا بهذا وقال لي اكفليه
فقال الم اقل لك لا تطيعيه في شي هو الذي غرنا حتى وقعنا في المعصيه وعمد
الى الولد فقطعه اربعة ارباع وعلق كل ربع على شجره غيظا له فجا ابليس فقال
يا حوا اين ابني فاخبرته بما صنع به ادم فقال يا خناس فحييني فاجابه فجا به الى
حوا وقال اكفليه فجا ادم وحرقه بالنار وذر رماده في البحر فجا ابليس فقال
يا حوا اين ابني فاخبرته بفعل ادم اياه فذهب الى البحر فقال يا خناس فحييني
فاجابه فجا به الى حوا الثالثه فقال اكفليه فنظر اليه ادم فذبحه وشواه
واكلاه جميعا فجا ابليس وسالها فاخبرته فقال يا خناس فحييني فاجابه من
جوف ادم وحوى فقال ابليس هذا الذي اردت وهذا مسكنك
في صدر ولد ادم وهو ملتقم قلب ابن ادم ما دام غافلا يوسوس
فاذا ذكر الله لفظه قلبه واخنس ذكر هذا الحكيم الترمذي الحكيم

في نوادر الاصول باسناده عن وهب بن منبه وما اظنه يصح والله اعلم وصف
بالخناس لانه كثير الاختفا ومنه قوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعني النجوم
لاختفايها بعد ظهورها وقيل لانه يخنس اذا ذكر العبد الله اي يتاخر وفي الخبر
ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا غفل وسوس واذا ذكر خنس اي تاخر
وانقبض وقال قتاده ان الخناس الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر
الانسان فاذا غفل ابن ادم وسوس له واذا ذكر العبد ربه خنس يقال خنسته فخنس
اي اخرته فتاخر واخنسته ايضا ومنه قول العلا بن الحضرمي انشده
رسول الله صلى الله عليه وسلم

وان دخنوا بالشر فاعف تكرما وان خنسوا عند الحديث فلا تسل

وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن
ادم فاذا ذكر الله خنس واذا نسي الله التقم قلبه فوسوس وقال ابن عباس
اذا ذكر الله العبد خنس من قلبه فذهب واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه
وقال ابرهيم التيمي اول ما يبدا الوسواس من قبل الوضو وقيل
سمي خناسا لانه يرجع اذا غفل العبد عن ذكر الله والخنس الرجوع قال الراجز

وصاحب يمتعس امتعاسا يزداد ان حييته خناسا

وقد روى ابن جبير عن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس وجهين احدهما
انه الراجع بالوسوسة عن الهدى الثاني انه الخارج بالوسوسة من اليقين
قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس قال مقاتل ان
الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن ادم مجرى الدم في عروقه سلطه الله على
ذلك فذلك قوله تعالى يوسوس في صدور الناس وفي الصحيح ما قاله
مقاتل وروى شهر بن حوشب عن ابي ثعلبة الخشني قال سالت الله ان يريني
الشيطان ومكانه من ابن ادم فرايته يداه في يديه ورجلاه في رجليه ومشاعبه
في جسده غير ان له خطما كخطم الكلب فاذا ذكر الله خنس ونكس واذا سكت

عن ذكر الله اخذ بقلبه فعلى نحو هذا وصف ابو ثعلبه انه متشاعب في الجسد
اي في كل عضو منه شعبه وروي عن عبد الرحمن بن الاسود او غيره من التابعين
انه قال وقد كبر سنه ما امنت الزنا وما يومنني ان يدخل الشيطان ذكري فيوتده
فهذا القول ينبيك انه يتشعب في الجسد وهو معنى قول مقاتل
ووسوسته هو الدعا الى طاعته بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع
صوت قوله تعالى من الجنة والناس اخبر ان الموسوس قد يكون من
الناس قال الحسن هما شيطانان اما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس
واما شيطان الانس فياتي علانيه وقال قتاده ان من الجن شياطين وان
من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وروي عن ابي ذر انه
قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقال او من الانس شياطين
قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الايه وذهب
قوم الى ان الناس هنا يراد بهم الجن سموا ناسا كما سموا رجالا في قوله وانه كان
رجال من الجن وقوما ونفرا فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة ويكون
التكرير لاختلاف اللفظين وذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جا قوم
من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا اناس من الجن وهو معنى قول الفرا
وقيل الوسواس هو الشيطان وقوله من الجنة بيان انه من الجن والناس
معطوف على الوسواس المعنى قل اعوذ برب الناس من شر الوسواس الذي هو
من الجنة ومن شر الناس فعلى هذا امر بان يستعيذ بالله من شر الانس والجن
والجنة جمع جني كما يقال انسي وانس والها لتانيث الجماعه وقيل ان ابليس
يوسوس في صدور الجن والجنة جمع جني كما يقال انسي وانس فعلى هذا
يكون في صدور الناس عام في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يوسوس في
صدره وقيل معنى من شر الوسواس اي الوسوسه التي تكون من الجنة
والناس وهو حديث النفس وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به رواه أبو هريرة وخرجه مسلم والله أعلم بالمراد من ذلك كمل جميع الجزء السادس عشر

وبه تم كتاب الجامع في تفسير القرآن العظيم تصنيف الشيخ الفقيه الإمام العالم العامل الزاهد الورع المحدث الفاضل أوحد أهل زمانه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي رضي الله عنه ونفع به وجميع المسلمين • والحمد لله ذي الآلاء والمنن • وصلواته على محمد رسوله الداعي إلى أوضح سنن وعلى الأنبياء والمرسلين من قبله وعلى صحبه وصحبه وعلى جميع من آمن به نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتوفانا مسلمين وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين • وأن يجعلنا من عباده المتقين المفلحين الفائزين وأن يجعل ما كتبناه خالصاً لوجهه بمنه وكرمه وأن ينفعنا به في الدنيا وجميع المسلمين • إنه قريب مجيب • وكتبه العبد الفقير الذليل الخائف من ذنبه الراجي رحمة ربه خليل ابن فضل بن خليل الطائي غفر الله له ولوالديه ولكافة المسلمين أجمعين • آمين آمين

اللهم اغفر لمن الكاتب على فهمه ويسر له جميع فوائده ومعانيه ووفقه للعمل بطاعتك أبداً ما أبقيته وبلغه أمله في هذا الكتاب وعوضه جزاءً جميلاً في الجنان برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اغفر لكاتبه وقارئه ومستمعه ومستحسنه ومن نظر فيه ولجميع المسلمين أجمعين آمين يا رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون وسلم تسليماً كثيراً آمين آمين

وكان الفراغ منه يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى من شهور سنة ٧٤٢

أحسن الله خاتمته آمين

٩٨٠
٧٤٢
٢٣٨

١١٦٥
٧٤٢
٤٢٣

٧٤٢

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالا أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحسيري أنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني نا محمد بن يحيى نا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف نا محمد بن إسمعيل نا إبراهيم بن حمزة حدثني ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما أذن الله لنبي ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به نقل من تفسير البغوي في آخر المعوذتين

بسم الله الرحمن الرحيم رب اعن

الحمد لله سورة فاتحة الكتاب سبع آيات قيل مكية وقيل مدنية وقيل مكية ومدنية وانما سميت بذلك لافتتاح القرآن
بها والسورة هي الطائفة من القرآن معلومة الاول والآخر مأخوذة من سور المدينة كما ان السور محيط بالمدينة كذلك السورة
محيطة بالآيات هذا على تقدير ان تكون واوها اصلية اما اذا كانت منقلبة من الهمزة فمن السؤرة وهي البقية او القطعة من الشيء
والحمد هو الوصف بالجميل على جهة التفضيل والتعظيم فالوصف جنس يدخل تحته الانواع وبالوصف بالجميل والقبيح الاستهزاء
فبالاول خرج الثاني وبالثاني خرج الثالث فافهم والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد خاص باعتبار المورد لان مورده اللسان لا غير
وعام باعتبار المتعلق لانه يكون بنعمة وغيرها والشكر بالعكس فبينهما عموم وخصوص من وجه وقالت طائفة الالف واللام
فيه للاستغراق بمعنى الكل الافرادي اي كل حمد لله تعالى بناء على معتقدهم وهو ان افعال العباد كلها مخلوقة بخلق الله وقالت طائفة
اخرى انهما للجنس بناء على مذهبهم وهو ان العبد خالق افعاله الاختيارية والدلائل من الطرفين مذكورة في الكتب
الكلامية فيطالع ثمه وقيل الالف واللام في لله للاختصاص وقيل للاستحقاق كما يقال الجل للفرس اي مستحقه فان قلت لم اضاف
الحمد الى اسم الذات من بين سائر الاسماء ولم يضف الى اسم الصفة قلت لانه جامع لجميع صفات الكمال فكان الاضافة اليه
اضافة الى جميع الاسماء او لانه لو اضاف الى اسم الصفة وقال الحمد للخالق او الرازق او نحوهما لتوهم انه يستحق الحمد باعتبار
صفة الايجاد والترزيق لان ترتب الحكم على الوصف يدل على علية مأخذ الاشتقاق وفيه ثلث قراءات الرفع على الابتداء والنصب
على المصدر كمعاذ الله وسبحان الله والكسر للاتباع وضم اللام للاتباع ايضا **رب العالمين** التربية تبليغ
كل شيء الى كماله شيئا فشيئا وهو بمعنى اسم الفاعل وقيل هو الخالق ابتداء والمغير انتهاء ولا يطلق الرب المطلق المعرف
باللام الا على الله تعالى ويطلق على غيره بطريق الاضافة يقال رب الدار ورب المال ونحوهما والعالم اسم لما سوى الله وسمي به
لانه علم على وجوده تعالى وانما جمع جمع السلامة لانه اشرف الجموع لسلامته واحده تغليبا للعقلاء على غيرهم وقيل هو اسم للعقلاء
من الانس والجن كقوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين **الرحمن الرحيم** قيل هما مشتقان من الرحمة ومعناهما واحد
وقيل في الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم لان زيادة البناء لزيادة المعنى روي ان الله تعالى لما خلق القلم فقال له اكتب
فقال القلم ما اكتب الهي فقال اكتب بسم الله فلما سمع القلم اسم الله خر مبهوتا على اللوح الف سنة خوفا

لا اله الا الله محمد رسول الله

هو امانة عند الله للفقير عبد الله

سنة ١١٣٦ شوال